

الأخلاق التعليميّة

((٥))

أخلاقِيّات

الحجّ والزّيارة

عرضٌ للأخلاق التعليميّة والواقعيّة

من أبحاث المرجع الديني

السيدّ كمال الحيدري رحمته الله

بقلم

الدكتور طلال الحسن

أخلاقيات الحجّ والزيارة
عرض للأخلاق التعليمية والواقعية
للمرجع الديني السيد كمال الحيدري
إصدار: مؤسسة الإمام الجواد عليه السلام للفكر والثقافة

الحيدري، السيد كمال (١٩٥٦م)

أخلاقيات الحجّ والزيارة، الأخلاق التعليمية ٥

من أبحاث السيد كمال الحيدري، بقلم: طلال الحسن

الطبعة: الأولى - ١٤٤٢هـ = ٢٠٢١م

الناشر: دار فراق

عدد الصفحات: ٤٨٦

الكمية: ٥٠٠ نسخة. السعر: \$٦

الموضوع: الحجّ والأخلاق الإسلامية

التسلسل الرقمي: BP١٨٨ / ٨

التسلسل الديوي: ٢٩٧ / ٣٥٧

رقم المكتبة الوطنية: ٧٥٤٢٠٣٧

ردمك: ISBN: ٩٧٨-٦٢٢-٩٦٠٦٧-٧-٣

يطلب من: مؤسّسة الإمام الجواد للفكر والثقافة - بغداد

٠٠٩٦٤-٧٧٠٧٩٠٠٨٤٢

٠٠٩٦٤-٧٨٠٠٢٣٠٠٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وقفه جلالية

قال تعالى:

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْهُمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢).
﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٧).
﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (الأحزاب: ٣٩).

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:
«الحجاج يصدرون على ثلاثة أصناف: صنفٌ يُعْتَق من النار، وصنفٌ يخرج من ذنوبه كهينة يوم ولدته أمه، وصنفٌ يُحَفِّظ في أهله وماله، فذاك أدنى ما يرجع به الحاجج»^(١).

(١) الفروع من الكافي، للشيخ المحدث محمد بن يعقوب الكليني: ج ٤، ص ٢٥٣، ح ٣، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، قم المقدسة، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

يحتاج الحاج في رحلة التوحيد العملي الذي يعيشه في أداء جميع مناسكه إلى إرشادات أخلاقية ودعائم معنوية تحقق له الأمن والطمأنينة بقبول الأعمال، فالحج - عادة - لا يتحقق في حياة الإنسان المستطيع أكثر من مرة واحدة، وهذا ما يجعله أكثر حرصاً على وقاية حجه من الوقوع في الأخطاء المعنوية فضلاً عن الأخطاء الشرعية، ومن أجل تحقيق ذلك، أو تحقيق أكبر قدر ممكن من الارتقاء المعنوي في رحلة الحج كان لابد للحاج من التزوّد بمشاعل ومصاييح تقيه من الوقوع في ظلمة البعد والخسران. وقد حاولنا، من خلال هذه الدروس التعليمية، توفير الفرصة السانحة للتزوّد لرحلة الحج، فالحج هو أجل رحلة في العمر، بل هو رحلة العمر، وهو منقلب المنجحين، وذروة زاد المتقين، ولذلك علينا التوقّف كثيراً في كلّ كلمة نقولها، وفي كلّ فعل نقدم عليه ونحن محرمون، بل ونحن حاضرون في تلك الديار المقدّسة، وبتبع هذه القدسيّة كان لابدّ لنا من العروج والوقوف عند الزيارات بأنواعها وأشهر مصاديقها؛ لأنّها زادٌ متواصلٌ، ومائدةٌ نتزوّد منها بشكل مستمرّ، فضلاً عن كونها من تجلّيات الصلة برسول الله صلى الله عليه وآله وبعبترته الطاهرة عليهم السلام وبالصلحاء من الأئمة رضوان الله عليهم، وقد ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «من أتى مكّة حاجّاً ولم يزرني إلى المدينة جفوته يوم القيامة، ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة...»^(١).

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٤٨، ح ٥؛ من لا يحضره الفقيه، للشيخ

ولذلك كان من المناسب عرض أخلاقيات الزيارة ومقتضياتها، وبها تكتمل دروس هذه الحلقة، كما أنها ستكون مدخلاً مهماً للبحث في أخلاقيات الشعائر الحسينية^(١)؛ لأننا سنتعرض في مطلع هذه الحلقة إلى بيان هوية الشعائر الدينية، وبيان جملة من مبانيها بمعناها العام، وهذا ما يجعل البحث في أخلاقيات الشعائر الحسينية منطقياً وضرورياً. ونظراً للفهم العام للزيارات فإن القارئ الكريم سيجد عينات ومصاديق جديدة غير ما هو مألوف منها، من قبيل البحث في أخلاقيات زيارة العلماء، وأخلاقيات زيارة الأهل والأقرباء والأصدقاء، وأخلاقيات عيادة المرضى، وهي بحوث تقع في طول البحث في أخلاقيات زيارة الرسول صلى الله عليه وآله، وأخلاقيات زيارة البقيع، حيث مثوى الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام، وأخلاقيات زيارة بقيّة المعصومين من الأنبياء والأئمة عليهم السلام والصالحين، ونظراً لارتباط هذه الدروس بشكل مباشر بعمل المبلّغين والمروّجين للدين والمرشدين الدينيين في الحج فقد وجدنا من المناسب الختم ببحث الشخصية القرآنية والأخلاقية للمبلّغين.

ومن الله تعالى نستمدّ العون ونسأله التوفيق، إنّه سميع مجيب.

السيد كمال الحيدري

١٤٤٠ هـ

الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي: ج ٢، ص ٥٦٥، ح ٣١٥٧، تحقيق: علي أكبر الغفاري، جامعة المدرّسين، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ؛ تهذيب الأحكام، لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي: ج ٦، ص ٤، ح ٥، تحقيق: السيد حسن الخراسان، دار الكتب الإسلامية، قم المقدّسة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٥ م.

(١) سيأتي ذلك في الحلقة السادسة من هذه السلسلة، تحت عنوان: (أخلاقيات الشعائر الحسينية)، وهي تشتمل على أبحاث عقائدية وفقهية واجتماعية، ولكن في إطار وحدود البحث الأخلاقي التعليمي؛ وفقاً لإستراتيجية هذه السلسلة الأخلاقية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين .

كان من فضل الله تعالى وتوفيقه أن هبّا لعبده الفقير - اللائد بمقاعد العزّ من عرشه، وبمواضع الرحمة من كتابه - فرصة الخدمة والذود عن دينه، وكان من محاسن صنيعه سبحانه بعبده أن عرّفه بالسيّد الأستاذ الحيدري دام ظلّه، ومكّنه من أن ينهل من ندير علومه ومعارفه الدينيّة، فله المنة سبحانه بذلك .

لماذا التركيز على الحجّ

تتميّز فريضة الحجّ بأنّها الفريضة الأكثر تفاصيل، والأجمع لأبناء الأُمّة، والأمثل في القرب من ناصية التوحيد، ولا يُعلم سرّ التعلّق بهذه الفريضة غير ما ورد في الدعاء الإبراهيمي الخالد لفظاً ومعنى وأثراً في قوله تعالى: ﴿فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ (إبراهيم: ٣٧)، وهو دعاء ماضٍ في تحقيق أثره في نفوس المؤمنين، ولكنّ هذا لا يمنع من البحث عن أمور حسّية تدعو الإنسان المؤمن إلى هذا النوع الاستثنائي من العلقه بينه وبين فريضة الحجّ، ولو فتّشنا قليلاً سنجد أنّ الإنسان بطبعه - وإن كان مؤمناً - غالباً ما يتعلّق بآثاره، أو قل: بما يعطيه ويُقدّمه، وفريضة الحجّ هي الفريضة الوحيدة التي ينفق الإنسان فيها أموالاً كثيرةً وجهداً كبيراً لا يعادله جهد في العبادات الأخرى، حتّى الصوم الذي يعني الإمساك والجوع والعطش فإنّه لا يُقاس بذلك الجهد الكبير الذي يبذله الحاجّ في أداء مناسكه، ولا ريب أنّ اجتماع بذل المال والجهد ومراعاة الاحتياط في كلّ التفاصيل يدعو الإنسان بصورة طبيعيّة إلى التعلّق بهذا الأثر، حتّى أنّ العرف العامّ لا يطلق صفة عباديّة على

أحد غير صفة الحاج؛ فلا يقال للمصلي: يا مصلي، ولا للصائم: يا صائم، ولا للمزكي: يا مزكي، ولكن يُقال للحاج: يا حاج، فدل ذلك على حضور هذه الفريضة العظيمة في ذاكرة الجميع، مع أنها لا تقع لعموم الناس في الغالب إلا مرة واحدة في حياتهم، ولكنها مرة كأثما العمر كله، ولذلك من الممكن أن يطال النسيان ذاكرة الفرائض الأخرى فلا تتذكر تفاصيل العبادات التي وقعت منّا في أيام سابقة أو أعوام سابقة، ما عدا الحج فإنه يسجل تفاصيله بحروف من نور، ويُرسبها في أعماق الذاكرة، فبذل المال وبذل الجهد بهذه الصورة كفيلاً بإيجاد مثل هذه العلة الفريدة، فيكون الدعاء الإبراهيمي موجّهاً إلى التغاضي عن ذلك البذل الشائئ وتحقيق الانشداد نحو الامتثال والطاعة في تأدية فريضة الحج.

إنّ هذه العلة الفريدة تدعو إلى توثيق جميع تفاصيل الحج، ولكن من زاوية أخرى غير البعد العقائدي التوحيدي فيها، وغير الجزئيات الفقهيّة الكثيرة فيها، وهذه الزاوية هي الأخلاقيّة، حيث سيكون البحث منصّباً بالدرجة الأساس على أخلاقيات الحج لتليها أخلاقيات الزيارات، بحسب ما اقتضته خارطة البحث في هذه السلسلة من الأخلاق التعليميّة.

التنوع المصادقي في الزيارات

ستشهد هذه الحلقة الأخلاقيّة التعليميّة تنوعاً ملحوظاً في مصاديق الزيارات، لتشمل أخلاقيات زيارة العلماء، وأخلاقيات زيارة الأهل والأقرباء والأصدقاء، وأخلاقيات زيارة مقطوعي الصلة من الأيتام والفقراء والمساكين والمتعفّفين، وأخلاقيات عيادة المرضى والعجزة، وهي بحوث جاءت في طول بحث أخلاقيات زيارة الرسول صلّى الله عليه وآله، وأخلاقيات زيارة البقيع، وأخلاقيات زيارة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام، وأخلاقيات زيارة

الأنبياء عليهم السلام، والأولياء والصالحين من أمة الإسلام، وبرغم أن بواعث وأهداف الزيارة لكل هؤلاء تكاد أن تختلف من شخص لآخر، فهناك بواعث تكليفية وأخرى اجتماعية وأخرى أخلاقية وأخرى إنسانية، أو غير ذلك، إلا أن الجامع المشترك الذي نتوجه له هو الباعث الكمال والإنساني، فزيارة الرموز الكبرى في تاريخ الإسلام - كما يُعبّر السيّد الأستاذ دام ظلّه - توفر لنا رصيداً معنوياً، وتمنحنا ثقة عالية بأرضيتنا التاريخية، كما أن زيارة الآخرين تعمق الصلة الإنسانية، وهي تجلّ وشاهدٌ حيٌّ على وحدة النفس الإنسانية، كما هو المشار له قرآنياً في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (النساء: ١)، فتذوب الطبقات المفتعلة، وتذوي الحواجز الوهمية، وتعلو لغة التواصل بدل الانزواء والقطيعة^(١).

هذا الكتاب

اشتملت هذه الحلقة (الخامسة) من سلسلة (الأخلاق التعليمية) على تمهيد في مباني الشعائر الدينية، وعلى ثلاثة عشر درساً، تناول فيها السيّد الأستاذ دام ظلّه أخلاقيات الحجّ والعمرة، وأخلاقيات الزيارة بأنواعها. ونظراً للصلة الوثيقة بين هذه الأخلاقيات وبين آثار الشخصية القرآنية والأخلاقية للمبلّغين، فقد ارتأى السيّد الأستاذ دام ظلّه ختم هذه الحلقة في درسها الثالث عشر ببيان شخصية المبلّغين ببعديها القرآني والأخلاقي.

وبالرغم من أن أخلاقيات الحجّ والزيارة هي عمدة أبحاث هذه الحلقة إلا أنّها لم تقتصر على ذلك، حيث تمّ التقديم لها بأبحاث مهمّة تتعلق بمباني الشعائر الدينية، وبيان هويّة الشعائر الدينية وأهدافها، بالإضافة إلى نكات أخلاقية مستفادة من النصوص القرآنية والروائية.

(١) سيأتي ذلك في خاتمة هذه الحلقة.

وهنا ينبغي التذكير بأن هذه السلسلة - ومنها هذه الحلقة - قد جمعت بين المنهجية العلمية في العرض، والعمق في الفهم والتطبيق، والوضوح والبيان الحسن، انسجاماً مع إستراتيجية السيد الأستاذ بضرورة إفشاء الجانب التعليمي، وهذا ما ينسجم تماماً مع مشروعه المعرفي الذي تبناه وروج له منذ أكثر من ثلاثة عقود، في إلزامية التفقه في الدين، عقيدة وشريعة، وتفسيراً وحديثاً، وفلسفة وأخلاقاً وعرفاناً؛ لتكتمل المنظومة الإسلامية في ذاكرة المكلفين.

إن هذه الحلقة على رغم حلتها الواقعية في التصوير والتقريب والتمثيل؛ تحقيقاً للهدف الأساس من الأخلاق التعليمية، إلا أنها اشتملت على مطالب جديدة وعميقة ودقيقة تحتاج من القارئ الكريم إلى تدبر وتأمل ومطالعة لأكثر من مرة، وقد حاول السيد الأستاذ دام ظلّه من خلال التمثيل والتقريب، تذليل الصعاب وتخفيف حدة عمق ودقة تلك المطالب، ليس من باب الرعاية للمكلفين، فإن سياسة التفقه في الدين تقتضي الارتقاء بهم، وإنما من باب رعاية الإستراتيجية العامة لهذه الحلقات، القائمة على أساس الواقعية والتعليمية، فوق التمثيل والتقريب بالقدر الممكن والمتاح، وإذا ما بقي شيء من العمق والدقة فذلك هو واقع حال لا يمكن التنصّل عنه، ولعلّ في ذلك مصلحة يدركها أصحاب الفنّ والصنعة، وسيجد القارئ الكريم جملة من الاصطلاحات، والعناوين والتفريعات الجديدة، وهذا الأمر هو واحد من امتيازات هذه الدورة الأخلاقية التعليمية، وقد حرص السيد الأستاذ دام ظلّه كثيراً على تأصيل معظم بحوث دروس هذه الحلقة من العقل والقرآن الكريم والسنة الشريفة، وسيلاحظ القارئ المتنبّع أنّ سوق الآيات والروايات جاء بطريقة اندماجية وكأنيها فقرات من المتن، وليست مجرد أدلة وشواهد، ممّا يكشف قوّة الارتباط وقوّة السبك.

تنبيه أول

إنَّ عنونة الدروس بالأول والثاني و...، لا تعني أنَّ لكلِّ درس حصّة واحدة؛ فقد يحتاج الدرس منها إلى حصّتين أو ثلاث أو أكثر، وقد يُكتفى في بعضها بحصّة واحدة، ولذلك ينبغي التركيز على إيصال مادّة الدرس شكلاً ومضموناً وإعطاء البُعدين التعليمي والمعنوي أهميّة متناسبة، فلا يصحّ الإغفال عن الجانب التعليمي طلباً للمعنوي، كما لا يصحّ العكس أيضاً.

وعلى الأساتذة الكرام - طبقاً لوصايا السيّد الأستاذ دام ظلّه - أن يكونوا قدوة عمليّة في جانبهم التعليمي وجانبهم المعنوي، فإنَّ شخصيّة الأستاذ في الدرس الأخلاقي لها أثر كبير في الجذب والطرْد، وليس مطلوباً من الأستاذ في الجانب التعليمي أكثر من معرفة المطالب المطروحة، وليس مطلوباً منه في الجانب المعنوي أكثر من أن يكون صادقاً؛ فمعرفة الأستاذ بالمطالب والصدق في عرضها كفيّلان بتحقيق جانب الجذب. وليستحضر الأستاذ الكريم كلمة النبيّ شعيب عليه السلام الواردة في قوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨)، فذلك نافع ومثمر، علماً أنَّ العمل الإصلاحِي لا يتحقّق إلّا بالرؤية الواضحة، وبالصبر والتضحية.

كما يجدر بطلبتنا الأعزّاء - وبحسب توصيات السيّد الأستاذ دام ظلّه - أن يكونوا حريصين على التواصل والحضور والمثابرة، وتفعيل الرغبة بالتغيير وتحويلها إلى واقع عمليّ من خلال الاهتمام بهذه الدروس والعمل بها وفقاً لتوضيحات الأساتذة المحترمين، والطاعة لهم ما داموا ملازمين للحقّ وناصحين للطلبة، لاسيّما لمن رام تحصيل المراتب الشريفة من كمالات العمرة والحجّ والزيارة.

تنبيه ثانٍ

لاشك أن الطلبة الأعزّاء - من المرشدين في العمرة والحج خصوصاً، ومن المبلّغين عموماً - هم المقصودون أولاً وبالذات في دروس هذه الحلقة الأخلاقية، من دون الاختصاص بهم، حيث يمكن للإخوة المتعهّدين في الحج والزيارة أن يستفيدوا منها، فضلاً عن سائر الحجاج والزوّار، وأن يستعينوا بالأعزّة من المرشدين والمبلّغين في جميع الموارد التي تحتاج إلى بيان وإيضاح وتفصيل، فالعلم نورٌ، والتعلّم هدفٌ سام، وقد أوصى لقمان الحكيم ابنه فقال: «يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك، فإنّ الله يحيي القلوب بنور الحكمة. كما يحيي الله الأرض الميتة»^(١)، وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّه قال: «جالس العلماء يزدّد علمك، ويحسن أدبك، وتزكّ نفسك»^(٢)، وينبغي للمؤمن أن يحرص كثيراً على السؤال عن أمور دينه، ولا يترك ذلك وإن قيل عنه مجنون.

جدير بالذكر: أنّ مجموعة التعليقات المذيّلة بكلمة (منه دام ظلّه) تعود للسيد الأستاذ، وما عداها فهي للمقرّر.

-
- (١) كتاب الموطأ، للإمام مالك بن أنس الأصبحي الحميري (ت: ١٧٩هـ): ج ٢، ص ١٠٠٢، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ؛ روضة الواعظين، للشيخ محمّد بن الفتال النيسابوري (ت: ٥٠٨هـ -): ص ١١، تقديم: السيد محمّد مهدي السيّد حسن الخراسان، منشورات الرضي، قم؛ مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، لأبي الفضل عليّ الطبرسي: ص ٧٤٧، تقديم: صالح الجعفري، الناشر: المكتبة الحيدريّة في النجف، العراق، طبعة ١٩٦٥؛ الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، للحافظ جلال الدين السيوطي: ج ٥، ص ١٦٥، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ.
- (٢) عيون الحكم والمواعظ، عليّ بن محمّد الليثي الواسطي: ص ٢٢٣؛ تحقيق: حسين الحسيني البيرجندي، دار الحديث، قم، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

وأخيراً نسأل الله تعالى التوفيق والسداد في تحقيق الهدف التعليمي والتربوي الذي تصبو إليه هذه الحلقة، إنّه حميدٌ مجيدٌ وقريبٌ مجيبٌ، والحمد لله وحده من قبل ومن بعد.

الدكتور: طلال الحسن

١٤٣٨ هجرية / قم المشرفة

دروس الحلقة

- تمهيد في مباني الشعائر الدينيّة
- الدرس الأوّل: هويّة الشعائر الدينيّة وأهدافها وآثارها
- الدرس الثاني: علاقة الشعائر الدينيّة بالحجّ والزيارات
- الدرس الثالث: أخلاقيّات التواجد في الأماكن المقدّسة
- الدرس الرابع: الأخلاقيّات العامّة للعمرة
- الدرس الخامس: الأخلاقيّات العامّة للحجّ
- الدرس السادس: الأخلاقيّات الخاصّة بالحجّ
- الدرس السابع: أخلاقيّات التزاور
- الدرس الثامن: أخلاقيّات زيارة الرسول والبقيع
- الدرس التاسع: أخلاقيّات زيارة الأنبياء والأئمّة والصالحين
- الدرس العاشر: أخلاقيّات زيارة العلماء وطلبة العلم
- الدرس الحادي عشر: أخلاقيّات زيارة الأهل والأقرباء والأصدقاء
- الدرس الثاني عشر: أخلاقيّات مقطوعي الصلة وعيادة المرضى
- الدرس الثالث عشر: الشخصيّة القرآنيّة والأخلاقيّة للمبلّغين والمرشدين
- خاتمة وتوصيات

تمهيد في مباني الشعائر الدينية

- قرآنية الشعائر الدينية
- مسؤولية إقامة الشعائر الدينية
- شروط تحديد المصداق للشعيرة الدينية
- الفرق بين الشعيرة الدينية والبدعة
- من أدلة الشعائر الدينية
- مدخلية العقل والعقلاء في تشريعية الشعائر وتشخيصها
- قدسية الشعائر الدينية

قرآنية الشعائر الدينية

صرّح القرآن الكريم بشعائرية بعض الفرائض الدينية، كفريضة الحجّ، معتبراً أنّ كلّ منسكٍ من مناسك الحجّ هو شعيرة دينية، بل هو من حرّمات الله، قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ... * ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظَّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ... * ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظَّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٢٦ - ٣٢) وقال أيضاً: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ...﴾ (الحج: ٣٦) وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٥٨)، وقد سرى عنوان الشعيرة الدينية إلى جميع الفروض الدينية^(١). قال السيّد البجنوردي: «إنّ المراد من حرّمات الله وشعائر الله، مطلق ما هو محترم في الدين، وتطبيقها على مناسك الحجّ ومشاعره من باب تطبيق الكلّي على بعض مصاديقه»^(٢)، فالصلاة شعيرة والصيام شعيرة والزكاة شعيرة، بل حتّى الأذان والإقامة شعيرتان مقدّستان فضلاً عن كونها سنّة مؤكّدة^(٣)، بل الشعيرة

(١) سيأتي في الدرس الأوّل من هذه الحلقة بعض التفاصيل المرتبطة بهويّة الشعائر الدينية.

(٢) القواعد الفقهيّة، محمّد حسن البجنوردي: ج ٢، ص ٢٩٧، تحقيق: مهدي المهرizi، و:

محمّد حسين الدرايتي، الناشر: مطبعة الهادي، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.

(٣) انظر: منتهى المطلب في تحقيق المذهب، للعلامة الحليّ جمال الدين أبي منصور الحسن بن

يوسف بن عليّ المطهر (ت: ١٣٢٦ هـ): ج ٤، ص ٤١، تقديم: الدكتور محمود البستاني، تحقيق

ونشر: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، إيران - مشهد، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ؛

القواعد والفوائد في الفقه والأصول والعربية، للشهيد الأوّل أبي عبد الله محمّد بن مكّي

العاملي (ت: ١٣٨٦ هـ): ج ١، ص ٣٤٠، تحقيق: الدكتور السيّد عبد الهادي الحكيم، منشورات

مكتبة المفيد، قم.

أظهر فيها لمعنى الإعلام فيها. وإذا ما لاحظنا مناسك الحجّ واعتبارها أجزاء تدخل في تشكيل تركيب فريضة الحجّ، فإنّ الطواف والصفاء والمروة والوقوف بعرفة ومزدلفة والمبيت بمنى من الشعائر التي تدخل في تشكّل فريضة الحجّ، فالشعيرة هي إشعار وإعلام بشرعية الفرائض وأجزائها، وبذلك يكون القرآن الكريم هو المؤسّس الحقيقي لموضوع الشعائر، أو قل: هو المؤسّس لشعائرية الشعائر الدينية، وإنّما اختصّت شعيرة الحجّ بالذكر القرآني لقوتها وتفردها في تحقيق أعظم اجتماع عبادي لأبناء الأمة، فهي بحقّ تمثّل مؤتمراً إلهياً، تتجلّى فيه أعظم الأبعاد العباديّة والاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة، ولعلّ هذه الأبعاد هي من أجلى وأجلّ مصاديق قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ (الحجّ: ٢٧).

وإذا ما تأملنا في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ (المائدة: ٢)، نجد العطف فيه على الشعائر من باب عطف الخاصّ على العامّ، أو عطف بعض المصاديق على المفهوم العامّ، بمعنى: أنّ المنع في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْلُوا﴾ واقع على عنوان الشعائر مطلقاً، ثمّ جاء العطف بذكر بعض مصاديق الشعائر، وهي: الشهر الحرام والهدي والقلائد، فتأكد شموليّة الشعائر الدنيّة للفرائض الدنيّة، بل لكلّ جزء من أجزاء الفرائض الدنيّة، والفرائض الدنيّة أعمّ مورداً من الصلاة والصيام والزكاة والحجّ، فكلّ ما فيه إعلام عن الدين وجاء نصّ فيه فهو شعيرة، وإذا ما صار شعيرة لزم تعظيمه وتقديسه والحفاظ عليه.

يقول الشيخ الطوسي: «وكلّ معلّم لعبادة من دعاء، أو صلاة، أو أداء فريضة، فهو مشعر لتلك العبادة، وواحد الشعائر: شعيرة»^(١).

(١) التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي: ج ٢، ص ٤٢، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٩ هـ.

فإنَّ كلَّ جزء من أجزاء الصلاة يُمكن تسميته بالشعيرة، فالقيام شعيرة والركوع شعيرة والسجود شعيرة

مسؤولية إقامة الشعائر

مع أنَّ الشعائر الدينية تأخذ طابعاً طقوسياً تدرج تحت عنوان عام وهو العبادات، إلّا أنَّها في واقعها لا تقتصر على ذلك؛ لأنَّها تدخل بشكل مباشر في تكوين الشخصية الإيمانية للمؤمن، أي: في تكوين محتواه الداخلي، وتتواصل معه في رَفد ما يكتنزه العقل من مراتب التوحيد، ورَفد ما يكتنزه القلب من حبٍّ وولاء لله تعالى، وما ينطبع على البدن من طاعة وانقياد وحراك، ولذلك فإنَّ الشعائر تمنح المؤمن ضماناً عملياً لحفظ التوحيد العقلي والولاء القلبى والطاعة والحراك البدني، وهذا كله على المستوى الفردي، وأمّا على المستوى الاجتماعي فإنَّ الشعائر الدينية توثق عُرى الارتباط الاجتماعي وتجعل أبناء المجتمع الإيماني ﴿صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾ (الصف: ٤)؛ نظراً لكون معظم الشعائر الدينية ذات بُعد اجتماعي واضح، والعمرة والحجّ والزيارات شواهد حيّة على ذلك، كالاتِّباع السنوي في مؤتمر عبادي تكاملي، تُحقّقه فريضة الحجّ، تُعّين فيه الأمة قوّتها وعزّتها ومنعتها، فلا شعيرة كشعيرة الحجّ في عمق بُعدها التوحيدي بين المؤمن وربّه، وعمق بُعدها الوجداني بين المؤمنين أنفسهم.

من هنا تتكشف معالم المسؤولية الشرعيّة والأخلاقيّة تجاه الشعائر الدينية والعمل على حفظها وعدم الإخلال بها، وهي مسؤوليّة ليست فردية ولا جهويّة، ولا مذهبيّة، وإنّما هي مسؤوليّة تتوقّف على ثلاثة مفاصل أساسية لا بدّ من توفّرها، وإلّا ستكون الشعائر الدينية، العامّة والخاصّة، في مهبّ الريح وعرضة للضياع والتبدّل والتزييف، ودخول البدع والضلالات من أوسع الأبواب، وأمّا هذه المفاصل الثلاثة فهي:

المفصل الأول: تشريعية الشعيرة الدينية

لا ريب أن للشعائر - عموماً - بُعداً عقائدياً وتشريعياً، ولذلك لا بد أن تكون قائمة على أدلة شرعية معتبرة، وليس لأي أحد - مهما كان موقعه الديني أو السلطوي أو الاجتماعي - أن يضيف لها شيئاً من عندياته، فهي ليست عادات أو تقاليد موروثية، وليست وليدة اجتهادات ذوقية، وإنما هي عبادات لها منطلقات عقائدية وفقهية وأخلاقية، فلا بد أن تكون مستندة على أدلة شرعية؛ فكينونتها الشرعية أو الكشف عن ذلك إنما هو وليد أدلتها الشرعية لا غير.

المفصل الثاني: الرعاية والتوجيه العلمي

نظراً لحتمية المفصل الأول فإنه من الضرورة بمكان خروج الشعائر الدينية من أيدي العامة إلى الجهة العلمية والحوارات الدينية بشكل رسمي، فلا يسمح - ولو فتوائياً - لعامة الناس التدخل في صناعة الشعائر الدينية أو عرضها بصورة مشوهة، أو الاستخفاف بها، ومتى ما خرجت الشعائر الدينية من الانقياد للعقل العام - الذي غالباً ما يكون محكوماً للسلوك الجمعي - فإننا سوف نوفّر الضمانة الفعلية لحفظ الشعائر من التشويه والتزييف.

المفصل الثالث: ملاحظة حركية البعدين الزماني والمكاني

للشعائر الدينية تأثير ما بقاعدة الزمان والمكان، لا على مستوى المفهوم والتكوين والتشكيل الثابت عن طريق الشارع المقدّس، وإنما على مستوى تحديد مصاديقها غير المعينة من قبل الشارع المقدّس، وفي طريقة تطبيقها، فقد تصحّ بعض الشعائر الدينية في بلد ولا تصحّ في بلد آخر، فتكون من قبيل النفقة، فإنها حُدّدت كمفهوم ولم تُحدد كمصداق، فقد تكون في عصر عبارة عن طعام ولباس، وفي عصر آخر تكون أكبر من ذلك، وهكذا الحال بالنسبة للشعائر التي لم تُعين مصاديقها من قبل الشارع المقدّس، فإنها لا تصحّ في كل

عصر ومصر، لأنّها في الغالب تتأثّر بثقافة البلد وسياسته وظروفه الاجتماعية وموقعه وتأثيره في الأمّة، وهذا ما نجده بشكل واضح في أوساط المدن الدينيّة مقارنةً بالمدن الأخرى، حيث يلاحظ في الأولى الالتزامات الكثيرة التي تفرضها طبيعة المدينة الدينيّة والتشديد على تطبيقها ومراعاتها، بخلاف ما عليه الحال في المدن غير الدينيّة فإنّها في الغالب تشهد نوعاً من المسامحة والتغافل عن الدقّة في التطبيق؛ تأثراً بطبيعة المكان وشروطه الموضوعيّة.

وإذا ما كانت الشعائر الدينيّة تمثّل انعكاساً خارجياً لمعاني الدين ومضامينه فإنّها بذلك سوف تشكّل نظاماً ظاهرياً يمسّ الواقع الخارجي، ويستجيب بمرونة عالية لمقتضيات العصر وتعاقب الأزمنة، كما هو حال تشكيل الإسلام؛ فإنّ إلهيّته لا تعني انفصاله عن الواقع وعدم التأثير به، وإنّما هو إسلام إلهيّ مستجيب لواقعه، وهذا الواقع المستجاب له فيه محطّات ثابتة وأخرى متغيّرة، ولذلك نجد الناسخ والمنسوخ، والعامّ والخاصّ، والمطلق والمقيّد، شواهد حيّة على الاستجابة للواقع، وبمعنيّة هذه الاستجابة العملائيّة تدرج المحطّات المتغيّرة، والتي تنعكس بشكل مباشر على الشعائر الدينيّة. ولهذا الأمر صلة وثيقة بالدين وفهمه وتطبيقه، فالدين نفسه لا ينبثق من المعارف البشريّة، بخلاف فهمه وتطبيقه، فهما متأثران إلى حدّ كبير بالمعارف البشريّة والقدرات البشريّة وهذا ما ينبغي توضيحه من خلال درك الفرق بين المفهوم والمصداق.

شروط تحديد المصداق للشعيرة

لابدّ من إدراك الفرق الكبير بين الجهة المفهوميّة للشعيرة الدينيّة وبين مصاديقها، فالصيام - مفهوماً - شعيرة دينيّة خالصة، ولكنّه - مصداقاً - لا يصحّ منه إلّا ما ألزمنّا به الشارع المقدّس، ولذلك لا يصحّ فيه صوم الوصال، ولا صوم أيّام التشريق لمن كان بمنى، ولا صوم أيّام العيد، وهذا المنع المصداقي

يوقف انطباق الشعيرة عليها من الناحية التشريعية لا من الناحية اللغوية، وهكذا الحال في الصلاة، بل سائر الشعائر الدينية، ولذلك ينبغي الالتفات إلى الفرق بين مفهوم الشعيرة ومصاديقها المرضية وغير المرضية، فإن المصاديق غير المرضية لا يجديها انطباق المفهوم عليها من جهة لغوية، ولذلك فهي خارجة عن حريم الشعائر الدينية، وهذا ما يجعلنا نتوقف كثيراً عند المحطات المتغيرة، أو قل: المصاديق الجديدة التي هي في الغالب تنبثق من الواقع المعاش، أو قل: من الفهم والتطبيق لا من المفهوم نفسه، ولذلك لابد من:

أولاً: انسجام المصداق الجديد مع أصل الشعيرة

لابد أن يكون المصداق الجديد منسجماً مع أصل الشعيرة، فلا يلزم منه نقض الغرض، فإن الجهة المفهومية للشعيرة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتوحيدية الإسلام ووحديته، كما أن لها من القداسة ما للإسلام نفسه، فلا بد من إحراز عزة الإسلام وكرامته ومنعته وسماحته، فإذا ما شخصنا مصداقاً ملصقاً بالشعائر الدينية، ولم يرد فيه نص صريح، وكان منافياً لمقتضيات مفهوم الشعيرة، بل كان موجباً أو مقتضياً لاتهام الإسلام بالبشاعة والزيف، فلا ريب أنه ساقط عن الاعتبار، ولا عبرة في نهوض بعض الجهات المرتبطة بالواقع الديني أو العلمي به؛ فإن الجهوية - على فرض امتلاكها الفهم التخصصي لمعالم الدين - ليست هي الدين، وهذا واضح، وأما إذا لم تمتلك الفهم التخصصي للدين - ملكة الاستنباط - فإنها ساقطة عن الاعتبار جملة وتفصيلاً.

ثانياً: الانسجام مع الروح العامة والأخلاقيات العامة لأطر المجتمع

لابد أيضاً أن تكون المصاديق الجديدة منسجمة مع الروح العامة والأخلاقيات العامة لأطر المجتمع، فلا يلزم منها التنفير عن الدين، كما هو الحال في بعض الممارسات الخاطئة، كصناعة التماثيل وعرضها بتلك الطريقة البشعة في الطرقات،

والاستجداء بها، وغيرها من الممارسات التي تريد من الإنسان المؤمن السوي أن يُعطّل عقلانيته وسويته، ويستجيب إلى ضروب من الخرافات والتزييف، ليجد المؤمن نفسه بعد حين تبعاً للجهل والتجهيل والضلال والتضليل، وما نلاحظه في الأديان عموماً من ممارسات خاطئة يمجّجها العقل والدين القويم إنّما هي ممارسات غرست في أرض الجهل، ونمت واستطالت نتيجة السكوت عنها وعدم مواجهتها، وما كان لعمر بن لحي الخزاعي^(١) أن يخدع أهل مكّة بعبادة الأصنام لولا أنّه وجد أمة بساطها الجهل، ولغتها الغزو والثأر والتفاخر والمراء.

ثالثاً: الإنسجام مع العقل العام

كما لا بدّ أن تكون المصاديق الجديدة منسجمة مع العقل العام، فلا يلزم منها مخالفة الذوق العام والتوجّه العقلاني، كما هو الحال في الممارسات غير العقلانيّة التي تفضي إلى إيذاء النفس، وإسالة الدماء، وقطع الطرقات والممرّات، والتضييق على الناس، وغير ذلك من الممارسات المفتعلة.

الفرق بين الشعيرة الدينية والبدعة

الشعيرة الدينية: هي ما قام عليها الدليل الشرعي، سواء بالدليل الخاص بها أو بالدليل العام الشامل لها ولغيرها، وما لم ينهض دليل شرعي على شعيرتها ودالاتها الدينية فإنّها تكون بين أحد أمرين، هما:

الأول: أن تمارس لا بنحو الشعيرة الدينية، وإنّما بنحو الفعاليّة التي

(١) عمرو بن لحي (لحي) بن حارثة الخزاعي القحطاني، أوّل من غيّر دين التوحيد في مكّة إلى الوثنيّة، وهو جدّ (خزاعة) ورئيسها، تولّى حجابة البيت الحرام، وزار أردن الشام في البلقاء، فوجدهم يعبدون الأصنام، فأعجب بها فأخذ عدداً منها، فنصبها بمكّة ودعا الناس إلى تعظيمها والاستشفاء بها. انظر: الأعلام قاموس تراجم، خير الدين الزركلي: ج ٥، ص ٨٤، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠ م.

تساهم في الجذب للدين، وتحقق فرصة للتقارب بين المسلمين، أو تُمارس بنحو العادة الحسنة من دون أن يُنتظر منها أجر أو ثواب، كما هو الحال في مجموعة الخدمات التي يُقدّمها المتعهدون بالزيارات، تطوعاً أو وظيفة، فإنّها ليست من الشعائر الدينيّة، ولكنّها أمور حسنة تساعد الزائرين على أداء شعائرهم الدينيّة، فإذا ما وقع لهم أجر وثواب ومدح وثناء فليس ذلك من باب تأديتهم لشعيرة دينيّة وإنّما من باب الخدمة فيها.

الثاني: أن تُمارس بعنوان كونها شعيرة دينيّة وتُمنح من الشرافة والقداسة لها ما للشعيرة الدينيّة، وهذا باطل؛ لأنّها ستكون بدعة^(١)، والبدعة من

(١) البدعة لغة: «إحداث شيء لم يكن له من قبل خلق ولا ذكر ولا معرفة». كتاب العين، للفراهيدي: ج ٢، ص ٥٤، انتشارات هجرت، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هـ. واصطلاحاً: إيراد قول أو فعل لم يستنّ قائله أو فاعله بصاحب الشريعة وأصولها المتقنة. انظر: مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ): ص ٢٨، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، انتشارات ذوي القربى، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ. أو هي: «ما أحدث ممّا لا أصل له في الشريعة يدلّ عليه، وأمّا ما كان له أصل من الشرع يدلّ عليه فليس ببدعة شرعاً، وإن كان بدعة لغة». جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن أحمد رجب الحنبلي: ص ١٦٠، طبع الهند.

وفي ذلك يقول الشريف المرتضى: «زيادة في الدين، أو نقصان منه من إسناد إلى الدين». رسائل الشريف المرتضى، للسيد الشريف المرتضى عليّ بن الحسين الموسوي: ص ٢٦٤، تحقيق: السيد مهدي رجائي، دار القرآن، مطبعة سيّد الشهداء، قم المقدّسة، ١٤٠٥ هـ. والبدعة ضلالة ومصيرها النار، كما ورد عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، حيث قالوا: «كلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة سبيلها إلى النار». الأصول من الكافي، لثقة الإسلام الشيخ المحدث أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني: ج ١، ص ٥٦، ح ٨، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، دار الكتب الإسلاميّة، قم المقدّسة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦ م.

المعاصي الكبيرة، ولا يصحّ العمل البدعي كثرتة وشيوعه، كما لا يصحّحه تبني البعض له ولو كان من الوسط العلمائي، فالعالم بلغ ما بلغ من العلم لا يكون دليلاً بنفسه، وإنّما هو كاشف باستنباطه عن دليل معتبر من القرآن أو السنّة الصحيحة أو العقل، ولذلك لا ينبغي الاغترار بالكثرة والشيوع، فإنّ المناط للدليل لا لشيء آخر.

من هنا لا بدّ للعاملين في المجالات الدينية، العلميّة والخدميّة، أن يراعوا الاحتياط كثيراً في تسمية ما يقومون به بالشعائر، فما أكثر البدع وما أقلّ التفقّه في أوساط الأئمّة، والعاقل من نجا بدينه، والحقّ أولى بالاتباع من الانسياق وراء ممارسات مُستحدثة حوّلا الإفراط بالتعصّب والتفريط بالموازين إلى شعائر ودين، تُبذل من أجلها الأرواح والأموال، وتضيع في غوغائها وجهالاتها معالم الحقيقة، ويكون الحقّ باطلاً مصدوداً عنه، والباطل حقّاً منكباً عليه! ولذلك لا بدّ أن يكون الحرص على نفي البدع بالقدر الذي نحرص فيه على إحياء الشعائر الحقّة والسنن.

وإذا كانت الوسطيّة القرآنيّة بمعنى انتخاب الأفضل فإنّ الأفضل هو إحياء الشعائر الدينيّة والكفّ عن الشعائر المبتدعة، وهذا هو من أجلّ موارد تعظيم الشعائر، وتعظيمها من تجلّيات تقوى القلوب، والتقوى هدفٌ سام، فلا نجعل من رزقنا التمسك والدفاع عن بعض البدع الشعائريّة فيكون الثمن بدلاً من تحصيل التقوى ضياعها، وقوام الشعائر ليس بكثرتها وإنّما بشرعيّتها، فإنّ إحياء الشعيرة الشرعيّة هو المقصود بتقوى القلوب، لأنّه يُعبّر عن الاستجابة العمليّة لما أمر به الشارع المقدّس، وحفظ التقوى ولو مع القلّة خير من ضياعها، بل القليل مع التقوى كثير؛ لأنّه يُتقبّل، والكثير من دونها قليل؛ لأنّه لا يُتقبّل، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «لا يقلّ عمل

مع التقوى، وكيف يقلّ ما يُتقبل؟^(١)، و: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٧) فيكون ملاك تعظيم الشعائر في نوعيتها الشرعية، المأمور بها، لا في الكثرة الفاقدة للأصل الشرعي، والتي لا تخرج في كثير منها عن حريم البدع.

من أدلة الشعائر الدينية

اتضح أنّ الشعيرة الدينية هي ما كانت قائمة على أصل شرعيّ، وإلاّ ستكون بدعة، وأمّا الأدلة المساقاة لإثبات شرعية الشعيرة الدينية، فيمكن تقسيمها إلى نوعين، الأوّل: الأدلة القرآنية. والثاني: الشواهد الروائية، وسوف نستعرض بعضها بشكلٍ موجز.

النوع الأوّل: الأدلة القرآنية، وهي قسمان

القسم الأوّل: الأدلة القرآنية العامة

وهي أدلة تثبت عنوان الشعائر أو مرادفها دون مصاديقها، منها:
أوّلاً: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢)، وهو أصرح الأدلة في إثبات الشعائر الدينية ولزوم تعظيمها، وتعظيمها بمعنى أدائها على أكمل وجه، فلا يصحّ التقصير فيها فضلاً عن تركها أو هتكها، وارتباط موضوعها بتقوى القلوب لا يعني خروجها عن حريم الوجوب، وإنّما للتدليل على عظمة هدفها، كما هو الحال في اقتران فرضية

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام عليّ عليه السلام: ج ٤، ص ٢١ رقم: (٩٥)، جمع الشريف الرضي، تحقيق: الشيخ محمد عبده، دار المعرفة، بيروت؛ الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٧٥، ح ٥؛ الأمالي، لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي: ص ٦١، ح ٥٩، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسّسة البعثة، دار الثقافة، قم، الطبعة الأولى.

الصيام بالتقوى كهدف أعلى؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣).

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ (الحج: ٣٠)، وهي الآية التي تثبت عنواناً مرادفاً للشعائر الدينية، وهو عنوان (حُرْمَاتِ اللَّهِ)، وتحثنا على تعظيمها، كما هو واضح، ولو قرأنا الآية ضمن سياقها نجد أنها تشير إلى جملة من مناسك الحج، بصفتها شعائر الله وحرماته التي يجب تعظيمها وعدم الاستخفاف بها.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ (المائدة: ٢)، وحيث إن الشعائر هي حرمة الله تعالى فقد ورد النهي عن إحلال حرماته، وبما أن الآية واردة في موضوع الحج، فإن المعنى العام لها النهي: عن إحلال مناسك الحج وتضييعها؛ لأن «الإحرام، والطواف والصلاة في مقام إبراهيم، والسعي بين الصفا والمروة، ومناسك الحج كلها من شعائر الله»^(١).

قال الشيخ الطوسي في بيانه للآية: «الشعائر: المعالم من ذلك، وإذا كان كذلك، وجب حمل الآية على عمومها، فيدخل فيه مناسك الحج، وتحريم ما حرم في الإحرام، وتضييع ما نهى عن تضييعه واستحلال حرمة الله، وغير ذلك من حدوده وفرائضه وحلاله وحرامه؛ لأن كل ذلك من معالمه، فكان حمل الآية على العموم أولى»^(٢).

ومعنى ﴿لَا تُحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾: هو أن لا تتجاوزوا على شعائر الله؛ ففي الحج - مثلاً - يكون الإحرام ملزماً بتأدية الشعائر والمناسك، فلا يصح تركها،

(١) تفسير القمّي، لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمّي: ج ١، ص ١٦٠، تصحيح: السيّد طيّب الجزائري، مؤسسة دار الكتاب، قم المقدّسة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٣، ص ٤١٩.

وإلا كان عاصياً ومؤاخذاً، ومن ذلك عدم جواز دخول الحرم المكي - وهو أوسع من المسجد الحرام - من دون إحرام، وعموم الآية يشمل الشعائر الدينية الأخرى، فيكون المعنى: لا تحلّوا الصيام ولا الصلاة ولا الزكاة، وهكذا، أي: لا تتركوا الصيام والصلاة والزكاة، وغير ذلك من الشعائر الدينية.

قال السيّد البجنوردي: «وأما كون شعائر الله عبارة عن مناسك الحج أو خصوص الهدي أو خصوص البدن، وهكذا بالنسبة إلى حرّات الله كونها عبارة عن خصوص مناسك الحج، فواضح البطلان؛ لأنّ إطلاقها في القرآن الكريم على تلك الأمور من باب إطلاق الكلّي على بعض المصاديق، وليس من المجاز؛ لما تحقّق في محله أنّه من باب تعدّد الدالّ والمدلول، لأنّ الخصوصية تستفاد من دالّ آخر، وما ذكره اللغويّون وبعض المفسّرين لهذين اللفظين (حرّات الله، شعائر الله) فهو من باب اشتباه المفهوم بالمصداق، فكلّ ما هو محترم عند الله ومن علائم الدين فهو من حرّات الله ومن شعائره عزّ وجلّ»^(١).

القسم الثاني: الأدلة القرآنية الخاصّة

وهي الأدلة التي تثبت جملة من مصاديق الشعائر الدينية؛ منها:
أولاً: ما جاء في إثبات بعض مناسك الحج وعدّها من الشعائر الدينية،
نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٥٨).

والصفا والمروة جبلان يقع بينهما المسعى، وقد كُنّي عن منسك السعي الواجب بالصفا والمروة؛ لوقوعه بينهما، وسرّ التكنية: هو أنّ عرب الجاهليّة كانوا قد نصبوا صنماً اسمه أساف على جبل الصفا، وصنماً اسمه نائلة على جبل المروة، فتحاشى المسلمون عن السعي في عمرة القضاء التي أداها رسول الله صلى الله عليه وآله في عام (٧) هجرية، نظراً لمكان الصنمين، فنزلت الآية

(١) القواعد الفقهية، مصدر سابق: ج ٥، ص ٢٩٤.

لتبيّن أن الأصل في الصفا والمروة هو أنّهما من المناسك والشعائر، ووجود الصنمين لا يغيّر من حقيقة شعائريتهما، وقد روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ المسلمين كانوا يظنّون أنّ السعي بين الصفا والمروة شيء صنعه المشركون، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ...﴾»^(١).

ثانياً: ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ (الحج: ٣٦)، والبُدن: جمع بدنة، وهي الإبل، حيث جعلها الله تعالى من شعائره وأعلام دينه، وفي الهدي إشعار على منسك النحر، فالبُدن إذا أُشعرت بشقّ سنامها من الجانب الأيمن فإنّ ذلك دالّ على كونها هدياً، وفي الآية إشارة لطيفة إلى أنّ الشعائر هي جميع معالم الدين، والبُدن من تلك المعالم، وهي الهدي الذي يقدّمه الحاجّ بعد رميه جمرة العقبة الكبرى في العاشر من ذي الحجة.

بعبارة أخرى: «تكون هذه الآية بمنزلة كبرى كلّية تثبت بها مطلوبيّة تعظيم البُدن أيضاً، فإذا انتفى احتمال الاختصاص بالبُدن فلا وجه لتخصيصه بمناسك الحجّ أو محالّ أعماله، لكونها أيضاً مخالّفين لصدر الآية وذيلها. فالحمل على العموم وكون الشعائر بمعنى العلامة أولى وأوفق معنئياً ولفظاً»^(٢).

النوع الثاني: الأدلة الروائيّة

منها: عن معاوية بن عمّار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا رميت الجمرة فاشترِ هديك، إن كان من البُدن أو من البقر، وإلا فاجعل كبشاً سميناً فحلاً، فإن لم تجد فموجوء من الضأن، فإن لم تجد ففتيساً فحلاً، فإن لم تجد فما

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٤٥، ح ٤.

(٢) العناوين الفقهيّة، للسيد مير عبد الفتّاح الحسيني المراغي (ت: ١٢٥٠هـ): ج ١، ص ٥٦١، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرّسين، قم، ١٤١٧هـ.

استيسر عليك، وعظم شعائر الله عز وجل»^(١).

ومنها: «ومن الشعائر إذا ساق الرجل بدنة في الحج ثم أشعرها - أي: قطع سنامها أو جلّلها أو قلّدها - ليعلم الناس أنّها هدي فلا يتعرض لها أحد، وإنّما سمّيت الشعائر لتشعر الناس بها فيعرفونها»^(٢).

مدخلة العقل والعقلاء في تشريعية الشعائر الدينية وتشخيصها

إنّ القرآن الكريم والسنة الشريفة هما المشرعان للشعائر الدينية، نظراً لكونها من التبعديّات، والأمور التبعديّة ليست مسرحاً للعقول، بل إنّ من ملازمات الأمور التبعديّة عدم إقحام العقل لحريمها؛ لأنّ العقل عاجز تماماً عن الكشف عن ملاكات الأحكام، ولذلك فنحن لا ندري ما هي علّة التشكّل المعلوم في كلّ عبادة، بل لا نعلم علّة الوجوب وعلّة التحريم، وما نعلمه هو أنّها راجعة إلى إرادة الله تعالى، فما كان محبوباً له أمر به وما كان مبغوضاً له نهى عنه، وأنّ المحبوب له مُفضّل إلى الجنّة، وأنّ المبغوض له مُفضّل إلى النار، وقد ورد معنى ذلك في خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع إذ قال: «يا أيّها الناس! والله ما من شيء يُقربكم من الجنّة ويباعدكم من النار إلّا وقد أمرتكم به، وما من شيء يُقربكم من النار ويباعدكم من الجنّة إلّا وقد نهيتكم عنه»^(٣).

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٤٩١، ح ١٤؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٥، ص ٤٥٤، ح ٢٣٤.

(٢) تفسير القمّي، مصدر سابق: ج ١، ص ١٦٠.

(٣) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٧٤، ح ٢؛ المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي: ج ١، ص ٢٧٨، ح ٣٩٩، تصحيح وتعليق: السيّد جلال الدين الحسيني، مؤسسة

إذن الأصل التشريعي للأمور العبادية، ومنها الشعائر، هو القرآن والسنة الشريفة، ولكن الشريعة نفسها قد فتحت مساحة ضمن عناوين عامة، في ضوئها صحت نسبة جميع الأمور العبادية إلى الشعائر، ولم تقتصر على موردتها في الحج ومناسكه، كما تقدم، وقد اتضح - فيما تقدم أيضاً - أن هنالك فرقاً كبيراً بين الجهة المفهومية للشعيرة الدينية وبين مصاديقها، فالصيام مفهوماً: شعيرة دينية خالصة، ولكنه من الناحية المصاديقية لا يصح منه إلا ما ألزمنا به الشارع المقدس، فخرج صوم الوصال، وصوم أيام العيد، وهكذا الحال في سائر الشعائر الدينية، فإذا ما أردنا درج مصداق جديد ضمن المفهوم العام للشعيرة الدينية فلا بد من انسجامه مع أصل الشعيرة، وانسجامه مع الروح العامة والأخلاقيات العامة لأطر المجتمع، وأيضاً لا بد من انسجامه مع العقل العام، فلا يلزم منه مخالفة الذوق العام والتوجه العقلائي.

من هنا يتبين أن للعقل والعقلاء مدخلية ما، لا في تشريع الشعائر الدينية، وإنما في تشخيص المصداق الصحيح المنطبق عليه عنوان (شعيرة شرعية). ولو أخذنا عنوان الشعائر الحسينية مثلاً، فإنها بمفهومها العام تمثل شعائر دينية صحيحة قام عليها الدليل الشرعي^(١)، وإنما الكلام في مصاديقها، فما ثبت منها بالدليل الشرعي فهو منها، وما استحدث منها لا بد فيه من مراعاة الخصوصيات الثلاث الآنفه، وهي انسجامها مع ثلاثة أمور، وهي: أصل الشعيرة، والروح العامة والأخلاقيات العامة لأطر المجتمع، والعقل العام. والأمر الثاني والثالث لهما صلة وثيقة فيما نحن فيه، وعليه فللعقل

الأعلمي، طهران، ١٤٢٩ هـ.

(١) سيأتي تفصيل المسألة في الحلقة السادسة من هذه الدورة الأخلاقية الواقعية والتعليمية، والتي ستحمل عنوان (أخلاقيات الشعائر الحسينية).

والعقلاء مدخليّة ضمن هذا الإطار، وما يستحدث منها على مستوى المصداق إذا تحققت فيه الأمور الثلاثة فلا إشكال في صدق عنوان الشعيرة عليها، وقد نبّهنا إلى أنّ مقاليد هذه الأمور ليست بيد العامة من الناس، وإنّما هي بيد العلماء المجتهدين، فهم وحدهم لهم المكنة العلميّة في تشخيص المصداق الجديد للشعيرة الدينيّة الثابتة شرعاً، ولذلك لا بدّ من الرجوع إلى أهل العلم والاجتهاد في ذلك، ولا يصحّ أن يُدخل في الدين ما ليس منه، فإنّ الهدف من الشعيرة الدينيّة هو التقرب إلى الله تعالى، ومن المحال أن يتحقّق هذا التقرب المعنوي بالافتراءات والبدع.

بعبارة واضحة وموجزة: إنّ الشعائر الدينيّة بالنسبة لعامة المكلفين - الذين لم يبلغوا رتبة الاجتهاد - لا تخرج عن إطار التقليد الشرعي لهم، كما هو الحال في الأحكام الشرعيّة، وعمل المكلف غير المجتهد بلا تقليد صحيح باطل شرعاً، وهذا الحكم سار على الشعائر الدينيّة، فلا يصحّ لأحد - كائناً من كان - أن يستحدث مصداقاً جديداً لشعيرة دينيّة، بل ليس له أن يقوم بعملية تطبيق المفهوم على مصداق جديد، وليس له أيضاً أن يقوم بتقصّي تلك الأمور الثلاثة بغية تحصيل المصداق الجديد، فذلك ليس من عمله، وإنّما هو من عمل العلماء المجتهدين الجامعين لشرائط التقليد، أي: من عمل مراجع الدين.

وفي ضوء ما تقدّم فإنّ جميع المصاديق الجديدة للشعائر الدينيّة التي لم يرد فيها نصّ صريح على شعائريّتها فإنّها لا بدّ أن تخضع للموازن الشرعيّة التي يتعاطاها العلماء ومراجع الدين، سواء كانت هذه المصاديق الجديدة تمثّل أمكنة مقدّسة أو أزمنة شريفة أو شخوصاً دينيّة فضلاً عن أن تكون ممارسة عباديّة، حيث لا يكفي سكوت الشارع المقدّس عن تسميتها دافعاً أن تكون مسرّحاً للخوض فيها لكلّ من هبّ ودبّ، وإنّما هي أمور شعائريّة عباديّة

تحتاج إلى تشخيص دقيق من قبل العلماء، وعدم وجود نصّ ديني صريح فيها لا ينفي عنها شعائريتها وعباديتها إذا أصبحت شعائر بحسب تشخيص العلماء لها، كما هو الحال في بعض المناسبات التاريخية التي يحتفي بها المسلمون ويعدّونها من الشعائر الدينية، من قبيل الاحتفال بالولادة الميمونة للرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله، ومن قبيل الاحتفاء السنوي بالهجرة النبوية المباركة ورأس السنة الهجرية، والاحتفاء باليوم السابع عشر من شهر رمضان ذكرى الانتصار الكبير للمسلمين في معركة بدر الكبرى، والاحتفاء بيوم الخامس عشر من شعبان، وغير ذلك من المناسبات الدينية التي صارت تشكّل مساحة ملحوظة في وجدان الأمة، ولا ينبغي الالتفات إلى الأصوات الغريبة التي تبدّع كلّ شيء لم يجدوا له أثراً من القرآن والسنة النبوية، فخلط أصحابها بين المفهوم والمصداق، ولم يلتفتوا إلى ما تشكّله الشعائر المستحدثة من تأثير عظيم في فكر الأمة وسلوكها، ما دامت تلك الشعائر أو مصاديقها خاضعة للموازن الشرعية، ولا ينبغي الإفراط ولا التفريط.

قُدسيّة الشعائر الدينية

بالرغم من أنّ الشعائر الدينية كافّة تتّصف بالقداسة، إلّا أنّها تتفاوت فيما بينها في درجة القداسة، كما هو الحال في الأمكنة والأزمنة الشريفة، فإنّها تتفاوت في قداستها، فالمساجد الأربعة (المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى ومسجد الكوفة) هي أشرف وأقدس المساجد الإسلامية قاطبة، وهي فيما بينها تتفاوت أيضاً، فالمسجد الحرام هو أشرفها وأقدسها، كما أنّ المسجد الحرام نفسه فيه أجزاء بعضها أشرف من الآخر، فالكعبة بلا ريب أشرف بقعة في المسجد الحرام، وفي ضوء هذا التفاوت في الشرافة والقداسة نلاحظ اختلاف الأجر في لزوم هذه الأماكن وزيارتها، كما نلاحظ اختلاف

العقوبات عند انتهاك حرمتها عمداً، وقد ورد أن من أحدث عمداً - حدثاً كبيراً - في الكعبة عقوبته أعظم بكثير ممن أحدث في نفس المسجد الحرام، ولكن خارج الكعبة^(١)، وهكذا الحال بالنسبة للشعائر الدينية، فكل شعيرة لها خصوصيتها وشرافتها وقداستها، وكلما اقترنت الشعيرة بالعقيدة فإنها تبلغ مراتب عالية من القداسة، وكلما وردت نصوص صريحة فيها تأكدت قداساتها، وكلما ارتبطت الشعيرة بوجدان الأمة فإنها ترتقي في مراتب القداسة، وفي ضوء مراتبها تتضح طبيعة التوفيقات الدنيوية والأجر الأخروي، كما تتضح طبيعة العقوبات في الدنيا والأخرى عند انتهاكها.

والشعائر وقداستها لا تنحصر بالأمكنة ولا الفرائض الدينية، فقد تطلق على بعض الأزمنة، كليلة القدر المباركة، فهي من الشعائر، وحتى زمينة الوقوفين في عرفة ومزدلفة من الشعائر، كما أنها تُطلق أيضاً على الذوات والأشخاص، فالرسول صلى الله عليه وآله من الشعائر والمقدسات، وهكذا عترته الطاهرة؛ فعن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له: «نحن الشعار والأصحاب، والحزنة والأبواب، لا تؤقى البيوت إلا من أبوابها فمن أتاها من غير أبوابها سُمي سارقاً»^(٢)،

(١) روى الكليني عن أبي الصباح الكناني قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيها أفضل: الإيمان أو الإسلام؟ فإن من قبلنا يقولون: إن الإسلام أفضل من الإيمان، فقال: الإيمان أرفع من الإسلام. قلت: فأوجدني ذلك، قال [عليه السلام]: ما تقول فيمن أحدث في المسجد الحرام متعمداً؟ قال: قلت: يضرب ضرباً شديداً، قال: أصبت، قال: فما تقول فيمن أحدث في الكعبة متعمداً؟ قلت: يقتل، قال: أصبت؛ ألا ترى أن الكعبة أفضل من المسجد، وأن الكعبة تشرك المسجد، والمسجد لا يشرك الكعبة، وكذلك الإيمان يشرك الإسلام، والإسلام لا يشرك الإيمان». الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٦، ح ٤.

(٢) نهج البلاغة: ج ٢، ص ٤٣ خطبة (١٥٤)؛ شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي: ج ٩، ص ١٦٤، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، سوريا.

وفي رواية الينابيع: «نحن الشعائر والأصحاب، والخزنة والأبواب، ولا تؤق البيوت إلا من أبوابها...»^(١)، والشعار: ما يلي الجسد من الثياب، فهو أقرب من سائرهما إليه، ومراده عليه السلام: الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وآله^(٢)، والمراد من الشعائر في رواية الينابيع: هو أئمتهم عليهم السلام أعلام الدين، وهذا

(١) ينابيع المودة لذوي القربى، للشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي: ج ٣، ص ٤٥١، تحقيق: السيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.

(٢) انظر: شرح نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٩، ص ١٦٥.

وقد ورد مثل هذا المعنى في الأنصار، فعن أنس بن مالك، قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطى أبا سفيان وعيينة والأقرع وسهيل بن عمرو في الآخرين يوم حنين، فقالت الأنصار: يا رسول الله سيوفنا تقطر من دمائهم وهم يذهبون بالغنم؟! فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فجمعهم في قبة له حتى فاضت، فقال: أفياكم أحد من غيركم؟ قالوا: لا، إلا ابن أختنا، قال: ابن أخت القوم منهم، ثم قال: أقلتم كذا وكذا؟ قالوا: نعم، قال: أنتم الشعار والناس الدثار، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله إلى دياركم؟ قالوا: بلى». مسند أحمد، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤٦ هـ): ج ٣، ص ٢٤٦، دار صادر، بيروت.

قال الحربي: «الشعار: الثوب يلزقه الرجل بجلده، يقول: أنتم في القرب مني بمنزلة الشعار من الرجل. والناس دثار والدثار ما لبسه فوق الشعار، أي: فأنتم أقرب منهم». غريب الحديث، لأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت: ٢٨٥ هـ): ج ١، ص ١٤٦، تحقيق ودراسة: الدكتور سليمان بن إبراهيم بن محمد العاير، الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي)، مكة المكرمة.

وقال الطريحي: «الشعار - بالكسر - ما تحت الدثار من اللباس، وهو ما يلي شعر الجسد، وقد يفتح، والمعنى: أنتم الخاصة دون العامة». مجمع البحرين، للشيخ فخر الدين البحراني: ج ٢، ص ٥١٨، تنظيم: محمود عادل، تحقيق: أحمد الحسيني، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، طهران، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ.

هو الموافق للمعنى اللغوي للشعائر، والموافق أيضاً لموقعهم عليهم السلام في الإسلام والأمة، فهم كما وصفهم سيّد العترة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في قوله: «فأين تذهبون؟ وأتى تؤفكون؟ والأعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين يتاه بكم؟ بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيّكم؟ وهم أزمة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورود الهيم العطاش»^(١)، وفي قبال أعلام الدين تقع أعلام الكفر والضلالة، كما أشار لذلك أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، حيث يقول: «وإنّ أعلام الدين لقائمة، فاعلم أنّ أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هدي وهدي، فأقام سنّة معلومة، وأمات بدعة مجهولة، وإنّ السنن لنيرة، لها أعلام، وإنّ البدع لظاهرة، لها أعلام...»^(٢)، بمعنى: أنّ الدين له شعائر، وهي السنن النيرة، كما أنّ للكفر والشرك والضلال شعائر، هي البدع الظاهرة، أي: الظاهرة في زيفها وبطلانها.

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ١، ص ١٥٣، خطبة (٨٧).

قال الشيخ محمد عبده: «(تؤفكون) تقلبون وتصرفون بالبناء للمجهول، والأعلام) الدلائل على الحق من معجزات ونحوها، و(المنار) جمع منارة، والمراد هنا: ما أقيم علامة على الخير والشرّ، (يتاه بكم) من التيه، بمعنى الضلال والخيرة، و(تعمهون) تتحيرون، و(عترة) الرجل نسله ورهطه، أي: أجّلوا عترة النبي من قلوبكم محلّ القرآن من التعظيم والاحترام، وإنّ القلب هو أحسن منازل القرآن». المصدر نفسه.

(٢) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٢، ص ٦٩، خطبة (١٦٤).

الدرس الأول

هوية الشعائر الدينية وأهدافها وآثارها

- أهداف الدرس
- تمهيد
- الشعيرة في اللغة والاصطلاح
- ملامح الشعيرة الدينية
- عبادية الشعيرة الدينية
- مقتضيات عبادية الشعيرة الدينية
- الاتزان في أداء الشعيرة
- الأهداف الدينية في الشعائر
- الشعائر الدينية وسائل سليمة لأهداف سليمة
- الأهداف الاجتماعية في الشعائر الدينية
- الآثار الدنيوية والأخروية للشعائر الدينية
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- بيان ما هو المعنى اللغوي والاصطلاحي للشعيرة
- بيان ملامح الشعيرة الدينية
- بيان ما يقوم عليه أصل التشريع وعلاقة ذلك بالمواد الدستورية
- بيان الأهداف الدينية للشعائر
- بيان وسائل الشعائر الدينية وطبيعة علاقتها بالأهداف الإلهية
- بيان أهم الأهداف الاجتماعية للشعائر الدينية
- الكشف عن الآثار الدنيوية والأخروية للشعائر الدينية

تمهيد

الحديث عن هوية الشعائر الدينية لا يعني الاقتصار على البحث في معناها اللغوي والاصطلاحي، وإنما لابد من الكشف عن ملامح الشعيرة الدينية وما يقوم عليه أصل التشريع، بل يقتضي أيضاً بيان الأهداف الدينية للشعائر، ثم التطرّق إلى الأهداف الاجتماعية لها، والكشف عن آثارها الدنيوية والأخروية، وهذا ما نريد بحثه وتحقيقه في هذا الدرس.

الشعيرة في اللغة والاصطلاح

شَعَرَ بالشيء: أحسّ بالشيء وعلم به، وأشعر: بمعنى أعلم به وأخبر عنه، وتقول: أشعر فلان قلبي همّاً، أي: ألْبسه بالهمّ حتّى جعله شعاراً للقلب، والشعار ما ينادي به القوم في الحرب؛ ليعرف بعضهم بعضاً، وشعرت بكذا: فطنت له، وعلمت به. ومنه: ليت شعري، أي: علمي^(١).

(١) انظر: كتاب العين، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٥٠.

وخلاصة المعنى اللغوي للشعيرة: الإعلام بالشيء، فالشعيرة ما يُعلم بها عن شيء ما، وهو المعنى الموافق لقوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ (الحج: ٣٦)، أي: من أعلام دين الله، أو ما يُعلم بها عن أمر شرعي، فصار ذلك الأمر شعيرة من خلال الإشعار به، فتقول: «قد أشعرت هذه البدنة لله نُسكاً، أي: جعلتها شعيرة تُهدى. ويقال: إشعارها أن يجأ أصل سنامها بسكين فيسيل الدم على جنبها، فيعرف أنها بدنة هدي»^(١)، ويكفي في الإشعار بها أن تقلدها، فتجعل قلادة عليها ليُعلم أنها بدنة وشعيرة، فالإشعار هو الإعلام والعلامات، ولذلك فإن معنى المشاعر هو العلامات في مناسك الحج كالواقف^(٢)، و: «الشعائر: أعمال الحج، وكل ما جعل علماً لطاعة الله تعالى»^(٣)، وإنما نُسبت الشعائر لله تعالى للإشعار بأهميتها وعظمتها فلا يُستهان بها.

وأما المعنى الاصطلاحي للشعيرة فإنه مستمد من معناها اللغوي، فهي معلم وإعلام أيضاً ولكن بشيء مخصوص، وهذا هو الأوفق لتحقيق النسبة والارتباط بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي، وهذه النسبة والارتباط ظاهران في المقام. قال الشيخ الطوسي: «الشعائر: المعالم للأعمال، فشعائر الله: معالم الله التي جعلها مواطن للعبادة، وهي أعلام متعبداته من موقف، أو مسعى، أو منحر، وهو مأخوذ من شعرت به، أي: علمت. وكل معلم لعبادة من دعاء أو صلاة أو أداء فريضة، فهو مشعر لتلك العبادة. وواحد الشعائر: شعيرة»^(٤).

(١) كتاب العين، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٥١.

(٢) انظر: التبيان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١، ص ٧١.

(٣) الصحاح تاج اللغة، إسماعيل بن حماد الجوهري: ج ٢، ص ٦٩٨، تحقيق: أحمد بن عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤٢.

ملاح الشعيرة الدينيّة

مرّ بنا أنّ الشعيرة الدينيّة هي ما قام عليها الدليل الشرعي، وإلاّ فإنّها ستكون بين أحد أمرين، الأوّل: أن تُمارس لا بنحو الشعيرة الدينيّة، وإنّما بنحو الفعاليّة التي تساهم في الجذب للدين، أو تُمارس بنحو العادة الحسنة، من دون أن يُنتظر منها أجر أو ثواب، فإن كانت موجبة للنفرة من الدين أو تساهم في تشويه صورة الدين فلا ريب في بطلانها، بل هي ممّا يجب النهي عنها ومعاقبة كلّ من يعتمد إليها، والثاني: أن تُمارس بعنوان كونها شعيرة دينيّة مقدّسة، وهذا باطل؛ لأنّها ستكون بدعة، والبدعة معصية كبيرة، ولا ينبغي الاغترار بالكثرة والشيوخ، ولا بإجازة البعض أو الترويج لها ممّن يتنسبون إلى المؤسّسة الدينيّة؛ لما تقدّم أنّ العالم بلغ ما بلغ من العلم لا يكون دليلاً بنفسه، من هنا لا بدّ للعاملين في المجالات الدينيّة، العلميّة والخدميّة، مراعاة الاحتياط كثيراً في تسمية ما يقومون به بالشعائر، فما أكثر البدع، وما أقلّ التفقّه في أوساط الأئمّة، كما عرفت ذلك، والحقّ أولى بالاتباع من الانسياق وراء ممارسات مستحدثة حولها الإفراط بالتعصّب والتفريط بالموازنين إلى شعائر ودين.

ولخطورة هذا الأمر كان لا بدّ من بسط القول في ملاح الشعيرة الدينيّة لتمييز عن البدع والمخترعات التي إن تُركت فإنّها سوف تتفاقم وتتحكّم في وجدان الشيعي، كما هو الحاصل بالنسبة لبعض الممارسات غير العقلانيّة، التي اصطبغت بعنوان الشعائر الحسينيّة من غير مراعاة الموازين الشرعيّة فيها والتي صار لها رواد ومريدون وكُتّاب مواقع، والتي بلغ بالبعض منها مرحلة مخيفة؛ لسعة انتشارها وكثرة مريديها، إلى درجة صار فيها العقل الخاصّ للشيعيّة - المراجع والعلماء والفضلاء - يخشون مواجهة هذا السيل العارم، فكانوا بين موافق لخوف أو لطمع، وبين ساكت لتقيّة، وبين ملوّح بالمنع من

غير تشخيص، مع أن مقتضى التكليف يُملي عليهم بيان وجه الحق في ذلك؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله»^(١).

الملمح الأول: أن تمثل انعكاساً ملحوظاً للمعارف الدينية؛ بأن تكون مشيراً للأجر الأخروي، فلا يلزم منها شبهة في شرك أو قدح في عدل أو في تشريع، فإذا كانت هنالك ممارسة يلزم منها شيء من ذلك فلا ريب أنها ليست شعيرة دينية ولا مذهبية، بل هي ممارسة لا دينية، وطقس يُشاطر الطقوس الوثنية، ويكفيها في ذلك جهات الاشتراك الواضحة بين ما تؤدّيه بعض الديانات الوثنية وبعض الفئات المسلمة في المناسبات الدينية، من إشعال النيران والإيغال في تقريع الجسد وإيلامه، وتمثيل بعض المعصومين عليهم السلام والشهداء بالأصنام المجزّرة، وأحياناً بصور الحيوانات المفترسة! وغير ذلك من الصور البشعة التي جعلت من الشعائر العوبة بيد الجهلة والمغفلين والمغرضين.

الملمح الثاني: الوضوح الشديد في حقائبة الشعيرة؛ فلا تكون ملوثة بباطل وإن كان قليلاً، وهذا أمر لا يُدركه بهذا المعنى غير أهل العلم والاختصاص، فإنّ مساحات الجهل كلّما اتّسعت فإنّ مساحة القبول بالخرافات والأساطير والبدع ستتسع ولا ريب، فضلاً عن الدور المريب للأهواء وتسويلات الشيطان، وقد نبّه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إلى ذلك، مُبيناً خلفيات نشوء الفتن والبدع؛ فعن محمد بن مسلم، عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: «خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس فقال: أيّها الناس إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تُتبع، وأحكام تُبتدع، يخالف فيها كتاب الله، يتولّى فيها رجالٌ رجلاً، فلو أنّ الباطل خلص لم يخف على ذي حجب، ولو أنّ

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٥٤، ح ٢.

الحقّ خلصّ لم يكن اختلاف، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث، فيمزجان فيحيثان معاً، فهناك استحوذ الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى»^(١).

الملمح الثالث: أن تكون الشعيرة داعية للارتباط بالله تعالى؛ لأنّ الشعائر قد ارتبطت بالله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحجّ: ٣٢)، وقد علمنا بأنّ اقترانها بالله تعالى يُشير إلى أهمّيّتها وعظمتها وعدم الاستهانة بها، فإذا ما كانت هنالك ممارسة اصطبغت بعنوان الشعيرة وكانت موجبة لضعف العلاقة مع الله تعالى فهي ليست من شعائر الله، بمعنى أنّ الشعيرة المزعومة لا تنسجم مع حكمة الله تعالى وعدالته، كما هو الحال في الممارسات الباطلة التي في الغالب توجب وقوع الضرر البدني والنفسي، فينشأ السؤال حول الحكمة الإلهيّة والعدالة الإلهيّة التي بحسب الزعم اقتضت أن تكون تلك الممارسة المزعومة شعيرة.

الملمح الرابع: أن تكون الشعيرة منسجمة مع الأهداف العامّة التي يراد من إقامتها (أي: الشعيرة) تقوية تلك الأهداف.

عباديّة الشعيرة الدينيّة

وها هنا أمران، هما:

الأمر الأوّل: مقتضيات عباديّة الشعيرة الدينيّة

إنّ كلّ شعيرة دينيّة إنّما هي وسيلة تعبديّة لله تعالى، ولذلك فإنّها تقتضي نيّة القربة إلى الله تعالى، ومعنى كونها عباديّة أو تعبديّة هو أنّنا لا بدّ لنا من أن نرجع فيها إلى النصوص الدينيّة من جهة، وأن لا نتجاوزها إلى ممارسات

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٥٤، ح ١، باب (البدع والرأي والمقائيس).

بديلة عنها من جهة أخرى؛ فإنّ الشعائر الدينيّة ليست معاملات أو توصّلات يُمكن فرض التشخيص العقلاني فيها وإحداث البدائل أو التوسعة والتضييق فيها، وإلاّ فإنّها سوف تخرج عن معنى العباديّة والتعبّد، وإذا ما لُوْحظ مناط العباديّة والتعبّدية فيها فإنّنا سوف نستطيع تشخيص الشرعيّة منها من غير الشرعيّة؛ فإنّ الشعيرة الشرعيّة ما قام الدليل الشرعي المعتبر عليها، ولا عبرة بالاستحسنات والذوقيّات والتبرّعات، كما لا عبرة بشيوع الظاهرة فيما لم تكن شرعيّة، وهذا ما يجعلنا نشخص بوضوح جميع الظواهر الاجتماعيّة والسلوكيّات التبرّعيّة، التي أريد منها - بقصد أو بغير قصد - الارتباط بالدين وبالعباديّات تحديداً، فتسقط عن الاعتبار والارتباط بالدين، فإنّ دين الله لا يصاب بالعقول^(١)، أي: بالاستحسنات والذوقيّات والرأي، وإنّما يصاب باعتماد النصوص والأدلة الصحيحة، وقد ناسب التركيز على عباديّة الشعائر وتعبّديتها لما نلاحظه من تلاعب الأذواق والأهواء بمصاديقها، بين استحداث وتوسعة لا تستند إلى أيّ دليل، بل هي في الغالب يقف الدليل المعتبر على طرف نقيض منها.

الأمر الثاني: الاتّزان في أداء الشعيرة

فكما أنّ سائر العبادات ملحوظ فيها الاتّزان الشرعي في أدائها، وهو ما يُصطلح عليه بالاقتصاد في العبادة، فلا نحمل أنفسنا فوق طاقتها، وإلاّ

(١) عن الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام: «إنّ دين الله عزّ وجلّ لا يُصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقائيس الفاسدة، ولا يُصاب إلّا بالتسليم، فمن سلّم لنا سلم، ومن اقتدى بنا هدى، ومن كان يعمل بالقياس والرأي هلك». كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق أبي جعفر بن عليّ بن الحسين بن بابويه: ص ٣٢٤، ح ٩، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة، ١٤٠٥ هـ.

تنفّرت، فكذلك الحال في تأدية الشعائر الدينيّة، وقد ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّ هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، ولا تكثرهوا عبادة الله إلى عباد الله، فتكونوا كالراكب المنبتّ الذي لا سفرّاً قطع ولا ظهراً أبقى»^(١). ولذلك فإنّ الاقتصاد في العبادة يُعتبر من فضائل السير والسلوك، وفيه ضمانّة عمليّة لحفظ ما أحرزناه من الرُقّيّ المعنوي، وهنالك درس تربويّ، قرآنيّ وعقلائيّ، مُشير إلى الاقتصاد في العبادة، من خلال توجيهه إلى قصد الميسور، والابتعاد عن المعسور؛ قال تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ (المزمل: ٢٠)، وكما قيل: إنّ دوام المزاوالت يعطي الملكات، فتبقى للنفس هيئة راسخة وملكة ثابتة، والدوام على الشيء غير الإكثار منه، والدوام ينسجم مع فلسفة الاقتصاد في العبادة، بخلاف الإكثار المفضي في الغالب إلى النفرة والملل. وقد ورد في الأخبار ما يؤيّد فلسفة الاقتصاد في العبادة حتّى بالنسبة للمعصومين عليهم السلام، الذين هم القدوة والأسوة في الفكر والسلوك والعبادة، فكيف بنا نحن الذين تجتاح قلوبنا النفرة والإدبار. عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «اجتهدت في العبادة وأنا شابّ، فقال لي أبي: يا بنيّ دون ما أراك تصنع، فإنّ الله عزّ وجلّ إذا أحبّ عبداً رضي عنه باليسير»^(٢).

(١) أصول الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٨٦، ح ١، (باب: الاقتصاد في العبادة).
(المنبتّ): يقال للرجل إذا انقطع به في سفره وعطبت راحلته: قد انبتّ، من البتّ بمعنى القطع. و: (الظهر): المركب، يريد أنّه بقي في طريقه عاجزاً عن مقصده، لم يقضِ وطره وقد أعطب مركبه. انظر: النهاية في غريب الحديث، للإمام مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير الجزري (ت: ٦٠٦ هـ): ج ١، ص ٩٣، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناجي، مؤسّسة إسماعيليان، قم المقدّسة، الطبعة الرابعة، ١٣٦٤ ش.
(٢) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٨٧، ح ٥.

وقد روي أنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله كان يُجهد نفسه كثيراً في عباداته الليلية، فأنزل الله سبحانه وتعالى في ذلك قرآناً: ﴿طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ (طه: ١-٢)^(١)، وفي ذلك تأكيد للتيسير القرآني.

جدير بالذكر أنَّ الاقتصاد في العبادة لا يعني اعتماد قاعدة التقليل منها، وإنما يعني عدم الإجهاد ولحوق الأذى من جرّاء ذلك، ولعلَّ إنساناً لا يصلح أمره إلا بالعبادة والإكثار منها، ولكن بالنحو المقتصد، وقد قيل في غير هذا المورد: «قليلٌ يقرّ خيرٌ من كثيرٍ يفرّ»، وهكذا الحال في العبادات فإنَّ القليل منها الذي يُؤتى بقلب خاشع خير من الكثير منها يؤتى بقلبٍ ساهٍ؛ فإنَّ القليل المقبول خير من الكثير المردود، فقد ورد عن الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام أنّه قال: «إنَّ العبد لا يُقبل من صلاته إلا ما أقبل عليه منها بقلبه»^(٢).

وخلاصة الأمرين الآنفين: أنَّ عباديّة الشعيرة تُلزمنا شرعاً بعدم التطاول عليها وعدم الإحداث فيها، كما أنَّ أدائها ينبغي أن لا يقع فيه الإسراف في الوقت والجهد والمال؛ فإنَّ الإسراف مفسد للعبادة، ولذلك فإنَّ على المؤدّين للشعائر الدينيّة أن يراعوا الاقتصاد فيها: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنعام: ١٤١)، فمراعاة الاقتصاد بناءً شرعيّ وعقلائيّ.

الأهداف الدينيّة في الشعائر

ترتبط الأهداف الدينيّة المنظورة في الشعائر الدينيّة بخلفيّات التأسيس والتشريع لها، فإنَّ أصل التشريع قائم على أمور؛ منها:

الأمر الأوّل: توجيه المكلفين إلى وظائفهم الشرعيّة في أمور العبادات

(١) انظر: الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٩٥، ح ٦.

(٢) علل الشرائع، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القميّ: ج ١، ص ٢٣١، ح ٨، المكتبة الحيدريّة، النجف الأشرف، ١٩٦٦ م.

والمعاملات معاً، لإفراغ ذمهم من الوجوب الإجمالي في التكاليف تجاه المنعم.
الأمر الثاني: توجيه المكلفين إلى الطرق السليمة لتحصيل الكمال المطلوب؛ لأنّ التشريعات الإلهيّة هي منظومة تعبويّة لإفراغ الذمّة وتحصيل الكمال، بدلاً من ترك المكلفين في خوض التجارب الخاطئة.

الأمر الثالث: نظم الحياة الدينيّة والدنيويّة، فالتشريعات الإلهيّة هي أشبه ما تكون بالموادّ الدستوريّة التي يخضع لها الجميع؛ بغية تنظيم أمورهم وحفظ مصالحهم، ومواجهة التجاوز والتعدّي والتمدّد على الآخرين.

وهذه الأمور الثلاثة هي متوفرة ولا ريب في الشعائر الدينيّة، فيما إذا أخذت الشعائر بمعناها العامّ، ومع ذلك فإنّنا لو نظرنا إلى خصوصيّات الشعائر سنجد عدّة أهداف منظورة ومستنبطة منها، وهي وإن كانت تمثّل أهدافاً إلهيّة دينيّة إلّا أنّها تمسّ حياتنا الدينيّة العباديّة وحياتنا الدنيويّة معاً، وفقاً لخلفيّات التأسيس لها.

وأما الأهداف الدينيّة للشعائر؛ فأهمّها:

أولاً: إحياء الدين وإظهار حاكميّته من خلال الحضور العلني للشعائر الدينيّة، فالدين ليس طقوساً باطنيّة وممارسات سرّية، وإنّما هو معاشية مع واقعنا المحسوس بشكل ظاهر، وهذا لا يمكن تحقيقه من دون الشعائر الدينيّة التي تقتضي شعائريّتها الظهور والحضور والإعلام، فيكون إظهارها ترجمة عمليّة لواقعيتها وواقعيّة تأثيرها.

ثانياً: التأكيد على القيم الإلهيّة من خلال إبرازها والاحتفاء بها، فإنّ الظاهرة الإعلاميّة عادة ما تكون لها الصدارة في تسجيل الحدث في الذاكرة، والشعائر تتكفّل بتحقيق تلك الظاهرة الإعلاميّة.

ثالثاً: تحقيق المعنى الرقابي الموجه لما نحن عليه من فكر وعقيدة وأخلاق، بمعنى استنهاض ما تنطوي عليه العقول والقلوب من خلال الحضور والظهور،

وهذا المعنى الرقابي يُشكّل ضماناً عمليّة لاستنهاض المعتقدات وحفظها، وقد كان العرب يستعملون الأشعار الحماسيّة لاستنهاض الهمم واستنفار المشاعر في حروبهم وغزواتهم، وقد استبدلت في الإسلام بالخطب المسندة إلى النصوص القرآنيّة والنبويّة وبعض الأشعار والأقوال المؤثرة، ومن ثمرات هذا الدور الرقابي للشعائر الدينيّة: التذكير بالعقائد والقيم وتقوية الارتباط بها، فضلاً عن كونها الروافد المباشرة التي تغذي العاطفة والوجدان، وتساعد على بناء رصيد كبير للأبناء الذين يعسر عليهم التعاطي مع المفاهيم الإسلاميّة، فيتلقّى تلك المفاهيم بصورة عمليّة وتطبيقية، فتكون آكد في أنفسهم ووجدانهم.

رابعاً: تحقيق معنى الرمزيّة للقيم الإلهيّة والمبادئ السامية، فتكون الإساءة لها إساءة لتلك القيم والمبادئ، كما في رمزيّة مناسك الحج للتوحيد، ولذلك فإنّ الشعائر الدينيّة ليست مجرد مظاهر دينيّة، وإنّما هي حوائك مقصودة لكلّ المبادئ والقيم الإلهيّة، ورمزيّتها تُلبّي حاجة رويّة.

خامساً: ترشيد الحالة المعنويّة ورفدها بالمشاعر الصادقة، فالإنسان بطبعه العام عاطفيّ، ويحتاج إلى دعم متواصل؛ لأنّ الأهداف المرجوة من وراء الشعائر الدينيّة لا يكفي تحقيقها، وإنّما لابدّ من الثبات عليها وتعميقها، وهذا ما يتوقّف بشكل مباشر على الحالة المعنويّة التي عليها مؤدّي الشعائر الدينيّة، ولذلك ورد الاهتمام بالقلوب عند الإقبال ومراعاتها عند الإدبار، فإنّ الحالة المعنويّة كثيراً ما تقف وراء اتّخاذ قرارات خطيرة في حياة الإنسان، ولذلك ينبغي مراعاتها من خلال نفس الشعائر الدينيّة فإنّها داعم كبير لها، وهذا ما عنيناه بالأهداف الدينيّة المتوخّاة من الشعائر، فإنّ تنمية المشاعر وترشيد الحالة المعنويّة هدف ديني واضح وصريح، وسيأتي توضيح يسير لهذه الحالة المعنويّة من خلال عرض بعض الأهداف المعنويّة التي نحققها من وراء الشعائر.

الشعائر الدينيّة وسائل سليمة لأهداف سليمة

وهاهنا مطلبان، الأول: أنّ الشعائر الدينيّة لا تمثّل أهدافاً بعيدة، بل هي وسائل شرعيّة لبلوغ أهداف معيّنة، وحيث إنّ تلك الأهداف إلهيّة فهي أهداف سليمة ونبيلة وعظيمة، وهذا يقتضي أن تكون وسائلها كذلك، ممّا يعني أنّ الشعائر الدينيّة بظهورها وحضورها وإعلامها لا بدّ أن تكون وسيلة صحيحة ونبيلة وعظيمة، فإنّ الهدف مهما كان عظيماً فإنّه يتأثر سلباً بوسائله الخاطئة، كما أنّ الهدف مهما كان عادياً فإنّ وسائله السليمة سوف تضيف له قيمة جديدة.

وهذا ما يجعلنا نتحقّق كثيراً من طريقيّة الشعائر الدينيّة بغية تحقيق وحفظ الأهداف السامية التي نطلب تحقيقها، فلو افترضنا أنّ إقامة شعيرة ما سوف تفضي إلى الوقوع في الفتن وانقسام الأمّة على نفسها فإنّها ولا ريب - مهما كان هدفها سامياً - سوف تتقاطع مع الهدف الأسمى الكامن في وحدة الأمّة.

المطلب الثاني: لا بدّ من الحرص والتأكّد من تحقيق الهدف الذي يرتبط بالشعيرة نفسها.

ففريضة الحجّ من أعظم شعائر الله تعالى، وهدفها المنظور يكمن في تحقيق وحدة الأمّة وفي تحقيق التوحيد، فاجتماع المسلمين من أصقاع الأرض، بأشكالهم وألوانهم واختلاف بلدانهم ومشاربهم، إنّما يُشير إلى الوحدة الظاهريّة للمسلمين في سير واحد لأداء تلك المناسك المعلومة، كما أنّ كلّ حاجّ بأداء فريضته ينبغي أن يكون موحّداً فعليّاً أو بلغ الحدّ الأدنى من ذلك. وهكذا الحال بالنسبة للصلاة فإنّها وسيلة للانتفاء عن الفحشاء والمنكر؛ قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥). والصوم وسيلة لبلوغ التقوى؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣). ولا يمكن بلوغ

التوحيد المطلوب بواسطة الحجّ، ولا الانتهاء من الفحشاء والمنكر بواسطة الصلاة، ولا التزوّد بالتقوى بواسطة الصيام إلا إذا كانت تلك الشعائر والوسائل قد أنجزت بشكلها المطلوب، فإنّ كلّ خلل في الوسيلة سيفضي - ولا ريب - إلى وقوع الخلل في بلوغ الهدف، وما نلاحظه بالوجدان من انقباض الصلاة والصيام وبقية العبادات عن تحقيق أهدافها كاشف عن طبيعة تلك الصلاة وذلك الصيام وبقية العبادات، ومن لم يحقق الهدف المرجوّ من حجّه وصلاته وصيامه فكأنّه لم يحجّ ولم يصلّ ولم يصم، وبقدر ما نحقق من الأهداف نكون قد حقّقنا من الوسائل ما ينسجم مع النتيجة، فإنّ بين الوسيلة والهدف تناسباً طرديّاً في الهبوط والارتقاء، وهذا هو مقتضى فلسفة الكمالات الإلهية التي ترتبط الشعائر الدينية بها.

الأهداف الاجتماعية في الشعائر الدينية

لا ريب أنّ جملة من العبادات أخذت طابعاً اجتماعياً انعكست فيه صور مشرقة لوحدة الأمة وقوّتها وعزّتها، كما هو الحال في شعيرة الحجّ، وكما هو الحال في صلاة الجمعة وصلاة الجماعة، ولذلك نجد حثّاً أكيداً من قبل الشارع المقدّس عليها؛ لأنّ الطابع الاجتماعي يعكس وحدة حياة الإنسان ووحدة المصير.

من هنا يمكن أن ندرج أدناه بعض الأهداف الاجتماعية للشعائر الدينية:

الأوّل: تحقيق موارد جديدة لوحدة الصفّ وانسجام النسيج الاجتماعي على اختلاف مراتبه، وتجديد الشعور بالقوّة والمنعة، وتجديد الشعور بالمسؤوليّة بين المقيمين للشعيرة تجاه بعضهم بعضاً.

الثاني: تحقيق موارد جديدة من التكافل والتضامن والتآخي عند تأدية الشعيرة الجماعيّة، لاسيّما وأنّ الشعور بإيجابيّة المشاركة تحثّ الإنسان على التواصل وتأكيد هذه القيم الاجتماعيّة الصحيحة.

الثالث: تأكيد فكرة التلاحم الاجتماعي وإعطائه بُعداً تشريعياً من خلال الشعائر الدينيّة ذات الطابع العبادي، فتكون عبادته موجّهة ومؤكّدة لما تقتضيه سيرة العقلاء من حفظ البناء الاجتماعي والبناء المدني.

الرابع: أنّ الشعائر ذات البعد الاجتماعي تعالج في الإنسان النزعة الفردية التي كثيراً ما تتحكّم في طريقة تفكيره وسلوكه، فتتحوّل نزعة الفرد من خلال الأثر الاجتماعي للشعائر إلى نزعة جماعيّة، أو تنضبط عنده النزعة الفردية فلا تتركه في عزلة عن الناس في فكره وفي سلوكه.

الآثار الدنيويّة والأخرويّة للشعائر الدينيّة

أمّا الآثار الدنيويّة فتتنقسم على قسمين، وضعيّة وتكليفية، والوضعيّة ماديّة ومعنويّة.

وأمّا الوضعيّة الماديّة فمن قبيل ما يقع في بعضها من مكاسب تجاريّة، حيث تزدهر الأسواق ويكثر فيها التبضّع والتبادل التجاري في البضائع، وانتفاع الفقراء من لحوم الهدى والكفّارات في أنحاء العالم كافّة، وهو المشار له في شعيرة الحجّ؛ قال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ﴾ (الحجّ: ٢٨)، والمنافع الماديّة هي أظهر في النصّ من المنافع المعنويّة، وإن كانت المعنويّة مقصودة أيضاً؛ للقرائن السياقيّة الثلاث، الأوّل: في: ﴿مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾، والثانية في: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾، والثالثة في: ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ﴾، فالأنعام والأكل منها والإطعام منها ظواهر حسية واضحة.

ومن الشواهد الروائيّة على هذه المنافع الماديّة ما جاء عن سلمة بن محرز قال: «كنت عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام إذ جاءه رجل يقال له أبو الورد فقال لأبي عبد الله عليه السلام: رحمك الله إنّك لو كنت أرحمت بدنك

من المحمل، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا الورد، إني أحب أن أشهد المنافع التي قال الله تبارك وتعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾، إنه لا يشهدا أحد إلا نفعه الله، أما أنتم فترجعون مغفوراً لكم، وأما غيركم فيحفظون في أهاليهم وأموالهم^(١)، وقوله: «وأما غيركم فيحفظون في أهاليهم وأموالهم» لا يدل على الانحصار بغير أتباع أهل البيت عليهم السلام، وإنما هي شاملة للجميع، وقد خصّ الأتباع بقوله: «أما أنتم فترجعون مغفوراً لكم»؛ لألوية الغفران على متاع الدنيا، والتي تستحقّ البشارة منه، وفي قوله: «أما أنتم» للإشارة إلى كون الولاية شرطاً في الوصول إلى أعلى درجات القرب الإلهي، وإن كانت ليست شرطاً في أصل قبول الأعمال كما حقّقناه في محلّه، فأعمال المسلمين محكومة بالصحة والإجزاء والقبول بشرطها وشروطها، ومن شروطها أنّه بعد البحث والتحقيق انتهى إلى صحة ما عليه من الاعتقاد والعمل، وأما الوصول إلى مقام الأبرار فقد اعتبرت مدرسة أهل البيت ولاية أهل البيت عليهم السلام شرطاً في ذلك^(٢)، ولذلك لا يجب على المستبصر إعادة أعماله السالفة منه إذا وقعت صحيحة وفقاً على ما كان عليه.

وأما الوضعية المعنوية فمن قبيل التزوّد بالتقوى؛ كما هو المشار له في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢)، وتحقيق ذكر الله تعالى، كما هو صريح الآية الآنفه: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٦٣، ح ٤٦.

وفي خبر آخر عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ أدنى ما يرجع به الحاجّ الذي لا يقبل منه أن يحفظ في أهله وماله، فقليل له: بأيّ شيء يحفظ فيهم؟ قال: لا يحدث فيهم إلا ما كان يحدث فيهم وهو مقيم معهم». (الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٥٨، ح ٢٧).

(٢) على تفصيل ذكرناه في كتاب (فقه العقيدة). (منه دام ظلّه).

اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ﴿﴾ فضلاً عن الذكر الحسن له والسمعة الطيّبة، إقامة الشعائر منقبة دنيويّة وأخرويّة يحرص على نيلها صلحاء الأُمّة وأهل الخير والطاعة، بل إنّ المنافع نفسها هي شاملة للمنافع المعنويّة، ومنها غفران الذنوب، كما مرّ في الحديث: «أَمَّا أَنْتُمْ فَرَجِعُونَ مَغْفُوراً لَكُمْ»، أي: فضلاً عن المنافع المادّيّة فهناك منافع معنويّة وهي المغفرة، وهذه المغفرة تكون لهم في الدنيا قبل الآخرة، وفي ذلك إشارة خفيّة إلى انقطاع جميع آثار الذنوب السابقة التي تلازم الإنسان في الدنيا، فأراد عليه السلام أن يحثّهم على تحصيل المغفرة وأن يجعلها نصب أعينهم، وهو ما ينبغي للمؤمن النظر إليه أولاً وبالذات، وهو المشار له في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (آل عمران: ١٣٣)، ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيُّهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (البقرة: ١٤٨).

وأما الآثار التكليفيّة فإنّها تجعل من المؤمن عبداً مطيعاً، ومؤدياً للداعي العقلاني بشكر المنعم، وبخلاف ذلك سيقع العبد في دائرة العصيان. وأما الآثار الأخرويّة فإنّها تكمن في العفو والمغفرة ونوال الجنّة والرضوان، وهو مقتضى الإطلاق في قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾، والشاهد على ذلك ما جاء في الخبر عن الربيع بن خيثم قال: «شهدت أبا عبد الله الصادق عليه السلام وهو يُطاف به حول الكعبة في محمل وهو شديد المرض، فكان كلّما بلغ الركن اليماني أمرهم فوضعوه بالأرض، فأخرج يده من كوة المحمل حتّى يجرّها على الأرض ثمّ يقول: ارفعوني، فلما فعل ذلك مراراً في كلّ شوط قلت له: جعلت فداك يا بن رسول الله! إنّ هذا يشقّ عليك، فقال: إني سمعت الله عزّ وجلّ يقول: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ فقلت: منافع الدنيا أو منافع الآخرة؟ فقال: الكلّ^(١). وفي خبر جامع لكلّ تلك الآثار، الدنيويّة (المادّيّة والمعنويّة) والأخرويّة،

(١) الفروع من الكافي: ج ٤، ص ٤٢٢، ح ١؛ تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ١٢٢، ح ٧٠.

ما جاء عن محمد بن سنان عن الإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليهما السلام أنه كتب إلى ابن سنان فيما كتب من جواب مسأله: «إِنَّ عِلَّةَ الْحَجِّ: الوفاة إلى الله تعالى، وطلب الزيادة، والخروج من كل ما اقترب، وليكون تائباً مما مضى، مستأنفاً لما يستقبل، وما فيه من استخراج الأموال، وتعب الأبدان، وحظرها عن الشهوات واللذات، والتقرب في العبادة إلى الله عز وجل، والخضوع والاستكانة والذل، شاخصاً في الحر والبرد والأمن والخوف، دائماً في ذلك دائماً، وما في ذلك لجميع الخلق من المنافع والرغبة والرغبة إلى الله سبحانه وتعالى، ومنه ترك قساوة القلب وخساسة الأنفس ونسيان الذكر وانقطاع الرجاء والأمل وتجديد الحقوق وخطر الأنفس عن الفساد، ومنفعة من في المشرق والمغرب، ومن في البر والبحر، ممن يحج وممن لا يحج، من تاجر وجالب وبائع ومشتري وكاسب ومسكين، وقضاء حوائج أهل الأطراف، والمواضع الممكن لهم الاجتماع فيها، كذلك: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾^(١).

والمنافع الدنيوية والأخروية المختلفة لا تختص بالحج، وإنما تعم سائر الشعائر الدينية الأخرى، فالذي يعظم شعائر الله تعالى ينال الخطوة والمكانة الرفيعة عند الله تعالى، وهذا مقتضى للعناية والرعاية.

كلمات على الطريق

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ (المائدة: ٢)، أي: لا تتهاونوا بحرمات الله ولا تستهينوا بها ولا تضيعوها، فإنها علامات الدين ودلائله وشواهد، ولذلك فالآية لا تختص بشعيرة دون

(١) علل الشرائع، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤٠٤، ح ٥؛ عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي: ج ١، ص ٩٧، تحقيق: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

أخرى؛ «لأنّ الله نهى عن استحلال شعائره ومعالم حدوده وإحلالها، نهياً عاماً من غير اختصاص شيء من ذلك دون شيء، فلم يُجْز لأحد أن يوجّه معنى ذلك إلى الخصوص إلا بحجّة يجب التسليم لها، ولا حجّة بذلك كذلك»^(١)، بل يمكن القول بأنّ: «شعائر الله جميع ما أمر به سبحانه أو نهى عنه، وهذا قول راجح؛ فالشعائر جمع شعيرة، أي: قد أشعر الله أنّها حدّه وطاعته، فهي بمعنى معالم الله»^(٢).

- إنّ الشعائر الدينيّة من كلمات الله: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ (التوبة: ٤٠)، فيكون إحياء الشعائر وتعظيمها طريقاً حقيقياً لإعلاء كلمة الله تعالى، وهنا يكون دور القلوب المتّقية.

خلاصة الدرس

- خلاصة المعنى اللغوي للشعيرة هو الإعلام بالشيء، وهو الموافق لقوله تعالى: ﴿وَالْبُذُنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ (الحجّ: ٣٦).
- المعنى الاصطلاحي للشعيرة مستمدّ من معناها اللغوي، فهي إعلام ولكن بشيء مخصوص، فشعائر الله: معالمه التي جعلها مواطن للعبادة.
- كلّ ممارسة توجب النفرة من الدين أو تساهم في تشويه صورته فهي ليست شعيرة، ولا ريب في بطلانها، بل هي ممّا يجب النهي عنها ومعاقبة

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري: ج ٦، ص ٧٤،

ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، الطبعة ١٤١٥ هـ.

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي) للإمام أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي المالكي (ت: ٨٧٥ هـ): ج ٢، ص ٣٣٧، تحقيق: الأستاذ الدكتور عبد الفتاح أبو سنة والشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

كُلٌّ من يعمد إليها.

- لا ينبغي الاغترار بالكثرة والشيوع لممارسة غير شرعية، ولا ينبغي الاغترار بإجازة البعض أو الترويج لها ممن ينتسبون إلى المؤسسة الدينية، ولذلك لابد من مراعاة الاحتياط كثيراً في تسمية ما يقومون به بالشعائر، فما أكثر البدع وما أقل التفقه.
- ملامح الشعيرة الدينية: أن تمثل انعكاساً ملحوظاً لأصول الدين والإيمان، والوضوح الشديد في حقانية الشعيرة، وأن تكون داعية للارتباط بالله، بنحو تنسجم مع الهدف الذي من أجله جاءت هذه الشعيرة. وأن تكون محلّ وفاق أهل الدين أو أهل المذهب نفسه.
- كَلَّ شعيرة دينية هي وسيلة تعبديّة لله تعالى، ولذلك فإنّها تقتضي نيّة القربة إلى الله تعالى، وعباديتها أو تعبديتها يفضي إلى وجود دليل شرعيّ عليها، ولا عبرة بالاستحسانات والذوقيات والتبرّعات.
- كما أنّ سائر العبادات ملحوظ فيها الاتّزان الشرعي في أدائها (الاقتصاد في العبادة) فكَذلك في تأدية الشعائر، فالإقتصاد في العبادة من فضائل السير والسلوك، وفيه ضمانة حفظ ما أحرزناه من الرقي المعنوي.
- ورد في الأخبار ما يؤيد فلسفة الإقتصاد في العبادة حتّى بالنسبة للمعصومين عليهم السلام، ونحن أولى بذلك؛ وذلك لسرعان ما تجتاح قلوبنا النفرة والإدبار.
- الإقتصاد في العبادة لا يعني اعتماد قاعدة التقليل منها، وإنّما يعني عدم الإجهاد ولحوق الأذى من جرّاء العبادة.
- عباديّة الشعيرة تُلزمنا شرعاً بعدم التطاول عليها وعدم الإحداث فيها.
- إنّ أصل التشريع قائم على: توجيه المكلفين إلى وظائفهم الشرعية وفق

- الطرق السليمة لتحصيل الكمال المطلوب، ونظم حياتهم الدينيّة والدينيّة؛ فالتشريعات الإلهيّة تشبه الموادّ الدستوريّة الملزمة للجميع.
- أهمّ الأهداف الدينيّة للشعائر: إحياء الدين وإظهار حاكميّته من خلال الحضور العلني للشعائر الدينيّة، والحثّ على القيم الإلهيّة من خلال إبرازها والاحتفاء بها، وتحقيق المعنى الرقابي الموجّه لما نحن عليه من فكر وعقيدة وأخلاق، وتحقيق معنى الرميّة للقيم الإلهيّة والمبادئ السامية، وترشيد الحالة المعنويّة ورفدها بالمشاعر الصادقة.
- كثيراً ما تقف الحالة المعنويّة وراء اتّخاذ قرارات خطيرة في حياتنا، ولذلك ينبغي مراعاتها من خلال نفس الشعائر فإنّها داعم كبير لها.
- حيث إنّ الشعائر الدينيّة لا تمثّل أهدافاً بعيدة، وإنّما هي وسائل شرعيّة لبلوغ أهداف إلهيّة سليمة ونبيلة وعظيمة، فلا بدّ أن تكون هذه الوسائل كذلك، أي: صحيحة ونبيلة وعظيمة.
- لا بدّ من الحرص والتأكّد من تحقيق الهدف الذي يرتبط بالشعيرة نفسها، وإلاّ فمن لم يحقّق الهدف المرجوّ من حجّه ومن صلاته ومن صيامه فكأنّه لم يحجّ ولم يصلّ ولم يصم.
- بين الوسيلة والهدف تناسب طرديّ في الهبوط والارتقاء.
- من الأهداف الاجتماعيّة للشعائر الدينيّة: تحقيق موارد جديدة لوحدة الصفّ، وانسجام النسيج الاجتماعي على اختلاف مراتبه، وتحقيق موارد جديدة من التكافل والتضامن والتآخي عند تأدية الشعيرة الجماعيّة، وتوكيد فكرة التلاحم الاجتماعي وإعطائه بُعداً تشريعيّاً.
- إنّ الشعائر ذات البعد الاجتماعي تعالج في الإنسان النزعة الفرديّة التي كثيراً ما تتحكّم في طريقة تفكيره وسلوكه.
- الآثار الدينيّة للشعائر الدينيّة وضعيّة وتكليفية، والوضعيّة مادّية من

قبيل ما يقع في بعضها من مكاسب تجارية، ومعنوية من قبيل التزوّد بالتقوى وتحقيق ذكر الله تعالى، وأمّا التكليفية فإنّها تجعل من المؤمن عبداً مطيعاً، وأمّا الأخروية فتكمن في العفو والمغفرة والجنة والرضوان.

- المنافع الدنيوية والأخروية المختلفة لا تختصّ بالحجّ، وإنّما تعمّ سائر الشعائر الدينية الأخرى، فمن يعظّم شعائر الله تعالى ينال الخطوة والمكانة الرفيعة عند الله تعالى، وهذا مقتضى للعناية والرعاية.

مذاكرة

- ما هو المعنى اللغوي والاصطلاحي للشعيرة؟
- ما حكم كلّ ممارسة توجب النفرة من الدين أو تساهم في تشويه صورته؟
- ما هي ملامح الشعيرة الدينية؟
- ما الذي تقتضيه عبادية أو تعبديّة الشعيرة الدينية؟
- ما علاقة الاتّزان الشرعي في أداء الشعائر الدينية بالاقتصاد في العبادة؟
- على أيّ شيء يقوم أصل الشريعة؟ وما وجه شبهه بالموادّ الدستورية؟
- ما هي أهمّ الأهداف الدينية للشعائر؟
- ماذا نعني بالمعنى الرقابي الموجه لما نحن عليه من فكر عقيدة وأخلاق؟
- لماذا ينبغي مراعاة الحالة المعنوية من خلال الشعائر الدينية؟
- هل الشعائر الدينية أهداف أم وسائل؟ وما علاقتها بالأهداف الإلهية؟
- ما وجه لزوم التأكّد من تحقيق الهدف الذي يرتبط بالشعيرة نفسها؟
- ما هي طبيعة التناسب بين الوسيلة والهدف؟
- ما هي أهمّ الأهداف الاجتماعية للشعائر الدينية؟
- ما دور الشعائر في معالجة النزعة الفردية الحاكمة على الفكر والسلوك؟
- ما هي الأمثلة القريبة للآثار الدنيوية والأخروية للشعائر الدينية؟

الدرس الثاني

علاقة الشعائر الدينية بالحجّ والزيارات

- أهداف الدرس
- تمهيد
- علاقة الشعائر بالحجّ والزيارات علاقة المفهوم بالمصداق
- خصوصية الحجّ في عنوانه للشعائر
- اندراج الزيارات تحت عنوان الشعائر الدينية
- الأبعاد الأخلاقية لعلاقة الشعائر الدينية بالحجّ
- الأبعاد الأخلاقية لعلاقة الشعائر الدينية بالزيارات
- التوحيد حلقة الوصل بين الحجّ والشعائر الدينية
- حلقات الوصل بين الزيارات والشعائر الدينية
- التنوّع في الزيارات تنوّع في وسائل التقرب إلى الله
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- بيان وجه علاقة الشعائر بالحجّ والزيارات
- الكشف عن خصوصيّة الحجّ في عنوانته للشعائر
- بيان وجه اندراج الزيارات تحت عنوان الشعائر
- عرض الأبعاد الأخلاقيّة لعلاقة الشعائر الدينيّة بالحجّ والزيارات
- بيان حلقات الوصل بين (الحجّ والزيارات) و(الشعائر الدينيّة)
- الكشف عن علاقة التنوّع في الزيارات بتنوّع وسائل التقرب إلى الله

تمهيد

الحجّ من الشعائر الدينيّة، بل هو المنسك الوحيد الذي عبّر عنه القرآن بالشعيرة، ولكنّ هذا الاختصاص لم يخرجّه عن كونه المصداق البارز للشعائر، فلا تنحصر فيه، وإنّما تكشف التسمية عن عناية خاصّة به ينبغي التعرّف عليها، كما ينبغي التعرّف على وجه انطباق مفهوم الشعائر الدينيّة على الزيارات المخصوصة وغير المخصوصة، وعرض جملة من الأبعاد الأخلاقيّة والتربويّة والاجتماعيّة التي تربط الحجّ والزيارات المخصوصة بالشعائر، والمزايا التي تنفرد بها الزيارات لاسيّما المخصوصة منها، وكيفيّة انعكاس هدف الشعائر في الحجّ والزيارات، ثمّ الكشف عن حلقات الوصل بين الزيارات والشعائر، وعلاقة التنوّع في الزيارات بوسائل التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا ما سنبيّنه في هذا الدرس.

علاقة الشعائر بالحجّ والزيارات علاقة المفهوم بالمصداق

لا شكّ أنّ الحجّ من أهمّ الشعائر الدينيّة، بل هو المنسك الوحيد الذي ورد في شأنه التعبير بالشعيرة، حيث ورد ذلك في أكثر من آية، تارة يخصّ

منسكاً من مناسكه، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ (الحج: ٣٦)، حيث يخص الهدي بذلك، وتارة يعم مناسكه، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢)، فيتضح من جهة العموم أنّ الحج مصداق بارز من مصاديق الشعائر الدينية، وفي ضوء عمومية المفهوم (الشعائر) تندرج جميع الزيارات المخصوصة للنبي صلى الله عليه وآله ولأهل بيته عليهم السلام، بل وكل زيارة تظهر فيها معالم الدين ونصرتة وعزته، وبذلك تكون علاقة الشعائر بالحج علاقة المفهوم بمصادقه، حيث يصدق عليه ولا ينحصر به، وهكذا الحال بالنسبة للزيارات المخصوصة^(١)، وسيأتي بيان ذلك.

خصوصية الحج في عنوانته للشعائر

قد لاحظنا ممّا تقدّم أنّ هنالك عناية خاصّة من قبل القرآن الكريم بشعيرة الحج، حتّى أنّه لم يُسمّ عبادة أو فريضة - بعضها أو كلّها - بشكل صريح غير فريضة الحج، ممّا يكشف عن عناية خاصّة يمكن إرجاعها إلى أمور، وهي:

الأمر الأوّل: أنّ الحج هو الفريضة المؤلفة من عدّة مناسك، والمنسك هو شعيرة، فيكون الحج عبارة عن مجموعة شعائر، فتكون هذه الكثافة الشعائريّة داعية لإطلاق الشعيرة عليها، وقد أشار القرآن الكريم إلى تلك الكثافة الشعائريّة من خلال آية التعظيم لها؛ قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢)، حيث عبّر عن مجموعة تلك المناسك،

(١) المراد من الزيارات المخصوصة هي الزيارات التي وردت في روايات عن أهل البيت عليهم السلام، وتكاد أن تنحصر بالمعصومين الأربعة عشر، فإن الروايات الواردة في زيارة غير المعصومين قليلة، وفيما عداها فإن الزيارات غالباً ما تؤخذ بألفاظ عامّة، وسيذكر حولها السيّد الأستاذ دام ظلّه بيانات خاصّة تتمييز فيها الزيارات المخصوصة عن سواها.

ولم يُعرف في الاستعمال إطلاق عنوان المنسك أو الشعيرة على جزء من أجزاء عبادة أخرى، فالقيام والقراءة والركوع والسجود والتشهد والتسليم أجزاء للصلاة وليست مناسك ضمن شعيرة، وهكذا في العبادات الأخرى.

الأمر الثاني: أن اشتغال الحج على مناسك كانت مورداً للأخذ والرد، سواء في السابق أو اللاحق، حيث يعسر على الكثير فهم معانيها وجدوائيتها، كما في رمي الجمرات والحلق وحتى في الوقوفين في عرفة ومزدلفة، وفيما يلاقيه الحاج من حرج ظاهر في لبس الإحرام غير المخطط والتحرّز من الوقوع في المحرّمات، فكان لابد من التحرّز النسبي لهذه المناسك العظيمة من خلال تسميتها بشعائر الله، فتكتسب العظمة والتوقير والحرص على تأديتها على أكمل وجه.

الأمر الثالث: أن فريضة الحج هي الفريضة الوحيدة التي يبذل فيها المكلف أموالاً كثيرة بحيث اقترن وجوبها بتحقيق هذا الشرط، وهو الاستطاعة المالية، كما أنه يبذل فيها جهداً كبيراً لا نظير له في العبادات الأخرى، وهي الفريضة الوحيدة التي في الغالب يفارق فيها الحاج أهله ويترك عمله لمدة غير قصيرة، ويتعرّض فيها إلى مشاق ومعاناة استثنائية، وهذا البذل في المال والجهد هو في واقعه جهاد في سبيل الله، فيكون الحاج مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (الأنفال: ٧٢)، والحاج مهاجر ومجاهد بأمواله المبذولة في تكاليف الحج، ومجاهد بنفسه حتى قيامه بإحياء تلك الشعيرة بكافة مناسكها وتفصيلها، قاطعاً المسافات.

هذا، وقد عدّ الحج في الأخبار بأنه أحد الجهادين (الأكبر والأصغر)، وأنه جهاد الضعفاء الذين يتعذّر عليهم الحضور في سوح الوغى، فقد جاء عن عبد الله بن يحيى الكاهلي قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول ويذكر الحج فقال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: هو أحد الجهادين، هو جهاد

الضعفاء، ونحن الضعفاء»^(١)، حَتَّى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جَعَلَهُ مُورِداً لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل: ٧)^(٢)، وفي (الفقيه) عن الإمام الصادق عليه السلام: «الحجّ جهاد الضعفاء ونحن الضعفاء»^(٣)، كما أنّ صلاة الجمعة حجّ المساكين^(٤).

الأمر الرابع: أنّ فريضة الحجّ تتفرّد في النفر إليها من جميع أصقاع الأرض، ليجتمعوا في زمان معيّن ومكان معلوم، كما هو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج: ٢٧)، فكان النداء لكلّ مسلم مستطيع في الأرض، سواء كان

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٥٣، ح ٧؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٥، ص ٢٢، ح ١٠؛ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٥٤، ح ٥، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسّسة البعثة، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

(٢) انظر: المصادر نفسها.

(٣) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٢٦، ح ٢٢٥٤.

وقد يكون الحجّ أفضل الجهاد، كما هو المرويّ عن إحدى نساء النبي صلّى الله عليه وآله، حيث قالت له: «يا رسول الله! نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟» قال: لا، لكن أفضل الجهاد حجّ مبرور». صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري: ج ٢، ص ١٤١؛ ج ٣، ص ٢٠٠، الناشر: دار الجيل، بيروت.

(٤) عن الإمام أبي عبد الله الصادق عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: «جاء أعرابي إلى النبي صلّى الله عليه وآله يقال له قليب فقال له: يا رسول الله إنّي تهيتأت إلى الحجّ كذا وكذا مرّة فما قدر لي، فقال له: يا قليب عليك بالجمعة؛ فإنّها حجّ المساكين». تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٣، ص ٢٣٦، ح ٧. وقد رواه السيوطي. انظر: جامع الأحاديث (الجامع الصغير والجامع الكبير)، جلال الدين السيوطي: ج ١، ص ٥٦٢، ح ٣٦٣٥، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.

مَنْ يَمْلِكُ دَابَّةً: ﴿عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾، أو مشاة: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾، أي: راجلين، دوابهم أقدامهم، حيث يأتون للحج من كل طريق بعيد.

ومن أجل هذه العناية الخاصة نجد قلوب المؤمنين تهفو إلى أداء هذه الفريضة، فتدلل كل الصعاب لبلوغ ذلك المقام، وهذا الشوق المتفرد هو تلبية لتلك الدعوة الإلهية التي جرت على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام، والمشار إليها في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيٍّ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ (إبراهيم: ٣٧).

اندراج الزيارات تحت عنوان الشعائر الدينية

مرّ بنا أنّ الزيارات المخصوصة يصدق عليها مفهوم الشعائر الدينية، والآن ينبغي تبين وجه ارتباطها بالشعائر، فإنّ الشعائر يغلب صدقها على الفرائض والعبادات المعلومة، وهنا يمكن أن نلمح عدّة وجوه تُشير بمجموعها إلى ارتباط الزيارات المخصوصة - بل الأعمّ من ذلك - بالشعائر الدينية.

الوجه الأول: أنّ العبادة عنوان يقتضي نيّة القربة من الله تعالى، بل القربة هي مناط القبول فيها، ولو لاحظنا الزيارات المخصوصة لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأهل بيته عليهم السلام نجدّها مشتملة على نيّة القربة، فالزائر يتقرّب بزيارته لله تعالى، وقد وردّ الحثّ الأكيد على الزيارات المخصوصة في أخبار كثيرة، كما سيأتينا في بحث الزيارات منفردة.

الوجه الثاني: أنّ الزيارات المخصوصة هي تعبير آخر عن الحبّ والمودّة والوفاء والإخلاص لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأهل بيته عليهم السلام، وهذه المعاني والقيم الإسلامية قد حثّ عليها القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى: ٢٣)، ولا

ريب أن زيارتهم في حياتهم الشريفة وبعدها تعبير واضح عن المودة، فالزائر إنما بزيارته يجدد العهد معهم على السير على نهجهم الإلهي واقتفاء أثرهم.

الوجه الثالث: لا ريب أن الزيارات المخصوصة لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأهل بيته عليهم السلام هي تعبير صادق عن إدامة الصلة والوصل بهم، ووصلهم واجب شرعاً، وقد أمر القرآن به؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (الرعد: ٢١)، وقد ورد عن عمر بن زيد، أنه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾؟ قال: «نزلت في رحم آل محمد صلى الله عليه وآله، وقد تكون في قرابتك»، ثم قال عليه السلام: «فلا تكونن ممن يقول للشيء: إنه في شيء واحد»^(١)؛ فتكون زيارة كل هؤلاء من الصلة المأمور بها شرعاً، وهي صلة الأرحام، سواء كانت رحم آل محمد أو رحم المكلف نفسه، ومن الواضح أن المراد بالأمر: «هو الأمر التشريعي النازل بشهادة ذيل الآية: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾؛ فإن الحساب على الأحكام النازلة في الشريعة ظاهراً، وإن كانت مدركة بالفطرة، كقبح الظلم وحسن العدل، فإن المستضعف الذي لم يبلغه الحكم الإلهي ولم يقصر لا يحاسب عليه كما يحاسب غيره»^(٢).

الوجه الرابع: أن نفس الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأهل بيته عليهم السلام، فضلاً عن كونها واجباً شرعياً، فإنها تقتضي الإعلان عنها والإظهار، كما هو حال الإقرار في الشهادة الثانية بالرسالة في الأذان والإقامة في الصلاة، والأذان من الشعائر الدينية المهمة، بل هو - ولا ريب - أهم إعلان

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٥٦، ح ٢٨.

(٢) انظر: الميزان في تفسير القرآن، للسيد العلامة محمد حسين الطباطبائي: ج ١١، ص ٣٤٢، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة.

شعائري في الإسلام، وإذا ما نظرنا إلى واقعية زيارتهم عليهم السلام فإنها تشتمل على إعلان صريح عن تلك الطاعة الواجبة، لاسيما وأن الحث على زيارتهم صلوات الله عليهم أجمعين قد وردت في روايات كثيرة.

فعن أبي حجر الأسلمي، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتى مكة حاجاً ولم يزرنى إلى المدينة جفوته يوم القيامة، ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي، ومن وجبت له شفاعتي، وجبت له الجنة»^(١).

وعن أبان، عن السدوسي، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتاني زائراً كنت شفيعه يوم القيامة»^(٢)، وفي خبر آخر عنه صلى الله عليه وآله: «من زارني بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي، وكنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة»^(٣)، ويعم حثه صلى الله عليه وآله على الزيارات المخصوصة، فعن المعلّى أبي شهاب قال: «قال الحسين عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبتاه ما لمن زارك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بني من زارني حياً أو ميتاً أو زار أباك أو زار أخاك أو زارك، كان حقاً علي أن أزوره يوم القيامة وأخلصه من ذنوبه»^(٤).

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٤٨، ح ٥.

(٢) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٤٨، ح ٣.

(٣) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٤٨، ح ٤؛ كامل الزيارات، للشيخ جعفر بن محمد بن قولويه القمي: ص ٤٤، ح ٩، تحقيق: الشيخ جواد القمي، مؤسسة نشر الفقاهة، طبع مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧.

(٤) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٤٨، ح ٤؛ كامل الزيارات، مصدر سابق: ص ٤٥، ح ١٢؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥٧٧، ح ٣١٥٩؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٦، ص ٤، ح ٧.

الأبعاد الأخلاقية والاجتماعية لعلاقة الشعائر الدينية بالحج

إنّ للارتباط الوثيق بين الحجّ والشعائر الدينية أبعاداً أخلاقية وتربوية واجتماعية ترتبط بالمتكلمين كأفراد، وبهم كأمة، ويمكن إيجازها بما يلي:

البعد الأول: الإشعار بروح الجماعة، ولروح الجماعة آثار أخلاقية وتربوية واجتماعية، حيث التخلّص من الأنانية والنزعة الفردية، وحيث النزوع إلى التقارب والتعارف وتبادل المعارف والخبرات^(١)، وهذا ما يلاحظ في الشعائر بصفته إعلماً ظاهراً، وما يلاحظ في الحجّ بصفته فريضة يجتمع فيها المسلمون من أصقاع الأرض، فوجودهم الجمعي إعلالاً ظاهر بوحدة الأمة وعزتها ومنعتها، ولذلك نجد الحجّ أشدّ ما يكون على الخصوم؛ لأنّه يعلمهم بواقع الأمة، ولو على مستوى الظاهر، من التقارب والتضافر، فهم يلتقون على مختلف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم ليؤكدوا روح الجماعة في قبال الفردية والأنانية والعزلة، وهذه كلّها دروس أخلاقية وتربوية واجتماعية.

البعد الثاني: تعزيز الأخوة الإيمانية المشار إليها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ١٠)، فإنّ شعائرية الحجّ بصفته الجمعية الموحدة - كما هو الظاهر في طوافها وسعيها وصلواتها^(٢) - تعزّز الروح الإيمانية الواحدة بينهم كما توجب بينهم

(١) وهو المشار له في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

(٢) وهو المشار له في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (الحج: ٢٦)، والطواف عنوان جامع للطواف حول البيت وللسعي بين الصفا والمروة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ (البقرة: ١٥٨).

الولاء والمحبة؛ لأنهم مؤمنون، وقد قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٧١)، ولو لاحظنا التفاصيل الدقيقة لمناسك الحج نجد أنها تشتمل على جملة من الشعائر الأخرى، كالصلاة الواجبة لكل طواف، والصوم لمن تعذر عليه الهدي، والدعاء والتضرع إلى الله تعالى في كل مورد من موارد الحج، وهذه الشعائر تعزز في النفس الروح الإيمانية، فيكون الحج بشعائريته المتنوعة موجهاً إلى تعزيز الروابط الإيمانية الوثيقة بين المسلمين، وهذا ما يُبرر الحث الأكيد والاستثنائي لأداء فريضة الحج، بل والحث على عدم ترك الحج ما دامت الاستطاعة متحققة، فالحج الواجب مرة واحدة في العمر لمن استطاع إليه سبيلاً، ولكنه يبقى استحبابه في كل عام: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٥٨)^(١)، وقد كان بعض الصلحاء من السلف شديدي الحرص على الحج كل عام، كما هو المروي عن الأئمة الحسن والحسين والسجاد عليهم السلام^(٢).

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام: «من حج حجة الإسلام فقد حلّ عقدة من النار من عنقه، ومن حج حجتين لم يزل في خير حتى يموت، ومن حج ثلاث حجج متوالية، ثم حج أو لم يحج فهو بمنزلة مدمن الحج». من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢١٦، ح ٢٢٠٥.

(٢) عن عبد الله بن بكير عن زرارة قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «كانت لعلي بن الحسين ناقة حج عليها اثنين وعشرين، حجة ما قرعها بمقرعة قط». بصائر الدرجات الكبرى، محمد بن الحسن الصفار: ص ٣٧٣، ح ١٥، تحقيق: ميرزا محسن باغي، مؤسسة الأعلمي، ١٤١٤ هـ، طهران؛ الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٤٦٧، ح ٢. وعن الإمام الرضا عن آبائه عن الإمام الحسين عليهم السلام، قال: «لما حضرت الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام الوفاة بكى، فقيل له: يا بن رسول الله، أتبكي ومكانك من رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أنت به؟! وقد قال فيك رسول الله صلى الله عليه وآله

البُعد الثالث: إعطاء رسالة عملية واضحة على التساوي بين الحجاج، فالكل يؤدّون شعيرتهم بنحو واحد، حيث الإحرام والطواف والسعي والوقوفين والمبيت، وفي سائر الأعمال الأخرى، فيجمعهم مكان واحد، ولا مجال فيه للتفاضل بينهم إلا بالتقوى، فيصليّ الفقير بجنب الغني، والضعيف بجنب القوي، والمتعلّم بجنب العالم، والمرؤوس بجنب الرئيس، ويكون الناس جميعاً سواسية كأسنان المشط^(١)، وفي هذه الرسالة آثار أخلاقية وتربوية

ما قال، وقد حججت عشرين حجة ماشياً؟...». الأمازي، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القميّ: ص ٢٩٠، ح ٩، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

وعن الحلبي قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن فضل المشي؟ فقال: إنّ الحسن بن عليّ عليه السلام... حجّ عشرين حجة ماشياً على قدميه». الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، للشيخ الطوسي: ج ٢، ص ١٤١، ح ٦؛ ج ٢، ص ١٤٢، ح ٦، تحقيق وتعليق: السيّد الحجة حسن الموسوي الخراسان، تصحيح: الشيخ محمد الآخوندي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٩٠ هـ؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٥، ص ١١، ح ٢٩.

(١) عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إنّ الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط، لا فضل للعربي على العجمي، ولا للأحمر على الأسود، إلا بالتقوى». الاختصاص، للشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت: ٤١٣ هـ): ص ٣٤١، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفّاري، رتب فهارسه: السيّد محمود الزرندي، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم المقدّسة.

وعنه صلى الله عليه وآله، وعن الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «الناس كأسنان المشط سواء». من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٤، ص ٣٧٩، ح ٥٧٩٨؛ تحف العقول عن آل الرسول، للشيخ الثقة الأقدم أبي محمد الحسن بن عليّ بن شعبة الحرّاني: ص ٣٦٨، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ.

واجتماعية واضحة، فلا كِبَر ولا أنفَة ولا خُيلاء، وكما قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: «ألا إنَّ الناس من آدم وآدم من تراب، وأكرمهم عند الله أتقاهم»^(١).

البعد الرابع: الشعور المعنوي العميق الذي يتتاب الحاج وهو يؤدي مناسك الحج، ونعني به: الشعور بتلبية الدعوة للحج وأداء مناسكه وشعائره المفروضة، حيث يترك أثراً عميقاً على أخلاقياته وتربيته واجتماعياته.

البعد الخامس: ما ينعكس عليه من التقوى والصلاح من خلال تأديته وتعظيمه لشعيرة الحج، وهذه التقوى الخاصة المرتبطة بموضوع الحج قد لوحظ فيها عنوان الشعائر، كما هو صريح الآية: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢) أي: الحج بصفته شعيرة من شعائر الله سبحانه.

الأبعاد الأخلاقية والاجتماعية لعلاقة الشعائر الدينية بالزيارات

ما دامت الزيارات المخصوصة مندرجة ضمن عنوان الشعائر الدينية فإنَّ كل ما تقدّم من أبعاد أخلاقية وتربوية واجتماعية منعكس أيضاً في شعائريتها (الزيارات المخصوصة) لاسيّما وأنَّ الحج في اللغة يأتي بمعنى القصد والزيارة؛ قال ابن منظور: «الحج: القصد. حجّ إلينا فلان، أي: قدم، وحجّه يحجّه حجّاً: قصده. وحججت فلاناً واعتمدته، أي: قصدته. ورجل محجوج، أي: مقصود ثم تعورف استعماله في القصد إلى مكة للنسك، والحج إلى البيت

(١) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٤، ص ٣٦٣؛ تحف العقول، مصدر سابق: ص ٣٤. وقريب منه في: مسند أحمد، مصدر سابق: ج ٢، ص ٣٦١؛ سنن أبي داود، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني: ج ٢، ص ٥٠٢، ح ٥١١٦، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٩٠ م، بيروت؛ سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي: ج ٥، ص ٣٩١، ح ٤٠٥٠، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

خاصّة ... والحجّ قصد التوجّه إلى البيت بالأعمال المشروعة فرضاً وسنة^(١). وهذا المعنى ملحوظ في العمرة أيضاً، فهي الأخرى تأتي بمعنى القصد والزيارة؛ قال الشيخ الطوسي: «الحجّ في اللغة هو القصد، وفي الشريعة كذلك إلاّ أنّه اختصّ بقصد البيت الحرام لأداء مناسك مخصوصة عنده متعلّقة بزمان مخصوص، والعمرة هي الزيارة في اللغة، وفي الشريعة عبارة عن زيارة البيت الحرام لأداء مناسك عنده، ولا يختصّ بزمان مخصوص»^(٢).

وعليه فإنّ الزيارات وهي جمع (زيارة) تعكس المعنى اللغوي للحجّ، فيكون - ولو من المنطلق اللغوي - لها ما للحجّ من تلك الآثار المذكورة آنفاً، ولكننا نريد أن نختصّها ببعض المزايا من تلك الآثار، ليس لتمييزها على موضوعه الحجّ، فإنّها على جلال قدرها لا تعدل فريضة الحجّ فضلاً وأجرأً، وإنّما لأنّها في الغالب خافية أو غير ملحوظة، ولذا ارتأينا التوقّف قليلاً عند هذه المزايا، وهي:

المزىة الأولى: أنّ الزيارات في العادة ممكنة للغنيّ والفقير معاً، وفي العادة لا تحتاج إلى بذل جهد كبير، ووقت طويل، ومال كثير، بخلاف ما يقتضي الحجّ من ذلك، ممّا يعني أنّها متاحة للجميع لنيل تلك المقاصد الأخلاقية والتربوية والاجتماعية، ولذلك فهي يمكن التعبير عنها بأنّها حجّ الفقراء، كما هو الحال

(١) لسان العرب، محمّد بن مكرم بن منظور الأفرقي: ج ٢، ص ٢٢٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ. وانظر أيضاً: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مصدر سابق: ج ١، ص ٣٠٣.

(٢) المبسوط في فقه الإمامية، لشيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ): ج ١، ص ٢٩٦، صحّحه وعلّق عليه: السيّد محمّد تقّي الكشفي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، طبعة ١٣٨٧ ش، مطبعة الحيدرية، طهران.

بالنسبة لصلاة الجمعة، لكونها متاحة للجميع، والذي يزيد في السعة فيها هو أن أماكنها مختلفة، وتكاد أن تكون موجودة في معظم البلدان العربية والإسلامية لاسيما إذا تجاوزنا بها إلى الزيارات غير المخصصة، حيث سيتأكد عندنا انتشار تلك المراقد الطاهرة، ونعني بها المراقد الثابتة والصحيحة، والتي تربط بالأنبياء والأئمة والأوصياء عليهم السلام وبالأولياء والأتقياء والصالحين والشهداء رضوان الله عليهم، حيث يشكّلون قيمة معنوية عالية؛ لما لهم من حظوة كبيرة عند المولى جلّ وعلا، فهم أبواب الله تعالى، ومراقدهم الطاهرة ما هي إلا بيوت للتوبة والاستغفار ولذكر الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (النور: ٣٦).

المزية الثانية: أن التنوع فيها من حيث الأماكن والأزمنة يجعل فرصة التعويض متاحة، كما أنّها تتوافق مع الأمزجة المختلفة والتوجهات القلبية المختلفة، وهذا شبيه إلى حدّ ما باختلاف المناسك في الحج، فليس الجميع تتوجّه قلوبهم في جميع تفاصيل تلك المناسك، فهناك من يخشع قلبه بمجرد لبس الإحرام، وهناك من يخشع قلبه عند الطواف، وآخر عند السعي، وآخر عند الوقوف في عرفة أو مزدلفة أو في رمي الجمرات، وهكذا، فكلّما فاته منسك أو موقف لم يحصل فيه التوجّه القلبي أمكنه التدارك في المنسك أو الموقف الآخر، فشابهتها الزيارات في هذا المعنى، ومنه يتّضح وجه من وجوه التأكيد على زيارة الرسول صلى الله عليه وآله وأئمة البقيع للحجّ، سواء قبل أداء المناسك فيتزوّد معنويّاً لتأدية مناسكه على وجه أفضل، أو بعد أداء مناسكه لتدارك ما فاته من فرص الاعتراف من موائد الحقيقة والمعنى، وقد ورد في خبر علّة الحجّ عن هشام بن الحكم قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام، فقلت له: ما العلة التي من أجلها كلّف الله العباد الحجّ والطواف والبيت؟»، فكان ممّا جاء في جوابه عليه السلام: «لتعرف آثار رسول الله صلى

الله عليه وآله، وتُعرف أخباره، ويُذكر ولا ينسى^(١).

المزينة الثالثة: أن لكل صاحب مرقد شريف قصة معنوية، وعلاقة متميزة مع الله تعالى، وهذا ما يجعل أصحاب المراقد، وهم يرقدون في جوار الله، قدوة وأسوة في السير والسلوك إلى المعرفة والكمال، لاسيما من أصحاب الزيارات المخصوصة عليهم السلام، ولذلك نجد - في العادة - هنالك علاقة حميمة بين كل مكلف متوجه لتلك المراقد الطاهرة وبين شخصية معينة من شخصياتها، فيحصل انجذاب قلبي قد لا يُعرف سببه، فإن القلوب بيد الرحمن يقبلها حيث يشاء^(٢)، فيحرص المكلف على توثيق هذا الشعور القلبي والانجذاب المعنوي، ففيه نحو من الارتقاء في سلم الكمال، والعقل من يغتنم الفرص

(١) علل الشرائع، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤٠٥، ح ٦.

(٢) ورد في هذا المعنى خبر، رواه أحمد ومسلم وابن ماجه، وأخرجه الحاكم والسيّد المرتضى في أماليه بألفاظ متقاربة، رواه عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وأنس بن مالك وسمعان الكلبي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف شاء...». مسند أحمد، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٦٨؛ صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري: ج ٨، ص ٥١، دار الفكر، بيروت؛ سنن ابن ماجه، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٥هـ): ج ٢، ص ١٢٦٠، ح ٣٨٣٤، تحقيق وتعليق: الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت؛ المستدرک علی الصحیحین، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن محمد الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ): ج ١، ص ٥٢٥؛ ج ٤، ص ٣٢١، تحقيق: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشي، دار المعرفة، بيروت؛ الأمالي، للسيّد المرتضى أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين (ت: ٤٣٦هـ): ج ٢، ص ٢، صححه وضبط ألفاظه وعلّق حواشيه: الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، إيران، ١٤٠٣هـ.

في ذلك، فإنّها من فرص الخير، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «الفرصة تمرُّ مرَّ السحاب، فانتهزوا فرص الخير»^(١)، والإمداد المعنوي يُشير إلى انفتاح البصيرة، ومعاينة الحقيقة والتزوّد بالحكمة الإلهية: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩)، فلا ينبغي الإغفال عن هذه الموارد المعنوية التي كثيراً ما تكون تلك الأماكن الطاهرة مستودعاً لها أو سبباً في تحصيلها، فلا يقع في قلبك استخفاف وشكّ في ذلك، فإنّ كثيراً من أعلام الأمة ما نالوا مواقعهم المعنوية إلا في تلك الأماكن الطاهرة، ومنه يتّضح وجه الحثّ الأكيد على الالتزام بالزيارات، لاسيّما المخصوصة منها.

المزّة الرابعة: أنّ زيارة تلك الأماكن الطاهرة تعني التواجد في مواقع الدرس والتحصيل، فإنّها في الغالب ما تكون مساجد، والمساجد مدارس معرفيّة ومعنويّة، فها هنا نصيحة وها هنا موعظة وها هنا قصّة، وها هنا تفقّه في علوم الدين، وها هنا ملتقى المؤمنين والصالحين، وها هنا فرار عمليّ من أماكن الفسق والفجور ومجالس الغفلة والبطّالين، التي لا تريد الإنسان إلاّ خساراً، فإنّ من لوازم تلك المجالس:

• الخروج من رضوان الله تعالى إلى سخطه - وهذه هي الفاجعة الكبرى - وإماتة القلب، ووراثه الهمّ والغمّ، فلا يغرنك ما تجده من ضحكات عريضة

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٤، ص ٦ رقم (٢١)؛ شرح نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ١٨، ص ١٣١ كلمة (٢١). وفي بيان الكلمة يذكر ابن أبي الحديد كلمة ثمينة لابن المقفّع، يقول فيها: «انتهاز الفرصة في إحراز المآثر، واغتنام الإمكان باصطناع الخير، ولا تنتظر ما تعامل فتجاذى عنه بمثله، فإنّك إن عوملت بمكروه واشتغلت برصد المكافأة عنه قصر العمر بك عن اكتساب فائدة واقتناء منقبة، وتصرّمت أيامك بين تعدّد عليك وانتظار للظفر بإدراك الثأر من خصمك، ولا عيشة في الحياة أكثر من ذلك». المصدر نفسه.

وابتسامات باهتة، فما ذلك إلا أصداء بئسة لصوت الهزيمة النفسية التي يعيشها أولئك، ويتغافلون في إخفائها بظواهر مغرية، فهم صرعى الانتحار اليومي والخذلان والانكسار، يفرون بذلك الأنس المزيّف من واقع مرير ولا يدركون حجم الخسارة الكبيرة.

• التعرّف على أنواع المعاصي والخطايا، والتفنّن في اقترافها، فهم لا يتعرّفون في مجالس الغفلة على الإصلاح وطلب الكمال والارتقاء، وإنما يتسافلون بالذنوب، وينحدرون في كلّ يوم إلى خلق أدنى.

• توريث العداوة والبغضاء والتحاسد والمنقصة بين رواد مجالس الغفلة، ناهيك عن كونها تذهب بالحياء والوقار والعزّة والكرامة واحترام النفس.

• وأخيراً: هدر الوقت والجهد والطاقة، الذي هو هدر لفرص التعلّم والعمل، والكينونة في عالم الخمول والبلادة، ولذلك فرواد مجالس البطالين هم كلّ يوم في ذلّ ومنقصة، ولا ذلّ أعظم من ذلّ المعصية، ولا منقصة أكبر من منقصة العمر بلا ثمرة^(١)، وليتهم يتعظون: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ (التوبة: ٦٥)، وكأنّ رسالتهم في الحياة هي اللهو اللعب والعبث، فالحذر الحذر من مجالسهم، وكيف تُقاس أماكن السوء والفحشاء بأماكن الفضيلة والطاعة والقرب من الله تعالى؟

المزية الخامسة: أنّ الحجّ والعمرة لا يقعان إلا في مكانها المعلوم، فضلاً عن الوقت المعلوم للحجّ الذي لا يصحّ تجاوزه، بخلاف الزيارات فإنّها وإن

(١) للوقوف على تفصيل المسألة في مجالس الغفلة والبطالين يُنظر: الحلقة الثالثة من سلسلة الأخلاق التعليمية: الصدق... روى في مفهومه ومجالاته ومعانيه، للمرجع الديني السيّد كمال الحيدري: الدرس الحادي عشر: الابتعاد عن مجالس الغفلة وقاية للصدق، مؤسّسة الإمام الجواد عليه السلام، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٣٨ هـ.

اقتربت بالمرائد الطاهرة، إلا أنها يُمكن الإتيان ببعضها في أيّ مكان كنت، فزيارة الرسول صلى الله عليه وآله يُمكن أن تقع عن بُعد، وكذلك في زيارات الأئمة عليهم السلام، ممّا يعني أنّ فرصة التزوّد منها متاحة لك في أيّ زمان ومكان، وهذا يعني أنّ ما تشتمل عليه من قيم أخلاقية وتربوية واجتماعية يمكن الاستزادة منها، حيث يكفيه التأمل في بعض فقرات الزيارة عن بُعد، والتي منها: «أشهد أنّك قد نصحت لأمتك، وجاهدت في سبيل ربك، وعبدته مخلصاً حتى أتاك اليقين، فجزاك الله يا رسول الله أفضل ما جزى نبياً عن أمته..»^(١)، ليفهم النصح النبوي، والجهاد النبوي، والعبادة النبوية المخلصة التي لا تعصف بها المصائب والابتلاءات، بل تزيدها قوة، ويتعلّم كيفية الوفاء للنبي صلى الله عليه وآله بطلب الجزاء له بأحسن الجزاء.

التوحيد حلقة الوصل بين الحج والشعائر الدينية

لا ريب أنّ جميع الشعائر الدينية تهدف إلى تحقيق التوحيد بمراتبه الثلاث (الذاتي والصفاتي والأفعالي)، سواء كانت من الفرائض المكتوبة (كالصلاة والصيام...)، أو من عموم العبادات الأخرى (كتلاوة القرآن والدعاء...)؛ لأنّها جميعاً توجّه العقل والنفس والقلب إلى وجهة واحدة وقبلية واحدة، وتُجَدّد فيه الإقرار بالعبودية لله تعالى وحده، وهذه المعاني التوحيدية ورسوم العبودية المنعكسة في جميع الشعائر الدينية نجدها متجسّدة بعمق في جميع تفاصيل الحج، فكلّ منسك منه مُشير إلى تلك الوجهة الواحدة، ولأنّ مناسك

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٥٢، ح ٣؛ كامل الزيارات، مصدر سابق: ص ٥٥، ح ٦؛ المقنعة، للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري: ٤٥٨، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ، قم؛ المزار، للشيخ المفيد محمد بن النعمان، تحقيق: السيّد محمد باقر الأبطحي: ١٧٢، مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، قم المقدسة، الطبعة الأولى.

الحجّ مفعمة بالمشاعر التوحيدية فإنّها تكون شعاراً توحيدياً لجميع الشعائر الدينية، وفي هذا كشف سرّ خفيّ عن الحجّ، وهو كون الواجب منه يقع مرّة في حياة المكلف، بخلاف العبادات الأخرى التي يجب تأديتها كلّ يوم، كالصلاة، أو في كلّ عام، كالصوم، وذلك لما يشتمل عليه الحجّ من معاني عمليّة عميقة ترتبط بالحجّ، وكأنّ الحاجّ له فرصة في عمره يتزوّد منها بأقصى ما يمكنه من معاني التوحيد، وهذا الذي نغنيه من شعائريّة الحجّ في توحيدته لجميع الشعائر الدينية الأخرى.

حلقات الوصل بين الزيارات والشعائر الدينية

وهنا تتوسّع النكته المعنويّة التي يكتنزها الحجّ لتشمل الزيارات، فهي الأخرى تكتنز نكات معنويّة كثيرة وكبيرة لا غنى للمكلفين عنها، ونظراً لكثرة الزيارات وتنوّعها وتحقّقها في جميع الأوقات، فإنّها فيّاضة بالنكات المعنويّة، وهذا ما ينعكس بصورة مباشرة على الشعائر الدينية، وهو ما أسميناه بحلقات الوصل بين الزيارات والشعائر الدينية، والتي يمكن تحديد شطرٍ مهمٍّ منها يتعلّق بالبُعد المعرفي والمعنوي الذي ينبغي أن يكون عليه المكلف، وهي:

الوصل الأوّل: توكيد الهدف الأساس من وراء الشعائر الدينية، والمتمثّل بإيصال صوت الوحي والرسالة إلى جميع المكلفين، فالشعائر حضور إعلامي واضح وصريح، يحرك الوجدان، ويطوّع العاطفة، ويحتمي بالعقل، وهذا الحضور تجسّده الزيارات بأعمق وأوسع مساحاته، بل الزيارات هي أبلغ صوت للشعائر الدينية في تحقيق هدفها المنشود، ولذلك قلنا: لا غنى للمكلفين عنها.

الوصل الثاني: التحفيز المباشر والمكثّف للارتباط بالدين وأداء فرائضه، فلا تكاد تجد زيارة من الزيارات المخصوصة وغير المخصوصة وإلاّ وهي

مكتظة بالدعوة إلى تأدية الصلاة وإيتاء الزكاة، كما في الدعاء عند زيارة أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أشهد أنك قد أقيمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر، واتبعت الرسول ونصحت للأمة، وتلوت الكتاب حق تلاوته، وجاهدت في الله حق جهاده، ودعوت إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة حتى أتاك اليقين...»^(١)، أو ما جاء في زيارة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام: «أشهد أنك قد أقيمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وجاهدت في سبيل الله حتى أتاك اليقين...»^(٢)، أو ما جاء في زيارة الشهداء: «السلام عليكم أيها الصديقون، السلام عليكم أيها الشهداء الصابرون، أشهد أنكم جاهدتم في سبيل الله، وصبرتم على الأذى في جنب الله، ونصحتم لله ولرسوله حتى أتاكم اليقين...»^(٣)، وهكذا الحال في عشرات الزيارات الأخرى.

الوصل الثالث: الدعوة المشتركة إلى تدعيم وتعميق الحالة المعنوية، لاسيما فيما يتعلق بموارد السير والسلوك إلى الله تعالى، والقرب الإلهي، فالمزارات والزيارات شواهد حسية تشير إلى الشواهد القلبية، لما هو معروف عن أصحاب المزارات من كونهم قضوا أعمالهم في طاعة الله سبحانه ونصرة دينه، فيكون الارتباط بهم وتوثيق الارتباط عن طريق زيارة مراقدهم واستذكار مآثرهم مدعاة لتعميق العلاقة المعنوية، فإذا كانت الكلمة مؤثرة فكيف لا تكون السيرة العملية مؤثرة في النفس، ومن الواضح أن الغالب فيما وصلنا عن أصحاب المراقده هو سيرتهم العملية، فهم ليسوا مؤلفين ومنظرين

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج: ٤، ص ٥٧٠، ح ١، (ما يُقال عند قبر أمير المؤمنين).

(٢) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج: ٤، ص ٥٧٧، ح ٣.

(٣) المقنعة، مصدر سابق: ٤٧٠؛ مزار الشيخ المفيد، مصدر سابق: ١٦٩.

بقدر ما هم عاملون ومخلصون.

الوصل الرابع: أنَّ الجهة الإعلامية في الشعائر الدينية تشمل على دعوة معرفية إلى التفقه في الدين، ولا ريب أننا عند وقوفنا عند أصحاب المزارات الرئيسة (مزارات الأنبياء والأئمة) سنجد فرصة سانحة للتزوّد من إرثهم المعرفي على مستوى التفقه في الدين في جميع مراتبه^(١)، فهم وإن عُرف عنهم العمل والإخلاص، ولكنّه عمل قائم على العلم، بل العلم بأعلى مراتبه، والذي منه العلم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله.

التنوع في الزيارات تنوع في وسائل التقرب إلى الله

مرّ بنا في الوصل الثالث أنَّ للزيارات علاقة وثيقة بتعميق وتوكيد الحالة المعنوية، وإعطاء بيانات عملية - من خلال مطالعة السيرة العملية لأصحاب المزارات - تتعلّق بالأصول العملية للسير والسلوك وتحصيل القرب الإلهي، وحيث إنّ أصل الزيارات لها ارتباط وثيق بذلك فلا ريب أنَّ التنوع فيها سيُشكّل إثراءً كبيراً، وهذا التنوع على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: التنوع في مضامين الزيارات المختلفة، بل التنوع في مضامين الزيارة الواحدة، حيث تجد الزيارة الواحدة تشتمل على معارف إلهية تتعلّق بالتوحيد والنبوة والمعاد، ومعارف تشريعية تتعلّق بسائر العبادات،

(١) يرى السيّد الأستاذ دام ظلّه أنَّ التفقه في الدين ينقسم على قسمين: التفقه العامّ المتعلّق بعموم الناس، وهو الحد الأدنى من التفقه، والتفقه الخاصّ الذي عليه علماء الدين. ولمراجعة التفصيل ينظر كتاب: التفقه في الدين، حوار مع سماحة المرجع الديني السيّد كمال الحيدري: الفصل الأوّل، بحث (التفقه العامّ والتفقه الخاصّ)، بقلم: الدكتور طلال الحسن، مؤسّسة الهدى للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الجديدة، ١٤٣٤ هـ.

ومعارف أخلاقية وعرفانية جلية، وكلّها قد انعكست بصورة معنوية مؤثرة.
القسم الثاني: التنوع في زيارات المزار الواحد، المُشير إلى أمرين مهمين،
 الأوّل: هو أهمية صاحب المزار، بحيث اقتضت أهميته أن يُزار بعدة زيارات،
 كما هو الحال بالنسبة إلى زيارات الإمام الحسين عليه السلام، والثاني: الحرص
 على زيارته على أيّ حال، ولو بزيارة قصيرة تقتصر على السلام.

جدير بالذكر: أنّ هذا التنوع ليس صورياً وإنّما يتعلّق بالمضامين، فكلّ
 زيارة منها نجدّها تركّز على خصوصية معيّنة^(١)، وكأثّما بمجموعها تشكّل
 فصلاً مختصرة لكتاب الشخص المزار، ويُمكن أن تحتلّ كلّها في زيارة جامعة
 مؤلّفة من فقرات مختلفة من الزيارات المختلفة الواردة في الشخص الواحد،
 فيقرأها وكأثّما زار صاحب المزار بزيارات عدّة، ويكون هذا التركيز المعرفي
 والمعنوي على الفقرات المختارة طريقاً جديداً للتعرفّ على شخصية المزار،
 وطريقاً جديداً إلى بناء ثقافة متميّزة للزائر، وطريقاً جديداً للوصول إلى
 القرب الإلهي من خلال جمع المضامين العالية فيها.

القسم الثالث: التنوع في الشخصيات الكبيرة الواردة في كلّ زيارة، كما
 هو الحال بالنسبة إلى زيارة وارث وشبهاتها، والزيارة الجامعة^(٢)، حيث يدعو

(١) وهذا ما ينبغي أن تُقدّم فيه دراسات خاصّة، تُبرز فيها تلك الخصوصيات والتنوع في
 المضامين، لكي تتّضح من خلال هذه النافذة ملامح جديدة من الشخصيات المزارّة.

(٢) زيارة وارث من أشهر زيارات الإمام الحسين عليه السلام، والتي ورد فيها: «السلام
 عليك يا وارث آدم صفوة الله! السلام عليك يا وارث نوح نبي الله! السلام عليك يا وارث
 إبراهيم خليل الله! السلام عليك يا وارث موسى كليم الله! السلام عليك يا وارث عيسى
 روح الله! السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله! السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين
 عليه السلام ولي الله!...». مصباح المتهجّد، للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن بن عليّ بن
 الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ): ص ٧٢٠، مؤسّسة فقه الشيعة، بيروت، الطبعة الأولى

الزائر إلى التأمل في تلك الشخصيات الكبيرة والكثيرة من المعصومين، من الأنبياء والأئمة عليهم السلام، والتفكر في وجه الارتباط بين الشخص المزار وبين هذه الشخصيات العظيمة، بنحوٍ وكأنها نافذة للتعرف عليها وعلى تراثها الموروث والواصل إلى بعض تلك الشخصيات المزاراة.

كلمات على الطريق

- عن جابر عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحاج ثلاثة: فأفضلهم نصيباً رجلٌ غُفر له ذنبه ما تقدّم منه وما تأخر ووقاه الله عذاب القبر، وأمّا الذي يليه فرجلٌ غُفر له ذنبه ما تقدّم منه ويستأنف العمل فيما بقي من عمره، وأمّا الذي يليه فرجلٌ حُفظ في أهله وماله»^(١)، فعليك بالحج وإدامته ما استطعت إلى ذلك سبيلاً؛ فإنّ ذلك من تعظيم شعائر الله تعالى، ومن تقوى القلوب.

١٤١١هـ؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٦، ص ٥٨؛ إقبال الأعمال، للسيّد رضي الدين عليّ بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني: ج ٢، ص ٦٣، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، قم المقدّسة. وكذلك زيارة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، وهي شبيهة بزيارة وارث. انظر: من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٦٠٢ - ٦٠٤، ح ٣٢١٠؛ المزار، للشيخ المفيد، مصدر سابق: ص ١٩٧ رقم (١٧). وأمّا الزيارة الجامعة (الكبرى والصغيرة) فإنّها الزيارة الوحيدة التي يُزار بها المعصومون الأربعة عشر من أهل البيت عليهم السلام.

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٦٢، ح ٣٩. وإنّما اختصّ عليه السلام الإمام الحسين عليه السلام بالذكر لأنّه سيّد الشهداء، وقد ورد في الخبر عن ربيعي بن عبد الله، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام بالمدينة: أين قبور الشهداء؟ فقال: أليس أفضل الشهداء عندكم، والذي نفسي بيده إنّ حوله أربعة آلاف ملك شعثاً غبراً يبيكونه إلى يوم القيامة». كامل الزيارات، مصدر سابق: ص ٢١٧، ح ٢.

- عن فضيل بن يسار، عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «إنّ زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وزيارة قبور الشهداء وزيارة قبر الحسين عليه السلام تعدل حجة مع رسول الله صلى الله عليه وآله»^(١).

خلاصة الدرس

- الحج من أهم الشعائر الدينية، بل هو المنسك الوحيد الذي ورد في شأنه التعبير بالشعيرة، ولذلك فهو المصداق البارز للشعائر الدينية.
- في عموم مفهوم (الشعائر) تندرج جميع الزيارات المخصصة، بل كلّ زيارة تظهر فيها معالم الدين ونصرته وعزّته، فتكون علاقة الشعائر بالحج والزيارات علاقة المفهوم بمصداقه.
- تسمية القرآن للحج - حصراً - بالشعيرة يكشف عن عناية خاصّة ترجع إلى: الكثافة الشعائريّة فيه، واشتماله على مناسك يعسر على الكثير فهم معانيها وجدوائيتها، فكان لابدّ من التحرّز لهذه المناسك من خلال تسميتها بشعائر الله، ولأنّ الحج هو الفريضة الوحيدة التي يبذل فيها المكلف جهداً ووقتاً وأموالاً كثيرة.
- وجه انطباق مفهوم الشعائر الدينية على الزيارات المخصصة، يكمن في كونها تقتضي نيّة القربة، ولكونها تعبّر عن الحبّ والمودّة والوفاء والإخلاص لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأهل بيته عليهم السلام، وهي تعبير صادق عن إدامة الصلة والوصل بهم، ووصلهم واجب شرعاً، ونفس الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأهل بيته عليهم السلام تقتضي الإعلان عنها والإظهار، وهذا ملاك الشعائر.

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٤٨، ح ٢.

- للارتباط الوثيق بين الحج والشعائر الدينية أبعاد أخلاقية وتربوية واجتماعية ترتبط بالملكفين كأفراد، وبهم كأمة، من قبيل: الإشعار بروح الجماعة، وتعزيز الأخوة الإيمانية، وإعطاء رسالة عملية واضحة على التساوي بين الحجاج، فالكل يؤدون شعيرتهم بنحو واحد، والشعور المعنوي العميق الذي ينتاب الحاج وهو الشعور بتلبية الدعوة للحج وأداء مناسكه وشعائره المفروضة، فضلاً عما ينعكس عليه من التقوى والصلاح من خلال تأديته وتعظيمه لشعيرة الحج.
- ما دامت الزيارات المخصصة مندرجة ضمن عنوان الشعائر الدينية فجميع الأبعاد الأخلاقية والتربوية والاجتماعية تنعكس في شعائرية الزيارات المخصصة.
- الحج لغة: القصد والزيارة، وهنا تتعمق علاقة الزيارات بالشعائر.
- من مزايا الزيارات: أنها في العادة ممكنة للغني والفقير معاً، ولا تحتاج إلى بذل جهد كبير، ووقت طويل، ومال كثير، بخلاف ما يقتضي الحج من ذلك، كما أن التنوع فيها من حيث الأماكن والأزمنة تجعل فرصة التعويض متاحة، فضلاً عن كونها تتوافق مع الأمزجة المختلفة والتوجهات القلبية المختلفة.
- لكل صاحب مرقد شريف قصة معنوية، وعلاقة متميزة مع الله تعالى، مما يجعل أصحاب المراقدة، قدوة وأسوة في السير والسلوك إلى المعرفة والكمال، لاسيما من أصحاب الزيارات المخصصة.
- إن زيارة الأماكن الطاهرة تعني التواجد في مواقع الدرس والتحصيل، فهي في الغالب تكون مساجد، والمساجد مدارس معرفية ومعنوية.
- جميع الشعائر الدينية تهدف إلى تحقيق التوحيد بمراتبه الثلاث (الذاتي

والصفاتي والأفعالي) سواء من الفرائض المكتوبة أو من عموم العبادات الأخرى؛ لأنّها جميعاً توجّه العقل والنفس والقلب إلى وجهة واحدة وقبلة واحدة، وتُجدّد فيه الإقرار بالعبودية لله تعالى وحده.

- لأنّ مناسك الحجّ مفعمّة بالمشاعر التوحيدية فإنّها تصلح أن تكون شعاراً توحيدياً لجميع الشعائر الدينية، وفي هذا كشفٌ لسرّ خفيّ عن الحجّ يتعلّق بكون وجوبه يقع مرّة في حياة المكلف، وهو ما يسمّى بحجّة الإسلام أو حجّ الصرورة.
- حلقات الوصل بين الزيارات والشعائر الدينية تكمن في: توكيد الهدف الأساس من وراء الشعائر، المتمثّل بإيصال صوت الوحي والرسالة إلى المكلفين، والتحفيز المباشر والمكثّف للارتباط بالدين وأداء فرائضه، والدعوة المشتركة إلى تدعيم وتعميق الحالة المعنوية، لاسيّما فيما يتعلّق بموارد السير والسلوك إلى الله تعالى، والقرب الإلهي، والجهة الإعلامية في الشعائر التي تشتمل على دعوة معرفيّة إلى التفقّه في الدين.
- التنوّع في الزيارات تنوّع في وسائل التقرب إلى الله، وهو على ثلاثة أقسام: التنوّع في مضامين الزيارات المختلفة، بل التنوّع في مضامين الزيارة الواحدة، والتنوّع في زيارات المزار الواحد، والتنوّع في الشخصيات الكبيرة الواردة في كلّ زيارة.

مذاكرة

- ما هي الخصوصيات التي جعلت الحجّ هو المنسك الوحيد الذي ورد في شأنه التعبير بالشعيرة؟ وهل يدلّ ذلك على الانحصار؟
- ماذا نعني بكون علاقة الشعائر بالحجّ والزيارة علاقة المفهوم بمصداقه؟

- ما هو وجه انطباق مفهوم الشعائر الدينية على الزيارات المخصصة؟
- ما هي الأبعاد الأخلاقية والتربوية والاجتماعية التي نستفيد منها من الارتباط الوثيق بين الحج والشعائر الدينية؟
- ما دامت الزيارات المخصصة مندرجة ضمن عنوان الشعائر الدينية فما وجه اندراج جميع الأبعاد الأخلاقية والتربوية والاجتماعية - المنظورة في الحج - في شعائرية الزيارات المخصصة؟
- ما صلة المعنى اللغوي للحج بانطباق عنوان الشعائر على الزيارات؟
- ما هي مزايا الزيارات التي تنفرد فيها عن الحج؟
- كيف يتسنى لأصحاب المراقدة الشريفة أن يكونوا قدوة لنا؟
- ما هي علاقة زيارة الأماكن الطاهرة بالدرس والتحصيل؟
- ما هي صلة التوحيد بالشعائر الدينية؟
- ما معنى قولنا: الشعائر الدينية توجه العقل والنفس والقلب إلى وجهة واحدة وقبلة واحدة، وتجدد فيه الإقرار بالعبودية لله تعالى وحده؟
- كيف تسنى لنا اعتبار الحج شعاراً توحيداً لجميع الشعائر الدينية؟
- ما هي حلقات الوصل بين الزيارات والشعائر الدينية؟
- ما هي أقسام التنوع في الزيارات؟ وما علاقتها بوسائل القرب الإلهي؟

الدرس الثالث

أخلاقيات التواجد في الأماكن المقدسة

- أهداف الدرس
- تمهيد
- هوية الأماكن المقدسة
- الارتباط بين المساجد والمراقد والمزارات الدينية
- أهمية أخلاقيات التواجد في الأماكن المقدسة
- العلاقة بين المزار والمُزار وأثرها على الزائر
- الأخلاقيات الأولى للتواجد في الأماكن المقدسة
- الأخلاقيات الثانوية للتواجد في الأماكن المقدسة
- حرمة الزائرين من حرمة المزار
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- بيان هويّة الأماكن المقدّسة، ومدى الفروقات بينها
- بيان الارتباط الوثيق بين (المساجد، المراقد الطاهرة، المزارات)
- بيان طبيعة العناية بالأماكن المقدّسة
- بيان الجهات التي تحدّد طبيعة العلاقة بين المزار والمزار
- بيان انعكاس العلاقة بين المزار والمزار على الزائرين أنفسهم
- بيان الأخلاقيّات الأوّليّة والثانويّة للتواجد في الأماكن المقدّسة
- بيان وجه ارتباط حرمة الزائرين بحرمة المزار والمزار
- بيان ما ينبغي أن يكون عليه أهل المدن الدينيّة

تمهيد

لا ريب أنّ للأماكن المقدّسة (المساجد، المراقد، المزارات) ارتباطاً وثيقاً بالله تعالى، فهي ليست مواقع سياحيّة أو مجرد مواقع تاريخيّة، وهي على قداستها تُلاحظ فيها أولويّات من حيث الصدارة والعناية، ولكنّها تشترك بالتوجيه الديني للمعارف الإسلاميّة، والتوجيه المعنوي، والتوجيه الضمني إلى القضايا التاريخيّة للإسلام، والتوجيه الضمني إلى الخلوص وتشخيص القدوة الصالحة، ولذلك تستدعي منّا رعايتها، لاسيّما الأماكن المقدّسة الكُبرى، وللرعاية أولويّات، ولا ريب أنّ المكان يتأثر بشخصيّة المكين فيه، فليست كلّ المساجد كالمسجد الحرام، وليست كلّ المراقد كمرقد رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ إنّ طبيعة المكان المقدّس ينعكس على الزائرين أنفسهم، وتلزمهم مراعاة الأخلاق الأوّليّة والثانويّة فيها، وبمقدار مراعاتهم تتشكّل حرمتهم فيها، فضلاً عن كونهم يكتسبون حرمة الزائرين من حرمة المزار نفسه.

هذه الأمور وغيرها ما نريد أن نتوقّف عندها في هذا الدرس.

هوية الأماكن المقدسة

الأماكن المقدسة هي الأماكن المرتبطة بالله تعالى، كبيت الله وسائر المساجد الأخرى، أو بآثار النبوة أو بآثار أهل البيت عليهم السلام، أو بآثار الأولياء والصالحين، من الصحابة والأصحاب الأخيار، ومن التابعين الأبرار، ومن العلماء العاملين الربانيين، سواء ما ضمّ منها أجسادهم الطاهرة أو ما كان لهم فيها مآثر، كالمراقد والمزارات وبعض أماكن التعبّد^(١)، كغار حراء، أو ما تسمّى بالمقامات والمشاهد، ولا ريب أنّ المساجد الكبرى (المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، ومسجد الكوفة) لها الصدارة في سلسلة المساجد المقدسة، كما أنّ مراقد المعصومين من الأنبياء والأئمة عليهم السلام لها الصدارة في سلسلة المراقد المقدسة، كما أنّ غار حراء له الصدارة في سلسلة المقامات والمشاهد المقدسة^(٢)، فالأماكن المقدسة (المساجد والمراقد

-
- (١) مرّ بنا في الحلقة الرابعة من (سلسلة الأخلاق التعليميّة)، والتي حملت اسم (روحانيّة العبادات)، ومّا تناول فيها السيّد الأستاذ دام ظلّه هنالك موضوع الأماكن المقدسة، فعرفها بقوله: «الأماكن المقدسة: ونعني بها جميع مراقد المعصومين من الأنبياء والأئمة عليهم السلام وما يلحقها من مراقد الأولياء والصالحين ممّن ثبتت أماكنهم وصحة سيرتهم؛ فإنّ جميع هذه الأماكن لها حرمتها، فلا ترفع فيها الأصوات ولا يُساء فيها الأدب، لاسيّما في مراقد المعصومين، ولا سيّما عند قبر النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وقبر أمير المؤمنين عليّ عليه السلام؛ ومن أهمّ ما يُطلب في زيارة هذه المراقد الشريفة: الموعظة والتزوّد من سيرهم الخالدة». روحانيّة العبادات (دروس في الأخلاق التعليميّة والواقعيّة)، من أبحاث المرجع الديني السيّد كمال الحيدري: ص ١٠٩، بقلم: الدكتور طلال الحسن، مؤسّسة الإمام الجواد للفكر والثقافة، الكاظميّة المقدسة - العراق، الطبعة الأولى، ٢٠١٤ م.
- (٢) تتشرّ الأماكن المقدسة عند مدرسة أهل البيت في (الحجاز، والعراق، وإيران، وسوريا، وفلسطين) وما عداها فهي أماكن ثانويّة، حيث يوجد في الحجاز المسجد الحرام والمسجد

والمقامات) إنّما اكتسبت قداستها من الارتباط الديني، فهي ليست مواقع سياحية أو مجرد مواقع تاريخية، وإلاّ فالمواقع التاريخية كثيرة جداً ومنتشرة في العالم أجمع، وإنّما الرباط الديني والأثر الديني المنظور فيها هو الذي جعل منها أماكن مقدّسة في نفوس المسلمين، وإن كان بعضها لا يعتبر أثراً إسلامياً، كما هو الحال في مراقد الأنبياء عليهم السلام، وإنّما صارت كذلك لبناء مساجد عليها، فصارت مراقد إسلامية، وبعضها ليس في حيازة المسلمين، كما هو الحال في جملة من الأماكن المقدّسة في فلسطين.

الارتباط بين المساجد والمراقد والمزارات الدينية

بالرغم من أنّ المساجد الكبرى لها الصدارة في الأماكن المقدّسة إلاّ أنّ جملة من المراقد المقدّسة والمزارات الدينية لا تقلّ أهميّة وقداسة عنها، ومن هنا تنشأ علاقة وارتباط وثيق بين هذه العيّنات الثلاث (المساجد، المراقد الطاهرة، المزارات)، وهذا الارتباط يمكن تصويره من خلال النقاط التالية:

النقطة الأولى: التوجيه الديني للمعارف الإسلامية والعبادات والأعمال

النبوي والبقيع وجنة المعلّى وغار حراء وشهداء أحد، والمساجد المهمة كمسجد قبا ومسجد القبلتين، ويوجد في العراق أماكن مقدّسة كثيرة جداً تفوق بمجموعها جميع الأماكن المقدّسة الموجودة في البلدان الأخرى، ففيه مسجد الكوفة ومراقد الأنبياء آدم ونوح وصالح وهود ويونس ودانيال وأيوب، ومراقد الأئمة المعصومين في النجف وكربلاء والكاظميّة وسامراء، ومراقد الشهداء والصالحين في سائر أرجاء العراق، فلا تكاد تخلو محافظة من مكان مقدّس فيه، ولذلك يُعبّر عن العراق بأرض المقدّسات، وفي إيران تتوزّع الأماكن المقدّسة الرئيسة في مشهد وقم وطهران، وفي سوريا تتوزّع في دمشق وحلب والرقّة، وفي فلسطين يوجد المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي وقبة الصخرة وبعض مراقد الأنبياء (إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وشعيب، وغيرهم) وأكثرها غير معلوم الحال، وهنالك بعض الأماكن المقدّسة المنتشرة في بلدان أخرى كمصر ولبنان والأردن وتركيا.

الدينية، فإنّها جميعاً تحمل هذا الطابع التوجيهي، لما تشتمل عليها من دعوة صريحة للصلاة والدعاء والذكر والتعلّم والتخلّق الحسن.

النقطة الثانية: التوجيه المعنوي لإعمار القلوب وتخليصها من براثن الذنوب والخطايا، ولذلك نجد في سيرة العباد والصالحين أنّهم كانوا شديدي الحرص على قصد المساجد والمراقد الطاهرة والمزارات المختلفة، حتّى يكاد البعض منهم أن يُعرف عنه الاعتكاف الطويل في بعض المساجد، كما هو الحال في لزوم بعضهم لمسجد الكوفة ومسجد السهلة^(١)، وقد كان بعض العلماء والعرفاء يجاورون مسجداً أو مرقداً أو مزاراً طلباً لتحصيل المقامات المعرفيّة والمعنويّة^(٢)، وهذا يندرج ضمن تعاهد المساجد المشار إليه بقوله تعالى: ﴿قُلْ

(١) السهلة - بكسر الهاء - تراب كالرمل يجيء به الماء، ومنه مسجد السهلة، وقد ورد في هذه المسجد الشريف روايات تشيد بفضله، وله في مدرسة أهل البيت شأن كبير، نظراً لارتباطه بالإمام المهديّ عليه السلام عند قيام دولته المباركة، وقد روى صالح بن أبي الأسود عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه ذكر مسجد السهلة فقال: «أما إنّهُ منزل صاحبنا إذا قام بأهله». الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٣، ص ٤٩٥، ح ٢؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٣، ص ٢٥٢، ح ١٢.

وهو على مقربة من مسجد الكوفة، وقد جاء في فضله عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «بالكوفة مسجد يقال له (مسجد السهلة)... ما أتاه مكروب قطّ فصلّى فيه بين العشاءين، ودعا الله إلّا فرّج الله كربته». الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٣، ص ٤٩٥، ح ٣؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٣، ص ٢٥٢، ح ١٣.

(٢) كما هو المشهور عن محيي الدين بن عربي (ت: ٦٣٨هـ) الذي جاور المسجد الحرام لسنوات، وهنالك كتب فتوحاته المكيّة - أهمّ كتبه - يقول فيها: «كنت نويت الحجّ والعمرة فلمّا وصلت أمّ القرى أقام الله سبحانه وتعالى في خاطري أن أعرف الولي بفنون من المعارف حصّلتها في غيبتيّ، وكان الأغلب منها ما فتح الله سبحانه وتعالى عليّ عند طوافي ببيته المكرّم». كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى عبد الله حاجي خليفة: ج ٢،

أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴿٢٩﴾ (الأعراف: ٢٩)،^(١) وتعاهد المساجد عبادة مؤكدة؛ لأنّه عمارة لها ولا ريب، والمعمّر لمساجد الله بالعبادة يظله الله تعالى يوم لا ظلّ إلّا ظلّه؛ لقول رسول الله صلّى الله عليه وآله: «سبعة يظلهم الله عزّ وجلّ في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه ... ورجل قلبه متعلّق بالمسجد، إذا خرج منه حتّى يعود إليه ...»^(٢)، بل خطواته للمسجد عبادة، فقد روى مسلم عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قوله: «من تطهّر في بيته ثمّ مضى إلى بيت من بيوت الله، ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطواته إحداها تحطّ خطيئة والأخرى ترفع درجة»^(٣).

-
- ص ١٢٣٨، تقديم: السيّد شهاب الدين المرعشي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (١) وهنا يرى السيّد الأستاذ دام ظلّه أنّ إقامة الوجوه في كلّ مسجد تُشير إلى التعاهد وعدم الهجران، وفي إقامة الوجه شطر المسجد نكات ولطائف، منها: الكفّ عن الالتواء البدني والقلبي عن المسجد، كما أنّ التعبير بالوجه يحكي مركزيّة التوجّه، وكأنّه أراد أن يكون المسجد مركز التوجّه في عبادتنا، ومن نكاته الكفّ عن الالتواء البدني والقلبي عند أداء الصلاة في المسجد، فالمسجد بيت الله تعالى، وكأنّ الراكع الساجد فيه راعع ساجد في قلب الكعبة المشرفة، وأخيراً: في إقامة الوجه عنده، حثّ على إيمان التفكّر في العبادات الواقعة فيه، بحيث ينبسط هذا التفكّر على الأوقات الأخرى التي نقضيها خارج المسجد، فتُعطي إقامة الوجه إدانة الحضور فيه من خلال الأثر المنبسط. انظر: روحانيّة العبادات (دروس في الأخلاق التعليميّة والواقعيّة)، مصدر سابق: ص ٩٣.
- (٢) الخصال، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ: ص ٣٤٢، ح ٧، تحقيق: علي أكبر الغفاري، جامعة المدرّسين في الحوزة العلميّة، قم المقدّسة؛ سنن الترمذي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٤. وقريب منه في: صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ١، ص ١٦١؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ٣، ص ٩٣.
- (٣) صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٣١. وفي خبر آخر عنه صلّى الله عليه وآله: «ألا أدلّكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال:

النقطة الثالثة: التوجيه الضمني إلى أهم القضايا التي سُجِّلت في تاريخ الإسلام، لأنّها بشكل عامّ قد انطلقت من المساجد، وعلى يد الكثير من أصحاب المراقد المقدّسة والمزارات الشريفة، ولذلك فالمساجد مدارس، والمراقد مواقد، والمزارات مدارات، تقودنا إلى العلم والفضيلة والخير والطاعة. فالمسجد النبوي يحمل في طيّاته وعلى جنباته أنوار الرسالة وآثار النبوة والبطولات والمآثر، وكأنّنا عند الصلاة فيه نصليّ خلف رسول الله صلى الله عليه وآله، وكأنّنا نسمع فيه دويّ الصالحين من الصحابة والتابعين، وحلقات دروسهم، وهمهمات صلواتهم وتسبيحهم. فما إن تدخل من باب جبرائيل إلّا ويصيبك خشوع الوحي والنبوة، وما إن تخرج من زيارته صلى الله عليه وآله إلّا ويكون قبال وجهك البقيع، بطهارته ونقاؤه وأوليائه وقرائه، وبطولاته ومآثره، فكيف لا تسجّل المساجد والمراقد هذا الحضور العظيم في قلوب المؤمنين. ومن لا يلتفت إلى هذه المعاني الجليلة إمّا أن يكون جاهلاً بها أو قسا قلبه فصار كالْحِجَارَةِ؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (البقرة: ٧٤).

النقطة الرابعة: التوجيه الضمني إلى الخلوص والخشوع في العبادة، فالؤمن يتأثر بروحانيّة المسجد وأنفاس المصلّين العابدين، كما أنّ أصحاب المراقد الطاهرة والمزارات الشريفة تحمل هي الأخرى عبق أصحابها في عبادتهم وخشوعهم، فتكون مسجديّة مراقدهم الطاهرة مستوفية لكلّ تلك المعاني الكبيرة، والتي يقع في طليعتها الخلوص والخشوع في العبادة، وقد مرّ

إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى هذه المساجد. أمالي الشيخ الصدوق، مصدر سابق: ص ٤٠٠، ح ١٠؛ مسند أحمد، مصدر سابق: ج ٣، ص ٣؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ١، ص ١٥١؛ سنن ابن ماجه، مصدر سابق: ج ١، ص ١٤٨، ح ٤٢٧.

علينا ما جاء في بعض فقرات الزيارة: (وعبدته مخلصاً حتى أذاك اليقين).

النقطة الخامسة: التوجيه الضمني إلى تشخيص القدوة الصالحة، فلا ينبغي أن يكون القدوة للمسلم بعيداً عن المساجد أو بعيداً عن القيم العليا التي اتصف بها أصحاب المراقد من الأنبياء والأئمة عليهم السلام والأولياء والصالحين. ومن أجل ذلك ورد الحثّ الأكيد على التواجد في المساجد وعلى إقامة الزيارات للمراقد الطاهرة، حتى بلغ التأكيد شمول ذوي العاهات المستديمة فضلاً عن سليمي البدن، فقد ورد: «أن رجلاً أعمى أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله! إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد. فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله أن يرخص له فيصلي في بيته؛ فرخص له، فلمّا ولى دعاه فقال: هل تسمع النداء بالصلاة؟ فقال: نعم، قال: فأجب»^(١).

أهمية أخلاقيات التواجد في الأماكن المقدسة

نظراً لكون الأماكن المقدسة تحقّق لنا التوجيه الديني للمعارف الإسلامية والعبادات والأعمال الدينية، والتوجيه المعنوي لإعمار القلوب وتخليصها من برائن الذنوب والخطايا، والتوجيه الضمني إلى أهمّ القضايا التي سجّلت في تاريخ الإسلام، والتوجيه الضمني إلى الخلوص والخشوع في العبادة، والتوجيه الضمني إلى تشخيص القدوة الصالحة، فإنّها تقتضي مراعاتها، ومن أولويات ذلك مراعاة أخلاقيات التواجد فيها، ومنها:

أولاً: الكينونة على الطهارة^(٢)، فإنّ المكوث في المساجد والمراقد والمزارات

(١) صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٢٤؛ السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي الشافعي (ت: ٣٠٣): ج ١، ص ٢٩٧، ح ٩٢٣، تحقيق: الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.

(٢) مرادنا من الطهارة: الطهارة من الحدثين الأكبر والأصغر، والطهارة من الحدث الأكبر

التي تشتمل على عنوان المسجديّة، يقتضي الكينونة على الطهارة؛ لأنّها أماكن العبادة وليس للعبث واللهو، سواء بالصلاة أو الدعاء أو مطلق الذكر أو بالاستماع إلى الموعظة الحسنة، وغير ذلك من موارد العبادة العامّة، ولذلك يرى الفقهاء كراهية المكوث في المساجد وما بحكمها، من دون الكينونة على الطهارة، وهذا ما ينبغي الالتزام به؛ تحقيقاً لأخلاقيات التواجد في هذه الأماكن المقدّسة.

ثانياً: صيانة هذه الأماكن المقدّسة من مطلق النجاسات والأوساخ، بل مطلق النفايات، وقد ورد في الخبر عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «عرضت عليّ أجور أمّتي حتّى القذاة يخرجها الرجل من المسجد»^(١)، أي: حتّى التراب القليل، فكيف بما سواه.

ثالثاً: المسارعة في عمران المساجد والمراقد والمزارات، فإنّها قلاع العلم والمعرفة والارتقاء المعنوي، وعمرانها عن طريقين، الأوّل: الحرص على بنائها أو ترميمها أو تطويرها، فإنّ المؤمن الحاضر في هذه الأماكن المقدّسة لا يسعه أن يرى بيوت الله متهاكّة أو آيلة للسقوط أو ليست بحلّة جيدة، وقد ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وآله أروع الأمثلة في حرصه على المشارفة الفعلية في بناء المساجد وعمرانها، وقد شُهد صلى الله عليه وآله وهو يشارك المهاجرين والأنصار في بناء المسجد النبوي، حيث كان ينقل معهم اللبن في

واجب شرعاً في المساجد وما بحكمها، فلا يجوز له الدخول في المساجد فضلاً عن المكوث فيها، وأمّا الطهارة من الحدث الأصغر فمستحبّ، ولذلك يكره المكوث فيها من دون تحصيل هذه الطهارة. (منه دام ظلّه).

(١) سنن الترمذي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٥٠، ح ٣٠٨٣. والقذى: «جمع قذاة، وهو ما يقع في العين والماء والشراب من تراب أو تبن أو وسخ أو غير ذلك». النهاية في غريب الحديث، مصدر سابق: ج ٤، ص ٣٠؛ لسان العرب، مصدر سابق: ج ١٥، ص ١٧٤.

بنيانه ويقول:

(هذا الحمل لا حمال خيرٌ هذا أبرُّ ربنا وأطهر)^(١)

قال ابن حجر: «أي: هذا المحمول من اللبن أبر عند الله، أي: أبقى ذخراً وأكثر ثواباً وأدوم منفعة وأشدّ طهارة من حمال خير، أي: التي يحمل منها التمر والزبيب ونحو ذلك»^(٢)، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أولوية النظر إلى العمل الأخروي، ومنه بناء المساجد وإعمارها، وهو إعمار إنسا يتمكّن منه المتمكّنون مادياً، فيعجز عنه الفقراء والمستضعفون، وهنالك إعمار آخر، وهو النمط الثاني من الإعمار، ونعني به إعمارها بالحضور والقيام بالأعمال الصالحة، ومنها السعي في خدمتها وخدمة الزائرين لها، وقد أُشير إلى ذلك بقوله تعالى:

(١) صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٥٨؛ المصنّف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١هـ): ج ٥، ص ٣٩٦، تحقيق: الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، بيروت؛ مصنّف ابن أبي شيبه في الأحاديث والآثار، للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبه الكوفي العبيسي (ت: ٢٣٥هـ): ج ٦، ص ١٨١، ح ٦٤، ضبطه وعلّق عليه: الأستاذ سعيد محمد اللحام، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، بيروت؛ الطبقات الكبرى، محمد بن سعد: ج ١، ص ٢٤٠، دار صادر، بيروت.

وهنا ينبغي التنبيه إلى أنّ واحدة من الحقائق التاريخية في سيرة النبي صلى الله عليه وآله أنّ أوّل عمل قام به في المدينة المنورة هو بناء المسجد النبوي، ليقدم رسالة لجميع المسلمين (٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ شهاب الدين أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ): ج ٧، ص ١٩٣، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية.

وفي ذلك يقول العلامة المجلسي بعد نقله للخبر: «قوله: هذا الحمل، أي: هذا الحمل والمحمول من اللبن أبر عند الله وأطهر، أي: أبقى ذخراً وأدوم منفعة، لا حمال خير من التمر والزبيب والطعام المحمول منها الذي يغتبطه حاملوه، والذي كنّا من قبل نحمله ونعطيه، والحمل والحمل واحد». بحار الأنوار، للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي: ج ١٩، ص ١٢٨، مؤسّسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (التوبة: ١٨).

رابعاً: الاشتغال بأمور تليق بروحانيّة المساجد والمراقد والمزارات، من صلاة ودعاء وتلاوة قرآن وقراءة الزيارات ومطلق الذكر والتأمل في خلق الله وقدرته، والحرص الأكيد على الالتحاق بصلاة الجماعة، والكفّ عن الاختلاف، وعدم الخوض في الباطل، وعدم تحويل مجالس الطاعة إلى مجالس الغفلة ومجالس البطالين، فإنّ الدخول في ذلك ضرب من سوء الأدب ومخالفة صريحة لأخلاقيات المساجد والمراقد، ولعلّ من سوء الأدب بحقّها: الخروج منها عند دخول وقت الصلاة، فهذه الأماكن المقدّسة هي الأولى بالصلاة فيها، بل الأولى بالحرص على إقامة الصلوات فيها، فلا ينبغي خلوّها من المصلّين عند إقامة الصلاة، وقد جاء في وصيّة طويلة أوصى بها رسول الله صلّى الله عليه وآله الصحابي الجليل أبا ذر الغفاري: «يا أبا ذر، طوبى لأصحاب الألوّة يوم القيامة، يحملونها فيسبقون الناس إلى الجنّة، ألا وهم السابِقون إلى المساجد والأسحار وغيرها»^(١).

العلاقة بين المزار والمزار وأثرها على الزائر

مما تقدّم تتبيّن الخطوط العامّة لطبيعة العلاقة بين الزائرين والمزارات، فإنّ أخلاقيات التواجد في الأماكن المقدّسة تحكي لنا خطوط العلاقة بينها وبين الزائرين الحاضرين فيها، وهنا نريد أن نبين أمرين آخرين، وهما: طبيعة العلاقة بين المزار والمزار، وأثر هذه العلاقة على الزائرين، وهما كالتالي:

(١) أمالي الشيخ الطوسي، مصدر سابق: ص ٥٢٩، ح ١؛ مكارم الأخلاق، للشيخ الجليل رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي: ص ٤٦١، منشورات الشريف الرضي، الطبعة السادسة، ١٩٧٢م، قم المقدّسة.

أولاً: طبيعة العلاقة بين المزار والمزار

تتحدّد طبيعة العلاقة بين المزار (المرقد) وبين المزار (صاحب المرقد) من جهتين، وهما:

الجهة الأولى: تتعلّق بنفس صاحب المرقد، فهناك فرق كبير بين المعصوم - نبياً كان أو إماماً - وبين غير المعصوم، كما أنّ هنالك فرقاً بين غير المعصوم سواء كان من أهل البيت أو من غيرهم. فأما المعصوم فإنّه يضافي بشخصيّته العظيمة واقعاً مختلفاً على المزار، وهذا ما نلاحظه بوضوح في مراقدهم عليهم السلام، فالمرقد الطاهر لرسول الله صلّى الله عليه وآله يحظى باهتمام بالغ بين المسلمين، وزيارته صلّى الله عليه وآله أمر لا خلاف فيه عند المدرستين معاً (الشيعية والسنة)، وأما من شدّد عنهما فلا اعتبار له^(١)، ويتبع ذلك نجد الاهتمام البالغ من قبل أتباع مدرسة أهل البيت بمراقدة الأئمة المعصومين من أهل البيت، في النجف وكربلاء وبغداد ومشهد وسامراء بالإضافة إلى البقيع^(٢)،

(١) كما هو الحال بالنسبة لأصحاب الإسلام الأموي، المتمثّل حالياً بالأصوليّة السلفيّة (الوهابيّة)، حيث اتّخذوا موقفاً شاذّاً في زيارة مراقدة الأنبياء والأئمة والصالحين.

(٢) تتوزّع مراقدة الأئمة المعصومين كالتالي: مرقد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في النجف، ومرقد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، ومراقدة الأئمة الحسن المجتبيّ وعليّ زين العابدين ومحمّد الباقر وجعفر الصادق عليهم السلام في البقيع، ومرقدا الإمامين موسى الكاظم ومحمد الجواد عليهما السلام في بغداد - الكاظميّة، ومرقد الإمام عليّ الرضا عليه السلام في إيران - مشهد، ومرقدا الإمامين عليّ الهادي والحسن العسكري عليهما السلام في سامراء - شمال بغداد، وتوجد مراقدة بعض الأنبياء عليهم السلام في النجف (آدم ونوح وصالح وهود ذو الكفل)، وبغداد (يوشع)، وبابل (أيوب)، والموصل (يونس) وجرجيس وشيت ودانيال وناحوم، والقادسيّة (شعيب)، وميسان (عزير)، وكركوك (عزرا وحنين)، ويوجد في بلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين والأردن) مراقدة كثيرة للأنبياء.

وينعكس هذا الاهتمام البالغ على طبيعة المراقدة نفسها، من حيث العناية والرعاية والتوسعة؛ نظراً لكثرة الزائرين إليها، وأما بالنسبة لمراقدة غير المعصومين فمنها ما يكاد أن يكون في رتبة المعصومين من حيث العناية والرعاية بمراقدهم الطاهرة؛ نظراً لموقعهم الإسلامي الرفيع، ومواقفهم التاريخية الفريدة، كما هو الحال بالنسبة لمرقدة أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليّ عليهما السلام، الكائن في كربلاء المقدسة، ومرقد السيدة زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليهما السلام، الكائن في دمشق، وتترتب بقيّة مراقدة غير المعصومين بحسب مكانتهم وبحسب مكان دفنهم، فهناك الكثير من المراقدة الطاهرة تعاني من الإهمال وقلة العناية، فلا تكاد تجد لها طريقاً واضحاً، فضلاً عما لاقتة الكثير من المراقدة الطاهرة للهدم والاندراس، لاسيّما في العقود الأخيرة على يد الفكر التكفيري.

الجهة الثانية: تتعلق بالمكان الذي يوجد فيه المرقدة المقدّس أو المزار الشريف، فإنّه يتأثر كثيراً بثلاثة أمور:

الأول: طبيعة العقيدة التي عليها أهل المدينة، فإن كانت موالية لصاحب المرقدة والمقام فإنّه سيلاقي عناية فائقة، والعكس بالعكس.

والثاني: طبيعة إمكانات أهل تلك المدينة، فإن كانوا متمكّنين مادياً فإنّ ذلك سوف ينعكس على تلك المراقدة من حيث الإعمار والخدمات، ومن الواضح أنّ المراقدة كلّما توفّرت على الخدمات فإنّها تجذب أكبر عدد ممكن من الزائرين، بخلاف المتخلّفة بخدماتها ونظافتها.

والثالث: طبيعة الأخلاق والالتزام الديني اللذين عليهما أهل المدينة، فقد يكون أهل المدينة سبباً في نفرة الزائرين لمرقدة أو مزار، بسبب جفوتهم وغلظتهم، كما قد يكونون سبباً في جذب الزائرين نظراً لسعة صدورهم

وحسن أخلاقهم وكرمهم وجودهم.

ثانياً: أثر العلاقة بين المزار والمزار على الزائرين

تنعكس طبيعة العلاقة بين المزار والمزار على الزائرين أنفسهم، فإن مراقدا المعصومين من الأنبياء والأئمة عليهم السلام لا تقاس بها المراقدا الأخرى، من حيث لزوم العناية والتقدير والاحترام ومراعاة الضوابط الشرعية، حتى على مستوى رفع الصوت في حضراتهم، كما هو الحال بالنسبة للمرقدا الطاهر لرسول الله صلى الله عليه وآله؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات: ٢) حيث يجرى حكمها في حياته وفي مماته، ومن رفع الصوت في حضرته مخالفته صلى الله عليه وآله في القول والعمل، فذلك ضربٌ من رفع الصوت المنهي عنه، فاللازم هو غض الصوت عنده، وعدم مخالفته؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ فَلِتَقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (الحجرات: ٣).

ثم إن تركيز العناية والرعاية بمراقدا المعصومين عليهم السلام لا يعني عدمهما في المراقدا الأخرى، فإن المراقدا الطاهرة أشبه ما تكون بالبوصلات الموجهة لله تعالى وللخير والفضيلة، فهم كتاب مفتوح لا يدعو إلا للخير والفضيلة، وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: أيّ المجلساء خير؟ قال: «من ذكركم بالله رؤيته، وزادكم في علمكم منطقته، وذكركم بالآخرة عمله»^(١)، وعنه صلى الله عليه وآله: «خيركم من دعاكم إلى فعل الخير»^(٢)، وهذه المعاني

(١) الأماي، الشيخ الطوسي، مصدر سابق: ص ١٥٧، ح ١٤.

(٢) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام)، للورام بن أبي فراس المالكي الأشتري:

متجسدة في المراقد الطاهرة، فهي تذكّرنا بالله تعالى وتدعونا إلى الطاعة وفعل الخير، وكلّما كان صاحب الأثر والمرقد الطاهر مقرباً أكثر لله تعالى كان تأثيره فينا أكبر.

الأخلاقيات الأولىّة للتواجد في الأماكن المقدّسة

ونعني بالأخلاقيات الأولىّة: مجموعة المقدمات التي ينبغي أن يكون عليها الزائر للمساجد والمراقد الطاهرة والمزارات الشريفة، من قبيل تحصيل الطهارة والبقاء عليها طالما هو كائن فيها، وأخذ الزينة في الملابس والطيب؛ لقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف: ٣١)، ولقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا صلى أحدكم فليلبس ثوبه، فإنّ الله أحقّ أن يزین له»^(١)، والاشتغال بالعبادات، كالصلاة والتلاوة والدعاء والذكر، وعدم المجافاة بتركها مدة طويلة، لاسيّما المساجد؛ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّهما قالاً: «لا صلاة لجار المسجد إلّا في المسجد»^(٢)، والأولى قصد أقرب المساجد؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا صلاة لجار المسجد إلّا في مسجده»^(٣)، الدالّ على قصد

ج ٢، ص ١٢٣، مكتبة الفقيه، قم المقدّسة.

(١) السنن الكبرى، للحافظ أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي: ج ٢، ص ٢٣٦، دار الفكر، بيروت؛ المعجم الأوسط، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني: ج ٩، ص ١٤٥، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ؛ الدرّ المنثور، مصدر سابق: ج ٣، ص ٧٩.

(٢) مصنّف ابن أبي شيبة: ج ١، ص ٣٨٠، ح ٨؛ مصنّف الصنعاني: ج ١، ص ٤٩٧، ح ١٩١٥؛ المستدرک علی الصحيحین: ج ١، ص ٢٤٦. (مصادر سابقة)

(٣) تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ١، ص ٩٢، ح ٩٣؛ ج ٣، ص ٦؛ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، للشيخ المحدث محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت: ١١٠٤ هـ):

المسجد المجاور، وتقديمه على المساجد الأخرى، فضلاً عن الصلاة في البيت، ولا يُستثنى من ذلك إلا صلاة الجمعة المقامة في مسجد البلدة، كما ينبغي قصد صلاة الجماعة فيها؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما منكم أحد يخرج من بيته متطهراً فيصلي الصلاة في الجماعة مع المسلمين ... إلا والملائكة تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه»^(١)، ولا بد أن يُوقع في نفسه أنه قاصد إلى بيت من بيوت الله؛ فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إذا بلغت باب المسجد فاعلم أنك قصدت باب بيت ملك عظيم لا يطأ بساطه إلا المطهرون»^(٢)، وأن يُعجل في الحضور فيها، لا سيما عند سماعه الأذان، فذلك من العمران لها - كما تقدّم - وقد ورد في وصية الرسول صلى الله عليه وآله لأبي ذرٍّ شيء من ذلك: «يا أبا ذرٍّ، من أجاب داعي الله وأحسن عمارة مساجد الله كان ثوابه من الله الجنة، فقلت: كيف يعمر مساجد الله؟ قال: لا تُرفع الأصوات فيها، ولا يُخاض فيها بالباطل، ولا يُشتري فيها ولا يُباع، وأترك اللغو مادمت فيها، فإن لم تفعل فلا تلومنَّ يوم القيامة إلا نفسك»^(٣).

ج ٥، ص ١٩٤، ح ١، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ، قم. قال الشيخ الطوسي في ذيل الحديث في الموردين: «وإنما أراد لا صلاة فاضلة كثيرة الثواب دون أن يكون أراد نفي الأجزاء على كل وجه». المصدر السابق.

(١) أمالي الشيخ الصدوق، مصدر سابق: ص ٤٠٠، ح ١٠.

(٢) رسائل الشهيد الثاني، للشهيد الثاني زين الدين علي الجبعي العاملي: ص ١١٨، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، مؤسسة بوستان كتاب، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ؛ مستدرك الوسائل، للمحقق الميرزا حسين النوري الطبرسي: ج ٣، ص ٤٣٧، ح ٤، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ؛ بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٨٠، ص ٣٧٣، ح ٤٠.

(٣) وسائل الشيعة، مصدر سابق: ج ٣، ص ٥٠٧، ح ٣؛ مكارم الأخلاق، مصدر سابق:

الأخلاقيات الثانوية للتواجد في الأماكن المقدسة

ونعني بالأخلاقيات الثانوية مجموعة الأمور التي ينبغي مراعاتها تجاه المراقدة الطاهرة والزائرين لها، فلا يلقي النفائات فيها، ولا يرفع الصوت، ولا يقع منه الجدال، ولا يزاحم الزائرين، بل عليه مساعدتهم وعدم التقصير بحقهم، لاسيما الأطفال والعجزة وكبار السن، وينبغي أن تكون هذه الأخلاق التي نقتبسها ونحققها في الأماكن المقدسة سارية معنا ونحن في خارجها، للتدليل على صدقنا والتزامنا بالقيم العليا التي تمنحها، وقد قلنا في حلقة سابقة: «وأما إذا وجدنا أنفسنا نحمل أخلاقاً في الأسرة والشارع والعمل غير أخلاقنا المسجدية، فيكون الواحد منا في المسجد وديعاً وفي غيره عصبياً، وفيه كريماً وفي غيره لثيماً، وفيه نشطاً وفي غيره كسولاً، وفيه متسامحاً متجاوزاً عن أخطاء الآخرين وفي غيره مؤنباً ومعاقباً لهم، وفيه حلو اللسان عذب الألفاظ وفي غيره مر اللسان بذيء الألفاظ، وغير ذلك من التنافي المتصور، فإن هذا التنافي والتناقض الواقع ليس وراءه سوى الشخصية الازدواجية، أو قل: هو نوع من الانفصام في الشخصية، والانفصام في الشخصية ضرب من الجنون، فيكون الشخص المحافظ على مسجديته داخل المسجد وخارجه إنساناً قوياً معتدلاً»^(١).

ولا ينبغي التقليل من هذه الأخلاقيات الثانوية؛ لأنها الامتداد الطبيعي للأخلاق الأولية منها، بل هما معاً يشكّلان خريطة أخلاقيات الأماكن المقدسة، التي ذكرنا منها الخطوط العامة والأساسيات منها، وإلا فلا ريب أن

ص ٤٦٧؛ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للعلامة علاء الدين علي المتقي الهندي: ج ٧،

ص ٦٧١، ح ٢٠٨٤١، تحقيق: بكري الحياتي وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(١) روحانية العبادات (دروس في الأخلاق التعليمية والواقعية)، مصدر سابق: ص ٩٩.

هنالك مجموعة غير قليلة من تلك الأخلاقيات الأوليّة والثانويّة، التي لها اعتبار كبير، من قبيل الذود عن المساجد والمراقد والمزارات والتحقيق في مواقعها وأصحابها؛ توكيداً للصحيح منها، والتحري عن غير الأكيد منها، ممّا يمنحنا حصانة تمنع من قيام مراقد ومزارات لا أصل لها، والتي في الغالب يراد بها أغراض دنيويّة ومنافع شخصيّة، وهذا ما ينبغي أن تنهض بتحقيقه المؤسسات العلميّة، وتعمل على تنفيذ نتائجها التحقيقيّة مؤسسات الدولة.

حرمة الزائرين من حرمة المزار والمزار

وهنا نريد التأكيد على ضرورة التعامل مع الزائرين باحترام بالغ^(١)، وعدم توجيه أيّ إهانة لهم، سواء بكلمة أو بفعل، وإن صدر منهم ما هو مخالف لمقرّرات المزار، حيث يلزم تنبيههم إلى الخطأ الواقع منهم، فإنّهم في الغالب لا يعرفون بالمقرّرات الخاصّة للمراقد والمزارات، وقد ضرب لنا رسول الرحمة صلّى الله عليه وآله أروع الأمثلة في قاصدي المسجد النبوي، فمع أنّ المسجد النبوي هو ثاني أشرف مسجد وبقعة في الأرض، إلّا أنّه صلّى الله عليه وآله لما وجد أعرابياً قد أساء التصرف لا عن علم قام بتوجيهه وحفظ كرامته، وعدم السماح لأحد بالإساءة له، فقد روي عن أنس بن مالك وعن أبي هريرة: «أنّ أعرابياً بال في المسجد! فثار إليه الناس؛ ليقعوا به، فقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: دعوه وأهريقوا على بوله ذنباً من ماء، أو سجلاً من ماء؛ فإنّما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»^(٢)، وينبغي أن يكون

(١) الكلام موجّه بالدرجة الأساس للعاملين في خدمة المساجد والمراقد والمزارات، وأيضاً للزائرين أنفسهم، فهم جميعاً مسؤولون عن احترام الزائرين. (منه دام ظلّه).

(٢) ورد الحديث بالفاظ متقاربة، وقد اعتمدت رواية البخاري في المتن. انظر: صحيح

للزائر الغريب الأولوية في الاحترام والتقدير، وإشعاره بأنه في بلده، من خلال تيسير أموره والعمل على راحته وقضاء حاجته، وقد ضرب لنا الأنصار أروع الأمثلة في التواضع والإيثار عندما قدم إليهم المهاجرون وهم عزّل لا يملكون من أمور دنياهم شيئاً، فأووهم وزوّجهم وقاسموهم لقمة العيش حتّى استقام أمر معاش المهاجرين.

من هنا ينبغي أن يكون أبناء المدن الدينية على مستوى رفيع من الأخلاق والتخلّق بالخلق الحسن؛ لأنّهم بمجاورتهم للمراقد المقدّسة والمزارات الشريفة قد وضعوا أنفسهم إزاء مسؤوليّة مباشرة في خدمة زوّار تلك الأماكن المقدّسة.

كلمات على الطريق

- جاء في قصّة أهل الكهف: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ (الكهف: ٢١)، قال الطبرسي: «أي: معبداً وموضعاً للعبادة والسجود، يتعبّد الناس فيه ببركاتهم، ودلّ ذلك على أنّ الغلبة كانت للمؤمنين»^(١). وقال الطبرسي: «قال المسلمون: بل نحن أحقّ بهم، هم منّا، بنينا عليهم مسجداً نُصَلّي فيه، ونعبد الله فيه»^(٢).

البخاري: ج ٧، ص ١٠٢؛ صحيح مسلم: ج ١، ص ١٦٣؛ سنن ابن ماجه: ج ١، ص ١٧٦، ح ٥٢٨؛ سنن الترمذي: ج ١، ص ٩٩، ح ١٤٧؛ مصنّف الصنعاني: ج ١، ص ٤٢٥، ح ١؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ج ١، ص ٢٢١؛ عوالي اللآلي، لابن أبي جمهور الأحسائي: ج ١، ص ٦٢، ح ٩٨، تحقيق: البحّثة الشيخ مجتبي العراقي، مطبعة سيّد الشهداء، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ؛ مستدرك الوسائل، مصدر سابق: ج ٢، ص ٦١٠، ح ٤.

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، لأمين الإسلام أبي الفضل بن الحسن الطبرسي: ج ٦، ص ٣٢٨ مؤسّسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق: ج ١٥، ص ٢٨١، ح ١٧٣١٧.

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أسرج في مسجد من مساجد الله سراجاً، لم تزل الملائكة وحمة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوء من السراج»^(١)، وإسراج المسجد من التوفيقات اللطيفة.
- وقد كان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يقول: «من اختلف إلى المساجد أصاب إحدى الثمان: أخاً مستفاداً في الله عز وجل، أو علماً مستطرفاً، أو آية محكمة، أو رحمة منتظرة، أو كلمة تردّه عن ردى، أو يسمع كلمة تدلّه على هدى، أو يترك ذنباً خشيّةً أو حياءً»^(٢).

خلاصة الدرس

- المساجد الكبرى (المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، ومسجد الكوفة) لها الصدارة في سلسلة المساجد المقدسة، كما أنّ مرآة

وفي تفسير الجلالين: «رَبُّهُمْ أَعْلَمَ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ»، أمر الفتية، وهم المؤمنون: «لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمُ»، حولهم: «مَسْجِدًا»، يصلّي فيه، وفعل ذلك على باب الكهف». تفسير الجلالين، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي: ص ٣٨٣، دار المعرفة، بيروت.

(١) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٣٧، ح ٧١٦؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٣، ص ٢٦١، ح ٥٣؛ بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، للحافظ نور الدين على بن أبي بكر الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ): ص ٥٣، ح ٢٢٢، حققه وعلّق عليه: مسعد عبد الحميد محمد السعدني، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، مصر.

(٢) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٣٧، ح ٧١٣؛ الخصال، مصدر سابق: ص ٤١٠، ح ١١؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٣، ص ٢٤٨، ح ١؛ أمالي الشيخ الطوسي: ص ٤٣٢، ح ٢٦؛ المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني: ج ٣، ص ٨٨، ح ٢٧٥٠، تحقيق: حمدي عبد الحميد السلفي، طبع دار إحياء التراث العربي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.

المعصومين عليهم السلام لها الصدارة في سلسلة المراقد المقدسة، كما أنّ غار حراء له الصدارة في سلسلة المقامات والمشاهد المقدسة.

- الأماكن المقدسة (المساجد والمراقد والمقامات) ليست مواقع سياحية أو مجرد مواقع تاريخية، وإنما هي أماكن منظور فيها الارتباط الديني.
- هنالك ارتباط وثيق بين (المساجد، المراقد الطاهرة، المزارات)، يتمثل بكونها تحقق: التوجيه الديني للمعارف الإسلامية والعبادات والأعمال الدينية، والتوجيه المعنوي لإعمار القلوب وتخليصها من برائن الذنوب والخطايا، والتوجيه الضمني إلى أهم القضايا التي سُجّلت في تاريخ الإسلام، والتوجيه الضمني إلى الخلوص والخشوع في العبادة، والتوجيه الضمني إلى تشخيص القدوة الصالحة.
- نظراً لكون الأماكن المقدسة تحقق لنا التوجيه الديني والمعنوي والضمني بموارده الثلاثة فإنّها تقتضي مراعاتها، ومن أولويات ذلك الكينونة على الطهارة، وصيانتها من مطلق النجاسات والأوساخ، بل مطلق النفائات، والمسارة في عمرانها، والاشتغال بها يليق بروحانيّتها.
- تتحدّد طبيعة العلاقة بين المزار (المرقد) وبين المزار (صاحب المرقد) من جهتين، الأولى: تتعلّق بنفس صاحب المرقد، فهنالك فرق كبير بين المعصوم غيره، والثاني: تتعلّق بالمكان الذي يوجد فيه المرقد المقدس أو المزار الشريف، فإنّه يتأثر كثيراً بطبيعة العقيدة التي عليها أهل المدينة، وبطبيعة إمكانات أهل تلك المدينة، وبطبيعة الأخلاق والالتزام الديني اللذين عليهما أهل المدينة.
- المرقد الطاهر لرسول الله صلّى الله عليه وآله يحظى باهتمام بالغ بين المسلمين، وزيارته أمر لا خلاف فيه عند المدرستين معاً (الشيعية

والسنة)، وما شدّ عنهما لا اعتبار له.

- مراقد غير المعصومين منها ما يقترب من رتبة المعصومين من حيث العناية بها؛ نظراً لموقعهم الرفيع، ومواقفهم التاريخية الفريدة.
- العلاقة بين المزار والمزار تنعكس على الزائرين أنفسهم، فمراقد المعصومين لا تُقاس بها المراقد الأخرى، من حيث لزوم العناية والتقدير والاحترام ومراعاة الضوابط الشرعية.
- من موارد رفع الصوت في حضرة الرسول صلى الله عليه وآله مخالفته في القول والعمل.
- الاهتمام البالغ بمراقد المعصومين لا يعني عدمه في المراقد الأخرى.
- المراقد والمزارات أشبه ما تكون ببوصلات موجهة لله تعالى وللخير والفضيلة، وكتاب مفتوح لا يدعو إلا للخير والفضيلة.
- الأخلاقيات الأولية للتواجد في الأماكن المقدسة: هي مجموعة المقدمات التي ينبغي أن يكون عليها الزائر للمساجد والمراقد الطاهرة والمزارات الشريفة، كالطهارة وأخذ الزينة والاشتغال بالعبادات.
- الأخلاقيات الثانوية للتواجد في الأماكن المقدسة: مجموعة أمور ينبغي مراعاتها، من قبيل عدم إلقاء النفايات فيها، وعدم رفع الصوت، وعدم الجدل بالباطل، وعدم مزاحمة الزائرين.
- لا ينبغي التقليل من الأخلاقيات الثانوية؛ لأنها الامتداد الطبيعي للأخلاق الأولية، فهما معاً يشكّلان خريطة أخلاقيات الأماكن المقدسة.
- لا ريب أن حرمة الزائرين من حرمة المزار والمزار، فتتأكد ضرورة التعامل مع الزائرين باحترام بالغ، وعدم توجيه أيّ إهانة لهم، سواء بكلمة أو بفعل، وإن صدر منهم ما هو مخالف لمقررات المزار.
- ينبغي أن يكون للزائر الغريب الأولوية في الاحترام والتقدير، وإشعاره

- بأنّه في بلده، من خلال تيسير أموره والعمل على راحته وقضاء حاجته.
- ينبغي لأبناء المدن الدينيّة أن يكونوا على مستوى رفيع من الأخلاق؛ لأنّهم بمجاورتهم للمراقد والمزارات قد وضعوا أنفسهم بي يدي مسؤوليّة مباشرة في خدمة زوّار تلك الأماكن المقدّسة.

مذاكرة

- ما هي المساجد الكبرى؟ وما هو موقعها في سلسلة المساجد المقدّسة؟
- لأيّ المراقد والمزارات الصدارة في سلسلة المراقد والمشاهد المقدّسة؟
- ماذا نعني بكون الأماكن المقدّسة (المساجد والمراقد والمقامات) ليست مواقع سياحيّة أو مجرد مواقع تاريخيّة؟ وما الوجه في ذلك؟
- ما طبيعة الارتباط الوثيق بين (المساجد، المراقد الطاهرة، المزارات)؟
- ما هي الأولويّات التي ينبغي مراعاتها عند الأماكن المقدّسة؟
- ما هي الجهات المحدّدة لطبيعة العلاقة بين المزار والمزار؟
- ماذا تعني زيارة مرقد النبيّ صلّى الله عليه وآله عند سائر المسلمين؟
- لأيّ شيء صارت بعض مراقد غير المعصومين قريبة من رتبة مراقد المعصومين؟ وضّحه بشيء من التحليل.
- كيف تنعكس العلاقة بين المزار والمزار على الزائرين أنفسهم؟
- ماذا يعني رفع الصوت في المسجد النبوي؟
- ماذا نعني بكون المراقد والمزارات بوصلات وكتاباً مفتوحاً؟
- ما هي الأخلاقيّات الأولى والثانويّة للتواجد في الأماكن المقدّسة؟
- من أين تأتي حرمة الزائرين؟ وما الوجه في ذلك؟
- ما الذي ينبغي أن يكون للزائر الغريب؟ ومن خلال أيّ شيء؟
- ما الذي ينبغي أن يكون عليه أبناء المدن الدينيّة؟ ولماذا؟

الدرس الرابع

أخلاقيات العمرة

- أهداف الدرس
- تمهيد
- تاريخ العمرة
- هوية العمرة
- روايات في الحث على العمرة
- العمرة مقدّمة للحجّ
- أخلاقيات الإحرام للعمرة
- البُعد المعنوي للإحرام
- أخلاقيات الطواف للعمرة وصلاته
- أخلاقيات السعي للعمرة
- أخلاقيات التقصير
- خصوصيات العمرة المفردة
- تصوير باطنيّ للحجّ والعمرة
- آثار العمرة
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- بيان حقيقة العمرة وأجزائها وأقسامها، وأول عمرة في الإسلام
- بيان الحثّ الأكيد للقاصي والداني على قصد البيت الحرام
- بيان علاقة العمرة بالحجّ، ومعنى كونها حجّاً أصغر
- بيان مقدّمات الإحرام وأفضل وقت له، وبُعدّه المعنوي
- بيان أهمّ أخلاقيّات الطواف والسعي، ومعنى الكدح في السعي
- بيان بعض الخصوصيّات للعمرة المفردة
- بيان بعض الآثار العظيمة للعمرة والحجّ

تمهيد

العمرة والحجّ فضلاً عن كونهما فرضين عظيمين، فإنّ لهما آثاراً معنويّة كبيرة على حياة المسلم، بل إنّ لهما آثاراً كبيرة على حياة الإنسان بشكل عامّ، ولذلك نجد الحثّ الأكيد من قبل الشارع المقدّس عليهما، فهما من أعظم شعائر الله، وتعظيمهما من تقوى القلوب، وقد اعتنى الشارع المقدّس ببيان أدقّ التفاصيل فيهما؛ لتحقيق أكبر قدر ممكن من تلك الآثار الدنيويّة والمعنويّة، وقد ارتأينا في هذا الدرس بيان أهمّ تلك الآثار، ونعني بذلك أخلاقيّات العمرة حصراً، لأنّ العمرة للحجّ هي بمثابة الوضوء للصلاة، فلا صلاة بلا وضوء ولا حجّ بلا عمرة.

تاريخ العمرة

ذكر المفسّرون عدّة أسباب لنزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ (البقرة: ١٥٨) وهي كلّها ترتبط بأول عمرة أداها رسول الله صلّى الله عليه وآله بعد الهجرة

إلى المدينة، وهي عمرة القضاء، وكان ذلك قبل فتح مكة، حيث ذكروا أنّ قريشاً وضعوا أصناماً بين الصفا والمروة، وكانوا يتمسحون بها إذا سعوا، فلمّا كان من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله في عمرة القضاء في سنة سبع من الهجرة دخل مكة وقال لقريش: ارفعوا أصنامكم من بين الصفا والمروة حتى أسعى، فرفعوها فسعى رسول الله صلى الله عليه وآله بين الصفا والمروة وقد رفعت الأصنام، وبقي رجل من الصحابة لم يطف، وكانت قريش قد ردّت الأصنام إلى مواضعها، فجاء الرجل الذي لم يسع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: قد ردّت قريش الأصنام بين الصفا والمروة ولم أسع، فأنزل الله عزّ وجلّ الآية بجواز الطواف بهما والأصنام فيهما، وهو المرويّ عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام^(١)، وقد روي غير ذلك في تفصيل تعرّضنا له في بحوثنا التفسيرية^(٢).

(١) انظر: تفسير القمّي، مصدر سابق: ج ١، ص ٦٤؛ تفسير العيّاشي، مصدر سابق: ج ١، ص ٧٠؛ مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١، ص ٤٤٥.

(٢) من قبيل أنّ بعض المسلمين تخوّفوا أن يطوفوا بينهما؛ لطوافهم بهما في الجاهليّة، وكان على الصفا والمروة صنمان، فقالوا: وكيف نطوف بهما مع وجود صنمين، فما ذلك إلّا شرك؟ فنزلت الآية. (انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق: ج ٢، ص ٦٢، ح ١٩٣٦، ص ٦٣، ح ١٩٣٧). وقيل: إنّ رجالاً من الأنصار كانوا يهلّون لمناة في الجاهليّة، ومناة صنم بين مكة والمدينة، فلا يحلّ لهم أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فقالوا: يا نبيّ الله! إنّنا كنّا نطوف بين الصفا والمروة تعظيماً لمناة، فهل علينا من حرج أن نطوف بهما؟ فنزلت الآية. (انظر: مسند أحمد، مصدر سابق: ج ٦، ص ١٦٢؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ٤، ص ٦٩؛ أسباب نزول الآيات، لأبي الحسن عليّ بن أحمد الواحدي النيسابوري: ص ٢٨، مؤسّسة الحلبي وشركاه، ١٩٦٨م، القاهرة؛ الدرّ المشور، مصدر سابق: ج ١، ص ١٦٠). وقيل: إنّ بعض المسلمين كانوا يرون أنّ الصفا والمروة من بدع الجاهليّة، فنزلت الآية، وروي

هوية العمرة

تنقسم العمرة إلى عمرة تمتّع وعمرة مفردة، والأولى مقترنة بحجّ التمتع، بل هي جزء منه، لأنّ حجّ التمتع مركّب منها من أعمال الحجّ فيه، فيبطل الحجّ بطلانها أو بعدم الإتيان بها، ولا تكون عمرة التمتع إلّا واجبة، وإن وقعت في حجّ متسحب^(١)، وأمّا العمرة المفردة فإنّها يمكن أن تنفصل عن الحجّ، كما أنّها تكون واجبة ومستحبة، والواجب منها ما اقترن منها بحجّ الأفراد أو القران^(٢)، أو بنذر، أو بعهد، أو بحلف، أو بمن اقتصرت استطاعته (الماليّة أو البدنيّة) على العمرة دون الحجّ ولم يكن قد جاء بحجّة الإسلام فتلزمه، فهي فريضة^(٣)، كما تجب لكلّ من دخل مكّة؛ لعدم صحّة دخولها إلّا معتمراً،

غير ذلك. (انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١، ص ٤٤٥).

وقد ناقش ذلك السيّد الأستاذ (دام ظلّه) في تفسيره لسورة البقرة.

(١) كما هو الحال بالنسبة للصلاة المستحبة فإنّ جميع أركانها وواجباتها واجبة، فلا تصحّ الصلاة بلا نيّة أو بلا ركوع ولا سجود، وإن كانت الصلاة مستحبة.

(٢) سيأتي بيان هذه الأقسام في الدرس اللاحق.

(٣) قال الشيخ الطوسي: «باب العمرة المفردة: العمرة فريضة مثل الحجّ لا يجوز تركها. ومن تمتّع بالعمرة إلى الحجّ، سقط عنه فرضها. وإن لم يتمتّع، كان عليه أن يعتمر بعد انقضاء الحجّ إن أراد، بعد انقضاء أيام التشريق، وإن شاء أخرها إلى استقبال المحرم. ومن دخل مكّة بالعمرة المفردة في غير أشهر الحجّ، لم يجز له أن يتمتّع بها إلى الحجّ. فإن أراد التمتع كان عليه تجديد عمرة في أشهر الحجّ». (النهاية في مجرّد الفقه والفتاوى، للشيخ محمد بن الحسن بن عليّ الطوسي: ص ٢٨٠، دار الأندلس، بيروت، أوفست انتشارات قدس محمّدي، قم المقدّسة). والظاهر من وجوب العمرة على كلّ مستطيع لها هو من لم تكن وظيفته حجّ التمتع، أي: من كانت وظيفته حجّ الأفراد أو القران، وأمّا من كانت وظيفته حجّ التمتع ولم يأت به، وكان مستطيعاً للعمرة المفردة فإنّها لا تجب عليه، وليس عليه أن يستأجر لها عند العجز، وهذا هو المشهور. (منه دام ظلّه).

وقد فُسر قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٧)، بالحج والعمرة معاً، فعن عمر بن أذينة أنه كتب إلى الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام يسأله عن الآية، فكان الجواب: «يعني به: الحج والعمرة جميعاً؛ لأنهما مفروضان»^(١)، وفيما عدا ذلك فهي مستحبة، ويستحب الإكثار منها، كما يجوز الإتيان بها في كل شهر، بل يجوز الإتيان بها أكثر من مرة في الشهر الواحد، على تفصيل تعرضنا له في المناسك. وتتكون العمرة من (الإحرام وتلبيته)، والتلبية بمثابة تكبيرة الإحرام في الصلاة فلا يجوز تركها، ومن (الطواف بالكعبة سبعة أشواط وصلاته)، ومن (السعي سبعة أشواط بين الصفا والمروة)، ومن (التقصير)، ويضاف لها وجوباً طواف النساء إذا كانت العمرة مفردة.

ويستحب فيها أمور كثيرة، منها الغسل للإحرام، حتى للمرأة الحائض والنفساء، فإن تعذر الغسل تيمم، وسيأتي بيان بعض التفاصيل في ذلك.

الحج المطلق على قصد بيت الله

ورد حث أكيد على قصد البيت الحرام، وأدنى القصد لمن يبعد سكنه عن مكة هو أداء العمرة المفردة، ولمن يقطن في مكة أن يطوف بالبيت أو يحضر الجماعة فيه، وقد جاء في وصية أمير المؤمنين علي عليه السلام: «الله الله في بيت ربكم، لا تخلوه ما بقيتم؛ فإنه إن ترك لم تناظروا»^(٢)، قال الشيخ محمد عبده: «أي: لا ينظر إليكم بالكرامة لا من الله ولا من الناس؛ لإهمالكم فرض دينكم»^(٣) وقد يكون المراد هو لم تمهلوا بشمول البلاء لكم، وكأن البيت الحرام آمن وأمان

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٦٤، ح ١.

(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: ج ٣، ص ٧٦ رقم: (٤٧).

(٣) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: ج ٣، ص ٧٧، الهامش الثالث.

للمسلمين، وهو المشار له في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ (البقرة: ١٢٥)، وقد جاء في وصية الإمام علي عليه السلام، في خبر آخر أنه يعلل حثه على لزوم البيت الحرام بقوله: «فإن أدنى ما يرجع به من أمه (أي: قصده) أن يُغفر له ما سلف»^(١).

وعن أبي الجارود، عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام في بيان معنى قوله تعالى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الذاريات: ٥٠)؟ أنه قال: «حجوا إلى الله عز وجل»^(٢)، والفرار إلى الشيء قصده، والحج هو القصد، فيكون الحج هو السبيل الواضح إلى قصد الله تعالى، وقد ورد عن الإمام علي الرضا عليه السلام: «إن علة الحج الوفاة إلى الله تعالى، وطلب الزيادة، والخروج من كل ما اقتترف، وليكون تائباً ممّا مضى، مستأنفاً لما يستقبل»^(٣)، ولذلك لا يعدل الحج شيء، فعن عمر بن يزيد قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: حجة أفضل من عتق سبعين رقبة، فقلت: ما يعدل الحج شيء، قال: ما يعدله شيء، ولدرهم واحد في الحج أفضل من ألفي ألف درهم فيما سواه من سبيل الله»^(٤) حتى ورد أن من أدركه الموت وهو في طريقه إلى مكة كان آمناً من الفزع الأكبر، فعن محمد بن أبي عمير، عن ابن سنان، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «من مات في طريق مكة ذاهباً أو جائياً أمن من الفزع الأكبر

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٧، ص ٥١، ح ٦؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٤، ص ١٩٠، ح ٥٤٣٣.

(٢) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٥٦، ح ١١.

(٣) علل الشرائع، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤٠٤، ح ٥؛ مسند الإمام الرضا عليه السلام، تحقيق: الشيخ عزيز الله عطاردى الخبوشاني: ج ٢، ص ٢١٦، ح ٩، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، طبع: العتبة الرضوية المقدسة، مشهد - إيران، ١٤٠٦ هـ.

(٤) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٦٠، ح ٣١.

يوم القيامة»^(١).

وقد بلغ الحثّ للحجّ والعمرة أن جُعلا طريقاً لسلامة الأبدان والسعة في الأرزاق؛ فعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «قال عليّ بن الحسين عليهما السلام: حجّوا واعتمروا تصحّ أبدانكم وتتسع أرزاقكم وتكفون مؤونات عيالكم، وقال: الحاجّ مغفور له، وموجب له الجنة، ومستأنف له العمل، ومحفوظ في أهله وماله»^(٢).

وكفى بالعمرة أن تكون كفارة لكلّ ذنب؛ فعن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: الحجة ثوابها الجنة، والعمرة كفارة لكلّ ذنب»^(٣) مضافاً إلى الروايات الحاثّة على قصد البيت الحرام.

روايات خاصة في الحثّ على العمرة

عن معاوية بن عمّار عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «العمرة واجبة على الخلق بمنزلة الحجّ من استطاع؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٦)، وإنّما نزلت العمرة بالمدينة، وأفضل العمرة عمرة رجب»^(٤) وفي خبر أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم رأى قوماً قد حلّقوا رؤوسهم، فقال لعمر: «سلهم ما أنهزهم؟ قالوا: العمرة، قال: فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ولّى القوم ولم يتبعهم من خطاياهم شيء»^(٥).

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٦٣، ح ٤٥.

(٢) المصدر نفسه: ج ٤، ص ٢٥٢، ح ١.

(٣) المصدر نفسه: ج ٤، ص ٢٥٣، ح ٤.

(٤) علل الشرائع، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤٠٨، ح ١، باب (العلّة التي من أجلها صارت العمرة على الناس واجبة بمنزلة الحجّ).

(٥) مصنّف الصنعاني، مصدر سابق: ج ٥، ص ١٠، ح ٨٨١٥.

وأخيراً فإنَّ العمرة قد اصطُغت بعنوان الحجِّ، حيث سُمِّيت بالحجِّ الأصغر، فعن عمر بن أذينة أنَّه كتب إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام يسأله عن قوله تعالى: ﴿الحجَّ الأكبر﴾ (التوبة: ٣)؟ فقال عليه السلام: «الحجَّ الأكبر: الوقوف بعرفة ورمي الجمار، والحجَّ الأصغر: العمرة»^(١).

قال الشيخ المفيد في باب ماهية العمرة في الإسلام: «والعمرة هي الحجُّ الأصغر، وحقيقتها في اللغة حقيقة الحجِّ»^(٢)، ومنه يُفهم معنى قول رسول الله صلَّى الله عليه وآله وهو يشبك أصابعه بعضها ببعض: «دخلت العمرة في الحجِّ إلى يوم القيامة»^(٣)، وهو المرويُّ عن الإمام الصادق عليه السلام^(٤). وعن رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما»^(٥)، وهو المرويُّ عن الإمام عليِّ الرضا عليه السلام^(٦).

-
- (١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٦٤، ح ١.
- (٢) الأشراف، للشيخ المفيد محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت: ٤١٣ هـ): ص ٤٣، تحقيق: الشيخ مهدي نجف، دار المفيد، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م.
- (٣) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٤٦، ح ٤؛ مصنَّف الصنعاني، مصدر سابق: ج ٧، ص ٥٠٤، ح ١٤٠٤١؛ مسند الحميدي، للإمام الحافظ عبد الله بن الزبير الحميدي (ت: ٢١٩ هـ): ج ٢، ص ٥٤١، تحقيق وتعليق: الأستاذ المحدث المحقق الشيخ حبيب الرحمن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
- (٤) انظر: الاستبصار، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٥٠، ح ١؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٥، ص ٢٥، ح ٤؛ ج ٥، ص ٤٥٥، ح ٢٣٤.
- (٥) صحيح البخاري: ج ٢، ص ١٩٨؛ صحيح مسلم: ج ٤، ص ١٠٧؛ سنن ابن ماجه: ج ٢، ص ٩٦٤، ح ٢٨٨٨؛ سنن الترمذي: ج ٢، ص ٢٠٦، ح ٩٣٧؛ سنن النسائي: ج ٢، ص ٣٢٢، ح ٣٦٠٨، (فضل العمرة). كلّها مصادر سابقة.
- (٦) انظر: من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٢٠، ح ٢٢٢٩.

العمرة مقدمة للحج

إنَّ العمرة للحجَّ هي بمثابة الوضوء للصلاة، فلا صلاة بلا وضوء ولا حجَّ بلا عمرة، لا بمعنى لزوم تقديم العمرة على الحجَّ كما في حجَّ التمتع^(١)، وإنما بمعنى قوَّة الارتباط بين عمليْن منفصلين، وإلا ففي حجَّ الأفراد تتأخَّر العمرة على الحجَّ نفسه، ولقوَّة الارتباط هذه بُعد تعليميٍّ، وبُعد معنويٍّ، فضلاً عن البُعد التشريعي من حيث توقّف الحجَّ عليها، لتتمَّ بهما حجة الإسلام، فإنَّ حجة الإسلام مركّبة من أعمال العمرة وأعمال الحجَّ، وأمّا البُعد التعليمي فإنَّ جميع أعمال العمرة سوف تُكرَّر بعينها في أعمال الحجَّ، من إحرام وطواف وسعي وتقصير^(٢)، وإنَّما يكمن الاختلاف في النية، حيث تتحوَّل النية من العمرة إلى الحجَّ، ويفترق الحجَّ عن العمرة بالموقفين وأعمال منى (الرمي والهدي والحلق والمبيت)، فتكون العمرة فرصة تعليميّة لأجزاء مهمّة من أعمال الحجَّ، ولذلك نجد الحاجَّ في العادة يتهيَّب من الأعمال المشتركة في العمرة ولا يتهيَّبها في الحجَّ؛ لأنَّه في العمرة يخوض تجربتها لأوّل مرّة، بخلاف

(١) يجب الإتيان بعمرة التمتع ضمن حجَّ التمتع، فتكون سابقة عليه، لأنَّ حجَّ التمتع عبادة مركّبة من العمرة والحجَّ ولا يجوز أداء أحدهما من دون الآخر، ولا يجوز تأخّر العمرة فيه على الحجَّ نفسه. انظر: مناسك الحجَّ، للمرجع الديني السيّد كمال الحيدري: ص ٦٧، الفصل الخامس، مؤسّسة الإمام الجواد للفكر والثقافة، العراق - الكاظميّة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.

(٢) يُستثنى من ذلك حجَّ الصرورة، حيث يُخيَّر بين الحلق والتقصير، والأحوط استحباباً له الحلق. (منه دام ظلّه). وحجَّ الصرورة: هو حجة الإسلام الواجبة على كلّ مكلف مستطيع مرّة واحدة في العمر، فمن حجَّ عن نفسه ولم يكن حجَّ من قبل، فحجّه صرورة، وقيل: بأنَّ سبب التسمية بالصرورة هو: أنَّ الحجاج كانوا يصرون النفقة والطعام في صرر، لحفظها من التلف، أو خشية من سرقته حيث كان يعترضهم قطع الطرق.

ما عليه الحال في الحج، وهذا واضح.

وأما بالنسبة للبعد المعنوي، فإن الحاج يتزوّد من عمرته المباركة برصيد معنوي بالغ، لاسيّما وأنّه يعيش تلك الهيبة العجيبة وهو يعاين الكعبة الشريفة ويطوف حولها لأول مرّة، فتدمع عينه، ويخشع قلبه، وترقّ روحه، ويستشعر القرب من الله تعالى، لينطلق بعد الحلّ إلى أعمال الحج وهو مفعم بتلك المشاعر الجياشة، وبذلك تكون العمرة زاداً معنوياً لا غنى للحاج عنه، ومن فاته التزوّد من العمرة للحجّ فإنّه يكون قد خسر حلّة عظيمة، وهذا ما يجعلنا نوّكد على أهميّة العمرة بكلّ أجزائها وتفصيلها، الواجبة منها والمستحبّة، ولا ينبغي التفريط بأيّ خصوصيّة فيها، لاسيّما فيما يتعلّق بالتقوى، فإنّ الإحرام - كما سيأتي - قنطرة المنع عن مباحات لفترة أداء العمرة، والهدف تحصيل التقوى لأنّها الزاد الحقيقي، قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ... وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ (البقرة: ١٩٦)، وقال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٩٧)، فيكون الزاد الحقيقي من أعمال العمرة والحجّ هو التقوى، والحجّ عهد وميثاق^(١)، وقد قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ

(١) عن بكير بن أعين قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام: لأيّ علّة وضع الله الحجر في الركن الذي هو فيه، ولم يوضع في غيره؟ ولأيّ علّة تقبل...؟ ولأيّ علّة وضع ميثاق العباد والعهد فيه، ولم يوضع في غيره؟... تخبرني جعلني الله فداك فإن تفكّري فيه لعجب، قال: فقال: سألت وأعضلت في المسألة، واستقصيت فافهم الجواب، وفرّغ قلبك، وأصغ سمعك، أخبرك إن شاء الله، إنّ الله تبارك وتعالى وضع الحجر الأسود وهي جوهرة أخرجت من الجنة إلى آدم عليه السلام فوضعت في ذلك الركن لعلّة الميثاق... فيأتوه في كلّ سنة ويؤدّوا إليه ذلك العهد والأمانة اللذين أخذوا عليهم، ألا ترى أنّك تقول: أمانتي أدّيتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة». الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ١٨٤،

أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ (آل عمران: ٧٦).

أخلاقيات الإحرام للعمرة

إنَّ أخلاقيات العمرة بشكل عام هي تعبير آخر عن مراعاة جميع الواجبات والمستحبات والمندوبات فيها، فلا يقع من المعتمر نوع من الاستهانة أو التهاون أو الازدراء أو التذمر أو التشكيك في هذا المركب العبادي أو بأحد أجزائه، بل عليه تعظيم كل جزء منها والسعي الحثيث على أدائه على أكمل وجه؛ فإنَّ ذلك هو المصداق الأبرز لتعظيم شعائر الله، والمصداق الأبرز

ح ٣. قال السيّد الأستاذ دام ظلّه: «والسلام على الحجر الأسعد وتقبيله لرمزية فيه إلى يد الله تعالى ويمينه؛ والله تعالى كلتا يديه يمين، كما جاء في الخبر؛ فالحاج بقدر ما يُقدّم رسوم الوفاء بالميثاق فإنّه يُشار له بقبول عهده ووفائه من خلال استلامه للحجر وتقبيله؛ فمن لم يتمكّن من استلامه وتقبيله فعليه أن يُشير له بيده اليمنى مسلماً على الحجر بذلك الورد الذي ذكرناه آنفاً». (روحانيّة العبادات.. روس في الأخلاق التعليميّة والواقعيّة، مصدر سابق: ص ١٦٩). وأمّا الذكر - المشار له - فقد تقدّم في هذا الهامش نفسه.

والخبر مروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنّه قال: «المتحابون في الله يوم القيامة على أرض زبرجد خضراء في ظلّ عرشه عن يمينه، وكلتا يديه يمين...». المحاسن، مصدر سابق: ج ١، ص ٣٣٧ ٢٦٤؛ أصول الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٢٦، ح ٧. وقريب منه في: مصنّف ابن أبي شيبة، مصدر سابق: ج ٨، ص ٨١، ح ٨٢؛ مسند أحمد، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٦٠؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ٦، ص ٧؛ ومصادر أخرى. وللتنبية إلى عدم قصد الجسائيّة والتشبيه يقول ابن الأثير: «(وكلتا يديه يمين)، أي: إنّ يديه تبارك وتعالى بصفة الكمال، لا نقص في واحدة منهما؛ لأنّ الشال تنقص عن اليمين، وكلّ ما جاء في القرآن والحديث من إضافة اليد والأيدي واليمين وغير ذلك من أسماء الجوارح إلى الله تعالى فإنّها هو على سبيل المجاز والاستعارة، والله منزّه عن التشبيه والتجسيم». النهاية في غريب الحديث، مصدر سابق: ج ٥، ص ٣٠١.

لَتَقْوَى الْقُلُوبُ، وقد قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢).

وقد ارتأينا التركيز على المستحبات في العمرة نظراً لوضوح الواجبات فيها، ومن تلك المستحبات الداخلة في أخلاقيتها الاهتمام بالغسل، وهو غسل الإحرام، والذي ينبغي أن يكون مسبقاً بتنظيف الجسد من القاذورات، وإزالة شعر الإبطين والعانة، وأن يدعو بدعاء خاص عند الغسل، وهو الدعاء المروي عن المعصومين عليهم السلام: «بسم الله وبالله، اللهم اجعله نوراً وظهوراً، وحرزاً وأمناً من كل خوف، وشفاءً من كل داءٍ وسقم. اللهم طهرني وطهر قلبي وشرح لي صدري، وأجر لي لساني محبتك، ومدحتك والثناء عليك فإنه لا قوة لي إلا بك، وقد علمت أن قوام ديني التسليم لك - لأمرك - والاتباع لسنة نبيك صلواتك عليه وآله»^(١)، وهذا الغسل من السنة الشريفة.

ويستحب له الدعاء - حينما يلبس ثوبي الإحرام - بهذا الدعاء: «الحمد لله الذي رزقني ما أوارى به عورتي وأودى منه فريضي وأعبد فيه ربي، وأنتهي منه إلى ما أمرني. الحمد لله الذي قصده فبلغني، وأردته فأعاني، وقبلني ولم يقطع بي، ووجهه أردت فسلمني، فهو حصني وكهفي، ووزري وظهري، وملادي ولجئي ورجائي ومنجائي وذخري وعدتي في شدي ورخائي»^(٢).

ويستحب له أن يدعو عند إرادته عقد نية الإحرام، وذلك بعد الصلاة، حيث يقول بعد الحمد والثناء على الله تعالى بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك أن تجعلني ممن استجاب لك وأمن بوعدك واتبع أمرك، فإني عبدك وفي قبضتك، لا

(١) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥٢٧، باب: (سياق مناسك الحج)؛ وقريب منه في: كامل الزيارات، مصدر سابق: ص ٣٩٣، ح ٢٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥٢٧، باب: (سياق مناسك الحج).

أوقى إلا ما وقيت، ولا آخذ إلا ما أعطيت، وقد ذكرت الحج فأسألك أن تعزم لي عليه على كتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وآله، وتقويني على ما ضعفت عنه، وتسلم مني مناسكي في يسر منك وعافية، واجعلي من وفدك الذين رضيت وارتضيت وسميت وكتبت. اللهم إني خرجت من شقة بعيدة، وأنفقت مالي ابتغاء مرضاتك. اللهم فتم لي حجتي وعمري. اللهم إني أريد التمتع بالعمرة إلى الحج على كتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وآله، فإن عرض لي عارض يجبسنني، فحلني حيث حبستني، لقدرك الذي قدرت علي. اللهم إن لم تكن حجة فعمرة، أحرم لك شعري وبشري ولحي ودمي وعظامي ومعي وعصي من النساء والثياب والطيب، أبتغي بذلك وجهك والدار الآخرة»^(١)، ثم ينوي نية الإحرام ويُلبي.

ومن أخلاقيات الإحرام أن ينتقي إحراماً جديداً ونظيفاً، حيث يكره الإحرام بثوب وسخ، فإن أحرم وكان إحرامه متسخاً فإنه يكره له أن يغسل إحرامه إلا بعد الحل^(٢)، وأما بالنسبة لطهارة الإحرام فلازمة؛ حيث لا يصح الإحرام بالثوب النجس أو المتنجس، فإن تنجس الإحرام بعد عقد النية فله أن يُبدله بإحرام آخر، وهو الأفضل، أو يطهره، ويستحب له أن يكون إحرامه مصنوعاً من القطن، وأن يكون أبيض اللون، حيث يكره الإحرام بالثوب

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٣٣١؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق:

ج ٢، ص ٣١٨، ح ٢٥٥٨؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٥، ص ٧٧، ح ٦١.

(٢) عن محمد بن مسلم عن أحدهما (الإمام الصادق أو الإمام الباقر) عليهما السلام أنه سُئل

عن الرجل يحرم في الثوب الوسخ فقال: «لا، ولا أقول إنه حرام، ولكن أحب ذلك إلي أن

يطهر، وطهره غسله، ولا يغسل الرجل ثوبه الذي يحرم فيه حتى يحل وإن توسخ، إلا أن

تصيبه جنابة أو شيء فيغسله». من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٣٣٥،

ح ٢٥٩٩؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٥، ص ٦٨، ح ٣٠؛ ج ٥، ص ٧١، ح ٤٢.

وهو محمول على الكراهة لا الحرمة. (منه دام ظلّه).

الأسود أو بالأثواب المصبوغة^(١)، ويستحبّ له أن يُوقع الإحرام بُعيد صلاة الظهر^(٢)، أو بُعيد صلاة واجبة وإن كانت قضاء، أو بعد صلاة ستّ ركعات مستحبة، وأدنى ذلك أن يكون بعد صلاة ركعتين مستحبّتين^(٣)، فإن فعل ذلك عقد نيّة الإحرام ولبّي، والتلبية الواجبة هي المروية عن رسول صلّى الله عليه وآله: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ»^(٤).

جدير بالذكر أنّه يستحبّ للمعتمر أن يتلفظ بالنيّة في غسل الإحرام وفي

(١) بل يُفضّل له عدم النوم على الفراش الأسود، ولا على الوسادة السوداء، ولا على الثياب السود أيضاً؛ حفظاً على روحانيّة الإحرام، وقد ورد عن الحسين بن المختار قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيجرم الرجل في الثوب الأسود؟ قال: لا يجرم في الثوب الأسود، ولا يكفّن فيه الميت». من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٣٣٦، ح ٢٦٠٢.

(٢) عن محمد بن أبي عمير، عن حماد بن عثمان، عن الحلبي، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «سألته أليلاً أحرم رسول الله صلّى الله عليه وآله أم نهاراً؟ فقال: نهاراً، قلت: أيّ ساعة؟ قال: صلاة الظهر»، ولكنّه محمول على الاستحباب كما هو واضح من ذيل الرواية، قال: «فسألته متى ترى أن نحرم؟ فقال: سواء عليكم؛ إنّما أحرم رسول الله صلّى الله عليه وآله صلاة الظهر لأنّ الماء كان قليلاً كأن يكون في رؤوس الجبال فيهجر الرجل إلى مثل ذلك من الغد ولا يكاد يقدر على الماء، وإنّما أحدثت هذه المياه حديثاً». الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٣٣٢، ح ٤. (منه دام ظلّه).

(٣) كما جاء في صحيحة معاوية بن عمار، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «إذا أردت الإحرام في غير وقت صلاة الفريضة فصلّ ركعتين ثمّ أحرم في دبرها». الاستبصار، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٦٦، ح ٢؛ ج ٢، ص ١٦٧، ح ٤؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٥، ص ٧٨، ح ٦٦؛ وسائل الشيعة، مصدر سابق: ج ٩، ص ٢٦، ح ٥.

(٤) فروع الكافي: ج ٤، ص ٢٤٩، ح ٧؛ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٣١٧؛ الاستبصار: ج ٢، ص ١٦٩، ح ١؛ تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٨٤، ح ٨٥ (مصادر سابقة).

الإحرام نفسه، بل يستحب التلفظ بالنية في جميع أعمال العمرة والحج.

البعد المعنوي للإحرام

كنّا قد نبّهنا إلى أنّ الإحرام إنّما سُمّي بذلك لأنّه به يُحرّم بعض ممّا كان محللاً للمحرّم قبل إحرامه، من قبيل الزينة والطيب والنكاح، وغير ذلك ممّا تعرّضنا له في المناسك، وأمّا البعد المعنوي للإحرام فيمكن في أمور، منها:

أولاً: كفّ التوجّه القلبي لزينة الحياة الدنيا، في حلالها فضلاً عن حرامها، وقصر النظر والتوجّه لله والدار الآخرة، فيكون الله تعالى مقصده، وتكون الآخرة بغيته؛ قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ (القصص: ٧٧).

ثانياً: التهيؤ العملي لوطء ساحة التوحيد الأفعالي، حيث لا يكفي في الحجّ التوحيد الذاتي والصفاتي، وإنّما لابدّ من بذل أقصى ما يستطيع لبلوغ التوحيد الأفعالي، فلا يرى مؤثراً في الوجود - بنحو الاستقلال - إلا الله تعالى، وكلّ مؤثّر آخر راجع إليه سبحانه، فيقطع الارتباط والوصل بالغير الفقير، ويتوجّه للغنيّ الحميد، فإنّه سبحانه: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الحج: ٦٤)، ومن نال حظاً من التوحيد الأفعالي بلغ الهدف الواقعي من وراء العمرة والحجّ.

ثالثاً: إنّ الاكتفاء بثوي الإحرام يبعث رسالة عمليّة للمعتمر والحاجّ بأنّ الحياة الدنيا لا تقتضي أكثر من ذلك، فلا يشغل نفسه بمتاعها، فإنّها مهما بلغ متاعها وطابت ملذّاتها، ومهما تنوّعت زينتها وتعاضمت إغراءاتها، فإنّها تبقى لهواً ولعباً، بخلاف الدار الآخرة؛ قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٤).

رابعاً: إنّ خياطة الثياب تشير إلى العناية والدقة والاهتمام، والأخذ بعين الاعتبار ذوق الباعة، وهذا ما سيتحرّر منه الحاجّ في إحرامه، فهما ثوبان غير

مخيطين، لا يحتاجان إلى جهد وعناية ورعاية، ولا إلى ذوق غير ذوق الطهر، وعليه فلا يُبالغ الإنسان في اقتناء ملابسه الأخرى، وإنَّما يقتصر على الحدّ المعقول منه؛ فإنَّ الجمال يُحقِّقه ثوبا الإحرام على بساطتهما.

خامساً: إنَّ بياض ثوبي الإحرام يشير إلى ثلاثة أمور:

الأوّل: الطهارة والنقاء، والأمل بالسعي إلى جعل القلب كذلك، فالبياض يحكي أُمّية المحرم بتطهير قلبه، وكأنَّه يريد القول: إلهي طهّر بدني وابيضّ ثوبي، فمكّني من تطهير قلبي وباطني.

الثاني: بداية الشروع الواضحة، فيكون شروعه في أعماله بعد الإحرام بنية تطهير القلب والباطن، حتّى يبلغ منسك الحلق، حيث يكون قد نزع عنه آخر مواضع زينته الدنيويّة، وعندئذ يتسنّى له نزع ثوبه الأبيض بعد أن طهّر باطنه وابيضّ قلبه، وهذه هي التقوى. وبعبارة أخرى: إنَّ إحلال الإحرام الواقعي إنّما يكون بتبديل لباس الإحرام الظاهر والناصح البيضاء بلباس التقوى القلبية، ومنه تفهم قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ٣٦).

الثالث: الإشارة إلى أنّ هنالك ثوبين أبيضين أيضاً سيخرج بهما من الدنيا، وهو لا يملك من أمره شيئاً، بخلاف ما عليه الحال وهو في إحرامه، فينبغي له استحضار قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ (المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠)، ولكنّ الجواب واضح وصريح ولا رجعة فيه: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٠).

سادساً: كما أنّ الموت مانع تكوينيّ للإنسان من أن يُلحق الأذى بالخلائق فكذلك ينبغي التعاطي مع الإحرام، فإنَّه مانع تشريعيّ عن إلحاق الأذى بالخلائق، بالكلمة والفعل، بل حتّى بالإشارة المسيئة، وقد جاء في الخبر عن

رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ألا أنبئكم بالمؤمن؟ من أثمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم، ألا أنبئكم بالمسلم؟ من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السيئات وترك ما حرم الله»^(١).

تنبيه: يجب أن يكون الإحرام من أحد المواقيت المعلومة، أو ممّا يحاذيها، وهذا ما يجب وقوعه بالنسبة لعمرة التمتع والعمرة المفردة لمن كان خارج مكة، وأمّا بالنسبة لإحرام الحج فإنه وإن كان يجوز من أي مكان في مكة إلا أن الأحوط الأولى أن يكون من مكة القديمة، بل الأحوط استحباباً أن يكون من داخل المسجد الحرام، والأفضل أن يكون من تحت الميزاب أو من مقام إبراهيم، وأمّا بالنسبة للعمرة المفردة لمن كان داخل مكة - سواء كان ممن يقطنها أو ممن قصد لها للحج - فعليه الإحرام لها من أدنى الحل، كمسجد التنعيم، وهو مسجد يبعد قرابة (٧) كيلومترات عن المسجد الحرام.

أخلاقيات الطواف للعمرة وصلاته

إن من أهم أخلاقيات الطواف:

- التهيؤ التام له، من حيث الكينونة على الوضوء، وطهارة البدن وثوبي الإحرام؛ فإن أي خلل في ذلك سيكون مبطلاً للطواف.
- وأن تستحضر نيّتك لفظاً وقلباً قبل الوصول إلى الحجر الأسود، فتعقد النيّة وتمضي في طوافك، فإن شرعت في الطواف فعليك أن لا تشتغل بغير ذكر الله تعالى، وأفضل الذكر هو التسيّحات الأربع، وهي: (سبحان الله والحمد

(١) أصول الكافي: ج ٢، ص ٢٣٥، ح ١٩؛ من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣٦٢. وقريب منه في: مسند أحمد: ج ٢، ص ٢٢٤؛ صحيح البخاري: ج ١، ص ٨؛ سنن ابن ماجه: ج ٢، ص ١٢٩٨، ح ٣٩٣٤؛ سنن أبي داود: ج ١، ص ٥٥٦، ح ٢٤٨١، (مصادر سابقة).

لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ).

- وأن تحرص على عدم الالتفات برأسك أو الاشتغال بالطائفين، بل عليك بغضّ البصر ما استطعت لذلك سبيلاً.
- وأن لا تدعو بشيء يتعلّق بالدنيا وزخرفها.
- وأن لا تُقحم في أدعيتك ما يوهن التوحيد في قلبك، كالاستعانة بالأغيار والاستغاثة بهم، فلا تطلب شيئاً قطّ إلّا منه سبحانه، وقد أدبنا القرآن الكريم على ذلك في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥).
- وأن يكون همّك وشاغلُك هو الله تعالى، حيث التفكّر في قدرته، والتأمّل في رحمته، والتدبّر في صنيع خلقه.
- ومن أخلاقيّات الطواف أيضاً أن لا تراحم الطائفين.
- وأن لا يكون أكبر همّك الانتهاء من الطواف، فلا تعجل به، وعليك بالخطوات القصيرة من غير إبطاء، ولزوم السكينة والوقار، فإنّك لا تعلم حول من تطوف.
- وأن لا يصدر منك كلام غير الذكر والدعاء وإن كان كلاماً مباحاً، فإنّ الطواف صلاة^(١).

(١) روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّما الطواف صلاة، فإذا طفتُم فأقولوا الكلام». مصنّف الصنعاني، مصدر سابق: ج ٥، ص ٤٩٥، ح ٩٧٨٨، ح ٩٧٨٩؛ مسند أحمد، مصدر سابق: ج ٣، ص ٤١٤؛ سنن النسائي الكبير، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤٠٦، ح ٣٩٤٥؛ المعجم الكبير، مصدر سابق: ج ١١، ص ٣٤.

جدير بالذكر أنّ هذا الخبر لم يرد في روايات مدرسة أهل البيت، وإنّما ورد عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام أنّه سُئل: «أينسك المناسك وهو على غير وضوء؟ فقال: نعم، إلّا الطواف بالبيت؛ فإنّ فيه صلاة». الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٤٢٠، ح ٢؛

وإن أردت الدعاء في الطواف فعليك بهذا الدعاء المأثور والمروى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي يَمْشِي بِهِ عَلَى طَللِ الْمَاءِ كَمَا يَمْشِي بِهِ عَلَى جَدَدِ الْأَرْضِ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي يَهْتَزُّ لَهُ عَرْشُكَ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي تَهْتَزُّ لَهُ أَقْدَامُ مَلَائِكَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي دَعَاكَ بِهِ مُوسَى مِنْ جَانِبِ الطُّورِ فَاسْتَجَبْتَ لَهُ وَأَلْقَيْتَ عَلَيْهِ مَحَبَّةَ مِنْكَ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي غَفَرْتَ بِهِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَأَتَمَمْتَ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، أَنْ تَفْعَلَ بِي كَذَا وَكَذَا - مَا أَحْبَبْتَ مِنَ الدُّعَاءِ ١»، وكلما انتهيت إلى باب الكعبة فصلَّ على النبي صَلَّى الله عليه وآله، واتلَّ فيما بين الركن اليماني والحجر الأسود قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: ٢٠١)، وإن شئت قلت: «اللَّهُمَّ إِنِّي إِلَيْكَ فَقِيرٌ، وَإِنِّي خَائِفٌ مُسْتَجِيرٌ، فَلَا تَغَيِّرْ جِسْمِي، وَلَا تَبَدِّلْ اسْمِي»^(٢).

فإن انتهيت من طوافك فلا تخرج مسرعاً غير مُبَالٍ بالطائفين من حولك، فإنَّ إلحاق الأذى بهم ذنب، كما أنَّ قطع توجَّههم وإلزامهم بالتوقُّف عن طوافهم من أجلك لا يخلو من الذنب، ولذلك عليك بالمضي مع الطائفين مع التمايل إلى اليمين شيئاً فشيئاً حتَّى تخرج من الطواف وتعود إلى أقرب مكان

الاستبصار، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٢٢، ح ٢؛ ج ٢، ص ٢٤١، ح ٢؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٥، ص ١١٦، ح ٥١. والحديث ظاهر في التعليل في كون الوضوء للصلاة لا للطواف، ولكن هذه الصلاة هي جزء من الطواف الواجب، فصارت الطهارة شرطاً فيه، وهو ما ينم عنه قوله عليه السلام: «فإنَّ فيه صلاة»، أي: جزء منه، حيث لم يقل: (فإنَّ معه صلاة)، وإلَّا انحصر لزوم الطهارة بالصلاة.

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٤٠٦، ح ١.

(٢) المصدر نفسه.

من مقام إبراهيم لأجل الصلاة ركعتين، وهما صلاة الطواف، وهنا عليك بالاطمئنان، فلا تصلّ في مكان تضطّرّ فيه للاستعجال، أو تعاني فيه من الضغط الجسدي من قبل المارّة من الحجاج والمصلين، ولا تقرأ من السور القصار إلّا ما تتقنه وما تستحضره جيّداً، واحرص بقدر ما تستطيع أن تكون صلاتك خلف مقام إبراهيم، الأقرب فالأقرب، ولا يُشترط الخطّ المستقيم، حيث تصحّ المحاذاة التي تحفظ وقوع المقام بينك وبين الكعبة المشرفة، فإن انتهيت من صلاتك فاسجد لله تعالى شكراً على إكمال هذا المنسك، ثم امض إلى ماء زمزم، فاشرب منه وارم بشيء منه على رأسك ووجهك وظهرك وصدرك وبطنك، وقد ورد عن الحلبي، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «إذا فرغ الرجل من طوافه وصلّى ركعتين فليأت زمزم، وليستقي منه ذنوباً أو ذنوبين، وليشرب منه، وليصبّ على رأسه وظهره وبطنه، ويقول: اللَّهُمَّ اجعله علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاء من كلّ داءٍ وسقم»^(١)، ويكفي منه القليل، ولك أن تأخذ منه بلا إسراف، وأن لا تغسل منه في طريق مرور الحجاج فذلك يؤذيهم.

أخلاقيات السعي للعمرة

وقبل الذهاب إلى الصفا يستحبّ لك الاقتراب من الحجر الأسود والسلام عليه ولو بإشارة إليه، ثمّ المضيّ إلى ماء زمزم - كما تقدّم - ثمّ المضيّ إلى الصفا، فإذا بلغت الصفا فاستقبل الكعبة المشرفة وكبّر، وأطل الوقوف عند

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٤٣٠، ح ٢. و: (الذنوب) في الأصل: الدلو العظيم، ولا يقال لها ذنوب إلّا وفيها ماء، وكانوا يستقون فيها لكل واحد ذنوب. انظر: مجمع البحرين، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٠٥، باب (ذنوب).

الصفاء، ثم انطلق إلى أول السعي من الصفا باتجاه المروة بوقار وسكينة، واسلك الطريق المخصص لذلك، فإن حفظ النظام من أخلاقيات العمرة والحج، ولا ينبغي لك أن تزاحم المعلولين - أصحاب العربات - في طريقهم الضيق، ولا تزاحم الحجيج بسعيك، ولا يحتك الرجل بالمرأة ولا المرأة بالرجل، فإن كنت مضطراً لذلك حال سعيك فعليك بالتوقف قليلاً حين التخلص من مورد الاحتكاك، وعليك بالذكر ما استطعت، ولا بأس بأن تطلب ما يخصك من أمور دنياك ما كان منها مباحاً، وإياك أن تدعو على أحد وإن كان خصماً لك؛ فإنك في مواضع الرحمة لا النعمة، وخير ما تدعو به هو قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: ٢٠١)، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٠)، ويستحب لك في السعي المبادرة له بعد انقضاء صلاة الطواف فلا تتأخر عنه، والكينونة على الطهارة من الحدثين، ويستحب للمرأة المحدثة الوضوء أيضاً، واجتهد في الدعاء، وخير الدعاء في السعي ما روي عن محمد بن عمر بن يزيد، عن بعض أصحابه قال: «كنت وراء أبي الحسن موسى عليه السلام على الصفا أو على المروة، وهو لا يزيد على حرفين: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حَسَنَ الظَّنِّ بِكَ فِي كُلِّ حَالٍ، وصدق النية في التوكل عليك»^(١).

ولا ينبغي له أن ينسى الهرولة في المسافة المحدودة بين الضوئين الأخضرين، وقبل بلوغ المروة بقليل - أي: عند موضع الارتفاع منها - يقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٥٨)، ويقرأها أيضاً وهو

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٤٣٣، ح ٩.

متّجه إلى الصفا، في الربع الأخير من المسافة، عند موضع الارتفاع منها. والسعي مُشير إلى تحصيل الحياة الكريمة، والحياة الكريمة هي الحياة الطيبة، والحياة الطيبة هي حياة الطاعة والقرب من الله تعالى، أو قل: هي الحياة غير الملوثة بالمعاصي، وكأنّك في سعيك تكدح إلى ربّك، ولكنّه كدح العبوديّة والطاعة، وكأنّك تريد بسعيك تغطية خطواتك السابقة في الحياة الدنيا بخطوات الطاعة والقرب، فهو كفّارة عن تلك الخطوات المشوبة بالأخطاء، ولسان حالك: ﴿وَأَخْرُونا عَترَفاً بِذُنُوبِهِم خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٠٢)، فاجتهد أن تكون ممّن تاب الله عليهم، فإن انتهى بك المسير الأخير عند المروة فاشكر الله تعالى على إتمام هذا المنسك، ثم امض إلى التقصير.

أخلاقيات التقصير

من أخلاقيات التقصير: الشعور بالتقصير ممّا بدر منك سلفاً، فلا تغترّ بدنياك، بل لا تغترّ بعباداتك، والتقصير هو أخذ شيء من ناصية الرأس أو من أطرافه. واحرص على ترك أثر للتقصير في شعر رأسك، فلا تبخلنّ بذلك، فإنّك بأخذك للقليل من شعر رأسك تمهّد للحلق الذي ينتظرك بعد الهدى في الحجّ، وحيث إنّك بالتقصير ستستقطع شيئاً من زينتك، فإنّ عليك إظهار الخضوع والتواضع لله تعالى، وهو رمزٌ للتجرّد عن زينة الحياة الدنيا، ومثل التسليم في العمرة مثل التسليم في الصلاة، فهو خاتمة النسك، وخاتمة النسك ينبغي أن يكون فيه مسك الختام، ومسك الختام إنّما يكون بالتواضع لله تعالى. وهنا ينبغي التنبيه إلى الانحصار بالتقصير، فلا يصحّ في عمرة التمتع الحلق، بل لو حلق فإنّه يكون قد ارتكب محرّماً وعليه كفّارة، كما لا يجوز له الحلق بعد التقصير أيضاً، وإنّما يكون الحلق للحجّ، كما يحرم على النساء الحلق

مطلقاً، سواء في العمرة أو في الحج، فإن أراد التقصير فيستحب له استقبال القبلة، والتسمية عند التقصير، وأن يقول: «بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، اللهم أعطني بكل شعرة نوراً يوم القيامة»^(١)، فإذا فرغت فقل: «اللهم زيني بالتقوى وجنّبي الردى»^(٢).

خصوصيات العمرة المفردة

للعمرّة المفردة خصوصيات لطيفة، نذكر ثلاثاً منها:

الأولى: إنّها في الغالب تقع مستحبة لقاصدي مكة، لاسيّما ممّن أدّوا ما عليهم من حجة الإسلام، فيكون المعتمر قد تجشّم العناء الذي يتجشّمه الحاج نفسه، والحج في العادة تكون له المحرّكة أكبر من العمرة المفردة، نظراً لتقدّم محرّكة الواجب على محرّكة المستحب، ولذلك تجد من عادة المسلمين الالتزام بالواجبات أكثر من المستحبات، ففي الواجبات حساب وعقاب، وفي المستحبات زيادة في الأجر والثواب، فإذا ما جاء المسلم معتمراً فإنّه يكون قد قصد الثواب والرضوان؛ إذ لا تكليف واجب في عهده.

الثانية: إنّها يمكن أن يؤتّى بها لأكثر من مرة في السنة الواحدة، بل في الشهر الواحد، بل في اليوم الواحد، لاسيّما إذا كانت العمرات يُقصد بها أشخاصاً متعدّدين، فتكون لقاصد البيت للعمرة فرصة كبيرة للإتيان بأكثر قدر ممكن للعمرة، ولذلك على المعتمر أن لا يكتفي بعمرته المفردة، بل حتّى للحاج إذا ما انقضى حجه فإنّ الأولى السعي الحثيث لأداء عمرة مفردة أو عمرتين، عن نفسه أو عن أولى القربى منه، فذلك من البرّ بهم والوفاء لهم.

(١) مكارم الأخلاق، مصدر سابق: ص ٥٩.

(٢) المصدر نفسه.

الثالثة: في العادة يكون عدد المعتمرين أقلّ عدداً من الحجاج، فتكون الفرصة أفضل لأداء مناسك العمرة بتوجّه وخشوع، لقلة الزحام والتواجد في المسجد الحرام، فيكون للحاج فرصة طيبة للتعويض عما فاتته من غياب التوجّه والخشوع في عمرة التمتع والحج، فتكون هذه العمرة طريقاً لسدّ النقص الواقع.

تصوير باطني للحج والعمرة

وهنا ارتأينا الوقوف على البعد الباطني والمعنوي لما تقدّم من مناسك العمرة ممّا جاء في الأثر، فقد روي أنّه لما رجع الإمام عليّ زين العابدين عليه السلام من الحجّ استقبله الشبلي^(١) «فقال عليه السلام له: حَجَجْتَ يَا شَبْلِي؟ قَالَ: نَعَمْ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ: أَنْزَلْتَ المِيقَاتَ، وَتَجَرَّدْتَ عَنْ مَخِيطِ الثِّيَابِ، وَاغْتَسَلْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَحِينَ نَزَلْتَ المِيقَاتَ نَوَيْتَ أَنْكَ خَلَعْتَ ثَوْبَ المَعْصِيَةِ وَلَيْسَتْ ثَوْبُ الطَّاعَةِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَحِينَ تَجَرَّدْتَ عَنْ مَخِيطِ ثِيَابِكَ نَوَيْتَ أَنَّكَ

(١) لم تُعرف هويّته، فهو بالقطع واليقين ليس الشبلي العارف والمتصوّف أبا بكر دُلف بن جحدر الشبلي البغدادي المولد والمنشأ والوفاة والدفن، المالكي المذهب، المولود في عام (٢٤٧هـ)، والمتوفّى عام (٣٣٤هـ)، المنسوب إلى شبلة، وهي قرية من قرى أسروشنه، بلدة تقع وراء سمرقند من بلاد ما وراء النهر. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان البرمكي (ت: ٦٨١هـ): ج ٢، ص ٢٧٥، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٩٤م. وليس هنالك شبلي معروف وأقرب إلى زمان الإمام عليّ السّجاد عليه السلام (ت: ٩٥هـ) غير هذا الشبلي المتصوّف، وأمّا ما عداه فهم أبعد زماناً بكثير، ولذلك إمّا أن يكون الشبلي هذا ناقلاً للخبر أو يكون شخصاً آخر غير معروف، وإمّا نقلنا عنه الخبر لاشتماله على معانٍ جليّة لا تبعد نسبتها إلى المعصومين عليهم السلام، لاسيّما الإمام عليّ زين العابدين، المعروف بكثرة حجّه، وأدعيته واهتمامه البالغ بالسير والسلوك. (منه دام ظلّه).

تَجَرَّدَتْ مِنَ الرِّيَاءِ وَالتَّفَاقُحِ وَالدُّخُولِ فِي الشُّبُهَاتِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَحِينَ اغْتَسَلْتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ اغْتَسَلْتَ مِنَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَا نَزَلَتْ المِيقَاتُ، وَلَا تَجَرَّدَتْ عَنْ مَخِيطِ الثِّيَابِ، وَلَا اغْتَسَلْتَ»، أَي: مَا نَزَلَتْ المِيقَاتُ مِنَ النَاحِيَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ مَا جِئْتُ بِهِ مُجْزِئاً، فَلَا قِضَاءَ عَلَيْكَ، فَإِنَّ لَهُذِهِ الْأَعْمَالِ الْعِبَادِيَّةَ صَوْرَتَيْنِ، ظَاهِرِيَّةً وَبَاطِنِيَّةً.

«ثُمَّ قَالَ: تَنْظَفَتْ، وَأَحْرَمْتَ، وَعَقَّدْتَ بِالْحَجِّ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَحِينَ تَنْظَفْتَ وَأَحْرَمْتَ وَعَقَّدْتَ الْحَجَّ نَوَيْتَ أَنَّكَ تَنْظَفْتَ بِنُورَةِ التَّوْبَةِ الْخَالِصَةِ لِلَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَحِينَ أَحْرَمْتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ حَرَّمْتَ عَلَى نَفْسِكَ كُلَّ مُحَرَّمٍ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَحِينَ عَقَّدْتَ الْحَجَّ نَوَيْتَ أَنَّكَ قَدْ حَلَلْتَ كُلَّ عَقْدٍ لِغَيْرِ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ لَهُ: مَا تَنْظَفْتَ، وَلَا أَحْرَمْتَ، وَلَا عَقَّدْتَ الْحَجَّ»، وَالْكَلَامُ هُوَ الْكَلَامُ فِيمَا تَقَدَّمَ، وَفِيمَا سِيَأْتِي.

«قَالَ لَهُ: أَدْخَلْتَ المِيقَاتِ، وَصَلَّيْتَ رُكْعَتَيِ الْإِحْرَامِ، وَلَبَّيْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَحِينَ دَخَلْتَ المِيقَاتِ نَوَيْتَ أَنَّكَ بِنِيَّةِ الزِّيَارَةِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَحِينَ صَلَّيْتَ الرَّكْعَتَيْنِ نَوَيْتَ أَنَّكَ تَقَرَّبْتَ إِلَى اللَّهِ بِخَيْرِ الْأَعْمَالِ مِنَ الصَّلَاةِ وَأَكْبَرِ حَسَنَاتِ الْعِبَادِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَحِينَ لَبَّيْتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ نَطَقْتَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ بِكُلِّ طَاعَةٍ وَصَمَّتَ عَنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ لَهُ: مَا دَخَلْتَ المِيقَاتِ، وَلَا صَلَّيْتَ، وَلَا لَبَّيْتَ! ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْخَلْتَ الْحَرَّمَ، وَرَأَيْتَ الْكَعْبَةَ، وَصَلَّيْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَحِينَ دَخَلْتَ الْحَرَّمَ نَوَيْتَ أَنَّكَ حَرَّمْتَ عَلَى نَفْسِكَ كُلَّ غَيْبَةٍ تَسْتَغِيْبُهَا الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَحِينَ وَصَلْتَ مَكَّةَ نَوَيْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّكَ قَصَدْتَ اللَّهَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَا دَخَلْتَ الْحَرَّمَ، وَلَا رَأَيْتَ الْكَعْبَةَ، وَلَا صَلَّيْتَ!

ثُمَّ قَالَ: طُفْتُ بِالْبَيْتِ، وَمَسَسْتُ الْأَرْكَانَ، وَسَعَيْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَحِينَ سَعَيْتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ هَرَبْتَ إِلَى اللَّهِ وَعَرَفَ مِنْكَ ذَلِكَ عَلَامُ الْغُيُوبِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ:

فَمَا طُفَّتْ بِالْبَيْتِ، وَلَا مَسَسَتْ الْأَرْكَانَ، وَلَا سَعَيْتَ!
 ثُمَّ قَالَ لَهُ: صَافَحْتَ الْحَجَرَ، وَوَقَفْتَ بِمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَصَلَّيْتَ بِهِ رَكَعَتَيْنِ؟
 قَالَ: نَعَمْ، فَصَاحَ صَيْحَةً كَادَ يُفَارِقُ الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ: آه آه... مَنْ صَافَحَ الْحَجَرَ
 الْأَسْوَدَ فَقَدْ صَافَحَ اللَّهَ تَعَالَى، فَانْظُرْ يَا مُسْكِينُ لَا تُضَيِّعْ أَجْرَ مَا عَظُمَ حُرْمَتُهُ،
 وَتَنْقُضِ الْمُصَافَحَةَ بِالْمُخَالَفَةِ وَقَبْضِ الْحَرَامَ نَظِيرَ أَهْلِ الْآثَامِ.
 ثُمَّ قَالَ: نَوَيْتَ حِينَ وَقَفْتَ عِنْدَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّكَ وَقَفْتَ عَلَى كُلِّ طَاعَةٍ،
 وَتَخَلَّفْتَ عَنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَحِينَ صَلَّيْتَ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ نَوَيْتَ أَنَّكَ
 صَلَّيْتَ بِصَلَاةِ إِبْرَاهِيمَ وَأَرْغَمْتَ بِصَلَاتِكَ أَنْفَ الشَّيْطَانِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ لَهُ: فَمَا
 صَافَحْتَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ، وَلَا وَقَفْتَ عِنْدَ الْمَقَامِ، وَلَا صَلَّيْتَ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ!
 ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَشْرَفْتَ عَلَى بَيْتِ زَمْزَمَ، وَشَرِبْتَ مِنْ مَائِهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: نَوَيْتَ
 أَنَّكَ أَشْرَفْتَ عَلَى الطَّاعَةِ، وَغَضَضْتَ طَرَفَكَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَا
 أَشْرَفْتَ عَلَيْهَا، وَلَا شَرِبْتَ مِنْ مَائِهَا! ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَسَعَيْتَ بَيْنَ الصَّفا وَالْمَرْوَةِ،
 وَمَشَيْتَ وَتَرَدَّدْتَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ لَهُ: نَوَيْتَ أَنَّكَ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ؟
 قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَا سَعَيْتَ، وَلَا مَشَيْتَ، وَلَا تَرَدَّدْتَ بَيْنَ الصَّفا وَالْمَرْوَةِ^(١).

إنَّ هذه المعاني العميقة والجليلة وإن لم تكن شرطاً في الحجِّ الواجب، فلا
 يسقط الحجَّ عمَّن لا يستطيع ذلك، إلَّا أنَّها تمثِّل مراتب عُليا ينبغي لنا بلوغ
 أكبر قدر ممكن منها، ولو تدريجياً، كما هو الحال في العصمة فإنَّها وإن كانت شبه
 محالة التحصيل إلَّا أنَّ بعض مراتبها ممكنة التحقيق، فتكون مضامين رواية
 الشبلي مقصداً للحاجِّ، وعليه أن يبلغ منها ما يتسع لها قدره، وقد يحتاج الإنسان

(١) التحفة السنِّيَّة (مخطوط)، للملّا محسن الفيض الكاشاني، شرح: السيّد عبد الله الجزائري:
 ص ١٨٤؛ الكتاب من مختصّات مكتبة مدينة القدس، قسم المخطوطات؛ نقلاً عن المعجم
 الفقهي؛ مستدرک الوسائل، مصدر سابق: ج ١٠، ص ١٦٦ - ١٧٣، ح ١١٧٧.

أكثر من فرصة لبلوغ القدر المطلوب؛ إذ من الصعوبة بمكان - إذا لم يكن ذلك عسيراً - أن يحقق هذه المقاصد المعنوية الكبرى في حجه الأول، ولا يكون بلوغ القليل من ذلك معيياً على الحاج، وإنما المعيب حقاً هو عدم السعي للأفضل.

آثار العمرة والحج

للعمره والحج آثار عظيمة، في الدنيا والآخرة، منها:
 أولاً: نفي الفقر ومحو الذنب، فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه: الإيمان به ورسوله والجهاد في سبيله.... وحج البيت واعتماره فإنهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب»^(١) أي: يغسلانه^(٢).
 وعن محمد بن أبي عمير، عن أبي محمد الفراء قال: سمعت جعفر بن محمد عليهما السلام يقول: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد»^(٣).
 ثانياً: الملازم للحج والعمرة في ضمان الله تعالى؛ فعن أبي بصير عن الإمام

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ١، ص ٢١٥ خطبة (١١٠).

(٢) قال الفراهيدي: «ثوب رحيض ومرحوض: أي: مغسول». كتاب العين، مصدر سابق: ج ٣، ص ١٠٣. وقال الجوهري: «رحضت يدي وثوبي، أرحضه رحضاً: غسلته». الصحاح تاج اللغة، مصدر سابق: ج ٣، ص ١٠٧٧. وقال ابن منظور: «الرحض: الغسل. رَحَضَ يَدَهُ وَالْإِنَاءَ وَالثَّوبَ وَغَيْرَهَا يَرَحُضُهَا وَيَرَحُضُهَا رَحْضاً: غَسَلَهَا. وَفِي حَدِيثِ أَبِي ثَعْلَبَةَ: سَأَلَهُ عَنْ أَوَانِي الْمَشْرِكِينَ فَقَالَ: إِنْ لَمْ تَجِدُوا غَيْرَهَا فَارْحُضُوهَا بِالْمَاءِ وَكُلُّوا وَاشْرَبُوا، أَيْ: اغْسِلُوهَا». لسان العرب، مصدر سابق: ج ٧، ص ١٥٣.

(٣) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٥٥، ح ١٢؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٢٢، ح ٢٢٣٨؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٥، ص ٢١، ح ٦. و (الكير): زَقَّ أو جلد غليظ ذو حافات يتفخ فيه الحداد.

أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «الحجّ والعمرة سوقان من أسواق الآخرة، اللّازم لهما في ضمان الله، إن أبقاه أدّاه إلى عياله، وإن أمّاته أدخله الجنة»^(١).
 ثالثاً: استجابة الدعاء ونيل الشفاعة، فعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «الحاجّ والمعتّم وقد الله، إن سألوه أعطاهم، وإن دعوه أجابهم، وإن شفّعوا شفّعهم، وإن سكتوا ابتدأهم، ويعوّضون بالدرهم ألف درهم»^(٢).
 رابعاً: دفع ميتة السوء، فعن ابن الطيّار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «حجج تترى، وعمرّ تسعى، يدفعن عيلة الفقر، وميتة السوء»^(٣).

كلمات على الطريق

- العمرة منسك يُراد به الله وحده، فهي محطةٌ عمليّةٌ للتوحيد، ولذلك لا بدّ من بذل الجهد في تحقيق الإخلاص في أداء فصولها، فلا معنى أن يقع فيها الرياء أو العُجب وأنت تقطع الفيافي لطلب رضوانه سبحانه.
- إن قصدت البيت الحرام لعمرة أو حجّ: «اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك، والبس كسوة الصدق والصفاء والخضوع والخشوع، واحرم من كلّ شيءٍ يمنعك عن ذكر الله ويحبّيك عن طاعته»^(٤).
- إنّ الغُسل المقتضي لتحصيل الطهارة مُشير إلى الانتباه إلى عدم الوقوع في التلوّث، سواء كان التلوّث مادّياً أو معنوياً.

خلاصة الدرس

- أوّل عمرة أدّاها المسلمون بمعيّة الرسول صلّى الله عليه وآله بعد

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٥٥، ح ١٣.

(٢) المصدر نفسه: ج ٤، ص ٢٥٥، ح ١٤.

(٣) المصدر نفسه: ج ٤، ص ٢٦١، ح ٣٦.

(٤) الكلمة منسوبة إلى الإمام الصادق عليه السلام. مستدرک الوسائل: ج ١٠، ص ١٧٢.

الهجرة إلى المدينة، هي عمرة القضاء، في سنة سبع هجرية، قبل فتح مكة بعام.

- تنقسم العمرة إلى تمتع ومفردة، والأولى مقترنة بحج التمتع، بل هي جزء منه، والثانية يمكن أن تنفصل عن الحج، وهي واجبة ومستحبة.
- تتكوّن العمرة من (الإحرام وتلبّيته)، ومن (الطواف سبعا وصلاته)، ومن (السعي سبعا بين الصفا والمروة)، ومن (التقصير)، ومن (طواف النساء) إذا كانت العمرة مفردة.
- ورد حثّ أكيد على قصد البيت الحرام، وأدناه للقاصي أداء عمرة مفردة، وللداني طواف بالبيت أو حضور الجماعة، فلا تخلوه ما بقيتم.
- التلبية بعد نية الإحرام لازمة، وهي بمثابة تكبيرة الإحرام في الصلاة.
- جاء في معنى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (الذاريات: ٥٠) أن: «حجّوا إلى الله عزّ وجلّ»، فالفرار إلى الشيء قصده، والحجّ قصد، كما أنّ العمرة قصد، وهي كفارة لكلّ ذنب.
- العمرة اصطُغت بعنوان الحجّ، حيث سُمّيت بالحجّ الأصغر.
- العمرة للحجّ بمثابة الوضوء للصلاة، فلا صلاة بلا وضوء ولا حجّ بلا عمرة، بمعنى قوّة الارتباط بينهما، ولقوّة الارتباط هذه بُعدٌ تعليمي، وآخر معنوي، فضلاً عن البعد التشريعي من حيث توقّف الحجّ عليها.
- يتزوّد الحاجّ من عمرته برصيد معنويّ بالغ، لينطلق بعد الحلّ إلى أعمال الحجّ وهو مفعم بذلك الرصيد، فالعمرة زاد معنوي لا غنى عنه.
- الزاد الحقيقي المستفاد من أعمال العمرة والحجّ هو التقوى.
- أخلاقيات العمرة تعبير آخر عن مراعاة جميع الواجبات والمستحبات والمندوبات فيها، فلا يقع من المعتمر نوع من الاستهانة أو التهاون أو

- الازدراء أو التذمّر أو التشكيك في هذا المركّب العبادي أو بأحد أجزائه.
- من أخلاقيّات الإحرام أن ينتقي إحراماً جديداً ونظيفاً، حيث يُكره الإحرام بثوب وسخ، فإن أحرم وكان إحرامه متسخاً فإنّه يكره غسله إلّا بعد الحلّ، وأمّا طهارة الإحرام فلازمة.
- لا يصحّ الإحرام بالثوب النجس أو المتنجّس، فإن تنجّس الإحرام بعد عقد النية فله أن يُبدله، ويستحبّ وقوع الإحرام بعد صلاة الظهر، أو بعد صلاة واجبة، وإن كانت قضاء، أو بعد صلاة ستّ ركعات مستحبّة، وأدنى ذلك أن يكون بعد صلاة ركعتين مستحبّتين، وكأنّك تريد القول بأنّ عقد نية الإحرام لها ورد، ووردها الصلاة.
- يستحبّ للمعتمر أن يتلفّظ بالنية في غسل الإحرام وفي الإحرام نفسه، بل يستحبّ التلفّظ بالنية في جميع أعمال العمرة والحجّ.
- البعد المعنوي للإحرام يكمن في كفّ التوجّه القلبي لزينة الحياة الدنيا، والتهيؤ العملي لوطء ساحة التوحيد الأفعالي، وعدم الانغماس بالدنيا.
- الثوبان غير المخيطين يشيران إلى عدم المبالغة في اقتناء الملابس الأخرى، فيقتصر فيها على الحدّ المعقول، والجمال يُحقّقه الإحرام على بساطته.
- بياض ثوبي الإحرام يحكي النقاء، والأمل بجعل القلب كذلك، وبداية الشروع الواضحة، وأنّ هنالك ثوبين أبيضين سيخرج بهما من الدنيا.
- كما أنّ الموت مانع تكوينيّ للإنسان من أن يلحق الأذى بالخلائق، فكذلك ينبغي التعاطي مع الإحرام، فإنّه مانع تشريعيّ عن إلحاق الأذى بالخلائق، بالكلمة والفعل والإشارة المسيئة.
- من أهمّ أخلاقيّات الطواف التهيؤ التامّ له من حيث الكينونة على الوضوء، وطهارة البدن وثوبي الإحرام، واستحضار النية لفظاً وقلباً، وعدم الاشتغال بغير ذكر الله تعالى.

- في الطواف لا تُقَحِّم في أدعيتك ما يوهن التوحيد في قلبك، كالأستعانة بالأغيار أو الاستغاثة بهم، فلا تطلب شيئاً قطّ إلاّ منه سبحانه.
- من أخلاقيات الطواف عدم مزاحمة الطائفين، وأن لا يكون أكبر همّك الانتهاء منه، فعليك بالخطوات القصيرة بلا إبطاء، وبالسكينة والوقار.
- إلحاق الأذى بالطائفين ذنب، كما أنّ اضطرارهم إلى قطع توجّههم وإلزامهم بالتوقّف عن طوافهم من أجلك لا يخلو من الذنب أيضاً، فعليك بالمضيّ مع الطائفين - عند الانتهاء من طوافك وإرادة الخروج منه - مع التمايل يميناً شيئاً فشيئاً حتّى تخرج من الطواف، فلا ضرر ولا ضرار.
- لا تصلّ في مكان تستقبل فيه أدبار النساء، ولا تقرأ من السور القصار إلاّ ما تتقنه وتستحضره جيّداً.
- في السعي اسلك الطريق المخصّص له، فإنّ حفظ النظام من أخلاقيات العمرة والحجّ، ولا ينبغي لك أن تراحم المعلولين في طريقهم الضيق، بل لا تراحم الحجيج بسعيك، ولا يحدّك الرجل بالمرأة ولا المرأة بالرجل، فإن اضطرتت فعليك بالتوقّف ريثما تتخلّص من مورد الاحتكاك.
- السعي مُشير إلى تحصيل الحياة الكريمة، والحياة الكريمة هي الحياة الطيّبة، والحياة الطيّبة هي حياة الطاعة والقرب من الله تعالى، أو هي الحياة غير الملوّثة بالمعاصي.
- في السعي كدح إلى الربّ، ولكنّه كدح العبوديّة والطاعة، وكأنّك تريد به تغطية خطواتك السابقة في الحياة الدنيا بخطوات الطاعة والقرب.
- من أخلاقيات التقصير: الشعور بالتقصير لما سلف منك فلا تغترّ بدنياك.

- احرص في التقصير أن تترك أثراً في شعر رأسك، فلا تبخلنّ بذلك، فإنّك بأخذك للقليل منه تمهّد للحلق الذي ينتظرُك بعد الهدى في الحجّ.
- للعمرة المفردة خصوصيّات لطيفة، منها: أنّها في الغالب تقع مستحبّة لقاصدي مكّة، وأنّها يمكن أن يُؤتى بها لأكثر من مرّة في السنة الواحدة، بل في الشهر الواحد، بل في اليوم الواحد، والفرصة فيها أفضل لأداء مناسك العمرة بتوجّه وخشوع.
- للعمرة والحجّ آثار في الدنيا والآخرة، كنفي الفقر ومحو الذنب، والبقاء في ضمان الله تعالى، واستجابة الدعاء ونيل الشفاعة، ودفع ميتة السوء.

مذاكرة

- ما هي أوّل عمرة أداها المسلمون بمعيّة الرسول صلّى الله عليه وآله؟ ومتى وقعت؟ وما هي الآية التي نزلت فيها؟
- ما هي أقسام العمرة وأجزاؤها؟ ومتى يمكن أن تنفصل عن الحجّ؟
- ما هو وجه الشبه بين التلبية وتكبيرة الإحرام في الصلاة؟
- ما هو الحدّ الأدنى للقاصي والداني في قصد البيت الحرام؟
- ما صلة: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ (الذاريات: ٥٠) بالعمرة والحجّ؟
- كيف اصطبغت العمرة بعنوان الحجّ؟
- ما هي قوّة الارتباط بين العمرة والحجّ؟
- ما هو الزاد الحقيقي المستفاد من أعمال العمرة والحجّ؟
- ما هي أهمّ أخلاقيّات الإحرام؟ وأخلاقيّات الطواف والسعي؟
- ما هو البُعد المعنوي للإحرام؟
- ما معنى قولنا: في الطواف لا تُفحم في أدعيتك ما يوهن التوحيد؟

- ماذا نعني بقولنا: حفظ النظام من أخلاقيات العمرة والحجّ؟
- ما هي الحياة الكريمة؟ وما علاقة السعي بها؟
- ما هي أهمّ أخلاقيات التقصير؟
- ما هي أهمّ الخصوصيّات للعمرة المفردة؟
- ما هي أهمّ الآثار العظيمة للعمرة والحجّ؟

الدرس الخامس

الأخلاقيات العامة للحجّ

- أهداف الدرس
- تمهيد
- معنى الحجّ والحجّ
- أقسام الحجّ
- قصد الحجّ بعينه
- رعاية حرمة الكعبة والمسجد الحرام
- رعاية حرمة ضيوف الرحمن
- الحجّ محرقة الأنانية
- الحجّ والأخوة الإيمانية
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- بيان الفرق بين (الحجّ والحجّ)، وتحديد المطلوب منه
- التعريف بأقسام الحجّ، والنكات في التسمية، والتفاضل بينها
- بيان رسوم الحجّ الواقعي وعلاقته بالعقائد والأفكار والولاءات الباطلة
- بيان ضرورة رعاية حرمة الكعبة والمسجد الحرام، وحرمة العاملين فيه
- الكشف عن خلفيات عباديّة النظر إلى الكعبة
- بيان العلاقة الوثيقة بين الحجّ وسبيل القضاء على الأنانيّة
- بيان دور الأخوة الإيمانيّة بين الحجّاج في تحقيق الحجّ المبرور

تمهيد

الحجّ فريضة عظيمة، وهي - وإن تقع عادة في العمر مرّة - تمتلك خزيناً هائلاً يتزوّد منه الحاجّ فيما بقي من أيامه، لاسيّما في مواجهته للنفس الأمّارة بالسوء، وتحديات (الأنا) الخطيرة، فالحجّ زوادة العمر، فلا يجوز التفريط به، كما لا ينبغي التفريط بمعطياته عند التوفيق له، ولأنّ الحجّ مقرون بتزكية النفس فإنّه ملزم لنا بتحقيق الرعاية التامة للمسجد الحرام وزائريه، بل لكلّ الأماكن المقدّسة التي يتشرّف بها الحاجّ، فلا يكوننّ أحد سبباً مباشراً أو غير مباشر في نفرة القاصدين للبيت الحرام، فيكون من الصادّين عنه، بل عليه أن يعيش الأخوة الإيمانيّة، فالجميع إخوته، والجميع في عهده، و«كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته»^(١)، وفي هذا الدرس ستعرّف بشكل موجز على معنى الحجّ وأقسامه، وهويّة الحجّ الواقعي، وما يسببه انعدام الاستطاعة النفسيّة والمعنويّة على واقعيّة الحجّ، كما ستعرّض لبعض الشواهد التاريخيّة المرتبطة برعاية حرمة المسجد الحرام.

(١) عوالي الآلي: ج ١، ص ١٢٩.

معنى الحج والحج

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٧)، حيث جاء لفظ (حج) بالكسر، وهو اسم مصدر، تمييزاً له عن المصدر المفتوح، وفي ذلك يقول الشيخ الطوسي: «قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: ﴿حِجُّ الْبَيْتِ﴾ بكسر الحاء، والباقون بفتحها، فمن فتح أراد المصدر الجاري على فعله، ومن كسر أراد الاسم»^(١)، أي: اسم المصدر، وإلى هذا أشار أبو البقاء بقوله: «﴿حِجُّ الْبَيْتِ﴾: مصدر يُقرأ بالفتح والكسر، وهما لغتان، وقيل الكسر اسم للمصدر»^(٢)، وقال القرطبي: «هما مصدران بمعنى، وقيل: الفتح مصدر، والكسر الاسم»^(٣)، وقد أيد البحراني ذلك بقوله: «الحج: فتحاً وكسراً لغتان، ويقال: الحج بالفتح المصدر، وبالكسر الاسم»^(٤).

والظاهر من كلمات الأعلام أنّ الأكثر على قراءتها بالفتح خلافاً للرسم القرآني، قال ابن الجوزي: «الأكثر على فتح حاء الحج، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بكسرها»^(٥)، وقد صار البعض إلى توجيه

(١) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ج ٢، ص ٥٣٦.

(٢) إملأ ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: ٦١٦ هـ): ج ١، ص ١٤٤، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩ م.

(٣) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: ج ٢، ص ٣٤٣، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ.

(٤) مجمع البحرين، مصدر سابق: ج ١، ص ٤٥٨.

(٥) زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (ت: ٥٩٧ هـ): ج ٢، ص ٨، تحقيق: الدكتور محمد عبد الرحمن عبد الله، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.

الكلمة بالفتح وبالكسر، فقليل: إنَّ الحجَّ بكسر الحاء يراد به عمل سنة واحدة^(١)، فيكون المراد بفتحه أكثر من ذلك، بمعنى: أنَّ وجوب الحجَّ مرّة واحدة لا غير، فأشير لذلك بالكسر، ولو جاء بالفتح للزم استمرار وجوب الحجَّ على المكلف كلّما استطاع لذلك سبيلاً، وهو قولٌ بعيد، لم يُعرف عن أحد من فقهاء الفريقين، وإن كانت هنالك بعض الأخبار الصحيحة المؤيدة لذلك، وهي عند الأعلام محمولةٌ على الاستحباب أو تأكيد الوجوب على التارك للحجَّ، وإلا فالوجوب المستمرّ مخالفٌ لإجماع المسلمين، بل هو مخالف لروايات أخرى في لزوم الحجَّ مرّة^(٢).

(١) تفسير الثعالبي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٨٠، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح أبو سنة، والشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

(٢) عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ فرض الحجَّ على أهل الجِدة في كلِّ عام». الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٦٦، ح ٦، ح ٨، ح ٩؛ علل الشرائع، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤٠٥؛ الاستبصار، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٤٨، ح ١، ح ٢، ح ٣؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٥، ص ١٦، ح ٤٦، ح ٤٧، ح ٤٨. قال الشيخ الطوسي: «فالوجه في هذه الأخبار أحد شيئين، أحدهما: أن تكون محمولة على الاستحباب دون الفرض والإيجاب، والثاني: أن يكون المراد بذلك كلَّ سنة على طريق البدل؛ لأنَّ من وجب عليه الحجَّ في السنة الأولى فلم يحجَّ وجب عليه في الثانية، وكذلك إذا لم يحجَّ في الثانية وجب عليه في الثالثة، وكذلك حكم كلَّ سنة إلى أن يحجَّ، ولم يعن أنَّ عليه في كلِّ سنة على وجه التكرار». الاستبصار، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٤٩؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٥، ص ١٦. وقال المحقّق الحليّ: «الحجَّ: فرض على أهل الجدة في كلِّ عام، محمول على الاستحباب؛ لأنَّ تنزيله على ظاهره مخالف لإجماع المسلمين كافة». المعتبر في شرح المختصر، لنجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن المحقّق الحليّ (ت: ٦٧٦ هـ): ج ٢، ص ٧٤٧، حقه وصحّحه: عدّة من الأفاضل، طبع: مدرسة الإمام

وعلى أي حال، فإن هنالك معنىً جليلاً يعتمد على نكتة الفرق بين المصدر واسم المصدر، وبه يثبت أن ما جاء في الرسم القرآني هو الصحيح، فإن من وجوه الفرق بينهما هو أن المصدر يدل على الحدث نفسه، وأما اسم

أمير المؤمنين عليه السلام، مؤسسة سيّد الشهداء عليه السلام، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٣٦٤ ش. وقال الشهيد الأوّل: «والرواية بوجوبه على أهل الجدة في كلّ عام مؤوّل بالتارك، أو بالاستحباب المؤكّد». الدروس الشرعيّة في فقه الأماميّة، للشهيد الأوّل الشيخ شمس الدين محمد بن محمّد بن مكّي العاملي (٧٨٦هـ): ج ١، ص ٣١٦، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المشرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ. والأولى أن يقال عوضاً عن كلّ ذلك: أن السّنّة النبويّة شارحة للقرآن ومفصّلة له، وهذه الأخبار دلالتها في الوجوب أظهر من الاستحباب المؤكّد؛ نظراً لوجود كلمة (فرض الحج)، وإنّما تُحمّل على الاستحباب نظراً لوجود بعض الأخبار الدالة على لزوم الحجّ مرّة واحدة في العمر؛ فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «وأما ما يجب على العباد في أعمارهم مرّة واحدة، فهو الحجّ. فُرض عليهم مرّة واحدة؛ لبُعد الأمكنة والمشقة عليهم في الأنفس والأموال. فالْحجّ فرض على الناس جميعاً إلّا مَنْ كان له عذر». وعن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «لما نزلت: ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، قال المؤمنون: يا رسول الله، أفي كلّ عام؟ فسكت. فأعادوا عليه مرّتين، فقال: لا، ولو قلت نعم لوجبت». دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام، للقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمّد التميمي المغربي: ج ١، ص ٢٨٨، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٩ هـ؛ مستدرك الوسائل، مصدر سابق: ج ٨، ص ١٣، ح ١. وقريب منه مروّي في: مسند أحمد، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥٠٨؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ٤، ص ١٠٢؛ سنن ابن ماجّة، مصدر سابق: ج ٢، ص ٩٦٣، ح ٢٨٨٤؛ سنن الترمذي، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٥٤، ح ٨١١؛ سنن النسائي، مصدر سابق: ج ٥، ص ١١٠؛ المعجم الكبير، مصدر سابق: ج ٨، ص ١٥٩؛ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق: ج ٧، ص ١١١، ح ٩٩٨١. (منه دام ظلّه).

المصدر فإنه يدلّ على نتيجة الحدث، وكلمة (الحجّ) بالفتح هي المصدر، وتعني الواجب المفروض نفسه، والذي يتكوّن من أركانه ومناسكه المخصوصة، وأمّا كلمة (الحجّ) بالكسر وهي اسم المصدر، فإنّها تعني ما ينبغي أن ينتهي إليه الحاجّ بعد أداء مناسكه في الحجّ، وحيث إنّ الغاية من الحجّ (بالفتح) هي بلوغ رتبة التوحيد، والتواضع والخضوع لله تعالى وحده، فإنّ ما يجب على الحاجّ تحقيقه من خلال الآية: ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٧)، هو النتيجة المرجوة من نفس الحدث^(١)، ولعلّ هذا هو المقصود ممّا جاء مفصّلاً في رواية الشبلي، على أنّ نتيجة الحدث ممكنة التحقق لكلّ حاجّ، فيما إذا التفت لها^(٢).

أقسام الحجّ

الحجّ ثلاثة أقسام، وهي:

الأول: حجّ التمتع، وإنّما سُمّي بذلك لوقوع التمتع بين العمرة وبينه، بمعنى: أنّ عند الإحلال من إحرام عمرة التمتع يكون في فسحة حتّى الإحرام للحجّ، وهو فرض كلّ مستطيع يبعد عن مكّة قرابة (٧٨) كيلومتراً من كلّ

(١) جاء في كتاب (الفروق): «الفرق بين المصدر والحاصل بالمصدر أنّ المصدر نفس الإيقاع الذي هو أمر معنويّ، والحاصل بالمصدر هو الأثر الذي يحصل بالإيقاع». الفروق، لأبي الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوي (ت: ١١٢٧ هـ): رقم: (١٣٣/١٣٢)، طبعة عام ١٣١٠ هـ، مطبعة الشركة الصحافيّة العثمانيّة. نقلاً عن: دراسات في النحو، تأليف: صلاح الدين الزعبلأوي: ص ١٨٩، منشور في: موقع اتّحاد كتّاب العرب، وفي: المكتبة الشاملة.

(٢) الغالب على التكليف الشرعيّ اسم المصدر وليس المصدر، من قبيل التكليف بالوضوء (اسم مصدر) وليس بالتوضؤ، وبالغُسل (اسم مصدر) وليس بالاغتسال (مصدر) ونحوهما.

جانب، وهو مؤلف من عملين مركّبين، الأوّل: أعمال العمرة، والثاني: أعمال الحجّ، ولا تصحّ أعمال حجّ التمتع ما لم تكن مسبقة بأعمال العمرة، فمن تعذّر عليه أعمال العمرة انقلب حجّه إلى أفراد.

الثاني: حجّ الأفراد، وهو الحجّ المفرد، أي: منفرد عن العمرة، حيث ينفصل هذا الحجّ عن عمرته، فتقع عمرته بعد انقضاء الحجّ، وله أن يأتي بالعمرة المفردة، وهي عمرة حجّ الأفراد، فيما بقي من أشهر الحجّ، بل له الإتيان بها خلال سنته، لاسيّما مع الاضطرار لذلك، وهذا القسم من الحجّ فرض على أهل مكّة، وعلى كلّ من لا يبعد مسكنه عن مكّة (٧٨) كيلومتراً.

الثالث: حجّ القران، أي: يقرن إحرامه بسوق الهدي (الذبيحة)، فإن انتهى من حجّه مضى إلى أداء عمرته، وهذا القسم من الحجّ فرض على أهل مكّة أيضاً، وعلى كلّ من لا يبعد مسكنه عن مكّة (٧٨) كيلومتراً، فيكون أهل مكّة ومن حولهم بالخيار بين حجّ الأفراد وحجّ القران، ولا ريب أن حجّ التمتع هو أفضل أقسام الحجّ، فهو ما حجّ به رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم يليه حجّ القران، ثم حجّ الأفراد، وإنا يتقدّم القران على الأفراد لمكان الهدي^(١).

(١) من وجب عليه الحجّ وكان له مسكنان أحدهما داخل الحدّ، أي: دون مسافة (٧٨) كيلو متر، والآخر خارجه، فينظر على عمله وغلبة حضوره، فيلزم العمل وفق الأغلب، فإن كان أغلب عمله أو حضوره خارج المسافة، وجب عليه حجّ التمتع، وإلا وجب عليه حجّ الأفراد أو القران، فإن تساوى الأمران تخيّر بين حجّ التمتع وأحد القسمين الآخرين، والأفضل في مورده هو حجّ التمتع. (منه دام ظلّه).

وهنا ينبغي التنبيه إلى أن الحجّ قد يلزم بالنذر أو القسم، ووظيفة الحاجّ في ذلك هي عين وظيفته في حجة الإسلام في اختيار القسم المطلوب منه، في كونه من أهل مكّة أو من القاطنين خارج مكّة، إلا إذا تضمّن نذره أو قسمه شيئاً يرتبط بقسم دون آخر فعليه الالتزام بالقسم الذي يتحقّق فيه نذره أو قسمه.

قصد الحج بعينه

لا ريب أنَّ الحاجَّ الواقعي هو مَنْ قصد إحياء شعيرة الحجِّ، فيكون الحجُّ قصده، لا التجارة والربح أو السياحة أو السمعة أو شيء آخر، كما أنَّ الحاجَّ الواقعي هو مَنْ لا يكون عقله وفكره وقلبه ووجدانه مرتعاً للعقائد الباطلة أو ملوثاً بالأفكار والهواجس الباطلة أو منغمساً بالولاءات الباطلة وتناقضاتها^(١) وإلاَّ فإنه سيكون خارجاً عن حريم هذه الشعيرة العظيمة، فالحاجُّ بأدائه لشعيرته يُعبِّر عن انتماؤه لتلك الشعيرة، والانتفاء لا يكون بالشكل والصورة، ولعلَّ ما جاء في خبر عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما أكثر الضجيج وأقلَّ الحجيج»^(٢) محمول على قلة من يستحضر الشعيرة، وقلة من يقصدها من غير أن يُلوّث نيَّته بمقاصد

(١) يقول الشيخ الأستاذ جواد آملّي في ذلك: «وليس عبد الهوى أو عبد المستكبرين والملاحدين ضعيفاً للبيت العتيق الحرّ، وبيت الحرية والأحرار، وليس من لديه مئات الأصنام بضيف على بيت التوحيد، ومن وجّه وجهه للخلف وأدار ظهره للقبلة مُصلِّياً صلاته لا يكون ضعيفاً على قبلة المسلمين، ومن وضع مكان التبرّي من الشرك والنفاق والكفر، الولاية لرموز الإلحاد كيف يكون ضعيفاً على مطاف العاكفين؟! فليس من يخضع للاستعمار بضيف على بيت الراكعين والساجدين، ليس كلّ حاجٍّ بعارِف لأسرار الحجِّ أو بممثّل للحجِّ الكامل...». من أسرار الحجِّ وحكمه، آية الله العلامة الشيخ عبد الله الجواد آملّي: ص ١٨٦، دار الإسرائاء، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ، إيران.

(٢) الاختصاص، مصدر سابق: ص ٣٠٣؛ بصائر الدرجات، مصدر سابق: ص ٢٩١، ح ٦؛ ص ٣٧٨، ح ١٥؛ دعائم الإسلام، مصدر سابق: ج ١، ص ٧٨؛ شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، للقاضي أبي حنيفة النعمان التميمي المغربي: ج ٣، ص ٤٦٧، ح ١٣٥٦، تحقيق: السيّد محمّد الحسيني الجلاّلي، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم؛ الخرائج والجرائح، للفقهاء المحدّث أبي الحسين قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت: ٥٧٣ هـ): ج ٢، ص ٨٢١، ح ٣٤، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدّسة.

دنيوية زائلة، ولذلك فإن من أخلاقيات الحج قصد الحج لا شيء آخر، وهذا ما يرسم لنا معنى عميقاً لمعنى الاستطاعة المعنوية التي لم يخل منها الأمر بالحج في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا...﴾ (آل عمران: ٩٧) فالظهور في الاستطاعة المالية والبدنية وتحلية السرب لا يُحلي المقام من الاستطاعة النفسية والمعنوية، وغاية ما في الأمر أن انعدام الاستطاعة النفسية والمعنوية لا يرفعان التكليف بلزوم أداء الفريضة، وإنما يسقطان حقيقة الحج المقصود.

ومن قصد الحج شعر بهيبة الحج وعظمته وجلاله، فلا يلتفت إلى ما يلقاه من نصب وتعب، ولا يلتفت إلى ما يلحقه من أذى الطريق أو من رفقائه، لأن عقله وقلبه مشغولان بشعيرة الحج، فيتتنفس الهواء عن طريق مناسكه، ويُبصر ويسمع ويتكلم عن طريق مناسكه، فتكون مناسكه عاصمة له، فنعم العمرة ونعم الحج، ونعم ما أحرم له، ونعم ما بلغه من كمال.

رعاية حرمة الكعبة والمسجد الحرام

لا ريب أن المسجد الحرام والكعبة المشرفة هما من أعظم المقدسات عند المسلمين، بل ينبغي أن يكون بيت الله هو أعظم المقدسات في تاريخ الأديان السماوية؛ لأنه أول بيت عبادي في تاريخ الإنسانية، وهو البيت المبارك الذي من بركاته ديمومة هدايته للناس أجمعين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٦) ولذلك من اللازم شرعاً رعاية حرمة هذا البيت الحرام والدفاع عنه وعدم السماح بإلحاق الأذى به، ويكون المتجاوز عليه مرتكباً لأعظم الحرمات، ولذلك: «ما أراد الكعبة أحدٌ بسوء إلا غضب الله عز وجل لها»^(١)، فضلاً عما سعى في هدمها.

(١) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٤٨ باب (من أراد الكعبة بسوء).
وقصة تبع الملك الذي نوى يوماً أن يقتل مقاتلة أهل الكعبة ويسبي ذريتهم ثم يهدم

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لن يعمل ابن آدم عملاً أعظم عند الله عز وجل من رجل قتل نبياً، أو هدم الكعبة التي جعلها الله قبله لعباده، أو أفرغ ماءه في امرأة حراماً»^(١)، وإنما كان للكعبة المشرفة والمسجد الحرام من العناية والرعاية، والاحترام والتقدير، والقداسة والإجلال، والعزة والإكرام، لأنهما مرتبطان بالله تعالى، بمعنى: أن ما يُوصف به الله من عزة وعظمة وقداسة نجده منعكساً في هذا البيت الحرام، وحيث: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ (يونس: ٦٥)، وآته: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ (فاطر: ١٠)، فإن هذه العزة يصطبغ بها البيت الحرام، بل يصطبغ بها كل من له صلة وثيقة بالله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون: ٨)، ومن القلاع المنيعة لهذه العزة العظيمة تنطلق حرمة رعاية البيت الحرام.

هذا، وقد سجّل لنا التاريخ شواهد متناقضة في رعاية حرمة البيت الحرام وفي توجيه أعظم الإهانات له، فمن الشواهد التاريخية العظيمة في رعاية حرمة البيت الحرام: ما وقع من الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام وإبداء غاية الاحترام والتقدير له، فقد روى الطبري عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين، قالوا: «خرجنا حاجين من الكوفة حتى قدمنا مكة فدخلنا يوم التروية، فإذا نحن بالحسين وعبد الله بن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى فيما بين الحجر والباب، قالوا: فتقرّبنا منهما فسمعنا ابن الزبير وهو يقول للحسين: إن شئت أن تقيم أقيم فوليت هذا الأمر، فأزرناك وساعدناك

الكعبة، قصّة مشهورة. انظر: الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢١٥، ح ١، (ورود تبّع وأصحاب الفيل البيت وحفر عبد المطلب زمزم وهدم قريش)؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٤٨ باب (من أراد الكعبة بسوء).

(١) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٣، ص ٥٥٩، ح ٤٩٢١؛ ج ٤، ص ٢٠، ح ٤٩٧٧.

ونصحنك لك وبايعناك، فقال له الحسين: إنَّ أبي حدَّثني أنَّ بها كبشاً يستحلَّ حرمتها، فما أحبُّ أن أكون أنا ذلك الكبش، فقال له ابن الزبير: فأقم إن شئت وتولَّيني أنا الأمر فتطاع ولا تُعصى، فقال: وما أريد هذا أيضاً، قالاً: ثمَّ إنَّهما أخفيا كلامهما دوننا فما زالا يتناجيان حتَّى سمعنا دعاء الناس راثحين متوجَّهين إلى منى عند الظهر، قالاً: فطاف الحسين بالبيت وبين الصفا والمروة وقصَّ من شعره وحلَّ من عمرته ثمَّ توجه نحو الكوفة وتوجَّهنا نحو الناس إلى منى^(١). وأما من الشواهد التاريخية على توجيه أعظم الإهانات للبيت الحرام: ما حصل له من حرق وهدم من قبل حكام بني أمية، ولمرتين، الأولى في عام (٦٤) هجرية، بأمر يزيد بن معاوية عندما أمر قائد جيشه الحصين بن النمير باقتحام المسجد الحرام على عبد الله بن الزبير، فأمر الحصين بإطلاق الكرات النارية التي تسببت بحرق الكعبة وهدم جزء منها، والثانية في عام (٧٣) هجرية، بأمر عبد الملك بن مروان عندما أمر قائد الحجاج بن يوسف الثقفي باقتحام المسجد الحرام على عبد الله بن الزبير، فحصل أسوأ ما حصل على يد الحصين، ولما دخلوا المسجد الحرام أمر الحجاج بصلب ابن الزبير على أستار الكعبة! فكان من سوء طالع عبد الله بن الزبير أن تسبب في هدم الكعبة مرتين، فكانت الكعبة عليه أهون من نفسه، ولعلَّ الحصين والحجاج لم يقصدا

(١) تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ): ج ٤، ص ٢٨٨، تحقيق: نخبة من العلماء، مؤسسة الأعلمي، بيروت؛ مقتل الحسين عليه السلام، للمؤرخ أبي مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن مسلم الأزدي الغامدي: ص ٦٦، منشورات المكتبة العامة للسيد شهاب الدين المرعشي النجفي، تعليق: الحاج ميرزا حسن الغفاري، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٨هـ؛ البداية والنهاية، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ): ج ٨، ص ١٧٩؛ تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، بيروت.

هدم الكعبة المشرفة^(١)، وإنّا كانا يقصدان ابن الزبير الذي لم يحفظ حرمة الكعبة فيخليها أو يُجَنَّبها عن الاعتداء عليها وتوجيه الإهانة لها، فجعل الكعبة المشرفة كبشاً لافتدائه!

ولك أن تقارن بين الموقف العظيم لسيد الشهداء الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذي اكتفى بعمرته؛ حفاظاً على حرمة الكعبة المشرفة والمسجد الحرام، وبين ذلك الموقف المهين المشين لابن الزبير الذي أبى إلا أن يُعرض الكعبة والمسجد الحرام مرتين للهلك والهدم!

ونعم ما يصحّ قوله في المقام:

وحسبكم هذا التفاوت بيننا وكلّ إناء بالذي فيه ينضح^(٢)

(١) قال الشيخ الصدوق: «وإنّا لم يجر على الحجاج ما جرى على تُبّع وأصحاب الفيل لأنّ قصد الحجاج لم يكن إلى هدم الكعبة إنّما كان قصده إلى ابن الزبير... فلمّا استجار بالكعبة أراد الله أن يبيّن للناس أنّه لم يجره فأمهّل من هدمها عليه». من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٤٩.

(٢) البيت منسوب لابن الصفي (الحيص بيص سعد بن محمد أبو الفوارس التميمي، المتوفّى عام ٥٧٤هـ). انظر: معجم الأدباء، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت: ٦٢٦هـ): ج ١، ص ٤٧٩، دار الفكر، بيروت؛ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مصدر سابق: ج ٢، ص ٣٦٥؛ حياة الحيوان الكبرى، لكمال الدين محمد بن موسى الدميري المصري (ت: ٨٠٨هـ): ج ١، ص ١٢٧، باب: (الباء الموحدة)، الناشر: مصطفى الحلبي، مصر. والكتب الثلاثة منشورة في المكتبة الشاملة.

وقد ذكر هؤلاء الثلاثة قصّة لطيفة في ذلك، عن نصر الله بن يحيى، يقول: «رأيت عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في المنام، فقلت له: يا أمير المؤمنين تفتحون مكّة فتقولون: من دخل دار أبي سفيان، فهو آمن، ثمّ يتمّ على ولدك الحسين ما تمّ؟! فقال لي: أما سمعت أبيات ابن الصفي في هذا؟ فقلت: لا. فقال: اسمعها منه. ثمّ انتهت فبادرت إلى حيص بيص، فذكرت له الرؤيا فشقق وبكى وحلف بالله لم تخرج من فمه ولا خطّه إلى أحد وما

ومن رعاية حرمة الكعبة المشرفة والمسجد الحرام: عدم القيام بالأعمال العبيثة فيه، كاللهو في الحديث والمزاح الزائد، فإن القاصد للبيت الحرام عليه الاشتغال بالعبادة؛ من تلاوة قرآن أو صلاة أو دعاء أو ذكر، وله أن يكتفي بالنظر إلى الكعبة؛ فذلك أمر مستحب، بل هو عبادة، فعن حريز، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «النظر إلى الكعبة عبادة»^(١)، وقال عليه السلام: «مَن نظر إلى الكعبة كُتبت له حسنة ومُحيت عنه عشر سيئات»^(٢)، بل: «مَن نظر إلى الكعبة لم يزل تُكتب له حسنة، وتُمحى عنه سيئة، حتى يصرف ببصره عنها»^(٣)، وقد كان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يقول: «إذا خرجتم حجّاجاً إلى بيت الله فأكثرُوا النظر إلى بيت الله، فإنّ لله مائة وعشرين رحمةً عند بيته الحرام، ستون للطائفين، وأربعون للمصلّين، وعشرون للناظرين»^(٤)، ومنه يتّضح وجه الدعاء عند الدخول إلى المسجد الحرام ورؤية الكعبة المشرفة: «الحمد لله الذي عَظّمك وشَرّفك وكرّمك، وجعلك مثابة للناس وأمناً مباركاً،

نظّمها إلّا في ليلته، ثمّ أنشدني قوله:

ملكنا فكان العفو ممّا سجيّة	فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحلّلتُم قتل الأسارى وطالما	عدونا على الأسرى فنعمفو ونصفح
وحسبكُم هذا التفاوت بيننا	وكلّ إناءٍ بالذي فيه ينضح

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٤٠، ح ٥؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٠٥، ح ٢١٤٤.

(٢) فروع الكافي: ج ٤، ص ٢٤٠، ح ٥؛ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٠٦، ح ٢١٤٩.

(٣) فروع الكافي: ج ٤، ص ٢٤٠، ح ٤؛ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٠٥، ح ٢١٤٣.

(٤) المحاسن، مصدر سابق: ج ١، ص ٦٩، ح ١٣٥، باب (ثواب النظر إلى الكعبة)؛ الخصال، مصدر سابق: ص ٦١٧. وقريب منه في: الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٤٠، ح ٢؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٠٧، ح ٢١٥٣.

وهديّ للعالمين»^(١)، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً﴾ (البقرة: ١٢٥)، وبها قيام الناس، قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكُعبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ﴾ (المائدة: ٩٧)، أي: «جعلها لدينهم ومعاشهم»^(٢)، فالمسجد الحرام رحمة واسعة، والكعبة المشرفة رحمة سابعة، فعلينا رعاية حرمتها في دخولنا إليها وخروجنا منها، فإنَّ الدخول رحمة، والخروج مغفرة. قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «دخول الكعبة دخول في رحمة الله، والخروج منها خروج من الذنوب، معصوم فيما بقي من عمره، مغفور له ما سلف من ذنوبه»^(٣)، وقد بلغت حرمة المسجد الحرام أنَّه يعصم الداخل إليه في نفسه وماله، فهو آمن ما دام في المسجد. وإن كان مطلوباً لقضاء أو لدين فلا يجوز مزاحمته ما دام قاطناً في المسجد؛ فعن سماعة بن مهران، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «سألته عن رجل لي عليه مال فغاب عني زماناً، فرأيت يطفو حول الكعبة، أفأقتضاه مالي؟ قال: لا، لا تُسلم عليه ولا تُروعه حتى يخرج من الحرم»^(٤).

- (١) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥٣٠، باب: (النظر إلى الكعبة).
- (٢) عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكُعبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ﴾؟ قال: جعلها لدينهم ومعاشهم». تفسير العياشي، مصدر سابق: ج ١، ص ٣٤٦، ح ٢١١. وفي ذلك يقول الشيخ الطبرسي: «نصب الكعبة: ﴿قِيَاماً لِّلنَّاسِ﴾، أي: لمعاش الناس ومكاسبهم؛ لأنَّه مصدر قاموا، كأنَّ المعنى: قاموا بنصبه ذلك لهم، فاستتبَّ معاشهم بذلك واستقامت أحوالهم به؛ لما يحصل لهم في زيارتها من التجارة وأنواع البركة». مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٣، ص ٤٢٣.
- (٣) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٠٦، ح ٢١٤٩.
- (٤) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٤١، ح ١، باب: (فيمن رأى غريمه في الحرم)؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٠٦، ح ٢١٤٩.

رعاية حرمة ضيوف الرحمن

ومن رعاية حرمة المسجد الحرام تنطلق رعاية حرمة الحجاج والمعتمرين وسائر الزائرين له، والطائفين والركع السجود، بل لابد من رعاية حرمة كل من له صلة بالحرم، كأئمة المسجد والمتعهدين بإقامة صلاة الجماعة، بل حتى المسؤولين عن أمن المسجد الحرام والخدم فيه، حيث لا يجوز التجاوز عليهم أو إلحاق الأذى بهم أو عدم تمكينهم من أداء عملهم، فإن لم تُرعَ حرمة الحجاج والمعتمرين والزائرين والعاملين فإن في ذلك نوعاً من الصد عن المسجد الحرام، فمن لا يأمن على نفسه وماله في قصده للمسجد فإنه سيجد المسوغ الشرعي للانقطاع عن المسجد الحرام، وهذا هو الصد عنه بعينه، وقد توعّد الله تعالى الذين يصدّون الناس عن المسجد الحرام بالعذاب^(١).

ومن رعاية ضيوف الرحمن: السعي الحثيث لخدمتهم، لاسيّما كبار السن منهم والعجزة، وإبداء المعونة لهم تطوعاً لا بالتكليف من قبلهم، وأن تكون لغة التسامح والإيثار هي الحاكمة، لاسيّما عند التلبس بالإحرام، فذلك من التواضع لله تعالى، ومن بديهيات الارتباط بالله تعالى وقصد رضوانه.

الحج محرقّة الأنانية

إن جميع مناسك الحج وفعالياته العبادية ومقاصده المعنوية ترمي بالدرجة الأساس إلى حرق جذور الأنانية أو تطويقها وعدم السماح لها بالانتشار، وهذا ما نلاحظه بوضوح في الامتناع الشرعي عن جملة من المباحات عند عقد

(١) قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلًا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (الأنفال: ٣٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ يُلْحَقْ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الحج: ٢٥).

نية الإحرام لاسيما موارد الزينة، والإنسان بطبعه يُحبّ التزيّن والتطيّب، فيمتنع المحرم عن ذلك بطيب خاطر؛ لأنّه يدرك أنّه بذلك يُحقّق مقدارا من رسوم الشعيرة، فلا يسمح لنفسه بالتجاوز أو التغافل عن ذلك، وفي هذا الامتناع دروس عظيمة لترويض النفس، والإنسان العاقل يحبّ ترويض نفسه، ويحبّ القضاء على معاقل صدور الذنوب، وقد جاءت مناسك الحجّ وأحكامها متوافقة تماماً مع هذه الدواعي الفطريّة، حتّى الأمور المستحبّة فيها فإنّها تشير إلى تحقيق الهدف المتمثّل بقلع جذور الأنانيّة أو حرقها أو تطويقها، كما هو الحال بالنسبة للنظر إلى الكعبة، فعن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «النظر إلى الكعبة حبّاً لها يهدم الخطايا هدماً»^(١).

وحيث إنّ الأنانيّة هي معقل الخطايا، ومعقل الأمراض المعنويّة، كالبخل والطمع والجشع بل مطلق الظلم، فقد كان التركيز من قبل مناسك الحجّ كبيراً على هذا الموضوع الخطير، ولذلك نجد في الطواف رسالة واضحة لإبدال الطواف حول النفس بالطواف حول بيت الله، وتخليص الطواف من الالتفات إلى غير الكعبة؛ لتوكيد الانقطاع عن مشاغل النفس ونوازعها وأنانيّتها، حتّى تُرْس نفس الدخول إلى المسجد الحرام والخروج منه إلى تقديم معالجات لتركات الأنانيّة وتبعاتها، من قبيل ما روي عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام، قال: «الداخل الكعبة يدخل والله عنه راض، ويخرج منها عطلاً من الذنوب»^(٢).

والمحصّلة من ذلك: أنّ الحجّ هو أعظم فرصة لتطهير الحاجّ نفسه من عروق الأنانيّة، فإذا ما خرج الحاجّ عن إحرامه وهو لم يزل يقبع في ظلمات الأنانيّة، فإنّه يكون قد خسر صفقة العمر التي من الصعب تعويضها، فإنّ

(١) المحاسن، مصدر سابق: ج ١، ص ٦٩، ح ١٣٥، باب: (ثواب النظر إلى الكعبة).

(٢) المصدر نفسه: ج ١، ص ٧٠، ح ١٣٨، باب: (ثواب دخول الكعبة).

فرصة الحج - في العادة - لا تتكرر لمعظم الناس، مما يجعل المسؤولية كبيرة على كل حاج في استغلال هذه الفرصة التاريخية، والتي يصح لنا تسميتها بفرصة العمر، فلا يترك فرصة للتطهير إلا وكان سباقاً لها، فيكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون: ٦١)، فإن وقع خلل في عمل له عاجله بالصحيح، واستغفر عما بدر منه؛ قال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (الحديد: ٢١)، وهكذا يكون رقيباً على نفسه، وخير رقيب هو الله تعالى، بمعنى: أن يجعل الإنسان ربه رقيباً عليه، ومن راقب الله تعالى أحسن في عمله، حتى يبلغ مقام مراقبة خواطره، وكما قيل: «مَنْ راقب الله في خواطره عصمه الله تعالى في جوارحه»^(١).

إن الحج لا يحقق هدفه في كونه محرقة للأنايئة إلا بعد التلبس برسوم العبودية لله تعالى وحده، وهذا ما يتأدب الحاج عليه منذ أول إحرامه، حيث يقول: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لبيك)، فكأنه يريد القول: انقطعت إليك ربي، وتوجهت بكليتي إليك، إليك إليك، فيكون الإقرار بالعبودية والرقية لله تعالى وحده بوابة التطهير ومشعل حرق تلك الجذور القابعة في عمق النفس الإنسانية، وهو ما رسمته سياسة الإسلام في بعده المعنوي، ولذلك التأديب على هذا الإقرار، فعن الأوزاعي، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «من قال في كل يوم: لا إله إلا الله حقاً حقاً، لا إله إلا الله عبودية و رقاً، لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً، أقبل الله عليه بوجهه ولم يصرف وجهه عنه حتى يدخل الجنة»^(٢)، لأنها عبودية تستبطن التطهير من برائن النفس وأنايئتها،

(١) انظر: شرح نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ١١، ص ٢٠٥.

(٢) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥١٩، ح ١؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ١، ص ٣٠٦، ح ٩٢٢. وفي بعض الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

وتتخذ الإنسان من حالات التشطّي في الولاءات المختلفة، فتتحوّل الولاءات الكثيرة والمتناقضة إلى ولاء واحد تنسجم معه الفطرة، فيكون الحجّ بتوحيد وجهة التبعية طريقاً أمثل لبلوغ مقام العبوديّة والتوحيد والوحدة.

الحجّ والأخوة الإيمانيّة

من الصور العظيمة التي يُجسّدها الحجّ: صورة توحّد قلوب المؤمنين على محجة التوحيد ومحور العبوديّة لله تعالى وحده لا شريك له، فتستبدل جميع العلاقات الاجتماعيّة بتلك العلاقة الإلهيّة الخالصة، وهي الأخوة الإيمانيّة، كما هو صريح قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠)، فإن تحقّقت هذه الأخوة الإيمانيّة القرآنيّة انبثقت الحبّ والمودة والولاء فيما بينهم، كما أُشير له في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٧١). ثمّ التأكيد على الأخوة الإيمانيّة بين حجّاج بيت الله الحرام لأنّها أرضيّة صالحة للتآلف ونبد الاختلاف، وأرضيّة صالحة للتواضع والتخادم، وهذه من مقومات الحجّ المبرور، فإنّ الحجّ المبرور لا يجتمع معه الغرور والتكبرّ والتعالي على الآخرين، كما لا يجتمع معه التخالل والتحاسد والتباغض وسوء الظنّ، فتكون الأخوة الإيمانيّة طريقاً مهيباً للترؤّد بالخصال الحسنة، وللخلاص من الخصال السيّئة، وهذا المطلب النبيل هو ما يهدف إليه الإسلام والقرآن، بل ما تهدف إليه جميع القيم الإنسانيّة العُليا، ولذلك على الحاجّ أن يُراعي كثيراً - في قوله وفعله - هذه المعاني النبيلة التي يستقيها من روح الأخوة الإيمانيّة التي تنعكس بصورة عمليّة في مناسك الحجّ، ولعلّ من أجلّ المعاني

«لبيك بحجة حقاً، تعبداً ورقاً». التحفة السنيّة، مصدر سابق: ص ٢٣؛ حاشية ردّ المحتار على الدرّ المختار (شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان)، محمّد أمين ابن عابدين: ج ٢، ص ٥٣٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ١٩٩٥م.

السامية الواردة في ذلك ما جاء في خطبة حجّ الوداع لرسول الله صلى الله عليه وآله، حيث يقول: «أيها الناس، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، ولا يحلّ لمؤمن من مال أخيه إلا عن طيب نفس منه. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، فلا ترجعن كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. أيها الناس، إنّ ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد، كلّكم لآدم وآدم من تراب، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمْ﴾، وليس لعربيّ على عجميّ فضلٌ إلا بالتقوى. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: فليبلغ الشاهد الغائب»^(١)، وقد كان القرآن قد دعا إلى ذلك من قبل، وذلك من خلال آية الاعتصام، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٣)، وبذلك تكون الحجة بالغة.

كلمات على الطريق

- كلّ منسك من مناسك الحجّ هو سلّم معنويّ للرفقيّ، فيصحّ أن نقول للحاجّ: احرم بثوبيك وارق، وطف وارق، واسع وارق، وقف بعرفة وارق، وقف بمزدلفة وارق، وارم الجمرات وارق، وقدم هديك وارق، واحلق رأسك وارق، وامكث في منى وارق، ومن لم يرق في مناسكه فكأنّه قد صار من جنس أولئك الذين قال الله سبحانه فيهم: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءٌ وَتَصْدِيَةٌ﴾ (الأنفال: ٣٥).
- حيث إنّ الكعبة هي قبلة الطائفين فقد لزم تطهيرها من معالم الشرك

(١) تحف العقول، مصدر سابق: ص ٣٤.

كافة، وحيث إن قلبك هو حرم الله تعالى فعليك بتطهيره من الكبر والرياء والعجب وسائر الأغيار، فإن القلب الطاهر تطوف فيه فيوضات الرحمن وتسعى فيه كمالاتك، وعندئذ يتضح لك شيء مهم من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَظَهَرَ بَيِّنَاتٍ لِّلطَّائِفِينَ﴾ (الحج: ٢٦)، وسوف تنعم بالأمن والأمان والطمأنينة.

- إذا كان الحج هو رحلة العمر، وهو كذلك، فاحرص أن تكون رحلتك في غاية التوفيق، فلا تقصر في فرض ولا في بذل ولا خدمة.

خلاصة الدرس

- بين (الحج والحج) فرق دقيق وجليل، يعتمد على الفرق بين المصدر واسمه، فإن (الحج) هو الواجب، و (الحج) هو ما ينبغي أن ينتهي إليه الحاج بعد أداء مناسكه في الحج، أي: بلوغ الغاية منه.
- الحج ثلاثة أقسام: حج التمتع، الذي يقع فيه التمتع بعد الحل من عمره سابقة عليه، وحج الأفراد، وهو حج منفرد عن العمرة، وحج القران، المشروط بإقران الإحرام بسوق الهدي.
- حج التمتع هو أفضل أقسام الحج، ثم يليه حج القران، ثم حج الأفراد، وإنما يتقدم القران على الأفراد لمكان الهدي.
- الحاج الواقعي هو من قصد إحياء شعيرة الحج، فيكون الحج قصده، لا التجارة أو السياحة أو السمعة أو شيء آخر.
- من كان عقله وفكره وقلبه مرتعاً للعقائد الباطلة والهواجس الباطلة والولاءات الباطلة فهو خارج عن حريم شعيرة الحج.
- انعدام الاستطاعة النفسية والمعنوية لا يرفع التكليف بلزوم أداء

- فريضة الحج، ولكنه يسقط حقيقة الحج المقصود.
- من اللازم شرعاً رعاية حرمة البيت الحرام، والدفاع عنه، وعدم السماح بإلحاق الأذى به، فضلاً عن عدم التجاوز عليه.
- من رعاية المسجد الحرام عدم القيام بالأعمال العبيثة فيه كاللهو في الحديث والمزاح الزائد، فالقاصد للبيت الحرام عليه الاشتغال بالعبادة.
- بلغت حرمة المسجد الحرام أنه يعصم الداخل إليه في نفسه وماله، ولا تجوز مزاحمته ما دام قاطناً فيه، وإن كان مطلوباً لقضاء أو لدين.
- من رعاية حرمة المسجد الحرام تنطلق رعاية حرمة الحجاج والمعتمرين.
- لا بدّ من رعاية حرمة كلّ من له صلة بالحرم، كأئمة المسجد والمتعهّدين بإقامة صلاة الجماعة، بل حتّى المسؤولين عن أمن المسجد والخدم فيه.
- إن لم تُرَع حرمة الحجاج والمعتمرين والزائرين والعاملين ففي ذلك نوع من الصدّ عن المسجد الحرام، فمن لا يأمن على نفسه وماله فإنّه سيجد مسوّغاً شرعياً للانقطاع عن المسجد الحرام.
- جميع مناسك الحجّ وفعاليّاته العباديّة ومقاصده المعنويّة ترمي بالدرجة الأساس إلى حرق جذور الأنانيّة أو تطويقها وعدم السماح لها بالانتشار.
- جاءت مناسك الحجّ وأحكامها متوافقة تماماً مع هذه الدواعي الفطريّة، حتّى الأمور المستحبّة فيها فإنّها تشير إلى تحقيق الهدف المتمثّل بقلع جذور الأنانيّة أو حرقها أو تطويقها.

- الأنانية هي معقل الخطايا ومعقل الأمراض المعنوية، كالبخل والطمع والجشع بل مطلق الظلم، ولذلك كان التركيز من قبل مناسك الحج كبيراً على هذا الموضوع الخطير.
- الحج فرصة عظيمة لتطهير النفس من عروق الأنانية، فإذا ما خرج الحاج عن إحرامه وهو لم يزل يقبع في ظلمات الأنانية، فإنه يكون قد خسر صفقة العمر التي يعسر تعويضها.
- من صور الحج العظيمة: توحيد لقلوب المؤمنين على محجة التوحيد ومحور العبودية لله تعالى وحده لا شريك له، حتى تستبدل العلاقات الاجتماعية بالعلاقة الإلهية، وهي الأخوة الإيمانية.
- تأكيد الأخوة الإيمانية بين الحجاج لأنها أرضية التآلف ونبذ الاختلاف، وأرضية التواضع والتخادم، وهذه من مقومات الحج المبرور.

مذاكرة

- ما الذي يترتب على الفرق بين (الحج) بالفتح، و (الحج) بالكسر؟
- ما هي أقسام الحج؟ وما هي مراتبها من حيث الفضل؟
- من هو الحاج الواقعي؟ ومتى يخرج الحاج عن حريم شعيرة الحج؟
- على أي شيء يمكن حمل الحديث: «ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج»؟
- ما الذي يؤدي إليه انعدام الاستطاعة النفسية والمعنوية؟
- كيف للحاج أن يراعي حرمة البيت الحرام؟
- اذكر شاهداً تاريخياً على رعاية حرمة البيت الحرام، مع بيان موجز لقيمته المعنوية.
- كيف تفهم الحديث: «النظر إلى الكعبة عبادة»؟
- ما هي علاقة حرمة المسجد الحرام بعصمة الداخل إليه في نفسه وماله؟

- ما هي خلفيّة رعاية حرمة الحجاج والمعتمرين والزائرين؟
- ما هو وجه رعاية حرمة كلّ من له صلة بالمسجد الحرام؟
- إلى أيّ شيء ترمي جميع مناسك الحجّ وفعاليّاته ومقاصده المعنويّة؟
- اذكر شاهداً روائياً يتعلّق بالحجّ على تطهير النفس من الخطايا.
- ما هي الأنانيّة؟ وما هو دور الحجّ في معالجتها؟
- ما الذي يخسره الحاجّ إذا خرج عن إحرامه وهو لم يزل يقبع في ظلمات الأنانيّة؟
- ما معنى: «من راقب الله في خواطره عصمه الله تعالى في جوارحه»؟
- متى يحقّق الحجّ هدفه في كونه محرقة للأنانيّة؟
- بأيّ شيء يستبدل الحجّ علاقاتنا الاجتماعيّة؟ وما وجه التأكيد على ذلك؟ وما علاقته بالحجّ المبرور؟

الدرس السادس

الأخلاقيات الخاصة بالحجّ

- أهداف الدرس
- تمهيد
- خصوصيّة الإحرام للحجّ
- أخلاقيّات الوقوف في عرفات
- أخلاقيّات الوقوف في مزدلفة
- أخلاقيّات الإفاضة من عرفات ومزدلفة
- أخلاقيّات رمي الجمرات
- أخلاقيّات الهدي والحلق
- أخلاقيّات المبيت في منى
- خصوصيّات طواف الحجّ وسعيه
- نفحات من أركان الكعبة
- الحجّ طوفان الكمال والوصل بالله تعالى
- وداع البيت الحرام بكلمة التوحيد
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- الكشف عن خصوصيات الإحرام للحجّ وطوافه وسعيه
- بيان أخلاقيات الوقوفين في عرفات ومزدلفة والإفاضة منهما
- بيان أخلاقيات رمي الجمرات والهدي والحلق والمبيت في منى
- الكشف عن أهمّ نفحات أركان الكعبة
- بيان معنى طوفان الكمال والوصل بالله تعالى في مناسك الحجّ
- الكشف عن أخلاقيات وداع البيت الحرام

تمهيد

إنّ أعمال العمرة والحجّ في العادة لا تقع للمسلم إلّا مرّة واحدة، ولذلك تقتضي العناية والاهتمام، لاسيّما فيما يتعلّق بأخلاقيات هذه المناسك العظيمة، فإنّ الحاجّ في حجّه هو في حجة الإسلام ورحلة العمر الكريمة، رحلة العود إلى الله تعالى والخضوع والطاعة وطلب الكمال والوصل بالله تعالى، رحلة تبدأ بطهارة الإحرام، وتنتهي بطواف ختامه الوداع بكلمة (لا إله إلّا الله محمد رسول الله). ونظراً لأهمية أخلاقيات الحجّ كان لابدّ من الوقوف على بعض التفاصيل التي سيعيش معها الحاجّ وتساعد على بلوغ بعض مراتب الطمأنينة، لاسيّما وأنّ الحاجّ سوف يجد نفسه في زحمة شديدة قد لا تسعفه المعلومات المسورة في مناسك الحجّ، وهذا ما نريد بيانه في هذا الدرس.

خصوصية الإحرام للحجّ

كانت العمرة السابقة على الحجّ (عمرة التمتع) بمثابة المقدّمة لأعمال حجّ التمتع، فحجّ التمتع يتكوّن من قسمين: العمرة والحجّ، وبذلك يكون الحجّ في المقام ذا المقدّمة، وذو المقدّمة أشرف من المقدّمة نفسها، وهذه الشرافة

الرتبية والمعنوية تنعكس في كل تفاصيله، فتنشأ خصوصيات لكل منسك من مناسك الحج حتى مع وجود التشابه الكبير بينه وبين منسك آخر من مناسك العمرة، كما هو الحال بالنسبة للإحرام والطواف والسعي، وهذا ما نريد التوقف عنده قليلاً (أي: خصوصيات بعض المناسك في الحج، وإن كانت تشابه بعض مناسك العمرة).

أمّا الإحرام فإنه يتأكد فيه ما تقدّم من المعاني الجليّة التي تقدّمت في بحث العمرة، ويضاف إلى ذلك أمور مهمّة، وهي:

الأول: إنّ الإحرام الوحيد الذي يقع من داخل مكّة، بل الأفضل أن يقع من داخل المسجد الحرام، بل الأفضل أن يقع بالقرب من حجر إسماعيل، بل الأفضل أن يقع من تحت الميزاب أو بالقرب من مقام إبراهيم، في حين أنّ الإحرام للعمرة يقع من المواقيت، وهي جميعاً خارج الحرم.

الثاني: إنّ إحرام تؤدّي فيه أعمال جديدة تُضاف على أعمال العمرة، كالوقوفين وأعمال اليوم الأوّل من منى، بمعنى: أنّه الإحرام المتميّز بأعمال لازمة للحاج خارج المسجد الحرام وداخله، بخلاف الإحرام للعمرة فإنه لا تقع فيه إلا الأعمال الخاصّة بالمسجد الحرام وملحقاته.

الثالث: في هذا الإحرام سيقع الاعتراف بالذنوب في عرفة، والتذلّل لله تعالى والخضوع له في مزدلفة، والتمنيّ عليه في قبول الأعمال في منى، وتقديم قربانه في الهدي، ونزع الحاج عنه آخر زينته الدنيويّة، وهو شعره، فهو إحرام الاعتراف والخضوع والتمنيّ والتقرب ونبد الزينة الدنيويّة.

الرابع: ينبغي للحاج في هذا الإحرام أن يكون ملتفتاً لأعظم معاني التوحيد وأجلّها، لأنّ التوحيد إنّما يتجلّى بأجلّ معانيه في الوقوفين (عرفة ومزدلفة)، وبذلك لن يكون إحرامه مجرد ثوبين غير مخيطين، وإنّما هما ثوبا

التوحيد المجردان عن مقتضيات الدنيا، فيكون التوحيد المشار له - تحديداً - هو التوحيد الأفعالي الذي تحترق في رحاه جميع ملذات الدنيا وشهواتها.

الخامس: وأخيراً في هذا الإحرام الظاهري سوف يخرج من المسجد الحرام لتأدية أعماله، ولا يعود إليه إلا وقد نزع عنه إحرامه الظاهري، ويُبقى في قلبه الإحرام الباطني، بخلاف الإحرام في العمرة، فإنه يدخل فيه إلى المسجد الحرام ويخرج منه وهو قد نزع عنه إحرامه^(١)، فيكون الإحرام للحج هو إحرام المسجد، والإحرام للعمرة هو إحرام للمسجد، وما يهيك المسجد من إحرام يكون أجلاً مما تمه به أنت من الإحرام له، فإحرام الحج هبة المسجد لك، وإحرام العمرة هبتك له، والفرق شاسع بين الهبتين.

السادس: إنَّ إحرام الحج يجعل صاحبه مُلبياً في المسجد الحرام وفي أرجاء مكة التي عاشت أجواء الوحي والرسالة، ولن تنقطع التلبية حتى دخول الزوال من يوم عرفة، في حين أنَّ الإحرام للعمرة التمتع ينقطع بمجرد الدخول إلى مكة، فلا تلبية له وهو في رحاب المسجد الحرام ولا في أرجاء مكة.

السابع: إنَّ في هذا الإحرام فرصة كبيرة لتدارك ما وقع منه من هفوات في إحرام العمرة، وفرصة كبيرة للتعويض عما فاتته من مستحبات لم يكن ملتفتاً لها، فيكون بإحرامه الجديد وتداركه وتعويضه قد أحرز رصيذاً معنوياً جديداً.

وبتبع هذه الخصوصيات تكون هنالك خصوصيات لغسل إحرام الحج على غسل إحرام العمرة، حيث يشتمل غسل الإحرام للحج على مقاصد معنوية بعيدة غير منظورة في غسل إحرام العمرة، وفق ما تفترضه أعمال

(١) بمجرد وقوع التقصير بعد السعي في العمرة يكون المعتبر قد نزع إحرامه عنه وإن بقي مرتدياً ثوبيه، فإنَّ الثوبين سوف يتحولان بعد التقصير إلى مجرد ثياب عادية.

الحجّ، من الاعتراف لله تعالى بالخطايا والإقرار بالتقصير والتذلل والخضوع والتمني الخالص لنيل التوبة، كما أنّه يشتمل على مقصد غسل النفس من أهوائها وعبوديتها الخائفة، فالحجّ في إحرامه هذا سوف يرمي الجمرات ويقدم قربانه، فيكون الغسل منظوراً فيه هذه المعاني العميقة والنبيلة، والإنسان رهن بعمله ومقاصده، فاجتهد في تحقيق ذلك: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٩).

أخلاقيات الوقوف في عرفات

إنّ أخلاقيات الوقوف في عرفة تبدأ منذ عقد نيّة الإحرام في المسجد الحرام؛ لأنّ أوّل عمل واجب يكون بعد الإحرام هو الوقوف في عرفة، وأمّا ما يتخلّله من أعمال مستحبة قبل بلوغ الزوال من يوم عرفة فما هي إلّا مقدّمات لهذا الوقوف العظيم، بل يمكن القول بأنّ جميع مناسك العمرة ما هي إلّا مقدّمات للوقوف في عرفة، بل إنّ صيام من وفق للحجّ في عامه وإحيائه ليلة القدر يقع مقدّمة للوقوف في عرفة أيضاً، وهذا ما يعطي هذا اليوم زخماً كبيراً، وكأنّ خلاصة الحجّ تكمن في عرفة، وقد روي في ذلك عن طريق مدرسة الصحابة خبراً عن رسول الله صلى الله عليه وآله مفاده: «الحجّ عرفة»^(١)، ولعلّ المراد منه - على فرض صحّة الحديث - هو أنّ محور الحجّ هو

(١) كما نبّه السيّد الأستاذ دام ظلّه إلى أنّ هذا الخبر لم يرد في الكتب الحديثيّة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وإنّما جاء في جملة من المصادر الحديثيّة لمدرسة الصحابة، ومن خلالها نقلته بعض الكتب الفقهيّة للمدرستين. انظر: مصنف ابن أبي شيبة، مصدر سابق: ج ٤، ص ٣٠٩؛ سنن ابن ماجه، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٠٣، ح ٣؛ مسند أحمد، مصدر سابق: ج ٤، ص ٣٠٩؛ سنن ابن ماجه، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٠٣، ح ٣؛ سنن الترمذي، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٨٨، ح ٩٨٠؛ سنن النسائي، مصدر سابق: ج ٥، ص ٢٥٦؛ السنن الكبرى للنسائي، مصدر

عرفة، وإلا فالحج فيه مناسك كثيرة.

وأما أخلاقيات الوقوف في عرفات، والتي نريد التعريف بها، فهي:

أولاً: التأكيد على الكينونة على الوضوء، لاسيما من الزوال إلى الغروب، مما يستدعي عدم النوم، وعدم الاشتغال بالأكل الكثير المفضي عادة لفقد الوضوء. ثانياً: الحرص الشديد على إحياء ليلة عرفة بالقدر الممكن، واستغلال فترة الصباح - من طلوع الشمس إلى ما قبل الزوال بساعة - بالراحة والنوم؛ استعداداً للوقوف الواجب الذي يبدأ من الزوال إلى غروب الشمس، فإن بقي على الزوال ساعة فعليك بتجديد وضوئك والغسل ليوم عرفة، والاستعداد للصلاة والنية.

ثالثاً: التوجه إلى الأرض المنكشفة (تحت السماء) للصلاة وعقد نية الوقوف في عرفة، ويفضل كثيراً عقد النية من وقوف لا من جلوس؛ بغية مطابقة الفعل للقول، حيث إنك ستقول: (أقف في عرفة لحجّ التمتع لحجة الإسلام

سابق: ج ٢، ص ٤٢٤، ح ٤٠١١؛ المستدرك على الصحيحين، مصدر سابق: ج ١، ص ٤٦٤؛ ج ٢، ص ٢٧٨؛ الانتصار، للشریف المرتضى علم الهدى عليّ بن الحسين الموسوي البغدادي (ت: ٤٣٦هـ): ص ٢٤٣، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ؛ غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع، للفقير البارع الأقدم السيّد حمزة بن عليّ بن زهرة الحلبي (ت: ٥٨٥هـ): ص ١٦٦، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام للتحقيق والتأليف، مطبعة اعتدال، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ؛ مختلف الشيعة في أحكام الشريعة، للعلامة الحليّ الحسن بن يوسف بن المطهر: ج ٤، ص ١٤٨، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ. وذهب الشريّف المرتضى وابن زهرة والعلامة الحليّ إلى حمل الخبر على أنّ المراد هو أنّ معظم الحجّ عرفة. انظر: المصادر الآتفة.

من الزوال إلى غروب الشمس)، فيكون جلوسك غير موافق في الهيئة لكلمة (أقف)، ولكن عقد النية من جلوس ولو اختياراً لا يضرّ بالنية.

رابعاً: التوجه الكامل إلى التضرّع والدعاء، فإنّه يوم مخصوص للدعاء، ولذلك يكره فيه الصيام لمن يضعفه عن الدعاء، وينبغي الاقتصار أو الاهتمام بالأدعية المأثورة، فإنّها تشتمل على مضامين توحيدية عالية، والتي منها دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام، ودعاء عرفة للإمام زين العابدين عليّ السلام، وأدعية أخرى جليّة المضامين، فعليك بها، فإنّ: «الدعاء كهف الإجابة، كما أنّ السحاب كهف المطر»^(١)، ولا ينبغي الإكثار من الكلام وحديث الدنيا في هذا اليوم المشهود، وإن كان مباحاً، فإنّ هذا اليوم للحاجّ الصلوة لا يتكرّر، وإنّ الله تعالى ينظر إلى ضيوفه وحجّاج بيته في عرصات عرفة.

خامساً: من خصوصيات الدعاء حضور القلب والخشوع والبكاء أو التباكي، وبقدر ما يحصل لك توجه للأدعية فإنّ البكاء والتباكي سيكون مُيسراً، ولا مانع من الاستلقاء قليلاً ثمّ العود للصلاة والدعاء والخشوع إلى الله تعالى، فيوم عرفة - كما عرفت - يوم الدعاء، بل يوم الاعتراف بالذنوب والخطايا، ويوم هجرانها بالتوبة النصوح، ويوم الامتثال لقوله تعالى: ﴿وَالرُّجُزَ فَاهْجُرْ﴾ (المدثر: ٥).

سادساً: في مثل هذا اليوم لا بدّ أن تتجلّى في الحاجّ أرفع القيم الإسلامية المتعلقة بالأخوة الإيمانية، التي من خلالها سوف ينزع الحاجّ ثوب الأنانية، فلا يزاحم رفقاءه من الحجّاج على المكان، ولا يسبّب لهم ضيقاً، بل ولا ينظر لأخيه الحاجّ وهو يجلس معه في خيمة واحدة أو في طريق واحد بنظرة مشينة،

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤٧١، ح ١. الحديث مروي عن عبد الله بن ميمون القدّاح عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام.

ولا بنظرة غضب أو انزعاج إلّا إذا رأى أخاه الحاجّ على شيء لا ينسجم مع اللوائح الشرعيّة، فينصحه في غاية الرفق والأدب، وإذا ما وجد منه صدوداً فلا يجادله، فإنّه لا جدال في الحجّ، وبقدر ما يستطيع الحاجّ أن يكون في خدمة رفقائه فذلك أصلح له، فإنّ الدعاء وإن كان مطلوباً بعينه إلّا أنّ خدمة الآخرين في هذا اليوم ضربٌ من العبادات المطلوبة، ولعلّ خدمة ضيّلة منك تقدّمها لأخيك الحاجّ بنية صادقة، لا يعدّها شيء من عباداتك في هذا اليوم؛ فإنّه ورد في خبر صحيح عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته فلا تستصغرن شيئاً من طاعته، فربّما وافق رضاه وأنت لا تعلم، وأخفى ...»^(١).

سابعاً: لا بدّ من استغلال الساعة الأخيرة قبل الغروب بالتوجّه الكامل إلى الله تعالى بطلب العفو والمغفرة، فإنّها خير ساعة من ذلك اليوم، وهي الساعة الأخيرة قبل الإفاضة، فلا تتركها نهياً للراحة والحديث الفارغ، بل هي ساعة لا يصلح لها حتّى الحديث النافع، لأنّها ساعة التوجّه والتضرّع إلى الله تعالى، وليكن من دعائك فيها هو أن تطلب منه سبحانه قبول أعمالك وأعمال جميع الحجاج، لاسيّما من عرفتهم بإيمانهم وحسن أخلاقهم. ثامناً: لا بدّ أن ينعقد في قلبك أنّ الله تعالى قد غفر لك ذنوبك وخطاياك، ولو من باب حسن الظنّ بالله تعالى، ما دمت قد قصدت وجهه وأحسنّت رسوم التوبة، فإنّ هذا اليوم هو يوم التوبة من العبد والمغفرة من الله تعالى.

(١) الخصال، مصدر سابق: ص ٢٠٩، ح ٣١؛ معاني الأخبار، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ: ص ١١٢، ح ١، باب: (إخفاء الله عزّ وجلّ أربعة في أربعة)، صحّحه: علي أكبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ.

عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «من لم يُغفر له في شهر رمضان لم يُغفر له إلى قابل، إلا أن يشهد عرفة»^(١)، فكيف يفيض الحاج من عرفة وفي قلبه شك في حصول المغفرة؟

وسأله عليه السلام رجل في المسجد الحرام: مَنْ أعظم الناس وزراً؟ فقال: «من يقف بهذين الموقفين (عرفة والمزدلفة) وسعى بين هذين الجبلين، ثم طاف بهذا البيت، وصلى خلف مقام إبراهيم عليه السلام، ثم قال في نفسه أو ظنَّ أن الله لم يغفر له، فهو من أعظم الناس وزراً»^(٢).

وفي خبر مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام يؤكدان فيه خطورة انبعاث الظنون الشيطانية بعدم حصول المغفرة: «أعظم الناس جرماً من أهل عرفات: الذي ينصرف من عرفات وهو يظنُّ أنه لم يغفر له»^(٣)، يعني: الذي يقنط من رحمة الله عز وجل، وكيف ينقذ في قلب الحاج عدم قبول التوبة وهي مطلّة بأفائها على عرصات عرفة تطلب من يمسك بأغصانها أو يتمسح بشجرتها؟!!

تاسعاً: يُستحبّ الإفاضة من عرفات حال بلوغ الغروب؛ لإدراك الصلاة في أوّل مزدلفة أو في المشعر الحرام^(٤) - إن أمكن ذلك - وإذا خشيت

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٦٦، ح ٣؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٩٩، ح ١٨٤١؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٤، ص ١٩٢، ح ٣.

(٢) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٤١، ح ٧.

(٣) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢١١، ح ٢١٨٣؛ دعائم الإسلام، مصدر سابق: ج ١، ص ٣٢٠؛ وسائل الشيعة، مصدر سابق: ج ١٣، ص ٥٤٧، ح ٢.

(٤) مزدلفة هي نفسها المشعر الحرام، ولكن المراد في المقام هو الاقتراب من مسجد المشعر الحرام الذي مكث فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، فيكون أوّل مزدلفة غير ذلك المسجد.

فوات الوقت أو التأخر عن الصلاة كثيراً فلك أن تُصلي صلاة المغرب في عرفات ثم أداء صلاة العشاء في مزدلفة، وينبغي لك وأنت تفيض من عرفات أن لا تنفثل عن الذكر والدعاء وتلاوة القرآن، ولو بآيات قليلة، فإن أمامك رحلة الذكر في مزدلفة، وهي رحلة معنوية بامتياز، كنت قد تزودت لها بفيض الكمال المنبعث من عرصات عرفة، فتتجلى فيه ما اغتنمته من واحة الكمال.

تنبيه

بالرغم من أن الوقوف بعرفة هي وظيفة شرعية للحجاج إلا أن جملة من أعمال عرفة مشرعة للجميع، فللمؤمن ممن لم يوفق للحج أن يقصر يوم عرفة على الدعاء، وأن لا يسأل فيه أحداً غير الله تعالى، فإنه يوم التوبة والاستجابة، ولقد سمع الإمام علي بن الحسين عليهما السلام يوم عرفة سائلاً يسأل الناس فقال له: «ويحك أغير الله تسأل في هذا اليوم؟ إنه ليُرجى لما في بطون الحبالى في هذا اليوم أن يكون سعيداً»^(١)، وإذا كان السؤال من غير الله تعالى في هذا اليوم قبيحاً لغير الحاج، فلا ريب في شدة قبح هذا العمل في حق الحاج نفسه.

أخلاقيات الوقوف في مزدلفة

لا ريب أن الوقوف في مزدلفة ركن أساس من أركان الحج، فيجب الوقوف فيها من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، حيث المكوث بجوار المشعر الحرام للذكر؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٨)، وفي هذا المنسك الشريف أخلاقيات جليلة ينبغي الالتفات لها، نذكر منها:

(١) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢ ص ٢١١ ح ٢١٨٢؛ الخصال، مصدر سابق: ص ٥١٧.

أولاً: إقامة صلاتي المغرب والعشاء في مزدلفة، أو صلاة العشاء لمن خشي عدم إدراك الفضيلة في مزدلفة، وبعد أداء الصلاة - إن لم يكن قد صلاهما في عرفات - ينبغي له عقد نية المبيت في مزدلفة، فذلك من المستحبات.

ثانياً: الاشتغال بجمع الحصى التي سوف تُرمى بها الجمرات الثلاث على مدى ثلاثة أيام، حيث يستحب مؤكداً جمع الحصى من مزدلفة^(١)، وأن يغسل الحاج حصياته وكأنه يستعد لمنازلة الشيطان في الصباح الباكر، فيعدّ عدته، وليفي بعهد، ثم المكوث للراحة أو الاشتغال بالدعاء أو تلاوة القرآن.

ثالثاً: أن يتجلبب الحاج بلباس التقوى، فيكون إحرامه لباساً لذلك في الظاهر والباطن، وإنما تتأكد التقوى في هذا الموقف لأنه مشعر، والمشعر يشتمل على إشعار بهوية المؤمن، وهويته الباطنية هي التقوى التي جعلها الله تعالى منافعاً للتفاضل بين الخلق أجمعين، فلا ينبغي للحاج أن يغفل عن لباسه فيتعرى عن سرّه وهويته، وما لم يرتد لباس التقوى فإنه يكون قد خسر قلاعه الحصينة وهو في مواجهة شرسة مع الشيطان.

رابعاً: أن يحرص كثيراً على أداء صلاة الليل، فإن مزدلفة تُشير بمعناها إلى الزلفى والتقرب لله كما أنّ صلاة الليل من علامات أولي النهى ومن المنجيات^(٢).

(١) ينبغي الاحتياط بجمع الحصى من مكة، فإن أمكن جمع الحصى في مزدلفة فهو أولى.

(٢) عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله: إنّ خياركم أولو النهى، قيل: يا رسول الله ومن أولو النهى؟ قال: هم أولو الأخلاق الحسنة، والأحلام الرزينة... ويطعمون الطعام، ويفشون السلام في العالم، ويصلّون والناس نيام». الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٤٠، ح ٣٢. وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «المنجيات: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام». الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥١، ح ٥؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٦٤، ح ١٧١٩.

خامساً: أن يقف على قدميه وهو يعقد نية الوقوف في مزدلفة، والنكته في الوقوف هي عين ما تقدّمت في نية الوقوف في عرفة، فإن عقد نيته توجّه مباشرة إلى أداء صلاة الفجر، ويُفضّل له تكرار النية بعد صلاته، ثم التكبير: «الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، الحمد لله على ما هدانا، وله الشكر على ما أولانا»^(١) ثم الاشتغال بالتضرّع والدعاء والإخلاص بالتوجّه لله تعالى حتّى طلوع الشمس، فإن طلعت الشمس قابل رفقاء بالتهنئة بعيد الأضحى المبارك، ثم يمضي إلى منى وهو يردّد تلك التكبيرات الآتية.

أخلاقيات الإفاضة من عرفات ومزدلفة

تحدّثنا بقدر كافٍ حول أخلاقيات عرفات ومزدلفة، وهنا نريد أن نوّكد على أخلاقيات نفس الإفاضة، فهناك إفاضة من عرفات إلى مزدلفة بعد غروب شمس يوم عرفة، وإفاضة من مزدلفة بعد طلوع الشمس من اليوم العاشر، وهذه الأخلاقيات تكمن في أمور ثلاثة، وهي:

الأول: التعاطي مع الإفاضة على كونها أمراً عبادياً وليست مجرد أمر توصلي من مكان لآخر، وعبادية الإفاضة نستفيد منها من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٩٩)، بمعنى: عقد النية في الإفاضة، فلا تترك الإفاضة بلا نية، لأنّها أمر عبادي، فتكون متنقلاً من عبادة لأخرى، ولذلك عليك أن تحرص كثيراً على البقاء على الطهارة، فإن الإفاضة من عرفات هي أوّل رحلة الاستغفار والذكر.

الثاني: إدامة الدعاء والذكر، والشكر على نعمة ما تقدّم من مناسكه.

(١) مصباح المتهجّد، مصدر سابق: ص ٦٤٨، ح ٩٧. وفي خبر آخر تقول: «الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام». تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٥، ص ٢٦٩، ح ٣٤.

الثالث: الحرص الأكيد على حفظ نظام السير في الإفاضة، وعدم مزاحمة الحجاج، بل والعمل على توسعة الطريق، وإزاحة كل ما يعيق الطريق إلى مزدلفة أو إلى منى، فذلك العمل هو بمثابة الصدقة، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «إماتتك الأذى عن الطريق صدقة، وإرشادك الرجل إلى الطريق صدقة»^(١)، بل إمطة الأذى عن الطريق هو شعبة من شعب الإيمان، كما ورد في الأخبار^(٢)، بل ورد مثل ذلك بشأن مكة نفسها^(٣).

أخلاقيات رمي الجمرات

وهنا سيقع الازدحام والتزاحم الشديدين، فيتعرض الحاج إلى الضغط الشديد الذي قد يؤدي ببعض إلى انفلات أعصابهم وفقدان رشدهم، ولذلك ينبغي الالتفات لذلك والاستعداد الكبير لتحمل مشاق منسك رمي الجمرات، وهذا الاستعداد ينبغي أن يكون قد حصل على الحاج سلفاً عندما كان في عرفات ومزدلفة، حيث سيتبين له مقدار ما حصل عليه، وعليه وهو يسير باتجاه رمي الجمرات أن يلتفت إلى أمور تحفظ له عبادة هذا المنسك، منها:

- (١) الدعوات، قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت: ٥٧٣هـ): ص ٩٨، ح ٢٣٠، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، مطبعة أمير، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- (٢) عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق». مصنف الصنعاني: ج ١، ص ١٢٦، ح ٢٠١٠٥؛ مصنف ابن أبي شيبة: ج ٦، ص ٩١، ح ١؛ مسند أحمد: ج ٢، ص ٣٧٩؛ صحيح مسلم: ج ١، ص ٤٦؛ سنن ابن ماجه: ج ١، ص ٢٢، ح ٥٧؛ سنن الترمذي: ج ٤، ص ١٢٣، ح ٢٧٤٦ (مصادر تقدمت).
- (٣) عن إسحاق بن عمار، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «من أمط أذى عن طريق مكة كتب الله له حسنة، ومن كتب له حسنة لم يعذبه». فروع الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٤٧، ح ٣٤؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٢٨، ح ٢٢٦٧.

الأول: لابد أن يدرك أن هذا الفصل من مناسك الحج هو عبادة خالصة، وليس مجرد عمل ميداني، فهو كالصلاة والصوم، يحتاج إلى نية وقصد القربة من الله تعالى، فلا يفتل عن هذا الشعور وهذا القصد، فإن رمي الجمرات هو من أبرز تجليات التبرّي من الشيطان والطاغوت، وقد كنّا في جميع أعمالنا السابقة على الرمي في مقام التويّ، والآن نتقل بالرمي إلى مقام التبرّي.

الثاني: ينبغي للحاج أن ينظر إلى حصياته التي بين يديه، ويريد بها رمي الجمرات، على أنّها جزء من ذلك المنسك، فهي ليست حصيات عادية يرمي بها جدار الجمرات، وإنّما هي حصيات ستساعده على تطهير نفسه الأمارّة بالسوء، فإن من فلسفة رمي الجمرات: أنّها تشير إلى رمي النفس الأمارّة بحصيات جمعها الحاج بنفسه، فهي حصيات تطهيرية، ولذلك ورد في الدعاء عند المسك بها: «اللَّهُمَّ هذه حصياتي فأحصهن لي وارفعهنّ في عملي»^(١)، وعند رميها تقول: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ ادحر عني الشيطان وجنوده، اللَّهُمَّ اجعله حجاً مبروراً، وعملاً مقبولاً...»^(٢)، ومنه يتّضح أهميّة تلك الحصى.

الثالث: أن لا يكون جلّ اهتمامك بالتيقّن من إصابة الجمرة، حيث يكفي الاطمئنان بأنك قد أصبتها، وعليك بالتوجّه إلى قصد القربة من الله تعالى وأنت ترمي الجمرات، وكيف أنّك بكلّ حصاة تكون قد هدمت ركناً من أركان الشيطان وشهوة من شهوات النفس، وتكون قد حطّمت جدران الأمانى الكاذبة.

الرابع: لابد أن لا يكون رميك للجمرات مسبباً لضيق وإزعاج للآخرين، ولا يجب عليك أن يكون موضع الرمي في وسط الجمرة أو على مقدار ارتفاع قامّة، فإن تحقّق ذلك من غير إلحاق الضرر بالنفس والأذى

(١) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥٤٨.

(٢) المصدر نفسه.

بالآخرين فيها ونعمت، وإلا فعليك بأيّ موضع من مواضع الجمرات، حتّى ولو كان في إحدى زواياها.

الخامس: احرص كثيراً على أن يكون خروجك من الجمرات خروجاً آمناً لنفسك ولغيرك، ولا تأخذك العجلة والفرحة بالانتهاء من الرمي على إلحاق الأذى بنفسك أو بالآخرين، فإنّ واحدة من ثمرات الرمي هو أن تكون قد أدبت نفسك، وأنّ النفس الأمّارة بالسوء تكون قد انكفأت.

السادس: إن قدرت على تمكين غيرك من الرمي ولو على حساب نفسك، فذلك عمل جليل يعكس طهارة قلبك من الأنانيّة وأنت في ذلك الموضع المزدحم، ولعلّك في هذا العمل تكون قد حصلت على القبول والرضا ما لم تحصل عليه في موضع آخر، فإنّ الله تعالى أخفى رضاه في بعض طاعاته ولم يعيّن منها شيئاً، فلا تستصغر شيئاً قد يكون سبباً واقعياً في قبول حجّك وهو غير مرتبط بالحجّ^(١).

أخلاقيات الهدى والحلق

وبعد رمي الجمرة الكبرى (جمرة العقبة الكبرى)، في صباح اليوم العاشر من ذي الحجة يقصد الحاجّ إلى تقديم قربانه بالهدي (ذبيحة الحجّ)، وبكفيه التوكيل في ذلك، فينوي ذلك، فإن تمّ له ذلك العمل مضى لحلق شعره أو التقصير منه، وهنا توجد بعض الأمور ترتبط بأخلاقيات الحجّ، منها:

١. إنّك بتقديم الهدى والقربان إلى الله تعالى لا ترى نفسك متفضّلاً في

(١) يُروى أنّ عليّ بن يقطين (١٢٤ - ١٨٢)، وهو من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام، أراد الحجّ فجهّز نفسه لذلك، ولما أراد الخروج من بغداد رأى امرأة فقيرة معدّمة، فأعطها كلّ ما عنده من عدّة الحجّ وعاد إلى بيته، فامتدحه الإمام الصادق عليه السلام، واعتبر عمله هذا بمثابة حجّه للبيت الحرام.

ذلك، فإنَّ كلَّ ما تقدّمه إنّما يُراد به صلاح نفسك، وإلّا فكما قال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ (الحج: ٣٧)، وكلّما قدّمت أكثر من أضحية فذلك فضل من الله تعالى عليك.

٢. إنّ هذا الهدى هو شبيه بهدي هابيل عليه السلام عندما قدّمه لله تعالى، وإنّما قبل منه لصدق نيّته وحسن ما انتخبه لذلك، بخلاف ما قدّمه أخوه قابيل الذي لم يقبل منه قربانه؛ قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ (المائدة: ٢٧)، وعليه فلا بدّ أن يكون قربانك شبيهاً بما قدّمه هابيل فتفلح، لا بما قدّمه قابيل فتخسر، وصدق النيّة وليد التقوى، وفي الهدى تكون التقوى هي المناط في القبول، كما تقدّم في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ (الحج: ٣٧).

٣. في الحلق عليك أن تستحضر بعد نيّة القربة من الله تعالى أنّك ستنزح آخر زينة لك في الدنيا، وهي شعرك وهذا للرجل، وأمّا المرأة فعليها بالتقصير ويحرم عليها الحلق، وحيث إنّك تتنازل عن زينتك قربة إلى الله تعالى فإنّك ستستبدل بكلّ شعرة نوراً، وقد ورد في الدعاء عن الحلق: «اللَّهُمَّ أعطني بكلّ شعرة نوراً يوم القيامة»^(١).

٤. احرص كثيراً على دفن شعرك في منى، فلا تحلق خارج منى، وإذا حلقت عن جهل فأرسل شعرك إلى منى، وإذا كنت في منى ولم يمكنك دفن شعرك فلا بأس برميّه في سلّة المهملات في منى، فالشرط أن يكون في منى.

أخلاقيات المبيت في منى

من أهمّ أخلاقيات المبيت في منى ما يلي:
أولاً: أن تستغلّ وقت مبيتك بالتعليم والتحصيل، فمن كان متفقهاً في

(١) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥٥٠.

دينه فعليه أن يُفقه غيره، ومن لم يكن متفقهًا فعليه بالسعي لتحصيل ذلك، وسعة الوقت في منى فرصة يتحقق فيها هذا الأمر، فلا تمض وقت مبيتك بالمسامرات الفارغة، وسرد القصص والحكايات البالية، فإن منى موضع من مواضع العبادة في مناسك الحج، ولا تغترّ بكلمات البطالين الذين يصوِّرون لك المبيت في منى بأنه مجرد التواجد، فلا تلاوة ولا ذكر ولا دعاء ولا تفقه في الدين، فإن مناسك الحج أمور عبادية خالصة، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون المسامرات الدنيوية عبادة، وهذا واضح.

ثانيًا: إن لم يمكنك تحصيل فرصة التفقه فعليك بتلاوة القرآن أو بمطلق الذكر والصلاة على النبي وآله صلوات الله تعالى عليهم أجمعين.

ثالثًا: ما دمت في منى فعليك السعي في خدمة الحجاج، سواء كانوا من رفقاءك أو من غيرهم، ولا تتثاقل من وجود حجاج من غير حملتك أو خيمتك، فإن المؤمنين كالجسد الواحد، ومنه يتضح لزوم عدم إلحاق الأذى بالحجاج ولو بكلمة أو نظرة، فإن وقع شيء من ذلك فعجل له بالاعتذار وطلب الصفح.

رابعًا: وأخيرًا ينبغي أن تكون نية خروجك من منى بنية أن يأمن الناس من قلبك ولسانك ويدك، وإلا ستكون قد أبطلت المضامين الرفيعة للمبيت في منى.

خصوصيات طواف الحج وسعيه

إنما تأخر الحديث عن خصوصيات طواف الحج وسعيه رعاية منّا إلى السير وفق النسق الشرعي لأعمال الحج، فالطواف والسعي فيه - عادة - يقعان بعد الشروع بأعمال منى^(١)، أو بعد الأعمال الصباحية من أعمال منى في اليوم

(١) لا يجوز اختياراً تقديم الطواف والسعي على الوقوفين في عرفة ومزدلفة إلا لذوي الأعذار الشرعية، وهم العجزة والمرضى والنساء والأطفال، وينبغي الاحتياط في هذا الأمر كثيراً.

العاشر من ذي الحجة، فإن بلغت منسك الطواف، وهو طواف الحج، فعليك أن تراعي فيه خصوصيات جديدة، وهي:

الأولى: أن طواف العمرة كان هو العمل الأول بعد الإحرام، فهو مطلع أعمال العمرة والحج، وأما طواف الحج فإنه يقع في ختام أعمال الحج، فتكون جميع الأعمال السابقة بآثارها المعرفية والمعنوية حاضرة لديك، فهو طواف الحبّ والقرب، وطواف قبول الأعمال، وطواف الدموع التي ذرفت في عرفات، ولوعات طلب القرب في مزدلفة، إنه طواف النفس الأمّارة المنحورة في سبيل الله، وطواف الزينة الملقاة في عرصات منى، وطواف الآخرة، وطواف حول الذات الإلهية المقدسة والأسماء الحسنى والصفات الأسنى، ولذلك عليك أن تعيش هذه المعاني الرفيعة ليكون طوافك طواف حج الإسلام.

الثانية: وإذا كان سعيك في عمرتك فيه طلب لأموال الدنيا - وهو مباح لك - فلا تخلط بسعي الحج غير طلب الآخرة، وغير العود إلى الديار المقدسة مرة أخرى، وأنه ينتظرك طواف آخر قد يكون آخر طواف لك في المسجد الحرام^(١).

نفحات من أركان الكعبة

وأنت في البيت الحرام ترقّب نظرة رؤوفة من العاطي الوهاب، تُثلج بها قلبك، ويستريح بها عقلك، وتطيب بها نفسك، هبة القرب والرضا والرضوان، والروح والريحان، ولعلّ أقرب موضع لذلك هو أركان الكعبة، فإنّها أماكن تقطع بشهودها دموع النبوة وزفرات الولاية ولوعات المحبين والمُخبّتين والمخلصين.

(١) وهو ما يسمّى عند مدرسة أهل البيت بطواف النساء، وعند مدرسة الصحابة بطواف الوداع، ويُستحبّ لأتباع مدرسة أهل البيت إن قضوا طواف النساء أن يأتوا بطواف آخر، ويصحّ أن تأتي به بنية طواف الوداع. (منه دام ظلّه).

هي أركان أربعة تضحّ بالتسيّحات الأربع، تسيّحات العاكفين والركّع السجود، وتصطكّ بتليّيات الطائفين على قرون طوال، فارقب هبتك عند تلك الأركان، ولا تمضِ من غير أن تظفر بها، ولعلّ في الركن اليماني أولويّة في الوصال والنوال، ولعلّ بين الركنين يكون المنال، كما هو الحال تحت الميزاب، ميزان الرحمة والاستغفار وقبول التوبة، فكن على بينة ولا تضيّع فرصتك، فإنّها نفحات إلهيّة من أركان الكعبة.

الحجّ طوفان الكمال والوصل بالله تعالى

لم تكن الغاية من حجّك - بطوافك حول البيت، وبسعيك بين الصفا والمروة، ووقوفك بعرفات ومزدلفة، ومبيتك في منى، ورميك للجمرات وهديك وحلقك - لم تكن الغاية من ذلك كلّ غير تحصيل الكمال، وتحقيق الوصل بالله تعالى، وحيث إنّ الكمال والوصل هما المطلوبان فلا بدّ أن يكونا مرشدين وراقيين على أقوالك وأفعالك في كلّ مناسكك، وكلّما كانت مراقبتك يقظة فإنّ طوفان حجّك بالكمال والوصل يكون أكثر اندكاً بتلك المناسك المقدّسة، فلا يكون طوافك كطواف آخرين، ولا سعيك سعيهم، ولا وقوفك ومبيتك ورميك ونحرك مثل ما فعل آخرون، فالأعمال رهنٌ بكمالها ووصالها^(١)، فعماً قريب ستنتقلك خطواتك إلى بلدتك ودار سكنك، فلا تعجل في أداء مناسكك، ولا يكن أكبر همّك في الإخلاص من رسوم عملك، بقدر ما يكون همّك في الإخلاص في أداء مناسكك، ليكون الهدف المنظور قريب النوال، وهو بلوغ ذلك الطوفان، ونعني به طوفان الكمال والوصل بالله تعالى، والسعيد من نال بغيته.

(١) وبعبارة وصلية: لا تكن خطواتك وأنفاسك كخطوات دابّتك وأنفاسها، فساقك دابّة الوصل فلا تجعلها طريقاً للفصل، وإنّما الأعمال بالخواتيم، وخاتمة الحجّ كمال الوصل.

وداع البيت الحرام بكلمة التوحيد

وهنا تختلط المشاعر المختلفة بين الشوق للأهل والأحبة وبين الفراق القريب للبيت الحرام وزواياه وأزقة مكة وشعابها، فرحة ولوعة، وعليك أن تؤجل الفرحة قليلاً، وتطلق العنان للوعة الفراق، فتذرف الدموع الساخنة على فراق دار التوحيد، دار الطواف والسعي. ستمضي وتترك خطواتك خلفك وهي تسجل حضورك في عرصات عرفات ومزدلفة، وتنشر أنفاسك في منى، وخطواتك في الطواف والسعي، سيتذكرك زمزم كما ستذكره، وسيتذكرك الحجر الأسود وحجر إسماعيل والميزاب والخطيم، ستمضي وتبقى لمسائك على جدران الكعبة الشريفة، فاحرص أن يكون وداعك وداع باكٍ متلوع، فإنك لا تدري ما الذي ستخلفه وراءك.

وللخروج من مكة والبيت الحرام آداب وأخلاقيات جليّة ننهلهما من أهل بيت النبوة، فعن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إذا أردت أن تخرج من مكة وتأق أهلك فودّع البيت وطف بالبيت أسبوعاً ... ثم قل: ... اللهم اقبلني مفلحاً منجحاً، مستجاباً لي بأفضل ما يرجع به أحد من وفدك من المغفرة والبركة والرحمة والرضوان والعافية، اللهم إن أمتني فاغفر لي، وإن أحييتني فارزقنيه من قابل، اللهم لا تجعله آخر العهد من بيتك ... ثم آت زمزم فاشرب من مائها ثم اخرج وقل: آثبون تائبون عابدون، لربنا حامدون، إلى ربنا راغبون، إلى الله راجعون، إن شاء الله»^(١).

وعليك أن يكون آخر ما تودّع به البيت الحرام هو كلمة التوحيد، فعن إبراهيم بن أبي محمود قال: «رأيت أبا الحسن عليه السلام ودّع البيت، فلما أراد

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٣٠، ح ١، باب: (وداع البيت)؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٥، ص ٢٨٠، ح ١، باب: (الوداع).

أن يخرج من باب المسجد خرّ ساجداً ثم قام فاستقبل الكعبة فقال: اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْقِلِبْ عَلَى آلَا إِلَهٍ إِلَّا أَنْتَ»^(١).

كلمات على الطريق

- إنَّ ثمرة الحجِّ إنَّما تتجلَّى في قولك وسلوكك عند العود إلى بلدك وأهلك، فلا تُضَيِّع تلك الثمرة العظيمة في انكسارات الماضي، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «مِنْ علامة قبول الحجِّ إذا رجع الرجل رجع عَمَّا كان عليه من المعاصي، هذا علامة قبول الحجِّ، وإن رجع من الحجِّ ثمَّ انهمك فيما كان عليه من زنا، أو خيانة، أو معصية، فقد رُدَّ عليه حجُّه»^(٢)، وإلَّا فما معنى الوفاة على الله تعالى إذا كان الحاجُّ لم يعزم على طمر ماضيه وذنوبه؟! وقد مرَّ بنا ما جاء في علَّة الحجِّ، عن الإمام عليِّ الرضا عليه السلام: «أَنَّ علَّة الحجِّ: الوفاة إلى الله تعالى، وطلب الزيادة، والخروج من كلِّ ما اقتترف، وليكون تائباً ممَّا مضى، مستأنفاً لما يستقبل»^(٣).
- ومن بركات الحجِّ على المؤمن نورانيته، فلا تفرط بها، وسرَّ حفظها بحفظ النفس من ارتكاب الذنب، فعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «الحاجُّ لا يزال عليه نور الحجِّ ما لم يلم بذنب»^(٤).

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٣١، ح ٢، باب: (وداع البيت)؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٥، ص ٢٨٠، ح ١، باب: (الوداع).

(٢) مستدرك الوسائل، مصدر سابق: ج ١٠، ص ١٦٥، ح ٢.

(٣) علل الشرائع، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤٠٤، ح ٥؛ عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام، مصدر سابق: ج ١، ص ٩٧.

(٤) المحاسن، مصدر سابق: ج ١، ص ٧١، ح ١٤٣؛ الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٥٥، ح ١١؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٢٥، ح ٢٢٥٠.

خلاصة الدرس

- عمرة التمتع بمثابة المقدمة لأعمال حج التمتع، فهو ذو المقدمة، وذو المقدمة أشرف من مقدمته، وشرافته تنعكس في كل تفاصيله، فتنشأ خصوصيات لكل منسك من مناسك الحج.
- في إحرام الحج يقع الاعتراف بالذنوب في عرفة، والتذلل لله في مزدلفة، وتمني قبول الأعمال في منى، وتقديم الهدى، ونزع الحاج آخر زيارته.
- ثوبا الإحرام ليسا مجرد ثوبين غير مخيطين، وإنما هما ثوبا التوحيد، المجردان عن مقتضيات الدنيا، وهو التوحيد الأفعالي الذي تحترق في رحاه جميع ملذات الدنيا وشهواتها.
- إحرام الحج هو إحرام المسجد، وإحرام العمرة هو إحرام للمسجد، فيكون إحرام الحج هبة المسجد لك، وإحرام العمرة هبتك له، والفرق شاسع بين الهبتين.
- في إحرام الحج سيشهد المسجد الحرام وأرجاء مكة تليياتك، وأما في إحرام العمرة فتقطع تليياتك حال دخول مكة.
- أخلاقيات الوقوف في عرفات تبدأ بنية الإحرام في المسجد الحرام؛ لأنّ أوّل عمل واجب يكون بعد الإحرام، ويمكن القول إنّ جميع مناسك العمرة مقدّمات للوقوف في عرفات، بل صيام شهر رمضان وإحياء ليلة القدر هما من مقدّمات الوقوف في عرفات.
- من أخلاقيات عرفات: البقاء على الطهارة، والصلاة تحت السماء، وعقد النية وقوفاً، والانقطاع إلى التضرّع والدعاء، فإنّ الدعاء كهف الإجابة كما أنّ السحاب كهف المطر، وعليك بالبكاء أو التباكي، وخدمة الحجيج ما استطعت لذلك سبيلاً، فإذا أردت الإفاضة إلى مزدلفة فلا تخرج من

عرفات إلا وأنت معتقد بأن الله تعالى قد غفر ذنوبك وخطاياك، ولتكن إفاضتك مقرونة بالذكر والدعاء.

- يوم عرفة لا يقتصر على الواقفين، فللمؤمنين أن يقصروه على الدعاء، وأن لا يسأل فيه أحداً غير الله تعالى، فإنه يوم التوبة والاستجابة.
- الوقوف في مزدلفة (من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس) من أركان الحج، وله أخلاقيات منها: إقامة صلاتي المغرب والعشاء في مزدلفة، وعقد نية المبيت في مزدلفة، وتهيئة العدة لمنازلة الشيطان في الصباح الباكر، ليفي بعهده، والاشتغال بالدعاء والتجلبب بلباس التقوى، والقيام عند عقد نية الوقوف، فإن حلّ الصباح فعليك بالتكبير.
- الإفاضة قسمان: من عرفات إلى مزدلفة بعد الغروب، ومن مزدلفة إلى منى بعد الشروق، ولهما أخلاقيات، منها: التعاطي مع الإفاضة على كونها عبادة، فتعقد النية لها، وأن تديم الدعاء والذكر والشكر فيها، وأن تحرص على حفظ النظام وعدم مزاحمة الحجاج.
- عند المسير إلى الجمرات ينبغي الالتفات إلى عبادية منسك الرمي، فهو ليس عملاً ميدانياً، بل هو من أبرز تجليات التبرّي من الشيطان، كما ينبغي النظر إلى الحصيات على أنها جزء من ذلك المنسك، فهي حصيات تساعد على تطهير النفس الأمّارة بالسوء، وأن لا يكن جلّ اهتمامك بالتيقّن من إصابة الجمرة، فيكفي الاطمئنان، وأن لا يكن رميك مسبباً لضيق الآخرين وإزعاجهم، واحرص على الخروج الآمن لنفسك ولغيرك.
- من أخلاقيات الهدى: أن لا ترى نفسك متفضّلاً، فما تقدّمه إنما يُراد به صلاح نفسك، وعليك التشبّه بهابيل الذي تقبل الله قربانه لتقواه وشدة إخلاصه ولاختياره القربان الجيّد.
- من أخلاقيات الحلق أن تشعر أنك تنزع آخر زينة لك في الدنيا، وأن لا

- تخلق خارج منى، وأن تحرص كثيراً على دفن شعرك في منى.
- من أهم أخلاقيات المبيت في منى: أن تستغل وقت مبيتك بالتعليم والتحصيل، أو تستغل وقتك بتلاوة القرآن أو بالذكر والصلاة على النبي وآله صلوات الله عليهم، والزم خدمة الحجاج ما استطعت لذلك سبيلاً، وأن لا تنفر من منى إلا بنية أن يأمن الناس من قلبك ولسانك ويدك.
 - في طواف الحج عليك أن تدرك أنه طواف الحب والقرب وقبول الأعمال، وطواف دموع ذرفتها في عرفات ولوعات طلب القرب في مزدلفة، وأما سعي الحج فزينه بطلب الآخرة والعود إلى الديار المقدسة مرة أخرى.
 - كم شهدت أركان الكعبة المشرفة دموع النبوة، وزفرات الولاية، ولوعات المخلصين! وكم ضجت بالاستغفار والتسبيح! واصطكت بتلييات الطائفين على مدى قرون! فارقب هبتك عند تلك الأركان.
 - لم تكن الغاية من مناسك حجك غير تحصيل الكمال، وتحقيق الوصال بالله تعالى، فهما المطلوبان، ولا بد أن يكونا مرشدين ورقبيين على أقوالك وأفعالك في كل مناسكك، وعمّا قريب ستنقلك خطواتك إلى بلدتك ودار سكنائك؛ فلا تعجل في أداء مناسكك، ولا يكن أكبر همك في الخلاص من رسوم عملك، بقدر ما يكون همك في الإخلاص في أداء مناسكك.
 - عند وداع المسجد الحرام تختلط المشاعر المختلفة، بين الشوق للأهل، وبين ألم فراق المسجد الحرام وزواياه وأزقة مكة وشعابها، فعليك أن تؤجل الفرحة قليلاً، وتطلق العنان للوعة فراق دار التوحيد، دار الطواف والسعي، فاحرص أن يكون وداعك وداع بالك متلوع.
 - عليك أن تودّع البيت الحرام بكلمة التوحيد، فتقول: «اللهم إني أنقلب على ألا إله إلا أنت».

مذاكرة

- من أي شيء تنشأ الخصوصيات لكل منسك من مناسك الحج؟
- متى ينزع الحاج عنه آخر زينته؟
- ماذا نعني بكون ثوبي الإحرام هما ثوبا التوحيد؟
- ما هو الفرق بين إحرام المسجد والإحرام للمسجد؟
- ما هو الفرق بين تلبيات العمرة وتلبيات الحج؟
- كيف توجه قولنا: إن صيام شهر رمضان وإحياء ليلة القدر هما من مقدمات الوقوف في عرفات؟
- ما هي أخلاقيات الوقوف في عرفات؟
- هل تشمل بعض أعمال عرفة غير الواقفين فيها؟ وكيف ذلك؟
- متى يكون الوقوف في مزدلفة؟ وما هي أهم أخلاقياته؟
- ما هي أقسام الإفاضة؟ وما هي أخلاقياتها؟
- ماذا نعني بعبادة الرمي؟ وكيف ينبغي النظر إلى الحصيات؟
- ما هي أهم أخلاقيات الهدى والحلق؟
- ما هي أهم أخلاقيات المبيت في منى؟
- ما الذي ينبغي للحجاج دركه في طواف الحج؟
- ما هي الهبة التي يرتقبها الحاج عند أركان الكعبة؟
- الكمال والوصال أهم مطالب الحاج الواقعي، فما الذي يترتب عليهما؟
- كيف يوفق الحاج بين الشوق للأهل، وبين ألم فراق البيت الحرام؟
- بأي شيء يكون وداع الحاج للبيت الحرام؟

الدرس السابع

أخلاقيات التزاور والتكاتب

- أهداف الدرس
- تمهيد
- معنى التزاور والتكاتب
- فلسفة التزاور والتكاتب
- القطيعة انكسار للنفس وتفكيك لبناء الأسرة والمجتمع
- التزاور الشرعي والتزاور غير الشرعي
- آداب الزيارة الشرعية
- التوصيات القرآنية بالتزاور
- توصيات السنة الشريفة بالتزاور والتكاتب
- التوصيات الأخلاقية بالتزاور والتكاتب
- التزاور والتكاتب النفعي (البرجماتي)
- التزاور الخدمي (حقوق التزاور والتكاتب)
- التزاور التعليمي والتذكيري
- علاقة التزاور بحفظ الدين والشهادة على الأعمال
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- بيان معنى التزاور والتكاتب، والتوصيات القرآنية والروائية بذلك
- الكشف عن علاقة القطيعة بانكسار النفس وتفكيك الأسرة والمجتمع
- بيان معنى التزاور الشرعي والتزاور غير الشرعي، وضابطهما
- بيان الآداب الشرعية للزائر والمزور
- الكشف عن التزاور والتكاتب النفعي (البرجماني)
- بيان هوية التزاور الخدمي وآثاره
- تشخيص التزاور التعليمي والتذكيري
- كشف العلاقة بين التزاور وبين حفظ الدين والشهادة على الأعمال

تمهيد

الإنسان مجبول على التواصل مع الآخرين، ومن أهم تجليات التواصل: التزاور؛ ولذلك ينبغي التوقف عند التزاور ومعرفة أقسامه وخواصه وآثاره، وكيف أن الشارع المقدس قد أبدى عناية فائقة به، مما أعطى صورة ناصعة لدوره في حياة الإنسان الاجتماعية والمعنوية، وما يمكن تسميته بالتزاور الخدمي الإيجابي، حيث يكشف عن المنافع والفوائد الجمّة، سواء كانت علمية أو نفسية أو روحية أو مادية، مما يعني الانسجام الكبير للتزاور مع فطرة الإنسان وطبيعته، وهذا ما جعله موضعاً لنزول الرحمات الإلهية، لاسيّما إذا ما اشتمل التزاور على فضائل الدين والآخرة، حيث به يكون حفظ الدين، بل وبه يظفر المؤمن بشهادة عادلة على أعماله. وفي هذا الدرس سوف نتعرّف على هذه التفاصيل، ومنها الآداب الشرعية المتعلقة بالزائر والمزور.

معنى التزاور والتكاتب

للتزاور معنى لغوي مأخوذ من الزَّور، وهو الميل إلى الشيء^(١)، فتكشف بزيارتك عن ميلك لمن تزوره، ومعنى اصطلاحياً يراد به: تبادل الزيارة بين الأهل والأقارب والمعارف، (والزيارة في العرف: قصد المزور إكراماً له وتعظيماً له واستيناساً به)^(٢)، والتزاور إنّما يكون في الحضر، وأمّا التكاتب فمن الكتابة والمكتوب، وهما تأتيان بمعنى الفرض أو المفروضة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣)، أي: فرَض، والصلاة المكتوبة، أي: الواجبة أو المفروضة، وأمّا التكاتب فالمراد به في المقام هو التواصل عبر الكتابة، أو عبر الوسائل الحديثة في التواصل الاجتماعي، والذي يهدف إلى تقصي الأخبار ومعرفة الأحوال، فيكون عوضاً عن التزاور لمن كان يتعذر عليه ذلك، فإنّه أحد وسائل التواصل، كما هو الحال في التزاور، وقد ورد في الخبر عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «التواصل بين الإخوان في الحضر التزاور، وفي السفر التكاتب»^(٣). وحيث إنّ التواصل مطلوب عقلاً وشرعاً فإنّ وسائله الصحيحة تكون كذلك.

قال المازندراني: «التواصل مطلوب عقلاً وشرعاً؛ لحسن النظام وتحقيق

(١) انظر: لسان العرب، مصدر سابق: ج ٤، ص ٣٣٤.

(٢) مجمع البحرين، مصدر سابق: ج ٢، ص ٣٠٥.

(٣) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٦٧٠، ح ١، باب: (باب التكاتب)؛ مصادقة الأخوان، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن عليّ بن بابويه القمي: ص ٥٦، ح ٣، تحقيق: السيّد علي الخراساني الكاظمي، منشورات مكتبة الإمام صاحب الزمان العامّة، الكاظميّة - العراق، ١٤٠٢ هـ؛ تحف العقول، مصدر سابق: ص ٣٥٨.

الالتزام، وبه ينتظم أمور الدين والدنيا بين الأنام، وهو يتحقق في الحضر بالنزاور وبسط بساط الوفاق، وفي السفر بالتكاتب وإظهار السلامة والمحبة والاشتياق والتألم بالفراق^(١).

والنزاور قد يقع بصورة فردية أو بصورة جماعية، وهو وإن كان مألوفاً بين الأهل الأقارب والأصدقاء إلا أنه أعم من ذلك، حيث يقع النزاور بين الغرباء، كما هو الحال في زيارة المؤمنين للمرضى والفقراء والمعوزين، لتقصي أحوالهم وتقديم المعونة لهم، كما أنه قد يقع بصورة ابتدائية تطوعية أو يقع من باب مقابلة الزيارة بمثلها، ويقع بصورة غير رسمية كما هو حال غالب الزيارات، أو بصورة رسمية كما هو الحال في زيارات المسؤولين من قبل الدولة أو من قبل المؤسسات للمنتدين عندهم أو لكوادرهم من باب الرعاية لهم.

فلسفة النزاور والتكاتب

للتزاور فلسفة دينية واجتماعية لا يستغني عنها الجميع، لأن الإنسان مدني بطبعه، والمدنية تقتضي التقارب والتداخل والنزاور، والطابع الاجتماعي هو الحاكم على حركة الإنسان، فالإنسان بطبعه يراعي العادات والتقاليد، فلا يتصرف - عادة - خلاف المؤلف، ومن المؤلف الصحيح هو نفس النزاور، فيكون نزاوره منبثقاً من انتماؤه الاجتماعي، وبالتالي فإن الخلفية الاجتماعية هي التي تحثه وتدفعه إلى النزاور، كما أن الطابع الديني العام - وهو في الغالب موجود عند كل إنسان - يحثه إلى هذا النوع من التفاعل الاجتماعي، حتى ورد النهي عن إدامة هجرة المسلم لأخيه المسلم فوق ثلاثة أيام، فعن أبي هريرة

(١) شرح أصول الكافي، للمولى محمد صالح السروي المازندراني (ت: ١٠٨١هـ): ج (١)، ص ١٥٨، تعليق: الميرزا أبي الحسن الشعراني، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت، الطبعة الثانية المصححة، ١٤٢٩هـ.

وعن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»^(١)، وهنا نحتاج أن نتوقف قليلاً عن فلسفة التزاور والتكاتب، وخلفية الحث الأكيد، شرعاً وعرفاً، على تحقيق التزاور، فإن من خلفيات الحث عليه هو:

أولاً: في التزاور يتحقق عنوان واضح وصريح للتواصل والتعارف والتقارب.

ثانياً: اشتغال التزاور على منافع مختلفة، وفوائد متنوعة، علمية ونفسية وروحية، بل حتى المنافع المادية، وقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «لقاء الإخوان مغنم جسيم وإن قلوا»^(٢)، ومن روائع ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك قوله: «مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى، ما لقي المؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيراً»^(٣).

(١) الخصال، مصدر سابق: ص ١٨٣، ح ٢٥٠؛ أمالي الشيخ الطوسي، مصدر سابق: ص ٣٩١، ح ٨؛ مسند أحمد، مصدر سابق: ج ١، ص ١٧٦؛ صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ٧، ص ٨٨؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ٨، ص ١٠؛ سنن أبي داود، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤٥٩، ح ٤٩١٣؛ سنن الترمذي، مصدر سابق: ج ٣، ص ٢٥١، ح ٢٠٩٢.

(٢) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٧٩، ح ١٦.

(٣) جامع الأحاديث، جلال الدين السيوطي: ح ٢٨٠٢١، منشور في المكتبة الشاملة؛ الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين (ت: ٣٨٥هـ): ح ٤٣٣، منشور في: موقع جامع الحديث، والمكتبة الشاملة؛ آداب الصحبة، لأبي عبد الرحمن السلمي: ص ٩٥، ح ١٢٨، دار الصحابة للتراث، تحقيق: مجدي فتحي السيد، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ؛ إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ): ج ٢، ص ١٥٨، دار المعرفة، بيروت؛ المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، للشيخ المولى محسن الفيض الكاشاني: ج ٣، ص ٣٣٢ (كتاب الصحبة

ومن أولى تلك المنافع والمغانم الجسيمة: الشعور بالانتماء للمجتمع وعدم الانقطاع عنه، ومن الواضح أنّ الانقطاع عن المجتمع أو الشعور بعدم الانتماء له يجعل الإنسان يعيش غربة قاتلة قد تفضي به إلى مخاطر عظيمة.

ثالثاً: إنّ رحلة الإنسان في الحياة مهما طالّت فإنّها قصيرة جدّاً، فإن لم يقع التعارف فإنّها على قصرها ستكون رحلة مؤلمة ومتعبة وغير منتجة، ولذلك لا نجد مخلوقاً سوياً يعيش وحده، فيكون التزاور بين الناس هو الأمر المنسجم مع فطرة الإنسان وطبيعته، كما أنّه الأمر المنسجم مع التعاليم الدينيّة، فتكون الوحدة والعزلة متقاطعة مع البناء العرفي والشرعي والفطري، والمعتزل عن الناس إنّما يعيش في قبر متحرّك لا غير، ومن جميل ما ورد في هذا المعنى:

وأضحوا رميماً في التراب وأقفرت
مجالس منهم عُظّلت ومقاصرُ
وحلُّوا بدار لا تزاوَرَ بينهم
وأنى لسكّان القبور التزاوَرُ^(١)

رابعاً: إنّ التزاور في الغالب يمنح المتزاورين شعوراً بالتقارب والأمن والطمأنينة، لأنّه يزرع الحبّ والمودة والألفة، بخلاف القطيعة والتقاطع، فإنّها تجعل انطباع كلّ منهما عن الآخر مبهماً وغامضاً، والإيهام والغموض غالباً ما يورثان الريبة والشكّ بالآخر، ومتى ما تحكّمت الريبة بالإنسان فإنّه لم يعد إنساناً سوياً، والشكّ أرضة تنخر في البناء الداخلي للإنسان.

والمعاصرة) الباب الثاني، تصحيح وتعليق: الشيخ علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة؛ جامع السعادات، للشيخ محمّد مهدي النراقي: ج ٢، ص ١٩٦، تحقيق وتعليق: السيّد محمّد كلانتر، تقديم: الشيخ محمّد رضا المظفر، منشورات مطبعة النعمان، النجف الأشرف.

(١) البيتان استشهاد بهما الإمام عليّ زين العابدين عليه السلام. انظر: الصحيفة السجادية، للإمام عليّ زين العابدين عليه السلام: ص ٥٠١، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام بإشراف محمّد علي الأبطحي، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.

خامساً: حيث إنّ التزاور مطلب شرعيّ وعقلائيّ فإنّه لا بدّ أن يكون مورداً لنزول الرحمة الإلهيّة، لاسيّما إذا ما اشتمل (التزاور) على حديث تتجسّد فيه فضيلة الدين والآخرة، حيث سيكون نموذجاً للوعي والرقى، وقد ورد في الخبر عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «تزاوروا؛ فإنّ في زيارتكم إحياء لقلوبكم، وذكراً لأحاديثنا، وأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض، فإن أخذتم بها رشدتم ونجوت، وإن تركتموها ضللتكم وهلكتم، فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم»^(١)، والمراد من أحاديثهم: «أحاديثهم مطلقاً، سواء تعلّقت بالأعمال أو الأخلاق، وإن كان قوله: (وأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض)، بأحاديث الأخلاق أنسب»^(٢).

سادساً: إنّ التزاور الصادق يُبارك الله تعالى فيه، ويجعله طريقاً لرفع الخلاف ونزع الأحقاد والأضغان، فضلاً عن كونه وسيلة للتقارب ونشر الفضيلة والتذاكر بالعمل الصالح، والتواصي المتبادل بما ينتفعون به، ويستعينون به على أمور دنياهم وآخرهم، ولهذا كلّ نجد الحثّ الأكيد من قبل الشارع المقدّس على مواصلة التزاور، والمنع من التقاطع والهجران، كما سيأتي.

القطيعة انكسار للنفس وتفكيك لبناء الأسرة والمجتمع

لا ريب أنّ انقطاع الإنسان عن أهله وأقاربه وأصدقائه ومجتمعه سيكون عاملاً مباشراً على تحطيم وضعه النفسي وأفول روحانيّته، فمهما كان اشتغال الإنسان بأمور خاصّة يمكنه أن ينجزها بنفسه إلّا أنّه سيبقى محتاجاً للآخرين، بل سيبقى محتاجاً للتزاور والتواصل، ولذلك لا يمكن لنا أن نتصوّر إنساناً

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٨٦، ح ٢.

(٢) شرح أصول الكافي للمازندراني، مصدر سابق: ج ٩، ص ٦٧.

سويّاً أو أسرة ناجحة أو مجتمعاً معافى من غير تحقيق التواصل والتزاور، ولذلك من الطبيعي جداً أن ينتج التقاطع من الآخرين تفكّكاً كبيراً وشرخاً عميقاً في بناء الأسرة والمجتمع، وإذا ما وجدنا نصوصاً روائية تمنع الإنسان المؤمن أن يهجر أخاه فوق الثلاث فذلك لخطورة ما يجلبه الهجران، وهل يجلب الهجران غير الحزن والتعاسة والأسى والألم؟ ولذلك قد جاء في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا يحلّ للمؤمن - أو: للمسلم - أن يهجر أخاه المؤمن فوق ثلاث»^(١)، والهجر هو القطيعة، وفي القطيعة تكون الشحناء ودخول النّمامين وأهل النفاق، من الذين يصبّون الزيت على النار، ولا يهنا لهم بال إلا بتوسعة الخلاف والفرقة، ولذلك ورد النهي عن القطيعة والهجران، فإنّها نار تتفاقم، ومن أسباب تفاقمها هو عناد المتخاصمين أو بعضهما، ولذلك نجد الإمام أبا جعفر الباقر عليه السلام قال: «ما من مؤمّنين اهتجرا فوق ثلاث إلا وبرئت منهما في الثالثة، فقليل له: يا ابن رسول الله هذا حال الظالم فما بال المظلوم؟ فقال عليه السلام: ما بال المظلوم لا يصير إلى الظالم فيقول: أنا الظالم حتى يصطلحا»^(٢)، ومن الواضح أنّ هذه المبادرة في الإصلاح ورفع القطيعة لا يقدر عليها كلّ أحد، وإنّما هي مبادرة تلد في القلوب العامرة بالإيمان والفضيلة.

بعبارة أخرى: «هذه الفضيلة فضيلة شريفة من فضائل الأخلاق لا يتّصف بها إلا من امتحن الله قلبه بالتقوى، وطهره من الكبر والرّين، ونزّهه من الحقد والغين، ويندرج تحتها كثير من المكارم، مثل: خفض الجناح، ولين

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣٨٠، ح ٥٨٠٩؛ الخصال: ص ١٨٣، ح ٢٥٠؛ أمالي الشيخ الطوسي: ص ٣٩١، ح ٨؛ ومصادر أخرى كلّها تقدّمت.

(٢) الخصال، مصدر سابق: ص ١٨٣، ح ٢٥١.

الجنب، والرفق في الأقوال والأفعال، وعدم الغلظة والجفاوة في جميع الأحوال، وبسط الوجه وطلاقة من غير تقطير وتقطيب وعبوس، والمواساة بينهم في جليل الأمور وحقيرها، وقليلها وكثيرها بقدر الإمكان، فإن جميع ذلك من توابع الشفقة والرحمة ولوازمها، ولها منافع غير محصورة^(١)، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يوصي الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري فيقول: «يُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلَّا عَبْدًا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيَقَالُ: أَتْرَكُوا عَمَلَ هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا. يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ وَالْهَجْرَانِ لِأَخِيكَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّ الْعَمَلَ لَا يُتَقَبَّلُ مَعَ الْهَجْرَانِ»^(٢)، وبغية عدم تفاقم الخلاف وتوسعة القطيعة لبدء للإنسان المؤمن أن يعاجل في ردم الخلاف، وقد جاء في وصية عظيمة وبليغة لأمير المؤمنين علي عليه السلام يُوصي بها ولده الإمام الحسن عليه السلام، جاء فيها: «وَلَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صَلَّتِهِ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ، وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظَلَمٌ مِنْ ظَلَمِكَ فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضْرَّتِهِ وَنَفْعِكَ»^(٣).

وفي ذلك يقول الشيخ محمد عبده: «مراده إذا أتى أخوك بأسباب القطيعة فقابلها بموجبات الصلة حتى تغلبه، ولا يصح أن يكون أقدر على ما يوجب القطيعة منك على ما يوجب الصلة، وهذا أبلغ قول في لزوم حفظ الصداقة»^(٤)،

(١) شرح أصول الكافي للمازندراني، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٤٦.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٥٣٨. وقريب منه في: مسند أحمد: ج ٢، ص ٣٨٩؛ صحيح مسلم: ج ٨، ص ١١؛ سنن ابن ماجه: ج ١، ص ٥٥٣؛ سنن أبي داود: ج ٢، ص ٤٥٩، ح ٤٩١٦؛ سنن الترمذي: ج ٣، ص ٢٥١، ح ٢٠٩٢ (مصادر سابقة).

(٣) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: ج ٣، ص ٥٤، من وصية له للحسن بن علي عليهما السلام، كتبها إليه بحاضرين منصرفاً من صفين.

(٤) المصدر السابق.

وأما كون من يظلمك يضر نفسه وينفعك فلائنه يكون مُفَرِّطاً بحسناته التي تُجْبَى منه وتُساق إلى المظلوم سوقاً، فلا يجد الظالم في صحيفة أعماله حسنات كان على يقين من القيام بأعمالها، فهذه المضرّة بنفسه والمنفعة لمن ظلمه.

التزاور الشرعي والتزاور غير الشرعي

لا شك أنّ كلّ تزاور لا يشتمل على فعل قبيح أو الإضرار بالآخر، ولو بكلمة عابرة، فإنّه تزاور شرعيّ يؤجر عليه الزائر والمزور، وأما التزاور الذي يشتمل على شيء من ذلك فإنّه تزاور غير شرعيّ ويؤثم عليه الزائر أو المزور على صدور الفعل القبيح منه، كما يؤثم الزائر أو المزور على السكوت عليه، فإن وقعت في الزيارة نميمة أو غيبة أو بهتان أو انتقاص من أحد فلا ريب في تحوّل الزيارة الشرعيّة إلى غير شرعيّة، وبذلك يكون الحدّ الفاصل بين الزيارة الشرعيّة وغير الشرعيّة هو مدى مراعاة الحدود الشرعيّة، كما أنّ الزيارة الشرعيّة تنقسم إلى قسمين:

١. الزيارة الشرعيّة المستحبّة: وهي الزيارة التي تشتمل على مطلق العمل الصالح، كالتناصح والتعاون وإدخال السرور على قلب الزائر بحسن ضيافته، وعلى قلب المزور بنفس زيارته أو شيء آخر.
٢. الزيارة الشرعيّة الواجبة: وهي الزيارة التي يراد منها رفع ضرر ألحق بالمزور أو من المتوقّع اللحق به، فإنّه يدخل في عنوان الإنقاذ الواجب. وكذلك الزيارة غير الشرعيّة تنقسم إلى قسمين:

١. الزيارة غير الشرعيّة (المكروهة): وهي الزيارة التي لم يُجرز فيها رضا المزور، فضلاً عن إحراز عدم رضاه، أو أنّها تُلحق الأذى النفسي بالمزور لضيق وقته أو لافتقاره لمؤونة الضيافة، وهنا على الزائر أن يرفع الكراهة بإدخال السرور على المزور من خلال جلب شيء معه، ويُفضّل كثيراً إخباره

بذلك لإدخال السرور على قلب المzor قبل زيارته.

٢. الزيارة غير الشرعية (المحرمة): وهي الزيارة التي تشتمل على ارتكاب محرمات، كالغيبة والبهتان، بل بمجرد الاعتقاد أو الاطمئنان بوقوع شيء من المحرمات فإن الزيارة ستكون محرمة أيضاً، فتتحوّل الزيارة من طريق لإثبات المودة والتقرب إلى الله تعالى إلى طريق للنفرة والبعد عن الله تعالى، فإن ارتكاب المحرمات مفضي إلى البعد والكراهية، والخصومة والخلاف، ولذلك ينبغي الابتعاد عن هذه الزيارات المفضية إلى الخسران، وقد ورد في وصية الإمام جعفر الصادق لولده الإمام موسى الكاظم عليهما السلام: «يا بني، إذا زرت فزر الأخيار، ولا تزر الفجار، فإنهم صخرة لا يتفجر مأوها، وشجرة لا يخضر ورقها، وأرض لا يظهر عشبها»^(١).

آداب الزيارة الشرعية

للزيارة الشرعية آداب كثيرة، منها ما يتعلق بالزائر:
أولاً: إخبار المzor بالزيارة مسبقاً، وتحديد وقتها، فلا يُترك الزائر في

(١) العدّد القويّة لدفع المخاوف اليوميّة، للفقير الجليل رضيّ الدين عليّ بن يوسف المطهر الحليّ (ت: ٧٢٦هـ): ص ١٥١ رقم (٧٥)، تحقيق: السيّد مهدي الرجائي، مكتبة آية الله المرعشي العامّة، مطبعة سيّد الشهداء عليه السلام، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ؛ تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجّاج المزي: ج ٥، ص ٨٩، تحقيق: الدكتور بشّار عوّاد معروف، مؤسّسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ؛ سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): ج ٦، ص ٢٦٣، تحقيق: محمّد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، بإشراف: شعيب الارنؤوط، مؤسّسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ؛ كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، عليّ بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت: ٦٩٣هـ): ج ٢، ص ٣٧٠، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

اضطراب لساعات لا يعرف ساعة الحضور فيها، فلا تقل له: سأزورك يوم الجمعة أو مساء اليوم، وإنّما عليك أن تحدّد وقت الزيارة ليتهيأ المzor لك، فإن بلغت دار المzor ودخلت البيت فاجلس حيث أراد لك المzor أن تجلس، فإن ترك لك الأمر فلا تجلس في قبال أبواب مفتوحة على أهل المzor.

ثانياً: أن لا تكون الزيارة طويلة، ولا مكرّرة في وقت قريب؛ فذلك ممّا يجلب النفرة والملل، وقد ورد في الخبر: «كثرة الزيارة تورث الملالة»^(١)، و: «مَن كثرت زيارته قلّت بشاشته»^(٢)، ولذلك عليك بالموازنة، كما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «زر غبّاً تزدّد حبّاً»^(٣).

ونعم ما قيل: «إنّ تقليل الزيارة داعية الهجران، وكثرتها سبب الملل»^(٤).
ثالثاً: أن لا تقع الزيارة في أوقات محرّجة للمzor، كأن تقول له: سأتيك عند الغداء أو العشاء، إلّا إذا دعاك هو إلى ذلك، وإلّا ستكون قد ألحقت ضرراً به، وربّما تتحوّل زيارتك من الشرعيّة إلى غير الشرعيّة، وبعبارة موجزة: أن لا

(١) تحف العقول، مصدر سابق: ص ٩٠.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق: ص ٤٣١.

(٣) المعجم الكبير، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢١؛ الجامع الصغير، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٩، ح ٤٥٥٥؛ مستدرک الوسائل، مصدر سابق: ج ١٠، ص ٣٧٤، ح ٩. و: «الغبّ: أن ترد الإبل الماء يوماً وتدعه يوماً». الصحاح تاج اللغة، مصدر سابق: ج ١، ص ١٩٠.

(٤) أدب الدنيا والدين، للإمام أبي الحسن عليّ بن محمّد الماوردي الشافعي (ت: ٤٥٠هـ): ص ٢٢٠، منشور في المكتبة الشاملة. ولابن دريد أبيات جميلة في ذلك، حيث يقول:

عليك بإغباب الزيارة إنّها إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلکا
فإنّي رأيت الغيث يسأم دائماً ويسأل بالأيدي إذا هو أمسكا

لواقح الأنوار القدسيّة في بيان العهود المحمّديّة، عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ت: ٩٧٣هـ): ص ٤٤٣، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.

تضطرّه إلى التكلّف لك، فإنّه قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله النهي عن التكلّف^(١)، فتكون من شرّ الأخوان^(٢)، فلا تفرّط بأجر زيارتك.

رابعاً: عدم إظهار الزائر عيوب بيت المزور أو الطعام المعدّ له من قبل المزور، وأن لا تتحرّك في البيت من غير إذن منه، كأن تفتش في بيته أو في مكتبته أو أثاث البيت، فذلك في الغالب ممّا يسبب إزعاجاً وتذمّراً للمزور، وقد يتطوّر الأمر إلى وقوع الشكّ منه في الزائر، ورحم الله امرأً جبّ الغيبة عن نفسه.

خامساً: أن لا تذكر في حديثك أشياء تسبّب حرجاً أو ضيقاً للمزور، كما لو ذكرت له سيرة بعض الخصوم له أو غير المرغوب بهم عنده، فذلك ربّما يوقعه في الحرام، كالغيبة، فتتحوّل الزيارة الشرعيّة إلى غير الشرعيّة، وتبوء بإثمه.

سادساً وأخيراً: أن لا تضطرّ المزور إلى إعداد طعام خاصّ لك، فقد يكون في ذلك حرج، ولكنك إذا كانت لديك حالة مرضيّة يمكنك إخباره - فيما إذا كان قد وجّه دعوة لك - بطبيعة المأكّل والمشرب المناسب لصحتك^(٣).

أمّا الآداب المتعلّقة بالمزور، فهي:

(١) انظر: قرب الإسناد، للشيخ أبي العباس عبد الله بن جعفر الحميري (ت: ٣٠٠هـ): ص ٧٥، ح ٢٤٢، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ؛ المعجم الأوسط، مصدر سابق: ج ٦، ص ١٠٤؛ الجامع الصغير، مصدر سابق: ج ٢، ص ٦٨٨، ح ٩٣٧٨.

(٢) قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «شرّ الأخوان من تُكلّف له». نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٤، ص ١١٠ كلمة رقم: (٤٧٩)؛ شرح نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٢٠، ص ٢٤٩ رقم (٤٨٧)؛ خصائص الأئمة عليهم السلام، للشريف الرضي محمّد بن الحسين بن موسى الموسوي: ص ١٢٥، تحقيق وتعليق: الدكتور محمّد هادي الأميني، العتبة الرضويّة المقدّسة، إيران (مجمع البحوث الإسلاميّة)، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٣) كما هو الحال بالنسبة لأصحاب الأمراض المزمنة، نحو: (الضغط، السكري، القلب).

أولاً: أن يظهر الراحة والسرور بالضيف الزائر له، فلا يُبدي تدمراً أو استياءً ما دام قد قبل بالزيارة، فإن كان غير مستعداً للزيارة فعليه أن يكون واضحاً وصريحاً، ويُبين ذلك لمن يريد زيارته قبل وقوع الزيارة، والصدق طريق النجاة، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

ثانياً: أن يقوم بحسن الضيافة من مأكّل ومشرب، وإن بلغ الأمر نوعاً من التكلف فيما إذا كنت بنفسك قد وجهت الدعوة للزائر لك، لا أنه بادر بزيارتك، فقد ورد عن محمد بن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا أتاك أخوك فأته بما عندك، وإذا دعوته فتكلف له»^(١)، ولكن بشرط أن لا تلحق الأذى بنفسك أو بعيالك، وقد روي عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه دعاه رجل فقبل دعوته واشترط عليه شروطاً، حيث «قال له: على أن تضمن لي ثلاث خصال، قال: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: لا تدخل علينا شيئاً من خارج، ولا تدخر عني شيئاً في البيت، ولا تححف بالعيال. قال: ذلك لك، فأجابه عليّ بن أبي طالب عليه السلام»^(٢).

ثالثاً: ومن حسن الضيافة القيام بنظافة المنزل وتعطيره، فذلك أمر طيب يدلّ على الاحتفاء بالضيف، بل ينبغي للمزور أن يرتدي أفضل ثيابه؛ فإنّ لذلك أثراً نفسياً طيباً على الزائر، وأن يلقاه بوجه بشوش طلق، بل من حسن الضيافة أن يقوم المزور بتعطير الزائر وإتحافه بهديّة يسيرة، فالهديّة تُسعد النفوس. رابعاً: أن لا يترك الضيف يأكل من الطعام وحده، فذلك ليس من حسن الضيافة، وإنّما عليك أن تؤاكلة، فهو لم يأت لمجرد الطعام، ولعلّك في تركه

(١) المحاسن، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤١٠، ح ١٣٨؛ الفروع من الكافي، مصدر سابق:

ج ٦، ص ٢٧٦، ح ٦؛ الدروس الشرعيّة في فقه الأماميّة، مصدر سابق: ج ٣، ص ٣١.

(٢) الخصال، مصدر سابق: ص ١٨٨، ح ٢٦.

وحده ستركه في حرج، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أحب أن يحبه الله ورسوله فليأكل مع ضيفه»^(١)، وعن جميل بن دراج، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إنّ الزائر إذا زار المزور فأكل معه ألقى عنه الحشمة، وإذا [لم] يأكل معه ينقبض قليلاً»^(٢).

خامساً: إذا كان ضيفك الزائر مديناً لك بشيء من المال، أو أنّه قصر في حقك بشيء فلا تضايقه بذكر ذلك، بل لو بادر المزور بذكر ذلك فأرجئ الحديث إلى وقت آخر، فإنّ المزور في ضيافتك وليس في موقع المحاسبة أو المعاتبة. سادساً وأخيراً: إذا كان الضيف يريد البقاء والمبيت فلا تظهر تذمراً، بل عليك أن ترشده إلى بعض أماكن الدار وكأنّه أحد أفراد الأسرة، فتدله على

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورّام)، مصدر سابق: ج ٢، ص ١١٦.

(٢) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٦، ص ٢٨٦، ح ٣.

جدير بالذكر أنّ ما جاء في الأصل من نسخة الكافي هو عدم وجود حرف (لم)، ولكن سياق الكلام يقتضي ذلك، وهو ما فهمه وأثبتته الحرّ العاملي والمحقّق الأردبيلي. انظر: وسائل الشيعة، مصدر سابق: ج ٢٤، ص ٣٢٠، ح ٢؛ مجمع الفائدة والبرهان (شرح إرشاد الأذهان) للشيخ أحمد الأردبيلي (المقدّس الأردبيلي): ج ١١، ص ٣٣٩، تحقيق وتصحيح: الشيخ مجتبی العراقي، والشيخ على بناء الإشتهاردي والحاج آقا حسين اليزدي، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم، ١٤٠٤ هـ.

ولا وجه لعدم وجود حرف (لم) إلّا إذا قلنا بأنّ المراد من قوله عليه السلام: «إنّ الزائر إذا زار المزور فأكل معه ألقى عنه الحشمة»، هو: إذا أكل المزور من الطعام الذي هُيئ للزائر فإنّ على الزائر أن يلقي الحشمة، أي: يرفع الحرج عنه، فيأكل وكأنّه في بيته، فيكون المزور هو المبتدئ بالأكل، ويكون معنى قوله عليه السلام: «وإذا يأكل معه ينقبض قليلاً»، هو: إذا أكل الزائر من الطعام الخاصّ بالمزور فإنّ على الزائر أن يحتشم وأن ينقبض قليلاً، فلا يبالغ في الأكل من غير الطعام الخاصّ به، وهو وجه غريب، فيكون ما أثبتته السيّد الأستاذ دام ظلّه، والموافق لإثبات الحرّ العاملي والأردبيلي هو الأوفق والأصحّ.

مواضع الخدمات^(١)، وتُهيئ له ما يحتاجه من الشرب، وإن كان ممكناً فتهيئ له بعض الفواكه الطازجة، واختار له مكاناً مناسباً للنوم بعيداً عن الضوضاء، وأرشده إلى جهة القبلة مع سجادة الصلاة ونسخة من القرآن الكريم، فذلك أوقع في نفسه، وإذا وجدت الزائر محرّجاً في المبيت وحده فالأفضل أن لا تتركه وحيداً، فيكون مبيتكم في غرفة واحدة، ما لم يكن ذلك محرّجاً لك أو لعائلتك.

التوصيات القرآنية والإلهية بالتزاور

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣)، والتعارف يعني: التقارب وتبادل المعلومات والخبرات، وهو نوع من التزاور، فهي دعوة للتزاور والتعارف والتبادل المنطقي فيما يمتلكونه، وإذا ما وقع تفاوت في العلم والمعلومات فإنه لا يكون منوطاً للتفاضل، لأنّ التفاضل بالتقوى.

ومن التوصيات الإلهية أيضاً ما ورد عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «من زار أخاه في الله قال الله عز وجل: إياي زرت، وثوابك عليّ، ولست أَرْضَى لك ثواباً دون الجنة»^(٢)، وإنّما هذه العناية والاهتمام لما يترتب على الزيارة من آثار كبيرة وكثيرة، فيكون التزاور والتعارف إستراتيجية عملية لا يمكن الاستغناء عنها، فهي زاد نحتاجه في بناء حياتنا.

توصيات السنّة الشريفة بالتزاور والتكاتب

وأما السنّة الشريفة فقد أبدت اهتماماً كبيراً بموضوع التزاور، من قبيل ما رواه شعيب العرقوفي، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول

(١) أي: الحَمَام والمرافق والمغاسل.

(٢) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٧٦، ح ٤.

لأصحابه: اتقوا الله وكونوا إخوة بررة، متحابين في الله، متواصلين، متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا وأمرنا وأحيوه»^(١).

وعن كليب الصيداوي، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «تواصلوا وتبارزوا وتراحموا، وكونوا إخوة بررة كما أمركم الله عز وجل»^(٢).

فيكون التواصل والتزاور طريقاً للتراحم وللتذاكر، ومن أجل أن يتحقق هذا الهدف السامي فإن الضمانة هي أن يكون التزاور مقصوداً لله تعالى، فقله عليه السلام: «متحابين في الله، متواصلين، متراحمين»، يعني: متواصلين في الله ومتراحمين في الله، ولذلك ورد التصريح بذلك في قول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «زر في الله أهل طاعته»^(٣)، وعنه أيضاً: «زوروا في الله وجالسوا في الله وأعطوا في الله وامنعوا في الله»^(٤).

التوصيات الأخلاقية بالتزاور والتكاتب

لو لاحظنا سيرة الأخلاقيين وما تركوه لنا من مصنفات جليلة في علم الأخلاق وفي السير والسلوك، نجدها حافلة بموضوع التواصل والتزاور والتقارب والتحابب في الله تعالى، وسنذكر بعض قصص الأخيار في موضع الزيارة، والتي نستفيد منها أهمية الزيارة والحثّ الأكيد على التواصل؛ لما للتواصل من آثار نفسية واجتماعية وأخلاقية وثقافية وتوعوية كبيرة على

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٧٥، ح ١، باب: (التراحم والتعاطف).

(٢) المصدر نفسه: ح ٢.

(٣) عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق: ص ٢٧٧. وقريب منه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «زر في الله، فإنه من زار في الله شيعة سبعون ألف ملك». الجامع الصغير، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٩، ح ٤٥٥٦.

(٤) عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق: ص ٢٧٥.

الطرفين معاً، وسنكتفي بقصّتين:

القصة الأولى: روي أن قيس بن سعد بن عبادة لما مرض استبطأ إخوانه، فسأل عنهم، فقليل له: إنهم يستحيون ممّا لك عليهم من الدين، فقال: أخزى الله ما لا يمنع الإخوان من الزيارة! ثم أمر من ينادي: من كان لقيس عليه دينٌ فهو منه في حلٍّ، فكسرت عتبه بالعشي، لكثرة من عاده^(١)، وقد كان سعداً رضوان الله عليه مضرباً للمثل في سخائه وحكمته وشجاعته.

القصة الثانية: قصة الصحابي الجليل سلمان الفارسي مع أبي الدرداء، لقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله أخى بينهما في المؤاخاة، فحفظ سلمان هذه الأخوة، وكان يوماً قد زار سلمانُ أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا!، أي: إنه انقطع للعبادة، وقد ترك ملذّات الحياة، حتّى مقاربة النساء، فجاء أبو الدرداء فصنع لسلمان طعاماً ولم يأكل هو منه، فقال له سلمان: كُلْ، فقال أبو الدرداء: إنّي صائم، فقال سلمان: ما أنا بأكل حتّى تأكل، فأكل أبو الدرداء، فلمّا كان الليل ذهب أبو الدرداء ليصلي، فقال له سلمان: نم، فنام ثم ذهب يقيم الليل، فقال له: نم، فلمّا كان من آخر الليل قال سلمان لأبي الدرداء: قم الآن، فصلّي، فقال له سلمان: إنّ لربك عليك حقّاً، ولنفسك عليك حقّاً، ولأهلك عليك حقّاً، فأعطِ كل ذي حقّ حقه، فأتى النبي صلى الله عليه وآله فذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «صدق سلمان»^(٢).

(١) انظر: الرسالة القشيرية، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيشابوري: ص ٣٦٣، تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف، الناشر: بيدار، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٣٧٤ ش.

(٢) انظر: صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٤٣؛ سنن الترمذي، مصدر سابق:

وبهذه الزيارة المباركة تعلّم أبو الدرداء من سلمان أنّ ما هو عليه ليس صحيحاً، وأنّ عليه الموازنة في الأمور، فالإنسان لم يُكلّف بالعبادة وحدها فينقطع عن الحياة، كما أنّه ليس مطلوباً منه الإقبال على الدنيا فيترك دينه وعبادته، وبهذه الزيارة التوعويّة، الواضحة الدلالة، العالية المضامين، نكون قد أخذنا درساً مهماً في حياتنا، وأيضاً نكون قد أخذنا درساً مهماً في فوائد الزيارة.

التزاور والتكاتب النفعي (البرجماتي)

من الآفات الخطيرة التي تستهلك البُعد الأخلاقي والمعنوي في التزاور والتكاتب: أن يبتنوا على المنافع الشخصية، فلا تكون الزيارة إلا من أجل تحقيق المنافع والمآرب الشخصية، فإذا ما انتهت تلك المنافع انتفت الدواعي للزيارة، ولا ريب أنّ مثل هذه الزيارات النفعية لا تصنع علاقات وثيقة، وأنّها في الغالب تنتهي إلى وقوع الخصومة والخلاف، وليس من أجل أنّ الله تعالى لا يبارك في مثل هذه العلاقات، وإنّما لأنّها لا تمتلك أسباب البقاء، كما أنّ الزيارات النفعية محدودة المصالح والمنافع مهما تعاظمت؛ لأنّها لا تركز على خَلَقِيّات إنسانية أو أخلاقيّة أو دينيّة صحيحة، بمعنى أنّها تفتقر للطابع الإنساني الخدمي الذي يدخل في حقوق الإنسان على أخيه الإنسان، أو للطابع الديني الذي يدخل في حقوق المسلم على أخيه المسلم، ومع غياب هذه المقوّمات القيّميّة سوف يحتدم الصراع ويصبح للتزاور طابع تنافسيّ سلبيّ.

التزاور الخدمي (حقوق التزاور والتكاتب)

بالرغم من كون الهدف المطلوب من التزاور بين المؤمنين هو أن يكون لله تعالى، ولكنّ هذا لا يعني عدم وجود التخاذم المتقابل، والذي نعني به الحقوق

المبادلة في التزاور والتكاتب، ولو أخذنا التحية التي يلقيها بعضنا على الآخر فإنها تشتمل على مؤشّر تزاوري، ولذلك نجد القرآن الكريم يُبين لزوم الاستجابة والإجابة؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (النساء: ٨٦)، ليكون ذلك تعبيراً عن حقّ خاصّ للملقي التحية، وتعبيراً عن حقّ عامّ للإسلام الذي أمرنا بإفشاء السلام^(١)، والتحية في الإسلام مفردة سلامية، ولشدة أهميتها قد أوصى القرآن بها حتّى في صورة دخول المنازل الخالية، حيث أمرنا بأن نُسلم على أنفسنا، قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ (النور: ٦١)، ومن التجليات الأخر للتزاور: التكاتب، فهو تزاور عن طريق الكلمات، وفيه يتفق بعضنا بعضاً، لاسيّما لمن تفصلهم المسافات البعيدة، سواء وقع التكاتب بالطريقة المألوفة أو عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي

(١) عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بني عبد المطلب فقال: يا بني عبد المطلب أفسحوا السلام، وصلوا الأرحام، وتهجدوا والناس نيام، وأطعموا الطعام، وأطيبوا الكلام، تدخلوا الجنة بسلام». المحاسن، مصدر سابق: ج ٢، ص ٣٨٧، ح ٣. وعنه عليه السلام قال: «كان عليّ عليه السلام يقول: لا تغضبوا ولا تغضبوا، أفسحوا السلام، وأطيبوا الكلام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام، ثم تلا عليه السلام قول الله عز وجل: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِينُ﴾ (الحشر: ٢٣)». الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٦٤٥، ح ٧. وفي الصحاح والسنن والمسانيد بألفاظ متقاربة عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفسحوا السلام». مسند أحمد، مصدر سابق: ج ١، ص ١٦٥؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ١، ص ٥٣؛ سنن ابن ماجه، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٦، ح ٦٨؛ ج ٢، ص ١٢١٧، ح ٣٦٩٢، باب: (إفشاء السلام)؛ سنن أبي داود، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥١٧، ح ٥١٩٣.

الحديث، وهنا يثبت حق الاستجابة والإجابة؛ فعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «ردّ جواب الكتاب واجب كوجوب ردّ السلام، والبادي بالسلام أولى بالله ورسوله»^(١)، و: «هذا من باب إلحاق النظر بنظيره في الحكم؛ إذ السلام تحية وتحفة من الحاضر، والكتاب تحفة وتحية من الغائب، فكما يجب ردّ السلام بالسلام يجب ردّ الكتاب بالكتاب، وأيضاً رعاية حقوق الأخوة وكمال المروءة وثبات الألفة مقتضية لردّ الكتاب بالكتاب»^(٢).

إنّ التزاور الخدمي - ونعني به تأدية الحقوق - سواء في الزيارة أو الكتابة أو التحية، له منطلقات دينية وإنسانية، فبه تتحقّق الألفة والتقارب والتعاقد، وبه يرتفع شيء من العوز والحاجة، وبه تتبادل الآراء والأنظار، ولكن نجد في الأخبار أنّ التزاور من أكرم أخلاق النبيّ عليهم السلام والصالحين، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «أكرم أخلاق النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين التزاور في الله»^(٣)، لاسيّما إذا كانت الزيارة تقتضي قطع مسافة طويلة، فإنّها تكون مرتبطة بالله تعالى، فعن أبي حمزة الثمالي، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «مَن زار أخاه بظهر المصر نادى منادٍ من السماء: ألا إنّ فلان بن فلان من زوّار الله. قال: ما زار المسلم أخاه المسلم في الله

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٦٧٠، ح ٢. وفي الجامع عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «ردّ جواب الكتاب حقّ كردّ السلام». الجامع الصغير، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٤٤٨، ح ٤٤٨. وفي المصنّف: «قال ابن عباس: إنّني لأرى لجواب الكتاب عليّ حقّاً كردّ السلام». مصنّف ابن أبي شيبة: ج ٦، ص ٢٢١، ح ١، باب: (في ردّ جواب الكتاب).

(٢) شرح أصول الكافي للمازندراني، مصدر سابق: ج ١١، ص ١٥٨.

(٣) دعائم الإسلام، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٠٦، ح ٣٤١؛ مستدرک الوسائل، مصدر سابق: ج ١٦، ص ٢٣٩، ح ٣.

إِلَّا نَادَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَيُّهَا الزَّائِرُ! طِبْتَ، وَطَابَتْ لَكَ الْجَنَّةُ»^(١).

إنَّ التزاور الخدمي في حقوقه وواجباته إنَّما يعكس بوضوح وحدة الإنسان في نوعه، ووحدة المسلم في أمته، ووحدة المؤمن في خاصته، ووحدة الفرد في أهله وعشيرته وأقاربه، لأنَّه ليس مبنياً على النفعية الجوفاء، ولا على سياسة تبادل المصالح الدنيوية، وإنَّما هو مبنٍ على أصل فطري ديني عقلائي، وهو مدنيّة الإنسان، حيث الحاجة الملحة للتقارب والتعاقد بين أفراد الإنسان، وكيف يمكن لنا أن نتصوّر هذا المعنى الإنساني الرفيع من دون أن يكون هنالك تزاور وتكاتب وتقارب، بل التزاور الخدمي هو أقرب ما يكون لتسخير بعضنا بعضاً، بدافع التوحد والتكامل، لا بدافع الهيمنة والاستعباد والاستغلال؛ قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (الزخرف: ٣٢)، فلو كان الناس جميعاً على درجة واحدة لامتنع في العادة وقوع التزاور الفعلي، وإنَّما هي الدرجات القائمة على طبيعة الحياة وسرّ الخلقة وهو ما نسمّيه بالتزاور الخدمي.

التزاور التعليمي والتذكيري

إنَّ من ثمرات التزاور: التذكير بالإيمان والعمل الصالح، والتعليم والتثقيف والتوجيه والتنبيه؛ قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: ٥٥)، والتذكير إنَّما يكون بدافع الحرص على الآخرين، لا بدافع مجادلهم ومخاصمتهم، فتكون التذكيرة أشبه بالمرآة للآخر، والمؤمن مرآة لأخيه المؤمن، بل الإنسان مرآة لأخيه الإنسان، والمرآة تُظهر محاسن الإنسان وعيوبه، فلا تتخذه

(١) مصادقة الإخوان، مصدر سابق: ص ٥٦، ح ٥.

بالاقتصار على إظهار المحاسن، ولا تحق عليه بإظهار العيوب وحدها، وكأنّ الإنصاف التكويني فيها موجّه لنا بتحصيله، ومن هذا الإنصاف أن نكون إيجابيين في زيارتنا لأهلنا وأقاربنا وإخواننا وسائر من لزمنا زيارته، ومن هذه الإيجابية أن تكون زيارتنا نافعة رافعة، نافعة بإضفاء كمال جديد على المزور، ورافعة لنقص حلّ به، وفي كلا الأمرين لا بدّ أن يكون الصدق والرفق حاكمين وفاعلين، فلا يكون ذلك استعلاءً، ولا إظهاراً لفضل، فذلك ممّا لا يترك أثراً إيجابياً في نفس المتلقّي، وإن اشتمل الكلام والنصح على كلمات صحيحة وأفعال صريحة، فإنّ النفس والقلب يستجيبان للصدق والرفق، وهذا ما اعتمده رسول الله صلّى الله عليه وآله في دعوته العظيمة للإسلام، فاستحقّ أن يوصف بأنّه على خلق عظيم، وبالصدق والرفق أمكنه صلّى الله عليه وآله أن يبلغ الهدف في إتمام مكارم الأخلاق، ومكارم الأخلاق كثيرة^(١)، ولكنّها تكمن في صلتها بالله، كما ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «جعل الله سبحانه مكارم الأخلاق صلةً بينه وبين عباده، فحسب أحدكم أن يتمسك بمُخلق مُتصل بالله»^(٢).

إنّ التزاور الخدمي - الذي تقدّم بحثه - يدخل فيه التزاور التعليمي

(١) جاء رجل إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فقال: «يا بن رسول الله أخبرني بمكارم الأخلاق، فقال: العفو عمّن ظلمك، وصلة من قطعك، وإعطاء من حرمك، وقول الحق ولو على نفسك». معاني الأخبار، للصدوق: ص ١٩١، ح ١، باب: معنى مكارم الأخلاق. وفي خبر آخر عنه عليه السلام: «ألا أحدثك بمكارم الأخلاق؟ قلت: بلى. قال: الصفح عن الناس، ومواساة الرجل أخاه في ماله، وذكر الله كثيراً». المصدر نفسه: ح ٢.

(٢) تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٢٢؛ نزّهة الناظر وتنبيه الخاطر، للشيخ الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر الحلواني: ص ٥٢، ح ٢٧، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدّسة، الطبعة الأولى المحقّقة، ١٤٠٨ هـ.

والتذكيري، ولا نريد بالتعليم أن تتحوّل الزيارة إلى درس تعليمي، وإنّما يكون التعليم فيه من خلال التذكير بالصالحات من الأعمال، والاقتصار على كلّ ما هو نافع، فلا يجلب الزائر للمزور هموماً وغموماً، فإنّ أرضيّة الزيارة هي الإِسعاد والتفريح، وإذا ما اضطرّ الزائر إلى ذكر شيء من ذلك - من باب شكاية المؤمن لأخيه المؤمن، وهو أمر ممدوح^(١) - فعلى المزور الاستماع والإصغاء إليه، وأن يسعفه بقدر ما يستطيع، وأن لا يُطيل الزائر زيارته من غير نفع تعليمي وتذكيري يعود عليه أو على المزور، فإنّ الوقت إذا لم يكن ثميناً عنده فهو ثمين عند المزور، وخير ما يحقّق التعليم والتذكير في الزيارة هو أن تكون بقصد التفقه في الدين (في العقيدة والفقه والأخلاق) فإنّ تحقّق ذلك طابت النفوس، وتكاملت العقول، وزكت القلوب، وفي الخبر عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ أبي حدّثني عن أبيه، عن جدّه عن عليّ عليهم السلام أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «خير الناس من انتفع به الناس»^(٢)، وعنه صلّى الله عليه وآله: «خير الناس من يُرجي خيره ويؤمن شرّه، وشرّ الناس من لا يُرجي خيره ولا يؤمن شرّه»^(٣)، وخير ما ينتفع به الناس هو العلم.

(١) قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «من شكّا الحاجة إلى مؤمن فكأنّما شكّاها إلى الله».

نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٤، ص ١٠٠ رقم (٤٢٧).

(٢) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٤، ص ٣٩٤، ح ٥٨٤٠؛ أمالي الشيخ الصدوق،

مصدر سابق: ص ٧٢، ح ٤؛ معاني الأخبار، مصدر سابق: ص ١٩٥، ح ١؛ الاختصاص،

مصدر سابق: ص ٢٤٣؛ عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق: ص ٢٣٩.

(٣) مصنّف ابن أبي شيبة، مصدر سابق: ج ٨، ص ١٤٤، ح ١٢٩. وعنه صلّى الله عليه وآله

بعد أن سأله رجل: أحبّ أن أكون خير الناس، فقال: «خير الناس من ينفع الناس، فكن

نافعاً لهم». جامع الأحاديث، مصدر سابق: رقم الحديث (٣٧٦٤٠).

علاقة التزاور بحفظ الدين والشهادة على الأعمال

من مجموع ما تقدّم يمكن أن نستخلص ثمرة عظيمة نقتطفها من وراء التزاور الشرعي والإيجابي، وهو حفظ الدين ورعايته، بل شهادة صريحة بحفظ الدين ورعايته، أو قل: شهادة على الأعمال في الدار الآخرة، وهذا ما سجّله لنا الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام، فعن أبي خديجة قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: كم بينك وبين البصرة؟ قلت: في الماء خمس إذا طابت الريح، وعلى الظهر ثمانٍ ونحو ذلك، فقال: ما أقرب هذا! تزاوروا ويتعاهد بعضكم بعضاً؛ فإنّه لا بدّ يوم القيامة من أن يأتي كلّ إنسان بشاهد يشهد له على دينه. وقال: إنّ المسلم إذا رأى أخاه كان حياة لدينه إذا ذكر الله عزّ وجلّ»^(١) فلا يكن بُعد المكان وضيق الزمان عذراً في ترك هذا التزاور الإحيائي، وإذا ما كان المريض يقطع المسافات الطويلة لبلوغ غايته في دواء يستعين به على شفاء علّة بدنه، فكيف لا يقطع أضعافها في بلوغ شفاء نفسه؟!

كلمات على الطريق

- قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لصحابي: «صم وافطر، وصلّ ونم؛ فإنّ لجسدك عليك حقّاً، وإنّ لزوجك عليك حقّاً، وإنّ لزورك عليك حقّاً»^(٢) أي: لزوارك وضيوفك عليك حقّاً بضيافتهم وعدم التقصير بحقّهم.
- على الزائر أن لا يتمنّع إن قُدّم له طعام أو شراب، كما أنّ عليه أن

(١) الروضة من الكافي، لثقة الإسلام الشيخ المحدث أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٩هـ): ج ٨، ص ٣١٥، ح ٤٩٦، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، دار الكتب الإسلامية، قم المقدّسة، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ.

(٢) مسند أحمد، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٩٨؛ صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٤٥؛ السنن الكبرى للنسائي، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٧٦.

يستأذن من المزور إذا أراد الانصراف ولا يخرج من داره بغير رضاه.

خلاصة الدرس

- التزاور هو تبادل الزيارة بين الأهل والأقارب والمعارف، بمعنى: قصد المزور إكراماً له وتعظيماً له واستيناساً به.
- التواصل بين الإخوان في الحضر التزاور، وفي السفر التكاتب، وحيث إنَّ التواصل مطلوب عقلاً وشرعاً فإنَّ وسائله الصحيحة تكون كذلك.
- للتزاور فلسفة دينية واجتماعية لا يستغني عنها الجميع، لأنَّ الإنسان مدني بطبعه، والمدنية تقتضي التقارب والتداخل والتزاور، والطابع الاجتماعي هو الحاكم على حركة الإنسان.
- من خلفيات الحث على التزاور: تحقيق أوضح عنوان للتواصل والتعارف والتقارب، ولاشتماله على منافع مختلفة وفوائد متنوعة علمية ونفسية وروحية، بل حتَّى المنافع المادية.
- الانقطاع عن المجتمع أو الشعور بعدم الانتماء له يجعل الإنسان يعيش غربة قد تفضي به إلى مخاطر عظيمة.
- التزاور بين الناس أمر منسجم مع فطرة الإنسان وطبيعته، فضلاً عن كونه منسجماً مع التعاليم الدينية، فتكون الوحدة والعزلة متقاطعة مع البناء العرفي والشرعي والفطري.
- التزاور يمنح المتزاورين شعوراً بالتقارب والأمن والطمأنينة، لأنَّه يزرع الحبَّ والمودة والألفة، بخلاف القطيعة والتقاطع.
- التزاور مطلب شرعي وعقلائي، ولذلك فهو مورد لنزول الرحمات الإلهية، لاسيما إذا ما اشتمل التزاور على فضائل الدين والآخرة.

- انقطاع الإنسان عن أهله وأقاربه وأصدقائه ومجتمعه عامل مباشر على تحطيم وضعه النفسي وأُفول روحانيته، ولذلك لا يكون إنساناً سوياً أو أسرة ناجحة أو مجتمع معافٍ من غير تحقيق التواصل والتزاور.
- كلّ تزاور لا يشتمل على فعل قبيح أو إضرار بالآخر، فإنّ تزاور شرعيّ يؤجر عليه الزائر والمزور، وأمّا المشتغل على شيء من ذلك فإنّ تزاور غير شرعيّ، فيكون الحدّ الفاصل هو مراعاة الحدود الشرعية.
- من الآداب الشرعية للزائر: إعلام المزور بالزيارة، وتحديد وقتها، وأن لا تكون طويلة، ولا مكرّرة في وقت قريب، وأن لا تقع في أوقات محرّجة للمزور، وأن لا تشتمل على إظهار الزائر عيوب بيت المزور أو ما يقدّمه.
- من الآداب الشرعية المتعلقة بالمزور: إظهار الراحة والسرور بالزائر، وأن يقوم بحسن ضيافته من غير إضرار بأهله، وأن لا يترك الضيف يأكل وحده، وأن لا يضايقه بحديث لا يسره.
- من حسن ضيافة الزائر أن تُرشده إلى جهة القبلة وتُهيئ له سجادة الصلاة ونسخة من القرآن الكريم، فذلك أوقع في نفسه.
- أبدى الشارع عناية فائقة بالتزاور، وذلك من خلال توصيات قرآنية وروائية؛ نظراً لما يترتب على التزاور من آثار كبيرة وكثيرة.
- سيرة الأخلاقيين حافلة بموضوع التواصل والتزاور والتحابب في الله.
- من الآفات الخطيرة التي تستهلك البعد الأخلاقي والمعنوي للتزاور قيامه على المنافع الشخصية، التي بزوالها تنتفي دواعي الزيارة، وإذا ما

- افتقدت الزيارة للقيمة الإنسانية فإنّها ستكون فاقدة لأسباب البقاء.
- التزاور الخدمي إيجابي، لأنّه يعني الحقوق المتبادلة في التزاور والتكاتب، فهو فضيلة لها منطلقاتها الدينية والإنسانية، وهو يعكس وحدة الإنسان في نوعه، ووحدة المسلم في أمّته، ووحدة المؤمن في خاصّته، ووحدة الفرد في أهله وعشيرته وأقاربه.
- إنّ التزاور الخدمي هو أقرب ما يكون لتسخير بعضنا لبعضنا الآخر، بدافع التوحّد والتكامل، لا بدافع الهيمنة والاستعباد والاستغلال.
- من ثمرات التزاور: التذكير بالإيمان والعمل الصالح، والتعليم والتثقيف والتوجيه والتنبيه، وذلك إنّما يكون بدافع الحرص على الآخرين، لا بدافع مجادلتهم ومخاصمتهم.
- التزاور الخدمي يدخل فيه التزاور التعليمي والتذكيري، من خلال التذكير بالصالحات من الأعمال، والاقتصار على كلّ ما هو نافع.
- للتزاور ثمرة عظيمة تتعلّق بحفظ الدين ورعايته، وتحقيق شهادة على الأعمال في الدار الآخرة، وهو المرويّ عن الإمام الصادق عليه السلام.

مذاكرة

- ما هي حقيقة التزاور وما هي أقسامه؟ وما هي الأمثلة على ذلك؟
- ما هي فلسفة التزاور التي لا يستغني عنها الجميع؟
- ما هي خلفيات الحثّ على التزاور؟ وما علاقته بالشعور بالانتماء؟
- كيف تفسّر انسجام التزاور مع فطرة الإنسان وطبيعته؟
- ما الذي يمنحه التزاور للمتزاورين؟
- كيف يكون انقطاع الإنسان عن أهله وأقاربه وأصدقائه ومجتمعه عاملاً مباشراً على تحطيم وضعه النفسي وأفول روحانيّته؟

- ما هو الضابط للتفريق بين التزاور الشرعي والتزاور غير الشرعي؟
- متى تتحوّل الزيارة من طريق لإثبات المودّة إلى طريق للنفرة؟
- ما هي الآداب الشرعيّة المتعلّقة بالزائر والمزور؟
- ما هي مفردات الضيافة التي تكون أكثر وقعاً في نفس الزائر؟
- ما هي الآفة الخطيرة التي تستهلك البُعد الأخلاقي والمعنوي للتزاور؟
- ما هو التزاور الخدمي؟ وما هي منطلقاته؟
- لأيّ شيء يكون التزاور الخدمي أقرب؟ وبأيّ دافع؟
- ما هي ثمرات التزاور؟
- كيف للتزاور الخدمي أن يدخل فيه التزاور التعليمي والتذكيري؟
- كيف يشتمل التزاور على شهادةٍ للأعمال في الآخرة؟

الدرس الثامن

أخلاقيات زيارة الرسول والبقيع

- أهداف الدرس
- تمهيد
- حرمة المدينة المنورة
- رعاية حرمة المسجد النبوي
- أخلاقيات التواجد في المدينة المنورة والمسجد النبوي
- إطلالة على شخصية الرسول صلى الله عليه وآله
- أخلاقيات زيارة الرسول صلى الله عليه وآله
- إطلالة على شخصيات أئمة البقيع عليهم السلام
- أخلاقيات زيارة أئمة البقيع عليهم السلام
- إطلالة على شخصية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام
- أخلاقيات زيارة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام
- أخلاقيات زيارة قبور شهداء الإسلام في المدينة
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- بيان حرمة المدينة المنورة، وحرمة المسجد النبوي
- الكشف عن أخلاقيات التواجد في المدينة المنورة والمسجد النبوي
- الكشف عن الخصال الأساسية في شخصية الرسول صلى الله عليه وآله
- عرض أخلاقيات زيارة الرسول صلى الله عليه وآله
- التعريف بشخصيات أئمة البقيع وأخلاقيات زياراتهم عليهم السلام
- التذكير بمظلومية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام
- ربط أخلاقيات زيارة السيدة فاطمة الزهراء بمظلوميّتها عليها السلام
- عرض بعض أخلاقيات زيارة قبور شهداء الإسلام في المدينة

تمهيد

المدينة المنورة ساحة الدعوة والدولة، ومنطلق إشعاع نور الإسلام على أصقاع الأرض، وقلعة العلم والجهاد، إنّها مدينة النضال التاريخي الذي غير مجرى الحياة والتاريخ، ولعظمتها جعل لها حرم وحرمة عظيمة، ومن عظمتها أنّها ضمّت خير خلق الله أجمعين، الرسول الكريم صلى الله عليه وآله والسيدة الزهراء وثلة من أئمة أهل البيت عليهم السلام، فكان لا بدّ أن تكون لها أخلاقيات خاصّة بها، وأخلاقيات تفصيليّة تتعلّق بزيارة الثاوين فيها. ومن أجل استحضار هذه الأخلاقيات كان لا بدّ من التعرّف الموجز على تلك الشخصيات وبعض خواصّها، وهذا ما نريد التعرّض له في هذا الدرس.

حرمة المدينة المنورة

بالرغم من أنّ مكّة المكرمة هي المدينة الأولى التي شهدت الدعوة الإسلامية وإشعاع نور الإسلام وفيها نال بعض الصحابة ما ناله من التعذيب

والتشريد في طريق نشر الدعوة، إلا أنها لم تشهد أحداثاً عظيمة في تاريخ الإسلام كما شهدتها المدينة المنورة، فهي مدينة الدعوة والدولة، ومدينة إشعاع نور الإسلام على أصقاع الأرض، وهي مع ذلك لها حرمة شرعية، بمعنى أن للمدينة حرماً كما أن لمكة حرماً، فمكة حرم الله، والمدينة حرم رسول الله صلى الله عليه وآله^(١).

وحدّ حرم المدينة من (عائر) إلى (وعير)، وهما جبلان يكتنفان المدينة المنورة، أحدهما من المشرق والآخر من المغرب، فالداخل ضمن هذا الحدّ يكون في الحرم الذي يكون ملزماً فيه ببعض الأحكام، من قبيل حرمة قطع الأشجار، بل على الأحوط يحرم الصيد فيها دون الأكل منه، فذلك جائز، ومن التجأ إلى الحرم المدني كُفي، فإن كان مطلوباً للقضاء ضيق عليه حتى يخرج بنفسه.

رعاية حرمة المسجد النبوي

إنّ المسجد النبوي هو ثاني المساجد أهميّة وقداسة في الإسلام، وقد ورد في فضله روايات كثيرة، كما قد عيّنت فيه مواضع خاصّة للصلاة والدعاء والتوبة والاستغفار، مثل الروضة الكائنة بين قبر الرسول صلى الله عليه وآله

(١) عن معاوية بن عمار، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ مكة حرم الله، حرّمها إبراهيم عليه السلام، وإنّ المدينة حرمي ما بين لابتها حرم، لا يعضد شجرها، وهو ما بين ظلّ عائر إلى ظلّ وعير، وليس صيدها كصيد مكة، يؤكل هذا ولا يؤكل ذلك، وهو بريد». الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٦٤، ح ٥. قوله: (لابتيها)، أي: لابتي المدينة، وهما حرّتاها اللتان تكتنفان بها من الشرق والغرب، والحرار جمع حرّة: أرض ذات حجارة سوداء، والحرّتان موضعان أدخل منها نحو المدينة. وقوله: (لا يعضد)، أي: لا يقطع. و (بريد): أربعة فراسخ.

ومنبره، فإنّها روضة من رياض الجنّة، وفيها يقول الرسول صلّى الله عليه وآله: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنّة، ومنبري على ترعة من ترع الجنّة، وقوائم منبري ربت في الجنّة»^(١)، وفي خبر آخر عنه صلّى الله عليه وآله: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة، وإنّ منبري على ترعة من ترع الجنّة»^(٢)، وأسطوانة التوبة (وهي أسطوانة أبي لُبابة) التي كان قد ربط إليها نفسه حتّى نزل عذره من السماء^(٣)، حيث يُستحبُّ عندها إعلان التوبة والاستغفار،

(١) فروع الكافي: ج ٤، ص ٥٥٤، ح ٣، ص ٥٥٥، ح ٨؛ مسند أحمد: ج ٢، ص ٢٣٦، ص ٣٧٦؛ صحيح البخاري: ج ٢، ص ٥٧، ص ٢٢٤؛ صحيح مسلم: ج ٤، ص ١٢٣؛ سنن الترمذي: ج ٥، ص ٣٧٦، ح ٤٠٠٧؛ السنن الكبرى للنسائي: ج ٢، ص ٤٨٩، ح ٤٢٩٠. (مصادر سابقة) وقوله: (ربّت)، من الربو بمعنى النمو والارتفاع، و (الترعة): هي الروضة على المكان المرتفع خاصّة. وقيل: هي الدرجة، وقيل: الباب.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٥٦٨، ح ٣١٥٨؛ معاني الأخبار: ص ٢٦٧، ح ١؛ مصنّف ابن أبي شيبة: ج ٧، ص ٤١٣، ح ٢١؛ مسند أحمد: ج ٣، ص ٦٤؛ السنن الكبرى للنسائي: ج ٢، ص ٤٨٩، ح ٤٢٩٠؛ المعجم الكبير: ج ١٢، ص ٢٢٧؛ الإصابة، ابن حجر: ج ٥، ص ٤١٥ رقم (٧٣٥٩)، ومصادر أخرى. (كلّها مصادر سابقة).

يقول السيّد الأستاذ دام ظلّه: إنّ حديث (بيتي ومنبري) أرجح من حديث (قبري ومنبري)؛ لأنّ الخبرين مرويان عن الرسول صلّى الله عليه وآله، ويُفترض أنّه صلّى الله عليه وآله بصدد بيان فضيلة في المسجد، وفي حياته لم يكن قبره معلوماً، بخلاف بيته فإنّه معلوم، فكيف يصف لهم شيئاً غير معلوم، لاسيّما وأنّه صلّى الله عليه وآله لم يؤثر عنه أنّه قد حدّد مكان قبره، وإذا كانت هنالك مؤشرات لمكان الدفن في حياته فإنّ البقيع أولى بذلك؛ لأنّه مدفن شهداء أحد وبعض الصحابة، كعثمان بن مضعون، فيكون حديث البيت هو الأرجح.

(٣) كامل الزيارات: ص ٦٦، ح ٥؛ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٥٧١؛ تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ٢٣٢، ح ٥٧ (مصادر سابقة)؛ صحيح ابن خزيمة السلمي: ج ٣، ص ٣٥٠، تحقيق: محمّد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢ هـ.

وبيت فاطمة الزهراء عليها السلام، الملاصق للمرقد الشريف^(١)، ولعظمة هذا المسجد الشريف فإنه من الأماكن التي يُستحب فيها الاعتكاف، وفيه يُخَيَّرُ المُسَافِرُ بين القصر والتمام لشدة فضله، ويستحب الإكثار من الصلاة فيه، ولا يبعد أن يكون نفس الحضور فيه عبادة، لاسيما مع التفكير والتأمل في آيات الله وخلقه، فيكون من قبيل المسجد الحرام.

إن حرمة المسجد النبوي عظيمة، ولا بد من حفظها وعدم هتكها بالتغاضي أو بالاستخفاف، فضلاً عن ارتكاب الموبقات، فذلك من الذنوب العظيمة، ومما يؤسف له: أن هذا المسجد الشريف في الوقت الذي شهد أحداثاً عظيمة تتعلق بقيام الإسلام وانتشاره، فقد شهد أيضاً انتكاسات وتجاوزات خطيرة، وصفحات سود يندى لها الجبين، منها استباحة الأمويين لها، في واقعة شهيرة سُمِّيت بواقعة الحرّة^(٢).

وأبو لبابة صحابي جليل، وهو: بشير بن عبد المنذر الأنصاري، له قصة طويلة حول خطئه وتوبته، ونزول آية: ﴿وَأَخْرُجُوا عَنْكُمْ يَذُنُوبُهُمْ يَخْلَطُونَ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٠٢). ينظر تفصيل القصة: تفسير القمّي، مصدر سابق: ج ١، ص ٣٠٣؛ تفسير نور الثقلين، للشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي: ج ٢، ص ٢٥٨، ح ٢٩٨، تحقيق: السيّد هاشم المحلّاتي، مؤسسة إسماعيليان، قم المقدّسة، الطبعة الرابعة، ١٤١٢ هـ؛ الكنى والألقاب، للشيخ عباس القمّي: ج ١، ص ١٤٨، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.

(١) والذي يمكن الدخول إليه من باب جبرائيل عليه السلام، فإن دخلت انحرف قليلاً إلى اليسار ستكون في قبال البيت الشريف، أو إذا أردت الخروج من الباب المطل على البقيع - وهو الباب المقابل لباب السلام تماماً - فعند انتهاء المرقد وقبل الخروج من المسجد يكون البيت على يسارك أيضاً، في أقصى المرقد الشريف، ملاصقاً له.

(٢) كان ذلك في أحداث عام (٦٣) هجرية، حيث استبيحت المدينة ثلاثة أيام لجند الشام،

أخلاقيات التواجد في المدينة المنورة والمسجد النبوي

المدينة المنورة هي مدينة العلم والجهاد، ومدينة النضال التاريخي الذي بواسطته تغير مجرى الحياة، حيث التحول من الظلمات المطبقة إلى النور، وهذا ما يستدعي منا أن نستحضر جميع تلك المعاني الرفيعة والجليلة التي كانت تتمتع بها المدينة المنورة، فيكون للحاج أو الزائر عناية خاصة لهذا الحرم الشريف، فلا يدخلها إلا بغسل، فذلك من المستحبات المؤكدة، وهو غسل يجزي عن غسل الدخول إلى المسجد النبوي، فإن لم يؤقق لذلك فعليه أن يتداركه بالغسل لدخول المسجد، أو بالغسل لزيارة الرسول صلى الله عليه وآله، ومن أخلاقيات التواجد في هذه المدينة المباركة ما يلي:

أولاً: الحرص الكبير على البقاء على الطهارة، فإن الحرم النبوي أليق بذلك، والأجواء المعنوية التي حفل بها الحاج أو المعتمر تقتضي منه ذلك.

ثانياً: الحرص الشديد على التواجد في أوقات الصلاة اليومية في المسجد النبوي للصلاة فيه، والأفضل أن يكون لك إحياء فيه، ليلة أو أكثر، وإذا ما كان مرورك إلى مكان ما عبر المسجد النبوي فلا تغادره إلا بعد الصلاة

يعيشون فيها فساداً، وفي ذلك يقول الطبري: «فدخل مسلم بن عقبة المدينة، فدعا الناس للبيعة على أنهم خول ليزيد بن معاوية، يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم... ولما فرغ مسلم بن عقبة من قتال أهل المدينة، وانهاج جنده أموالهم ثلاثاً، شخص بمن معه من الجند متوجّهاً إلى مكة...». تاريخ الطبري، مصدر سابق: ج ٤، ص ٣٨١.

والأدهى من ذلك كله هو أن ابن عقبة كان يعتبر قتله لأهل المدينة واستباحته لها وهتكه الحرم النبوي، من الأمور التي يتقرب بها إلى الله!! فلما نزل به الموت وهو يقود جنده لاحتحام الكعبة، قال: «اللهم إني لم أعمل عملاً قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أحب إليّ من قتلي أهل المدينة، ولا أرجى عندي في الآخرة». تاريخ الطبري، مصدر سابق: ج ٤، ص ٣٨١.

ركعتين فيه، فإن للصلاة فيه فضلاً عظيماً.

وقد روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصلاة في مسجدي تعدل ألف صلاة في غيره إلا المسجد الحرام فهو أفضل»^(١).

ثالثاً: ما دمت في المدينة المنورة فاحرص على تقصي آثار الإسلام والبطولات الكبرى التي شهدتها هذه المدينة العزيزة، فتزور المساجد مع التعرف على خصوصياتها وأسباب بنائها، لاسيما المساجد المشهورة، كمسجد قبا، ومسجد القبلتين، ومسجد الفتح، ومسجد الاستجابة، وقبور الشهداء. عن معاوية بن عمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا تدع إتيان المشاهد كلها: مسجد قباء؛ فإنه المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، ومشربة أم إبراهيم، ومسجد الفضيل، وقبور الشهداء، ومسجد الأحزاب وهو مسجد الفتح»^(٢)، وإن شئت فابدأ بمسجد (قبا) فذلك أفضل والأوفق للأخبار^(٣).

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٥٥، ح ٨؛ كامل الزيارات، مصدر سابق: ص ٥٩، ح ٢؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٦، ص ٨، ح ٨؛ سنن الترمذي، مصدر سابق: ج ٥، ص ٣٧٦، ح ٤٠٧؛ المعجم الأوسط، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢١٧.

(٢) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٦٠، ح ١؛ كامل الزيارات، مصدر سابق: ص ٦٤، ح ١؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥٧٤؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٦، ص ١٧، ح ١٨. مسجد الفضيل: هو المسجد الذي يُعرف اليوم بمسجد الشمس (أو رد الشمس)، ويقع شرقي مسجد قباء، وهو مسجد صغير.

(٣) عن عقبة بن خالد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام أنا نأتي المساجد التي حول المدينة فبأيتها أبدأ؟ فقال: ابدأ بقباء، فصل فيه، وأكثر؛ فإنه أول مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه العرصة. الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٦٠، ح ٢؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٦، ص ١٧، ح ١٩.

إطلالة على شخصية الرسول صلى الله عليه وآله

اجتمعت في شخصية الرسول صلى الله عليه وآله من المزايا المعرفية والمعنوية والسلوكية ما لم تجتمع في غيره قط، وإذا ما اعتبرنا أن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام هم سادة الخلق في كمالهم الموهوب والمكتسب، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله هو سيد الأنبياء والمرسلين في كماله ومقاماته^(١) فإنه يتضح لنا إجمالاً ما تكتنزه هذه الشخصية العظيمة، وكيف أنه انتخب من بين سائر الأنبياء عليهم السلام والخلق أجمعين لإتمام مكارم الأخلاق، حتى صار هذا الأمر هو الداعي الحقيقي لبعثته، أو قل هو الهدف الأساس من وراء بعثته ورسالته الأُمّية صلى الله عليه وآله^(٢).

-
- (١) عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا سيد الأنبياء والمرسلين، وأفضل من الملائكة المقربين، وأوصيائي سادة أوصياء النبيين والمرسلين، وذريتي أفضل ذريات النبيين والمرسلين، وأصحابي الذين سلكوا مناهجي أفضل أصحاب النبيين والمرسلين، وابنتي فاطمة سيّدة نساء العالمين». أمالي الصدوق، مصدر سابق: ص ٣٧٣، ح ١٢.
- وقد جاء في مطلع زيارة الإمام عليّ الرضا عليه السلام: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنه سيد الأولين والآخرين، وأنه سيد الأنبياء والمرسلين، اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك ونبيّك وسيد خلقك أجمعين». من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٦٠٢، ح ٣٢١٠، باب: زيارة قبر الرضا أبي الحسن على بن موسى عليها السلام بطوس؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٦، ص ٨٦، ح ١.
- وقد روى الحاكم حديثاً صحيح الإسناد عنده، عن أبي هريرة، قال: «سيد الأنبياء خمسة، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم سيد الخمسة، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم». قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، وإن كان موقوفاً على أبي هريرة». المستدرک على الصحيحين، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥٤٦.
- (٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». مكارم الأخلاق،

وهنا نريد تسليط الضوء على أربع خصال عظيمة لرسول الله صلى الله عليه وآله، تساعدنا على تشكيل صورة مُمهّدة للدخول في أخلاقيات زيارته وحفظ حرمة صلى الله عليه وآله، أمّا الخصال فهي:

الخصلة الأولى: الشخصية العاملة العاملة، فهو الشخصية المثالية الكبرى، والنموذجية الأولى التي لحق علمها عملٌ، وسبق عملها علمٌ، فلم يكن قائلاً شيئاً إلا وهو فاعله، وكيف لا يكون كذلك وهو يتلو علينا قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٣)، وما كان يأمر أحداً بعملٍ برّ قبل أن يكون هو صلى الله عليه وآله فاعله، عملاً بقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ أَنْتُمْ وَآلُكُمْ وَنِسَاءُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَاقِبُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (النساء: ٣٤).

مصدر سابق: ص ٨؛ عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير (السيرة النبوية)، تأليف: محمد بن عبد الله بن يحيى بن سيّد الناس (ت: ٧٣٤هـ): ج ٢، ص ٤٢١، مؤسسة عز الدين، بيروت، ١٤٠٦هـ؛ البداية والنهاية، مصدر سابق: ج ٦، ص ٤٠؛ سنن البيهقي، مصدر سابق: ج ١٠، ص ١٩٢. وقريب منه في: كتاب الموطأ، مصدر سابق: ج ٢، ص ٩٠٤، ح ٨. وفي خبر آخر: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق». مصنف ابن أبي شيبة، مصدر سابق: ج ٧، ص ٤٤٠، ح ١٣٥؛ التاريخ الكبير، للشيخ المحدث أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ): ج ٧، ص ١٨٨، ح ٨٣٥، المكتبة الإسلامية، ديار بكر، بإشراف: الدكتور محمد عبد المعيد خان؛ الأدب المفرد، للإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ): ص ٦٧، ح ٢٧٣، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ؛ الطبقات الكبرى، مصدر سابق: ج ١، ص ١٩٢؛ البداية والنهاية، مصدر سابق: ج ٦، ص ٤٠. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». المستدرک على الصحيحين، مصدر سابق: ج ٢، ص ٦١٣.

قال السيّد الأستاذ دام ظلّه: «ولأنّه صلّى الله عليه وآله قد أتمّها قولاً وعملاً فقد وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤). قال العلامة المجلسي: «سُمِّي خُلُقُهُ عظيماً لاجتماع مكارم الأخلاق فيه». بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٦٨، ص ٣٨٢.

النَّاسَ بِالْإِبرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَذَكَّرُونَ...» (البقرة: ٤٤)^(١)، وهذا الأمر إنما يكشف عن صدقه الشديد وخلوص نيته وصفاء طويته، ومع أنه لم يكن مطالباً بتأخير أمره على فعله إلا أن مكانته العظيمة ومقامه الرفيع وتصديقه لأمر الأمة يفرض عليه أن يكون كذلك.

الخصلة الثانية: الشخصية المتفوضة الصابرة، فلم يسكت على باطل، وقد تحدّى - وهو في مكة - طغاة قريش، الذين كانوا يمتلكون القدرة والنفوذ، وهو أعزل وليس معه إلا أنفار قلّة وضعفاء، ولكنّه قارع الباطل، وظلّ كذلك حتّى آخر عمره الشريف، فكان حرصه الشديد على بعث سرية أسامة، وهو صلّى الله عليه وآله في أشدّ حالات مرضه، يكشف عن روحه الجهادية المتفوضة على الطغيان والباطل، وفي قبال انتفاضته وصرخته المدوية بكلمة الحقّ كان مثلاً شاخخاً في الصبر والتحمّل، حتّى أنّه قد أُوذي في أهله وعياله ولكنّه أثر الصبر؛ نصرةً للدين، وإعلاءً لكلمة التوحيد، وفي خبر: «ما أُوذي

(١) من الواضح أنّ الآية الكريمة ليست بصدد ذمّ أمرهم بعمل البرّ، فالبرّ مطلوب عقلاً ونقلاً، وإنّما هي بصدد ذمّهم على ترك فعل البرّ، فالتارك له مع القدرة عليه لا يسوغ أن يكون أمراً به؛ فذلك ضربٌ من النفاق، والازدواج في الشخصية، كما هو واضح. (منه دام ظلّه).
نعم، فالمأمور بالبرّ عادة ما ينظر إلى حال الأمر به، فإنّ وجده فاعلاً له استجاب للبرّ المأمور به، وإن لم يجده كذلك تأبى عنه، ليس بغضاً بعمل البرّ، وإنّما لانتفاء المصادقية بالأمر به. يقول الشنقيطي: «ومعلوم أنّ عمل الإنسان بما ينصح به غيره أدعى لقبول غيره منه، كما قال الشاعر:

«فإنّك إذ ما تأت ما أنت أمرٌ به تلف من إيّاه تأمرٌ آتياً».

أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، للشيخ محمّد أمين بن محمّد المختار الجكني الشنقيطي: (ت: ١٣٩٣ هـ): ج ٢، ص ٧١٥، دار ابن الحزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ. ومنشور في المكتبة الشاملة.

أحد ما أوديت في الله»^(١).

الخصلة الثالثة: الشخصية النافذة المؤثرة، وهنا تكمن شخصيته الأخلاقية العظيمة، حيث كان صلى الله عليه وآله سريع الوصول إلى القلوب، قوي التأثير فيها، نظراً لما كان يتمتع به من صراحة ووضوح، فكان كما وصفه أمير المؤمنين علي عليه السلام: «طبيب دوار بطبه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه. يضع ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عُمي، وأذانِ صُم، وألسنة بُكم. متبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة»^(٢)، وما لم يكن الشخص المتصدي لأُمور الأُمَّة قادراً على التأثير، نافذاً في القلوب، فإنه سوف يفقد عاملاً أساسياً في شخصيته القيادية، وسيبقى ما يقوله بلا مصغٍ له.

الخصلة الرابعة: الشخصية الحليمة السمحة، وهذا ما أجمعت عليه المدونات التاريخية في شخصية النبي صلى الله عليه وآله، ولعل من أبرز مواطن حلمه: ما كان يقابل به طغاة قريش، وهم يُلحقون به الأذى الشديد، ولما بلغ من القدرة ما كان يمكنه معاقبة قريش بأسرها يوم الفتح، قابلهم بعفوه وسماحته، وقال لهم: «يا معشر قريش ويا أهل مكة! ما ترون أي فاعل بكم؟» قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، ثم قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(٣)، فلم

(١) الجامع الصغير، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤٨٨، ح ٧٨٥٣؛ كنز العمال، مصدر سابق: ج ٣، ص ١٣٠، ح ٥٨١٨.

(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: ج ١، ص ٢٠٧ خطبة (١٠٨). المواسم جمع ميسم بالكسر وهو المكواة.

(٣) الطلقاء: هم من آمن بعد الفتح من أهل مكة من قريش، وقد آمن أكثرهم أول الأمر رهبة، وقد عفا عنهم الرسول صلى الله عليه وآله بعد أن حاربوه قرابة عشرين سنة.

(٤) تاريخ الطبري، مصدر سابق: ج ٢، ص ٣٣٧.

يُعمل فيهم السيف، ولم يقتصّ منهم^(١)، فبذل لهم بسماحته تفضّلاً ما كان له صلى الله عليه وآله أهلاً، والسماحة هي: بذل ما لا يجب تفضّلاً^(٢).

ولو لاحظنا هذه الخصال الأربع نجدها تشكّل أعمدة القدوة والأسوة، ولذلك كان صلى الله عليه وآله كذلك، وهو ما شهد به القرآن له، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١).

أخلاقيات زيارة الرسول صلى الله عليه وآله

وفقاً لتلك المنطلقات والحيثيات العظيمة التي كانت تكتنزها الشخصية العملاقة لرسول الله صلى الله عليه وآله تترتب علينا أخلاقيات مهمّة تتعلق بزيارته صلى الله عليه وآله، منها:

قال السيّد الأستاذ دام ظلّه: «قالها وذكريات التهجير القسري حاضرة عنده، والدماء الطاهرة الزكية التي سالت في بدر وأحد وحُنين لم تبرد بعد، ولم يزل يفوح مسكها، ولكنه صلى الله عليه وآله ما جاء منتقماً، وما جاء بالذبح كما يُصوّره الإسلام الأموي، وإنما جاء من أجل إنقاذ الإنسان من الظلمات، وصيانة كرامته وتحصينه بالقوة والمنعة والعزّة والشموخ». الوسطية في القرآن الكريم، للمرجع الديني السيّد كمال الحيدري: ص ١٥٤، ضمن بحث (وسطية التشيع)، بقلم: الدكتور طلال الحسن، مؤسسة الجواد للفكر والثقافة، العراق - الكاظمية، الطبعة الأولى، ٢٠١٧ م.

- (١) قال الطبري: «فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد كان الله أمكنه من رقابهم عنوة، وكانوا له فيئاً، فبذلك يسمّى أهل مكة الطلقاء». المصدر السابق: ج ٢، ص ٣٣٧.
- (٢) انظر: التعريفات، للسيّد الشريف عليّ بن محمّد الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ): ص ١٦٠، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ؛ التوقيف على مهمّات التعاريف، للشيخ محمّد عبد الرؤوف بن عليّ المناوي المصري (ت: ١٠٣١ هـ): ص ٤١٤، الناشر: عالم الكتب، القاهرة؛ معجم لغة الفقهاء، تصنيف: الدكتور محمّد قلعجي والدكتور حامد صادق قنيسي: ص ٢٤٩، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ م.

أولاً: لابدّ من حفظ حضوره المعنوي معنا وكأنّه صلّى الله عليه وآله ماثل بيننا، فلا نرفع في حضرته صوتاً؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات: ٢)، وأن لا نقضي بشيء نتجاوز به على سنته الشريفة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦)، بل وأن لا نخرج عن مطلق طاعته، فيما أمر به، وفيما نهى عنه صلّى الله عليه وآله؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (النساء: ٥٩)، فإن فعلنا ذلك راعيناً شطراً عظيماً من أخلاقيات زيارته صلّى الله عليه وآله.

ثانياً: أن تكون زيارته صلّى الله عليه وآله مناسبة لشخصيته المثالية، العاملة، والمتفتضة الصابرة، والنافذة المؤثرة، والحليمة السمحة، فنأخذ من علمه وعمله، ومن انتفاضته وصبره، ومن قوّة شخصيته، ومن حلمه وسماحته، فينطبع فينا شيء من ذلك، وتظهر ملامحه في كلماتنا وأعمالنا، فندخل إلى مرقده الشريف بخواصنا، ونخرج منه بخواص منه صلّى الله عليه وآله، وفيما عدا ذلك نكون قد فرطنا بخطر عظيم من أخلاقيات زيارته.

ثالثاً: أن لا نترك فرصة للخلاف بيننا ونحن بحضرته، حتّى إن أودينا، فإن علينا لزاماً التشبّث بحبل الله والاعتصام به، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران: ١٠٣)، ولما ضمّن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام هذه الآية في وصيته الأخيرة قال: «إني سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: (صلاح ذات البين أفضل من عمّة الصلاة

والصيام)، و: (أنّ المبيرة الحالقة للدين فساد ذات البين)، ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم^(١)، وحبل الله في المقام هو القرآن الكريم^(٢)، والقرآن العاصم لنا من

(١) فروع الكافي، مصدر سابق: ج ٧، ص ٥١؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٤، ص ١٨٩، ح ٥٤٣٣؛ تحف العقول، مصدر سابق: ص ١٩٨؛ دعائم الإسلام، مصدر سابق: ج ٢، ص ٣٤٩. وقوله صلّى الله عليه وآله: (المبيرة الحالقة) يريد به النزاع والفتن والخلافات التي تبير وحدة الأمة وتخلق حبل وصلها، كما أنّ آلة خلق الشعر تفعل ذلك بالشعر.

(٢) قال الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام: «حبل الله هو القرآن». انظر: معاني الأخبار، مصدر سابق: ص ١٣٢. وهو الأوفق لحديث الثقلين المرويّ عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، والذي ورد فيه: «إني تارك فيكم أمرين أحدهما أطول من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي...». الخصال، مصدر سابق: ص ٦٥، ح ٩٧؛ مسند أحمد، مصدر سابق: ج ٣، ص ١٤، ص ١٧؛ سنن الترمذي، مصدر سابق: ج ٥، ص ٣٢٨، ح ٣٨٧٦؛ مصنف ابن أبي شيبة، مصدر سابق: ج ٧، ص ١٧٦. ولا يمنع ذلك من صدق (حبل الله) على غير القرآن، فأهل البيت عليهم السلام مورد أكيد للاعتصام، وقد ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام في بيان مصداق الآية، أنّه قال: «نحن الحبل». أمالي الشيخ الطوسي، مصدر سابق: ص ٢٧٢، ح ٤٨؛ شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، للحافظ عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني الحنفي النيسابوري: ج ١، ص ١٦٩، ح ١٨٠، تحقيق وتعليق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية التابع لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.

ويتأكّد هذا المعنى من خلال العلاقة الوثيقة بينهم عليهم السلام وبين القرآن الكريم، فإنّ أحدهما يهدي للآخر، فقد روى الشيخ الصدوق بسند طويل عن موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين عليهم السلام، قال: «الإمام ممّا لا يكون إلّا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيُعرف بها، ولذلك لا يكون إلّا منصوفاً. ف قيل له: يا ابن رسول الله فما معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن، لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن، والقرآن

الفرقة والخلاف والزلزل، يأمرنا بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله، فيكون الاعتصام برسول الله صلى الله عليه وآله واعتصاماً بالله تعالى وبالقرآن، ويكون محققاً لمعنى جليل من أخلاقيات زيارة الرسول صلى الله عليه وآله.

رابعاً: وفي ضوء النقطة السابقة (ترك الخلاف) يتأكد لنا ضرورة التمسك بالنور المحمدي، وعدم الرجوع إلى الظلمات السابقة؛ قال تعالى: ﴿الرَّكَتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (إبراهيم: ١)، فتكون العودة أو الرغبة بالرجوع إلى أي ظلمة من ظلمات الجهل والتخلف والعصبية القبلية والأنانية والعزلة والإقصاء دليلاً على عدم مراعاة أخلاقيات الزيارة لرسول الله صلى الله عليه وآله؛ إذ ليس من الأخلاق بشيء أن نقصده - وهو النور الذي بدد الظلمات عن أمته - ونحن نقوم بممارسات غير شرعية هي تصب في بحر تلك الظلمات التي ما جاء النبي صلى الله عليه وآله إلا لإخراجنا منها، وبعبارة أخرى: سيكون الجمع بين الزيارة والممارسات المظلمة نوعاً من الاستخفاف بتلك الرحلة الجهادية لرسول الله صلى الله عليه وآله.

خامساً: أن نراعي بعض الأمور الواردة في زيارته صلى الله عليه وآله، من قبيل الغسل المستحب لزيارته وقصد مسجده الشريف، والدخول للمسجد النبوي من باب جبرائيل عليه السلام، وطلب الإذن بالدخول إلى مرقده الشريف، كما هو الحال في الاستئذان من صاحب الدار في دخول داره، استحضاراً

يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْسَمُ﴾ (الإسراء: ٩). معاني الأخبار، مصدر سابق: ص ١٣٢، ح ١. ولا مانع من صدق المفهوم القرآني على العقل أيضاً، بل على كل شيء عاصم لنا من الفرقة، قال الراغب الأصفهاني: فحبله: هو الذي معه التوصل به إليه، من القرآن والعقل، وغير ذلك، مما إذا اعتصمت به أدلك إلى جواره». مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق: ص ١٠٧. (منه دام ظلّه).

لشخصيته المعنوية صلى الله عليه وآله، وهو الأوفق لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ (الأحزاب: ٥٣)، وقد ورد في الأثر: «اللَّهُمَّ وَإِنِّي أَعْتَقِدُ حُرْمَةَ نَبِيِّكَ فِي غَيْبَتِهِ كَمَا أَعْتَقِدُ [هَا] فِي حَضْرَتِهِ، وَأَعْلَمُ أَنَّ رَسْلَكَ وَخَلَفَاءَكَ أَحْيَاءَ عِنْدَكَ يُرْزَقُونَ، يَرُونَ مَكَانِي فِي وَقْتِي هَذَا وَزَمَانِي، وَيَسْمَعُونَ كَلَامِي، وَيَرُدُّونَ عَلَيَّ سَلَامِي، وَأَنْتَ حَجَبْتَ عَنِّي سَمْعِي كَلَامَهُمْ، وَفَتَحْتَ بَابَ فَهْمِي بِلَذِيذِ مَنَاجَاتِهِمْ»^(١).

ويتأكد هذا المعنى للحاج، الذي يُستحب له مؤكّداً زيارة الرسول صلى الله عليه وآله، بل يستحب له أن يكون رجوعه عن طريق المدينة، قاصداً الزيارة، ولا ينبغي للحاج أن يقضي حجه من دون زيارة المدينة عموماً، وزيارة الرسول صلى الله عليه وآله خصوصاً؛ فذلك من الجفاء بمكان، وهو مروي عنه صلى الله عليه وآله، قال الشيخ الصدوق: «ثم تزور قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبور الأئمة عليهم السلام بالمدينة وأنت على غسل، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: مَنْ حَجَّ بَيْتَ رَبِّي وَلَمْ يَزِرْنِي فَقَدْ جَفَانِي»^(٢)، وقريب منه ما روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَنْ أَتَى مَكَّةَ حَاجًّا وَلَمْ يَزِرْنِي إِلَى الْمَدِينَةِ جَفَوْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

(١) المزار الكبير، للشيخ محمد بن المشهدي (ت: ٦١٠هـ): ص ٥٥، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ؛ المزار، للشهيد الأول شمس الدين محمد بن محمد بن مكي العاملي (ت: ٧٨٦هـ): ص ٦٥، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

(٢) الهداية في الأصول والفروع، للشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه (ت: ٣٨١هـ): ص ٢٥٥، مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ. وقد روي الخبر في: مستدرک الوسائل، مصدر سابق: ج ١٠، ص ١٨١، ح ١؛ ص ١٨٦، ح ٤.

(٣) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٤٨، ح ٥.

وهو ما أكدّه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بقوله: «أتمّوا برسول الله صلى الله عليه وآله حجكم إذا خرجتم إلى بيت الله؛ فإن تركه جفاء، وبذلك أمرتم»^(١).

سادساً: الإكثار من الصلاة عليه والتسليم له؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦)، أمّا الصلاة عليه فهي كما جاء عنه صلى الله عليه وآله عندما نزلت الآية، حيث قالوا له: «يا رسول الله قد عرفنا التسليم، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: تقولون: اللهم صل على محمد وآل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد»^(٢)، وقد اختُصرت بقولنا: (اللهم صل على محمد وآل محمد)، فإذا ما ذكر اسمه الشريف قلنا: (صلى الله عليه وآله).

وأما التسليم، وهو الأهم في المقام، فإنه يختلف كثيراً عن السلام، والآية إنّما أمرتنا بالتسليم إليه، فلم تقل: وسلموا سلاماً، وإنّما قالت: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، والتسليم هو الالتزام بأوامره ونواهيه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: ٧)، وعدم مخالفته أبداً؛ كما

(١) الخصال، مصدر سابق: ص ٦١٦؛ تحف العقول، مصدر سابق: ص ١٠٦.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢١٣؛ دعائم الإسلام، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٩. وفي الصحيحين عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هديّة سمعتها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقلت: بلى، فأهدها لي، فقال: سألتنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علّمنا كيف نسلم؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد». صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ٤، ص ١١٨؛ ج ٦، ص ٢٧؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٦.

تقدم التنبيه لذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦)، بل عدم مناقشته فيما يحكم به، وعدم تقديم الاقتراحات له فيما لم يطلب الاستشارة فيه؛ فهو في غنى عن اقتراحات الناس؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات: ١)، أي: لا تقطعوا في أمرٍ ولا تعجلوا به من دون العود إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله^(١)، أو كما يقول السيوطي: «أي: لا تقدموا بقول ولا فعل»^(٢).

ثم إن عدم التسليم للنبي صلى الله عليه وآله، فضلاً عن كونه قادحاً في الإيذان، فإنه يعدّ أخلاقياً من سوء الأدب، لاسيّما وأن الله تعالى قد أمر بالتسليم له صلى الله عليه وآله، بل أكّده من خلال المفعول المطلق فقال: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، وكأن الآية تريد التنبيه إلى نكتة دقيقة، وهي أن التسليم له أهم من الصلاة عليه، فجاء التوكيد فيه دون الصلاة، وفي هذا درس جليل وهو أن الصلاة عليه تعني طلب الرفعة لمقامه الشريف، وأمّا التسليم له ففيه طلب لرفع مقامك أنت، وحاجتك لرفع مقامك أكبر من الطلب لرفع مقام النبي صلى الله عليه وآله.

(١) انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٩، ص ٢١٧.

(٢) تفسير الجلالين، مصدر سابق: ص ٦٨٤. قال الطباطبائي: «إنّ المراد بما: ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، هو المقام الذي يربط المؤمنين المتّقين بالله ورسوله، وهو مقام الحكم الذي يأخذون منه أحكامهم الاعتقاديّة والعملية. وبذلك يظهر أنّ المراد بقوله: ﴿لَا تَقَدَّمُوا﴾، تقديم شيء ما من الحكم قبال حكم الله ورسوله، إمّا بالاستباق إلى قول قبل أن يأخذوا القول فيه من الله ورسوله، أو إلى فعل قبل أن يتلقوا الأمر به من الله ورسوله...». الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١٨، ص ٣٠٦.

إطلالة على البقيع وأئمة البقيع عليهم السلام

أما البقيع أو (بقيع الغرقد)^(١) فهو مقبرة تضمّ رفات بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام، وجملة من الصحابة والقراء والتابعين، وهو أول مكان اختطّه رسول الله صلى الله عليه وآله ليكون مدفناً، ويقع في الجانب الشرقي من المسجد النبوي الشريف، وقد كان البقيع من الأماكن المحببة لرسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّه يضمّ رفات شهداء الإسلام، وقد كان صلى الله عليه وآله يصلي العيدين على أرض البقيع تاركاً المسجد النبوي، وقد قيل له صلى الله عليه وآله: لو صليت في مسجدك؟ فقال: «إني لأحب أن أبرز إلى آفاق السماء»^(٢).

وأما المدفونون في البقيع من أئمة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فهم أربعة، وهم بحسب تسلسل أئمة أهل البيت: الإمام الثاني: أبو محمد الحسن المجتبي عليه السلام (ت: ٥٠ هـ)^(٣). الإمام الرابع: أبو محمد عليّ زين العابدين عليه السلام (ت: ٩٤ هـ). الإمام الخامس: أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام (ت: ١١٤ هـ). الإمام السادس: أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام (ت: ١٤٨ هـ).

(١) البقيع: موضع من الأرض، فيه أروم شجر من ضروب شتى، وبه سمّي بقيع الغرقد بالمدينة. والغرقد: شجر كان ينبت هناك، فبقي الاسم ملازماً للموضع وذهب الشجر. انظر: كتاب العين، مصدر سابق: ج ١، ص ١٨٤؛ الصحاح تاج اللغة، مصدر سابق: ج ٣، ص ١١٨٧.

(٢) انظر: الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٣، ص ٤٦٠، ح ٣، ٤.

(٣) وقع اختلاف كثير في تاريخ استشهاد الإمام الحسن، حيث قيل: سنة (٤٧ هـ)، وقيل: (٤٩ هـ)، وقيل: (٥٠ هـ)، وقيل: (٥١ هـ)، ولكن الأرجح هو عام (٥٠ هـ)، فإنّ عمره الشريف كان (٤٧) عاماً، وقد كانت ولادته كما هو الصحيح (٣ هجرية)، فتكون وفاته (٥٠ هجرية).

وتضمّ مقبرة البقيع جملة من شهداء أحد، كما تضمّ رفات السيّدة فاطمة بنت أسد والدّة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، والسيّدة أمّ البنين زوجة أمير المؤمنين عليه السلام، وبعض عمّات النبيّ صلّى الله عليه وآله وبعض زوجاته^(١)، وإذا كان يُستحبّ أو يُفضّل الدفن في المشاهد المقدّسة، فلا شكّ في كون البقيع من المشاهد المقدّسة، بل هو أكثر المشاهد المقدّسة ضمّاً لقبور الأئمّة، فلا يوجد موضع آخر يضمّ أربعة من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وإن كان للغريّ خصوصيّة كبيرة، حيث توجد فيه مقبرة وادي السلام، وهي أكبر مقبرة عند المسلمين، وكذلك للحائر الحسيني، حيث ورد استحباب الدفن فيه أيضاً.

وينبغي مراعاة الوقار والهيبة عند الدخول إلى مقبرة البقيع، والاستغفار للشهداء والصالحين فيها، وقد ورد في قصّة وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه لما عرض له الوجه الذي قبض فيه (أو آخر صفر من سنة إحدى عشرة للهجرة)، خرج في تلك الليلة إلى البقيع، وقال: «إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع»، فلما وقف بين أظهرهم قال: «السلام عليكم أهل المقابر، ليهنئكم ما أصبحتم فيه ممّا أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أوّلها، الآخرة شرّ من الأولى»، ثمّ استغفر لأهل البقيع طويلاً، ثمّ انصرف صلّى الله عليه وآله بوجعه الذي قبض فيه^(٢).

(١) جميع زوجات النبيّ صلّى الله عليه وآله دفنّ في البقيع ما عدا أمّ المؤمنين السيّدة خديجة الكبرى رضوان الله تعالى عليها، والدّة السيّدة فاطمة الزهراء عليهما السلام.

(٢) انظر: تاريخ الطبري، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤٣٢؛ تاريخ المدينة المنوّرة (أخبار المدينة النبويّة)، لأبي زيد عمر بن شبه النميري البصري (٢٦٢هـ): ج ١، ص ٨٧، تحقيق: فهديم محمّد شلتوت، من منشورات دار الفكر، مطبعة القدس، ١٤١٠هـ؛ الطبقات الكبرى،

أخلاقيات زيارة أئمة البقيع عليهم السلام

إنَّ لأئمة البقيع عليهم السلام مظلومية كبيرة امتدَّت إلى قبورهم الشريفة ومشاهدهم الكريمة، التي هُدمت وتحولت إلى أرض خلاء تعصف بها الرياح، حيث لا مصابيح تضيء حولهم، ولا مكان يحطّ فيه الزوّار رحالهم، يدخل إليهم الزائر مترقباً، وخلفه عصف أجوف يأمره بالحركة والخروج سريعاً، فلا تكاد أن ترى معلماً، ولا تكاد أن تقرأ شيئاً من زياراتهم عليهم السلام، ولا تكاد أن تلتفت لتودّعهم، وكأنّ رحلة الاضطهاد التي عاشوها والترهيب والتقتيل لم تكفِ ثمناً، فانهالوا على قبورهم يصبّون عليها جام أحقادهم وأضغانهم! وكأنّهم بذلك يريدون تحطيم قلب صاحب الدعوة نفسه صلّى الله عليه وآله، الذي لو كان يسعهم أن يهدموا قبره الشريف لفعلوا ذلك بلا تردد.

في قلعة الأحزان هذه، تحولت مقبرة البقيع بأسرها إلى بيت أحزان جديد، فكان لا بدّ من مراعاة هذا الحزن المتلاطم عند زيارتنا للبقيع، فإذا ما كان البقيع شاهد عيان على بكائيات السيّدة الزهراء عليها السلام على أبيها الرسول صلّى الله عليه وآله فنحن نقرأ فيها بكائياتٍ على أولادها الذين بقيت قبورهم بلا شواهد تحكي أسماءهم، وهي بجوارهم، فكان بيت الأحزان يمتدّ إلى أحزانهم، ومنه تنشق بيوت عامرة بالبكاء، في قلب كلّ مؤمن، فإذا ما دخلت البقيع فادخله من بوابة بيت الحزن الذي في قلبك، ليكون بيت حزنك ملاصقاً لبيت الأحزان الذي رُمته تلك البكائيات الخالدة، هذا أولاً.

ثانياً: لا ينبغي أن تترك الكينونة على الطهارة في هذا الموضع الشريف، بل

مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٠٤؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة؛ لابن الأثير أبي الحسن عزّ الدين عليّ بن محمّد بن عبد الكريم الجزري الشافعي: ج ٥، ص ٣١٠، انتشارات إسماعيليان، طهران؛ شرح نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ١٠، ص ١٨٣؛ ج ١٣، ص ٢٧.

هو الأولى بالطهارة، لأنّ الطهارة ألصق بالحزن المطلوب فيها، والبقاء على الطهارة فيها يسير؛ لقصر الوقت الذي ستمضيه في البقيع.

ثالثاً: التأكيد على قراءة الزيارة الجامعة والمستقلة، وإن كنّا ننصح بقراءتها خارج البقيع لكي لا تتعرّض إلى الأذى، ولكي تستغلّ الوقت القصير بالتأمل في هذه الأرض المقدّسة ومن ثوى فيها من المقدّسين.

رابعاً: أكثر من تلاوة القرآن فيها والاستغفار للثاوين فيها، وطلب الشفاعة من الطاهرين فيها، فإنّ لحظات تواجدك في البقيع قد لا تتكرّر معك. خامساً: لا تكن سبباً في إلحاق الأذى بالزائرين، فتزيدهم حزناً ولوعة، بل كن لهم عوناً، لاسيّما من يكبرك سنّاً، أو من كان مريضاً؛ فذلك من خلق الزيارة.

سادساً: حافظ على روحانيّة الزيارة في هذا المقام، فلا ترفع صوتاً، وإن قُوبلت بزجرٍ أو امتعاض من الآخرين، ولا تعقد المناظرات والجدل مع المخالفين لك ببعض تفاصيل العقيدة، فإنّ زيارة البقيع فيها نفحات من نفحات الحجّ، ولا جدال ولا مريّة في الحجّ، وقد روي عن إسماعيل بن مهران عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أنّه قال: «إذا حجّ أحدكم فليختم حجّه بزيارتنا؛ لأنّ ذلك من تمام الحجّ»^(١)، وقوله: «تمام الحجّ» يعطينا وجه الارتباط ومعنى كون البقيع فيه نفحات الحجّ، فإن وقع جدال أو مناظرة بنحو الحاجة أو الاضطرار، فلا تخرج عن مقام الناصح، ولا تدخل في مقام الإساءة والتنديد.

سابعاً: لا بأس بأن تكون دليلاً لبعض الزائرين، ممّن يزور لأول مرّة، أو

(١) علل الشرائع، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤٥٩، ح ١؛ عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٩٢، ح ٢٨.

أنّه لا يعرف أصحاب المشاهد، لاسيّما المشاهد الخاصّة بأئمّة أهل البيت عليهم السلام، وليكن ذلك في يسر، فإن وجدت فيه عسراً أو حرجاً أو مخالفة فاترك، فإنّه كما ورد في الخبر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «لا ينبغي للمؤمن أن يذلّ نفسه» قيل له: وكيف يذل نفسه؟ قال: «يتعرّض لما لا يطيق»^(١).

إطلالة على شخصيّة السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام

فاطمة كوثر الرسول وأمّ أبيها صلوات الله عليهما، فهي البركة الحقيقيّة في حفظ ذريّة الرسول صلّى الله عليه وآله، ولم تنحصر كوثريتها في ذلك، فإنّ خيرها أعمّ من ذلك وأشمل، فمن كوثريتها أنّها عليها السلام كانت نبراساً في حفظ النبوّة والإمامة، وذلك بسابقتها الجهاديّة في حياة الرسول صلّى الله عليه وآله، وكونها بقيّة الرسول صلّى الله عليه وآله من بعده، وتذكّره الحسيّ الذي كان يُلهم المسلمين ويمنحهم قوّة، وأمّا في حفظ الإمامة فلم ينحصر في امتداد الإمامة إلى ذريّتها الطاهرة عليهم السلام، وإنّما تجلّى في تفعيل التدابير النبوّية الخاصّة بحفظ الخلافة الإلهيّة، حتّى مضت إلى ربّها شهيدة وشاهدة على ما جرى، ولو قدّر لها البقاء أكثر من ذلك لشهدت المدينة أوّل انتفاضة شعبيّة في صدر الإسلام^(٢).

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٥، ص ٦٣، ح ٤؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٦، ص ١٨٠، ح ١٧؛ سنن ابن ماجه، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٣٣٢، ح ٤٠١٦؛ سنن الترمذي، مصدر سابق: ج ٣، ص ٣٥٦، ح ٢٣٥٥.

(٢) ينظر: تفصيل المسألة: التدابير النبوّية في حفظ الخلافة الإلهيّة، من أبحاث سماحة المرجع الديني السيّد كمال الحيدري: ص ٢٥٢، بقلم: د. طلال الحسن، مؤسّسة الإمام الجواد عليه السلام للفكر والثقافة، العراق، الطبعة الأولى، ١٤٣٧ هـ.

إنَّ من أهمِّ المفاصل في هذه الشخصية الإلهية النبوية العظيمة: أنَّ الله تعالى قد قرن رضاه برضاها، وغضبه بغضبها، فعن الإمام علي بن الحسين، عن الإمام الحسين بن علي عن أمير المؤمنين علي عليهم السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة: إِنَّ الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك»^(١). وفي خبر آخر: «إِنَّ فاطمة بضعة مني، مَنْ أغضبها أغضبني»^(٢)، وفي ذلك إشارة صريحة إلى عصمتها عليها السلام، فضلاً عن دخولها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣)^(٣)، ومن مفاصل شخصيتها أنَّ المنقذ العالمي، ومؤسس دولة

(١) انظر: تهذيب الكمال، مصدر سابق: ج ٣٥، ص ٢٥٠، مصدر سابق؛ تهذيب التهذيب، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ): ج ١٢، ص ٣٩٢، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ؛ الإصابة في تمييز الصحابة، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ): ج ٨، ص ٢٦٥، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، تقديم وتقرير: الدكتور محمد عبد المنعم البري والدكتور عبد الفتاح أبو سنة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

(٢) انظر: صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢١٠؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ٧، ص ١٤١؛ سنن الترمذي، مصدر سابق: ج ٥، ص ٣٦٠؛ ح ٣٩٦١؛ السنن الكبرى للنسائي، مصدر سابق: ج ٥، ص ٩٧، ح ٨٣٧٠؛ فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت: ٣٠٣هـ): ص ٧٨، تحقيق: الدكتور وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

(٣) انظر: التدابير النبوية في حفظ الخلافة الإلهية، مصدر سابق: الفصل الخامس (فاطمة الزهراء والتدابير النبوية): ص ٢٤١ فما بعد.

والصحيح وفقاً لمقتضى التحقيق هو أنَّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ليست مجرد داخلة في آية التطهير، بل هي المرأة الوحيدة الداخلة في الآية، كما هو صريح الرواية

العدل الإلهي الإمام المهدي بن الحسن عليهما السلام هو من أحفادها عليها السلام، ففي الأخبار أنه: «من ولد فاطمة»^(١).

أخلاقيات زيارة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

للسيدة الزهراء عليها السلام مظلوميّات كثيرة، ومنها عدم وجود قبر لها، فبعد أن دُفنت في المدينة، في المنطقة التي تضمّ المسجد النبوي وبقية الغرق، تمّ الإغفاء على قبرها، وبقي مُستتراً إلى يومنا هذا، وأياً كانت الاحتمالات فإنّ المقطوع به هو عدم القطع بمكان قبرها الشريف، وإن كانت قبور أئمة البقية تُزار وهي مندرسة مهدّمة فإنّها عليها السلام بلا قبر يُزار؛ وكأنّها لشدة ما وقع عليها من ظلم الساسة والأمة لها أريد أن يكون لها في قلب كلّ مؤمن قبر ينطق بمظلوميّتها وفاجعتها العظيمة، فلا يكفي أن يكون لها قبر يقصده الحجاج في العامّ مرّة، أو أن يراه أغلب الحجاج مرّة واحدة في حياتهم، وإنّما كان المناسب لهول ما وقع عليها من ظلم أن يندبها المؤمنون كلّما تذكروا استتار قبرها، فليس في المدينة مكان ينتظرك، وإنّما في قلبك هنالك مظلومية تاريخيّة تصرخ بك.

من هنا تنشأ عندنا أخلاقيات جديدة وخاصّة بالسيدة الزهراء صلوات الله عليها، فإذا زرت المسجد النبوي، وقرأت الزيارة والسلام على رسول الله صلّى الله عليه وآله فارم بنظرك إلى البقية، واقصده، ومن حيث كنت حتّى بلوغك البقية كن مع مصيبة الزهراء عليها السلام، واقرأ الزيارة مرّة أو مرّتين، أو أكثر من ذلك، مرّة وأنت ماكث في المسجد النبوي، ومرّة وأنت

المروية عن السيدة أمّ سلمة، والتي جاءت في كتب الفريقين. ينظر تخريج مصادر الرواية في: التدابير النبويّة في حفظ الخلافة الإلهيّة، المصدر السابق: ص ٢٥٤، الهامش الأوّل.
(١) هذا ما أجمعت عليه الكتب الحديثيّة والتاريخيّة، ولذلك لم نحتج إلى تخريج الحديث.

تسير باتجاه البقيع، ومرة وأنت في البقيع، فلعلك تكون أقرب ما تكون لموضع قبرها عليها السلام^(١)، وكيفيك في كل هذه الزيارات أن تقول: السلام عليك يا بنت رسول الله، السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة، السلام عليك يا فاطمة الزهراء.

ونظراً لكون زيارة السيّدة الزهراء عليها السلام من المستحبات المؤكّدة^(٢) فإنّ على الحاجّ أو المعتمر أو الزائر للمدينة أن لا يترك فرصة تكرر زيارتها في كلّ يوم يمكث فيه في المدينة المنورة، والأفضل أن تكون قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، كما هو المعهود في فتح أبواب البقيع، ليتسنى لك زيارتها في المواقع المختلفة، وإن كان أفضل المواقع هو المسجد النبوي، وأفضل موقع فيه هو الروضة المباركة، فإنّ في إدامتها عليها السلام ما دمت موجوداً في المدينة المنورة رسالة جليّة تؤكّد فيها الولاء الخالص، وتحقّق فيها نموذجاً طيباً من أخلاقيات زيارتها عليها السلام.

(١) يقول الشيخ الصدوق رحمه الله: «اختلفت الروايات في موضع قبر فاطمة سيّدة نساء العالمين عليها السلام، فمنهم من روى أنّها دفنت في البقيع، ومنهم من روى أنّها دفنت بين القبر والمنبر وأنّ النبي صلّى الله عليه وآله إنّما قال: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»؛ لأنّ قبرها بين القبر والمنبر، ومنهم من روى أنّها دفنت في بيتها، فلمّا زادت بنو أميّة في المسجد صارت في المسجد». من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥٧٢.

(٢) قال الشيخ الطوسي: «والذي ورد في فضل زيارتها أكثر من أن يحصى، وقد روى محمد بن أحمد... عن يزيد بن عبد الملك، عن أبيه عن جدّه قال: «دخلت على فاطمة عليها السلام فبدأتني بالسلام، ثمّ قالت: ما غدا بك؟ قلت: طلبت البركة، قالت: أخبرني أيّ وهو ذا، هو أنّه من سلّم عليه وعليّ ثلاثة أيّام أوجب الله له الجنة، قلت لها: في حياته وحياتك؟ قالت: نعم وبعد موتنا». تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٦، ص ٩، ح ١١؛ المزار للمفيد، مصدر سابق: ص ١٧٧، ح ١؛ المزار لابن المشهدي، مصدر سابق: ص ٣٥، ح ٩.

وأخيراً فإن زيارتها ينبغي أن تكون منطلقة من معرفة مكانتها العظيمة، وهذا وإن كان عسيراً، بل غير ممكن^(١)؛ فإن أهل العصمة - وهي عليها السلام منهم ولا ريب - من العسير جداً معرفتهم بكما لا تتم، وبالتالي على الزائر أن يستحضر الأمور الظاهرة، والتي تكشف عن عظيم قدرها، من قبيل كونها بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وزوجة أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأم سيدي شباب أهل الجنة الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، وهي - كما تقدّم - والدة الإمام المنتقد الحجة بن الحسن عليه السلام^(٢).

أخلاقيات زيارة قبور شهداء الإسلام في المدينة

اشتملت مقبرة البقيع على ثلثة طاهرة من شهداء الإسلام، والذين منهم شهداء معركة أحد، الذين نافحوا عن الإسلام وعن قائدهم العظيم رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله من شدة وفائه لذلك الرعيل من الشهداء الأفاضل يمرّ بالبقيع بين الفينة والأخرى للاستغفار لهم، وكان صلى الله عليه وآله إذا زار قبور الشهداء يقول: «السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»^(٣)، وهم أولى بأن تخاطبهم بما خاطب به أمير المؤمنين

(١) عن إسحاق بن عمار، وأبي بصير، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، في شأن السيّد فاطمة الزهراء عليها السلام، قال: «هي الصديقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى». أمالي الشيخ الطوسي، مصدر سابق: ص ٦٦٨، ح ٦.

(٢) لمعرفة شطر مهم من عظيم قدرها وعلو شأنها وسمو كمالها يُنظر: التدابير النبوية في حفظ الخلافة الإلهية، مصدر سابق: الفصل الخامس.

(٣) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٦٠، ح ١، باب: (إتيان المشاهد وقبور الشهداء)؛ كامل الزيارات، مصدر سابق: ص ٦٤، ح ١؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥٧٤؛ ومصادر أخرى.

عليه السلام قبور المؤمنين، فتخاطب تلك الأرواح الطاهرة: «بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على أهل لا إله إلا الله، من أهل لا إله إلا الله، يا أهل لا إله إلا الله، كيف وجدتم قول لا إله إلا الله، من لا إله إلا الله، يا لا إله إلا الله، بحق لا إله إلا الله، اغفر لمن قال: لا إله إلا الله، واحشرنا في زمرة من قال لا إله إلا الله»^(١).

وهنا يُوصي السيّد الأستاذ بأهميّة زيارة شهداء أحد الذين دُفِنوا في أرض المعركة، ومنهم أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه، فإن بلغت قبور الشهداء هنالك فقل: «السلام عليكم يا أنصار الله وأنصار رسوله عليه وآله السلام، سلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار، السلام عليكم يا أهل الديار، أنتم لنا فرط، وإنّا بكم لاحقون، اللهم انفعني بزيارتهم». المهذب، للفقهاء الأقدم القاضي عبد العزيز بن البراج الطرابلسي (ت: ٤٨١هـ): ج ١، ص ٢٨٢، تقديم وتحقيق: الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم، المشرّفة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

وفي الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ فاطمة عليها السلام كانت تأتي قبور الشهداء في كلّ غداة سبت، فتأتي قبر حمزة وتترحم عليه وتستغفر له». من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ١، ص ١٨٠، ح ٥٣٧؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ١، ص ٤٦٥، ح ١٦٨. وفاطمة الزهراء عليها السلام معصومة، فقولها وفعلها وتقريرها حجة.

(١) ورد هذا الدعاء الخاصّ بزيارة القبور في جملة من الكتب الفقهيّة لمدرسة أهل البيت، ضمن باب (زيارة قبور المؤمنين). انظر: مستند الشيعة في أحكام الشريعة، للعلامة الفقيه أحمد بن محمّد مهدي النراقي (ت: ١٢٤٥هـ): ج ٣، ص ٣٢٣، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ؛ العروة الوثقى (ط. ج)، للسيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي (ت: ١٣٣٧هـ): ج ٢، ص ١٢٥، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم، المشرّفة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ؛ التنقيح في شرح العروة الوثقى (كتاب الطهارة)، بحث آية الله العظمى السيّد أبي القاسم الخوئي (ت: ١٤١٣هـ)، تقرير: الميرزا علي الغروي: ج ٩، ص ٢٠٤، أشرف على طبعه: مرتضى الحكمي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ.

ومن أخلاقيات زيارتهم: أن تقرأ على قبورهم سورة الحمد والمعوذتين، وآية الكرسي كل منها ثلاث مرّات، وسورة القدر سبعاً، وسورة يس، والأولى أن يكون ذلك من جلوس، مستقبلاً القبلة، وأن تدعو لهم بالمغفرة وقبول الأعمال، بل وأن تُكثر لهم الاستغفار تيمناً بما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد كان الإمام جعفر الصادق عليه السلام إذا مرّ بالبقيع ينظر القبور، ويقول: «اللهم ارحم غربته، وصل وحدته، وأنس وحشته، وأسكن إليه من رحمتك ما يستغني بها عن رحمة من سواك، وألحقه بمن كان يتولاه»^(١).

كلمات على الطريق

- وأنت في محضر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لا تنس أبويك وأهلك وذويك وجيرانك وأهل منطقتك، حيث يُستحب أن تبلغه صلى الله عليه وآله السلام التحية عن أبويك وعمّن تحبّه من أهلك وأصدقائك، فتقول وأنت واقف عند الرأس الشريف: «السلام عليك يا نبي الله، من أبي وأمي وولدي وخاصتي وجميع أهل بلدي»، فذلك من الوفاء لهم، بل من مكارم الأخلاق، وكأنك بذلك تؤكّد ثمرة الرسالة.
- وما دمت قد كُرمّت بزيارة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله فلا تكفّ عن تلاوة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (النساء: ٦٤)، ثمّ تقول: «وإني أتيت نبيك مستغفراً، تائباً من ذنوبي، وإني أتوجه بك إلى الله ربي وربك؛ ليغفر لي ذنوبي»^(٢).

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٣، ص ٢٢٩، ح ٦.

(٢) الفروع من الكافي: ج ٤، ص ٥٥٠، ح ١، باب: (دخول المدينة وزيارة النبي صلى الله عليه وآله)

- إذا أردت وداع الرسول صلى الله عليه وآله فاغتسل، ثم اقصد القبر، وقل: «السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله، اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارة قبر نبيك صلى الله عليه وآله، فإذا توقيتني فاحشني معه، واجمع بيني وبينه في جنّات النعيم يا أرحم الراحمين»^(١)، ثم امض للبقيع وقل: «السلام عليكم أئمة الهدى ورحمة الله وبركاته. أستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام، آمنا بالله وبالرسول وبما جئتم به ودلّتم عليه، فاكتمنا مع الشاهدين»^(٢).

خلاصة الدرس

- لم تشهد مدينة في تاريخ الإسلام أحداثاً عظيمة كما شهدتها المدينة المنورة، فهي مدينة الدعوة والدولة، ومدينة العلم والجهاد، ومدينة النضال التاريخي الذي بواسطته تعيّر مجرى الحياة.
- للمدينة المنورة حرم كما أن مكة حراماً، إلا أن مكة حرم الله، والمدينة حرم الرسول الله صلى الله عليه وآله.
- المسجد النبوي هو ثاني المساجد أهميّة وقداسة في الإسلام، وقد ورد في فضله روايات كثيرة، وفيه مواضع خاصّة للصلاة والدعاء والتوبة والاستغفار، أهمّها الروضة.
- حرمة المسجد النبوي عظيمة، ولا بدّ من حفظها وعدم هتكها بالموبقات.

وآله والدعاء عند قبره؛ كامل الزيارات، مصدر سابق: ص ٤٨؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥٦٧؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٦، ص ٥، ح ١، باب: (زيارة سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله).

(١) المزار للشيخ المفيد، مصدر سابق: ص ١٧٦.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٨٩.

- لعظمة المدينة المنورة ينبغي للحاج أو الزائر أن يستحضر جميع المعاني الرفيعة والجليلة التي كانت تتمتع بها المدينة المنورة، فيدخلها بغسل، وأن يحرص كثيراً على البقاء على الطهارة، والحضور في أوقات الصلاة اليومية في المسجد النبوي.
- لا تجعل المسجد النبوي ممراً، فإن كان ولا بد فصل ركعتين فيه.
- ينبغي للحاج ما دام في المدينة المنورة أن يحرص على تقصي آثار الإسلام والبطولات الكبرى التي شهدتها المدينة، فيزور مساجدها الرئيسة، كمسجد قبا، والقبليتين، والفتح، والاستجابة، وزيارة قبور الشهداء.
- اجتمعت في شخصية الرسول صلى الله عليه وآله من المزايا المعرفية والمعنوية والسلوكية ما لم تجتمع في غيره قط.
- انتخب الرسول صلى الله عليه وآله من سائر الأنبياء والخلق لإتمام مكارم الأخلاق، حتى صار هذا الأمر داعياً وهدفاً حقيقياً لبعثته.
- هنالك أربع خصال عظيمة لرسول الله صلى الله عليه وآله، تشكل أعمدة القدوة والأسوة، وتساعد على تشكيل صورة مُهَّدة للدخول في أخلاقيات زيارته وحفظ حرمة صلى الله عليه وآله، وهي: الشخصية العاملة العاملة، والمتفضة الصابرة، والنافذة المؤثرة، والخليلة السمحة.
- من أخلاقيات زيارة الرسول صلى الله عليه وآله: حفظ حضوره المعنوي معنا وكأنه صلى الله عليه وآله ماثل بيننا، وأن تكون زيارته مناسبة لشخصيته بخواصها الأربع المثالية، وأن لا نترك فرصة للخلاف بيننا ونحن بحضرته، حتى وإن أُوذينا، تمسكاً بالنور المحمدي، وعدم

الرجوع إلى الظلمات السابقة، مع مراعاة بعض الأمور الواردة في زيارته صلى الله عليه وآله، والإكثار من الصلاة والتسليم عليه.

- التسليم للرسول صلى الله عليه وآله أهم من الصلاة عليه، وهو يختلف كثيراً عن السلام، والآية أمرت بالتسليم إليه: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، ولم تقل: وسلّموا سلاماً، والتسليم: هو الالتزام بأوامره ونواهيه.
- مقبرة البقيع تضمّ رفات بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام، وجملة من الصحابة والقراء والتابعين، وهو أول مكان اختطه الرسول صلى الله عليه وآله ليكون مدفناً، ويقع في الجانب الشرقي من المسجد النبوي.
- يُستحبّ الدفن في المشاهد المقدّسة، ولا شك في كون البقيع منها، بل هو أكثرها ضمّاً لقبور الأئمة، وإن كان للغريّ خصوصيّة كبيرة.
- ينبغي مراعاة الوقار والهيبة عند الدخول إلى مقبرة البقيع، والاستغفار للشهداء والصالحين فيها؛ لأمر الرسول صلى الله عليه وآله بذلك.
- إنّ لأئمة البقيع عليهم السلام مظلوميّة كبيرة امتدّت إلى قبورهم الشريفة، ومشاهدهم الكريمة، التي هُدمت وتحوّلت إلى أرض خلاء، بل تحوّلت مقبرة البقيع بأسرها إلى بيت أحزان جديد.
- من أخلاقيات زيارة البقيع: البقاء على الطهارة، وقراءة الزيارة الجامعة والمستقلّة، ولا مانع من قراءتها خارج البقيع لكي لا تتعرّض إلى الأذى، والإكثار من تلاوة القرآن والاستغفار للثاوين فيها، وطلب الشفاعة من الطاهرين فيها.
- فاطمة كوثر الرسول، وهي البركة الحقيقيّة في حفظ ذريّته صلى الله عليه وآله، وخيرها أعمّ من ذلك وأشمل، فمن كوثريتها حفظ النبوّة والإمامة، بسابقتها الجهاديّة عنهما.
- من أهمّ المفاصل في شخصيّة الزهراء عليها السلام: أنّ الله تعالى قد

- قرن رضاه برضاها، وغضبه بغضبها، وأن المنقذ العالمي من ولدها.
- من أخلاقيات زيارة السيّدة الزهراء عليها السلام: استحضار مظلوميّتها العظيمة، ومكانتها العظيمة عند أبيها وزوجها وأولادها عليهم السلام، والإكثار من زيارتها في مواقع عديدة تدور بين المسجد النبوي والبقيع.
- كيفيك في زيارتك للسيّدة الزهراء عليها السلام أن تقول: السلام عليك يا بنت رسول الله، السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة، السلام عليك يا فاطمة الزهراء.
- اشتملت مقبرة البقيع على ثلاثة طاهرة من شهداء الإسلام، منهم شهداء معركة أحد، فأكثر من الاستغفار لهم، فذلك سنّة، وقل عند زيارتهم: «السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار».

مذاكرة

- ماذا تعني لك المدينة المنورة؟ وماذا نعني بكونها حرماً؟ وما هي حدودها؟
- ما هو أفضل موضع في المسجد النبوي للصلاة والدعاء والتوبة والاستغفار؟ وماذا قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله؟
- ما الذي ينبغي أن يستحضره الحاج عند قصده المدينة المنورة؟
- ما هي أهم الآثار التاريخية في المدينة؟ وما الذي تملّيه علينا؟
- ما هو الأمر الداعي والهدف الحقيقي من بعثة النبي صلى الله عليه وآله.
- ما هي الخصال الأربع في شخصيّة الرسول صلى الله عليه وآله، التي تشكّل أعمدة القدوة، وتمهّد للدخول في أخلاقيات زيارته؟
- ما هي أهم أخلاقيات زيارة الرسول صلى الله عليه وآله؟

- ماذا يُراد من التسليم للرسول صَلَّى الله عليه وآله؟ وبم يختلف عن السلام؟ وما هي مكانته قياساً بالصلاة عليه؟
- ما هي أهم القبور والمشاهد الموجودة في البقيع؟
- ما هي أهم أخلاقيات زيارة البقيع؟ وما الذي ينبغي مراعاته؟ وما هو أهم عمل يمكن القيام به، وفيه تطبيق لسنة النبي صَلَّى الله عليه وآله؟
- ما هو تعليقك على تحوّل مقبرة البقيع بأسرها إلى بيت أحزان جديد؟
- ما هي أهم معطيات كوثريّة السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام؟
- ما هي أهم المفاصل في شخصيّة السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام؟ وما هو أثر ذلك على زيارتها؟ وما هي أهم أخلاقيات زيارتها عليها السلام؟
- ما وجه الإكثار من زيارة السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام؟
- ما هي أقصر زيارة يمكن الاكتفاء بها عند زيارة السيّدة الزهراء عليها السلام؟
- ما الذي ينبغي أن نقوله عند زيارتنا شهداء الإسلام في البقيع؟

الدرس التاسع

أخلاقيات زيارة الأنبياء والأئمة والصالحين

- أهداف الدرس
- تمهيد
- رسالة الأنبياء عليهم السلام
- خصوصية زيارة الأنبياء عليهم السلام
- أخلاقيات زيارة الأنبياء عليهم السلام
- تعريف ببقية الأئمة المعصومين عليهم السلام
- أخلاقيات زيارة الأئمة المعصومين عليهم السلام
- خصوصية مدن (النجف، كربلاء، الكاظمية، مشهد، سامراء)
- هوية الأولياء والشهداء والصالحين
- أخلاقيات زيارة الأولياء والشهداء والصالحين وقربى المؤمنين
- الثمرات المعنوية في زيارة القبور
- خصوصية زيارة أبي الفضل العباس وزينب الكبرى عليهما السلام
- خصوصية زيارة مسجد الكوفة ومسجد السهلة
- كلمة أخيرة
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- الكشف عن المحتوى الجامع لرسالة الأنبياء عليهم السلام
- بيان خصوصية زيارة الأنبياء وأهم أخلاقيات زيارتهم عليهم السلام
- الكشف عن هوية بقية أئمتنا وأخلاقيات زيارتهم عليهم السلام
- بيان خصوصيات وأخلاقيات التواجد في المدن الدينية
- الكشف عن هوية الأولياء والشهداء والصالحين وأخلاقيات زيارتهم
- عرض أهم الثمرات المعنوية المستفادة من زيارة القبور
- بيان خصوصيات بعض المساجد الشريفة وآثارها المعنوية

تمهيد

رغم تباعد الأزمنة بين الأنبياء والمرسلين إلا أنهم جميعاً ينطلقون من التوحيد ومكارم الأخلاق، فكان لابد من الاهتمام بسيرتهم، وذلك من خلال مراجعة القصص القرآني والوقوف على مشاهدهم الكريمة، فإنها داعية للتعرف عليهم، وهذا ما دعا إلى البحث في أخلاقيات زيارتهم، وكيف أن المسؤولية الشرعية والأخلاقية تقتضي منا زيارتهم، وبتبع ذلك تأتي خصوصيات وأخلاقيات زيارة الأئمة المعصومين عليهم السلام وخصوصيات المدن الدينية التي ضمت مراقدهم، وكيف أن الكثير منها قد تحولت إلى مدن علمية ودينية معاً بفضل وجود مراقدهم الشريفة، لأنها بطبعها تمنح ضيافة معنوية للزائرين لها والساكين بجوارها، فضلاً عن كون مراقدهم عليهم السلام مدارس تعليمية، تربطنا بخط الأنبياء المتمثل بالتوحيد والأخلاق.

وفي هذا الدرس - وهو أطول دروس هذه الحلقة الأخلاقية التعليمية - سنتناول أهم مفاصل زيارة الأنبياء والأئمة والأولياء والشهداء والصالحين

من المؤمنين، وبيان الثمرات المعرفية والمعنوية التي يحظى بها الزائر الكريم، والثمرات المعنوية التي تعود على المزور نفسه.

رسالة الأنبياء عليهم السلام

لا ريب أنّ الرسالة المشتركة لسائر الأنبياء والمرسلين كانت تتمثّل بالأخلاق وبإعلاء كلمة التوحيد، وقد كانت لكلّ نبيّ وسائله وأساليبه التي تنسجم مع معطيات عصره وطبيعة مخاطبيه، ولكنّها جميعاً تصبّ في بوّابة التوحيد والأخلاق حتّى بلغت رسالة الأنبياء ذروتها على يد النبيّ الخاتم محمّد صلّى الله عليه وآله ليكون مبعثه تنويحاً لجهود الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، والذي تغيّى بنشر مكارم الأخلاق، وحيث إنّنا قد تعرّضنا في الدرس السابق إلى زيارة الرسول صلّى الله عليه وآله وأئمة البقيع، فقد ناسب أن نبحث في زيارة الأنبياء عليهم السلام وصولاً إلى زيارة بقيّة أئمة أهل البيت، والأولياء والصالحين؛ فيكون البحث في زيارة الأنبياء مندرجاً ضمن تقديرنا الكبير لتلك الجهود الجبّارة التي بذلها ذلك الرعيل الطاهر، من الأنبياء والمرسلين وأوصيائهم عليهم السلام، كما أنّ هذا الأمر يدخل في باب نشر ثقافة التعرّف على مشاهد الأنبياء عليهم السلام، فقد اعتاد المسلمون على زيارة المشاهد الخاصة بالمسلمين، مع أنّ مشاهد الأنبياء هي الأخرى مشاهد تخصّ المسلمين؛ لأنّها مشاهد الممّهدين للنبوّة الخاتمة، فيكون مثلهم مثل الأئمة من أهل البيت السابقين على الإمام المهدي عليهم السلام أجمعين، فهم ممّهدون لإقامة دولة العدل الإلهي، فتكون دعوة الأنبياء السابقين ممّهدة للنبوّة الخاتمة، وتكون إمامة الأئمة الأحد عشر ممّهدة لإقامة دول العدل على يد خاتمهم الحجّة بن الحسن عجل الله فرجه الشريف.

خصوصيّة زيارة الأنبياء عليهم السلام

مّا تقدّم نكون قد التفتنا إلى خصوصيّة زيارة الأنبياء عليهم السلام، لأنّهم

الممهدون للنبوّة الخاتمة، ولأننا مسؤولون عن نشر ثقافة التعريف بهم عليهم السلام، ومن خلال هذه الخصوصية الثنائيّة المنشأ ينبغي التعاطي بمسؤوليّة شرعيّة وأخلاقيّة تجاه هذه الزيارات المباركة، التي يستمدّ منها الزائر رصيذاً معنوياً كبيراً، لاسيّما إذا ما صاحبت تلك الزيارات معرفة جيّدة بمعاناة الأنبياء السابقين عليهم السلام وتجاربهم العظيمة في نشر دعوة التوحيد، وتضحياتهم الكبيرة، إذ تعرّض الكثير منهم إلى اضطهاد شديد لهم ولأتباعهم، حتّى مضى الكثير منهم شهداء أبرار في طريق إنقاذ الإنسان من نير العبوديّات البشريّة والخلقيّة، فقدّموا أنفسهم الطاهرة قرباناً لذلك الهدف السامي، وكان لسان حالهم ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (هود: ٥١)، فكانوا أشدّ الناس ابتلاء، فقابلوا الابتلاء بالصبر الجميل، وقد روي عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: «ذكر عند أبي عبد الله عليه السلام البلاء وما يخصّ الله عزّ وجلّ به المؤمن، فقال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله: من أشدّ الناس بلاءً في الدنيا؟ فقال: النبيون، ثمّ الأمثل فالأمثل، ويبتلي المؤمن بعد على قدر إيمانه، وحسن أعماله، فمن صحّ إيمانه وحسن عمله اشتدّ بلاؤه، ومن سخط إيمانه وضعف عمله قلّ بلاؤه»^(١)، فكان الأنبياء عليهم السلام في صدارة المؤمنين إيماناً وصبراً واحتساباً، ولم يكن اشتداد ابتلائهم إلّا لخطير مهامهم، ولعظيم حبّ الله تعالى لهم، ولعظيم ما ادّخر لهم من الجزاء الحسن، فعن الإمام محمّد الباقر عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله تبارك وتعالى إذا أحبّ عبداً غتّه بالبلاء غتّاً، وثجّه بالبلاء ثجّاً، فإذا دعاه قال: لبيك عبدي لئن عجّلت لك ما سألت إني على ذلك لقادر، ولئن ادّخرت لك فما ادّخرت لك فهو خير لك»^(٢)،

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٥٢، ح ٢.

(٢) الأصول من الكافي: ج ٢، ص ٢٥٣، ح ٧. غتّه، أي: غمسه، وقوله (بالبلاء)، أي: في

ولذلك لم يسألوا الناس أجراً، وهو ما ينبغي أن يكون درساً بليغاً للمصلحين في الأرض، فلا يسألون الناس أجراً، ليكون لسان حالهم ما جاء في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ٩٠)، مما يعني أننا إزاء مسؤولية تاريخية تشابه إلى حد كبير مسؤولية الأنبياء عليهم السلام، وهذا ما يدعونا إلى الاهتمام بزيارة الأنبياء والدعوة إلى الوقوف على مآثرهم، لاسيما ما ورد من سيرتهم المباركة في القصص القرآني، وما جاء عنهم عليهم السلام في الأخبار الصحيحة، سواء كانت روائية أو تاريخية.

أخلاقيات زيارة الأنبياء عليهم السلام

من أهم ما ينبغي مراعاته عند زيارة الأنبياء عليهم السلام ما يلي:

أولاً: التعرف على سابقتهم الجهادية في سبيل الله، بالقول والعمل، وبقدر معرفتنا بهم تنشأ خصوصية زيارتهم وبيان عظيم قدرهم، وبعد التعرف عليهم وعلى إنجازاتهم في إنقاذ الإنسان من الضلال وتنمية طاقاته المعرفية والمعنوية ينبغي القيام بتعريف ذلك كله للآخرين، سواء كانوا من الزائرين معنا أو ممن نلتقي بهم، فذلك ضرب من الوفاء لتلك الثلة الطاهرة، بل ومن التطبيقات العملية لمسيرة الأنبياء في التبليغ للحق والحقيقة.

ثانياً: إظهار الإجلال الرفيع والتقدير الكبير والوقار العالي لمقامهم السامي ومشاهدتهم الكريمة، فيكون التعاطي المعنوي من قبلنا بالقدر الذي نفهمه من مراتبهم المعرفية والمعنوية، لا أن تكون الزيارة مقتصرة على معرفة الاسم ومكان التبليغ، ففي ذلك تقصير غير مقبول في حقهم عليهم السلام.

ثالثاً: وحيث إنهم من أهل العصمة والطهارة، وهم سفراء الله تعالى في

أرضه، وهم الأدلاء على الآخرة، فمن الطبيعي أن نكون حريصين على الكينونة على الطهارة ونحن في مشاهدتهم الكريمة، والإتيان بالأعمال العبادية التي نعكس من خلالها جدوى بعثتهم ونجاح رسالتهم، لأنهم عليهم السلام يمثلون الخطّ المقابل لخطّ المترفين في الأرض؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (سبأ: ٣٤)، فيكون ما نحن عليه من انقياد لخطّهم الإلهي دليلاً كاشفاً عن مشاركتنا لهم في مواجهة خطّ المترفين.

رابعاً: ومن أخلاقيات زيارتهم مراعاة مراتبهم التي رتبهم الله تعالى فيها، فهناك أنبياء فقط، وهناك أنبياء ورسول، وهناك أنبياء ورسول وأئمة، وهناك أنبياء ورسول وأئمة وأولي عزم، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (البقرة: ٢٥٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ (الإسراء: ٥٥)، وهذا ما يقتضي منّا التعرف بدقة على شخصياتهم ومنازلهم، ولو من خلال سيرتهم العملية المنقولة إلينا عن طريق الثقات.

خامساً: لا بدّ من الصيرورة إلى تنزيههم عن كلّ نقصٍ قاذٍ بنبوتهم وعصمتهم، فذلك من أخلاقيات زيارتهم، بل من رسوم تعظيمهم وتخليّة ساحتهم وجهادهم من الخطل والزلل، ولذلك ينبغي الحذر الشديد من سيرة بني إسرائيل مع أنبيائهم، حيث عمدوا إلى تحقير من يجب تعظيمه من الأنبياء عليهم السلام، وعمدوا إلى عظيم ما يجب تحقيره من عجول تاريخية انغمست قلوبهم المنكوسة بحبّها والطاعة لها، فكانت سيرتهم مع أنبيائهم هي سيرة التكذيب والتقتيل، والتكذيب أشدّ من التقتيل نفسه؛ لأنّه يشتمل على قتل الشخصية وإسقاط اعتبارهم، وقتل الشخصية أعظم من قتل الشخص، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كَمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (المائدة: ٧٠)، حتّى جعلوا من

بعض أنبيائهم مورداً للسخرية والاستهزاء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الأنعام: ١٠)، بل ما قابلوا نبياً من أنبيائهم إلا بالسخرية والاستهزاء، قال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الحجر: ١١)، فالحذر ثم الحذر من سيرة بني إسرائيل مع أنبيائهم، والحذر ثم الحذر من جميع المستخفين والمستهزين بالأنبياء وأولي العصمة صلوات الله عليهم، ففي ذلك ضرب صريح لجهادهم الاستثنائي ونضالهم التاريخي وتضحياتهم الجمة، فضلاً عن كون الاستهزاء بهم أو التقليل من قدرهم مدعاة للوقوع في الخسران المبين.

سادساً: من أخلاقيات زيارتهم عليهم السلام الوفاء لهم من خلال الحث على زيارتهم، ويُفضل أن يكون ذلك عن طريق القرآن الكريم، حيث نشر قصصهم، فإن فيها عبرة وعبرة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف: ١١١)، وفي ذلك ترويج للقرآن الكريم، بدلاً من الاستغراق في كتب (قصص الأنبياء) المتخمة بالروايات الإسرائيلية، والله تعالى يقول: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ﴾ (يوسف: ٣)، ومعنى (أَحْسَنَ الْقَصَصِ) في المقام ليس بلاغتها أو أسلوبها فحسب، وإنما الحق الخالص الذي لا تشوبه شائبة، قال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ (الإسراء: ١٠٥)، نعم: ﴿وَمَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: ١١١).

تعريف ببقية الأئمة المعصومين عليهم السلام

مرّ علينا حديث موجز حول الأئمة الأربعة المدفونين في البقيع، وهنالك أئمة سابقون ولاحقون، وهم بحسب ترتيبهم في سلسلة الأئمة عليهم السلام: الإمام الأول: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (ت: ٤٠ هـ)،

ومرقده الشريف في مدينة النجف الأشرف، بظهر الكوفة.
الإمام الثالث: سيّد الشهداء الحسين بن عليّ عليهما السلام (٤ - ٦١هـ)،
ومرقده الشريف في مدينة كربلاء المقدّسة.
الإمام السابع: موسى الكاظم بن جعفر الصادق عليهما السلام (١٢٨ -
١٨٣هـ)، ومرقده الشريف في مدينة الكاظميّة ببغداد.
الإمام الثامن: عليّ الرضا بن موسى الكاظم عليهما السلام (١٤٨ -
٢٠٣هـ)، ومرقده الشريف في مدينة مشهد المقدّسة في إيران.
الإمام التاسع: محمّد الجواد بن عليّ الرضا عليهما السلام (١٩٥ -
٢٢٠هـ)، ومرقده الشريف في مدينة الكاظميّة ببغداد.
الإمام العاشر: عليّ الهادي بن محمّد الجواد عليهما السلام (٢١٢ -
٢٥٤هـ)، ومرقده الشريف في مدينة سامراء، شمال بغداد.
الإمام الحادي عشر: الحسن العسكري بن عليّ الهادي (٢٣٢ - ٢٦٠هـ)،
ومرقده الشريف في مدينة سامراء، شمال بغداد.
الإمام الثاني عشر: المنقذ العالمي محمّد المهدي بن الحسن العسكري،
المولود في عام (٢٥٥هـ)، وهو حيّ يرزق، وقعت غيبته عام (٢٦٠هـ)، ولا
زال غائباً.

أخلاقيات زيارة الأئمة المعصومين عليهم السلام

مرّت بنا مجموعة من الأخلاقيات المهمّة التي ينبغي مراعاتها في زيارة
الرسول صلّى الله عليه وآله وأئمة البقيع عليهم السلام، والآن نودّ إضافة أخلاقيات
أخرى، بعضها متمّم لما تقدّم وبعضها الآخر يكشف عن خصوصيّات بعض
المشاهد، وقبلولوج في ذلك نحتاج إلى التذكير بأهميّة زيارة أئمة أهل البيت
عليهم والتأكيد عليها؛ لما تشتمل عليه من مضامين عظيمة على المستويين المعرفي

والمعنوي وعلى مستوى توثيق العلاقة بالله تعالى، فضلاً عن كون زيارتهم عليهم السلام والارتباط بهم ينبثق من المسؤولية العقائدية؛ بصفتهم أئمة وقادة لنا، فهنالك عهد وعقد بيننا وبينهم، والعهد والعقد يقتضيان الوفاء بمواثيقه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة: ١)، وموالاتهم وزيارتهم عليهم السلام في حياتهم وبعد مماتهم من أجل مصاديق الوفاء بذلك العهد، وقد روي عن الحسن بن عليّ الوشاء، أنه سمع الإمام أبي الحسن عليّ الرضا عليه السلام يقول: «إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم، وتصديقاً لما رغبوا فيه، كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة»^(١)، فكان لابد من زيارتهم.

أما الأخلاقيات المتممة فمنها:

أولاً: إن الزيارة تكشف عن الضيافة المعنوية التي يحظى بها الزائر في المشهد المزار، وهي ضيافة الذكر والدعاء والاستغفار، فإن مشاهدتهم عليهم السلام مشاهد الذكر والعودة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (النور: ٣٦)، ومن أخلاقيات زيارة هذه المشاهد الكريمة مراعاة نسبتها إلى الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ﴾، وأن الذكر فيها قائم منذ أول النهار: ﴿بِالْغُدُوِّ﴾ ويمتد أفقها إلى أول الليل: ﴿وَالْآصَالِ﴾، بمعنى أنها بوابة التوبة والعود في كل آن.

ثانياً: مراعاة كونها مدارس تعليمية ينهل الزائر من قوة التوحيد التي كان يتمتع بها أصحاب هذه المشاهد الشريفة، وقوة ارتباطهم بالله تعالى، وعظمة

(١) كامل الزيارات، مصدر سابق: ص ٢٣٦، ح ٢؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥٧٧، ح ٣١٦٠؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٦، ص ٧٨، ح ٣؛ المزار الشيخ المفيد، مصدر سابق: ص ١٨٤، ح ٢.

تضحياتهم، فهي دروس في العقيدة والسلوك والأخلاق، ومعنى ذلك هو أن يتخذ الزائر هذه الدروس العملية لبلوغ بعض مراتبهم السامية، وهذا هو معنى التأسي بهم عليهم السلام، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (المتحنة: ٦)، وما ورد في الحديث عنهم عليهم السلام: «رحم الله عبداً أحيا أمرنا»^(١) هو تعبير آخر عن التأسي بهم.

ثالثاً: الحرص على زيارة مشاهدهم في الأوقات المخصصة بولاداتهم وشهاداتهم^(٢)، ففي ذلك تعبير صادق عن الوفاء لهم وعن قوة الارتباط بهم، كما أن في ذلك مواساة لهم عليهم السلام، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه لما حكي له مسمع بن عبد الملك كردين البصري عن جزعه واستعباره عندما يزور الإمام الحسين عليه السلام، قال له متأثراً: «رحم الله دمعتك، أما إنك من الذين يُعدّون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا، ويأمنون إذا أمنا، أما إنك ستري عند موتك حضور آبائي لك»^(٣)، وقوله: «يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا» يحكي مناسبتهم.

رابعاً: من أخلاقيات زيارة أئمة أهل البيت عليهم السلام: التعاطي مع كلّ زيارة وكأنها زيارة لرسول الله صلى الله عليه وآله، كما ورد ذلك في الحديث الشريف عن زيد الشحام أنه قال للإمام أبي عبد الله الصادق عليه

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٧٥، ح ٢؛ الخصال، مصدر سابق: ص ٢٢،

ح ٧٧؛ الاختصاص، مصدر سابق: ص ٢٩؛ أمالي الطوسي، مصدر سابق: ص ١٣٥، ح ٣١.

(٢) ورد في الأخبار أن أئمة أهل البيت عليهم السلام شهداء، فعن أبي الصلت عبد السلام بن

صالح الهروي قال: «سمعت الرضا عليه السلام يقول: والله ما منّا إلا مقتول شهيد». من

لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥٨٥، ح ٣١٩٢؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام،

مصدر سابق: ج ١، ص ٢٨٧، ح ٩؛ أمالي الصدوق، مصدر سابق: ص ١٢٠، ح ٨.

(٣) كامل الزيارات، مصدر سابق: ص ٢٠٣، ح ٧؛ الخصال، مصدر سابق: ص ٦٣٥.

السلام: «ما لمن زار أحداً منكم؟ قال: كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله»^(١)، لأنهم ورثة علمه والقائمون مقامه في الأمة صلوات الله تعالى عليهم أجمعين.

خامساً: اهتمام الزائر بشكله وهندامه، فيذهب لزيارتهم مغتسلاً ومتطيئاً ومرتدياً أفضل ثيابه^(٢)، لاسيما في مناسباتهم السعيدة، كالولادات الميمونة ومناسبات تنصيبهم لمقام الإمامة، وعندما يقصدهم فعليه بالوقار والسكينة.

سادساً: أن يكون الزائر في خدمة الزائرين، لاسيما من رفقاته في السفر، فلا يُسمعهم ما يؤذيهم، ولا يُقصر في قضاء حوائجهم ما استطاع لذلك سبيلاً، فإن خدمة الرفقاء في الزيارة من أنبل أخلاقيات الزيارة، فعليك بهذا الخلق الكريم، فإن فيه خلاصاً كبيراً من روح الأنانية، واعلم بأن خير الناس من خدمهم وقام بشؤونهم وجنبهم ما يكرهون، وفي الأخبار ما يؤيد ذلك^(٣)، واجتنب في زيارتك من رفقة أهل السوء والفحشاء، إلا إذا كانت رفقتك لهم بنية إصلاحهم^(٤).

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٧٩، ح ١؛ ص ٥٨٥، ح ٥؛ كامل الزيارات، مصدر سابق: ص ٢٧٨، ح ١؛ ص ٢٨٣، ح ٣؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥٧٨، ح ٣١٦٣؛ ص ٥٨١، ح ٣١٧٥؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٦، ص ٧٩، ح ٥؛ المزار للشيخ المفيد، مصدر سابق: ص ١٨٣، ح ١.

(٢) من الخطأ بمكان أن يذهب الزائر بملابس رثة أو متسخة، ظناً منه بأنه يواسي صاحب القبر على مصيبتة، وهذا من الثقافات الخاطئة، ولذلك فإن على الزائر انتخاب أفضل ثيابه وأنظفها، فإن الإسلام نظيف ويحب النظافة.

(٣) مرّ بنا خبران عن رسول الله صلى الله عليه وآله، الأول: «خير الناس من انتفع به الناس»، والثاني: «خير الناس من يُرجى خيره ويؤمن شرّه، وشرّ الناس من لا يُرجى خيره ولا يؤمن شرّه». انظر: الدرس السابع من هذا الكتاب.

(٤) ينبغي الاجتناب كثيراً عن رفقة السوء، لاسيما في الزيارات البعيدة والشاقة، كما هو

سابعاً: ينبغي للزائر عدم الاقتصار حين الزيارة على قراءة فصول الزيارة فحسب، وإنّما عليه أن يسلك ما يتمكّن منه من موارد الطاعة، والتي قد يكون في واحدٍ منها داعي القبول والرضا، فإنّ الله تعالى أخفى رضاه في طاعته، كما في الخبر^(١)، ولذلك عليك بالصلاة والدعاء وتلاوة القرآن، وإظهار الشكر على ما أنت عليه من نعمة سابغة، فهناك الكثير من الناس يرقبون ساعة ممّا أنت فيه.

ثامناً: تتأكّد زيارتهم عليهم السلام للحجّاج، فلا يقتصرون على زيارة أئمة البقيع عليهم السلام، إذا ما كان ممكناً لهم، فيقصدون المشاهد الأخرى في النجف وكربلاء والكاظميّة وسامراء ومشهد، ففي ذلك تمام حجّهم، وقد ورد عن إسماعيل بن مهران عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أنّه قال:

الحال في رفقة الحجّ وزيارة المدينة، بل وزيارة المراقد الأخرى لمن يسكن في بلدٍ آخر، فإنّ الرفقاء يؤثرون سلباً وإيجاباً، والرفقة السيّئة توجب قسوة القلب، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المرء على دين خليله وقرينه». أصول الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٣٧٥، ح ٣. وفي خبر آخر تتمّة: «فليُنظر أحدكم من يخال». أمالي الطوسي، مصدر سابق: ٥١٨، ح ٤٢؛ مسند أحمد، مصدر سابق: ج ٢، ص ٣٣٤؛ سنن أبي داود، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤٤٢، ح ٤٨٣٣؛ سنن الترمذي، مصدر سابق: ج ٤، ص ١٧، ح ٢٤٨٤. وعليه فلا بدّ من الحيلة والحذر، والعامل من حفظ دينه، فلا تنقض عملك العبادي الذي ترجو منه القرية من الله تعالى بأمر يمكن الاجتناب عنه. (منه دام ظلّه).

(١) روى الشيخ الصدوق بسندٍ عن محمد بن مسلم، عن الإمام محمد الباقر، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ، عن أبيه أمير المؤمنين عليهم السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته، فلا تستصغرن شيئاً من طاعته، فربّما وافق رضاه وأنت لا تعلم...». الخصال، مصدر سابق: ص ٢٠٩، ح ٣١؛ كمال الدين وتمام النعمة، مصدر سابق: ص ٢٩٦، ح ٤؛ معاني الأخبار، مصدر سابق: ص ١١٢، ح ١.

«إذا حج أحدكم فليختم حجّه بزيارتنا؛ لأنّ ذلك من تمام الحجّ»^(١)، والحديث لا يقتصر على البقيع، فيعمّهم، وبذلك تكون رحلة الحجّ رحلة عبادة خالصة، في ذهابها وإيابها، وفي مناسكها وزياراتها، وقد كان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يوصي الحجّاج بذلك قائلاً لهم: «وأتمّوا بالقبور التي ألزمكم الله عزّ وجلّ حقّها وزيارتها»^(٢)، والإتمام إنّما يكون في الأجر والثواب والرصيد المعنوي، وقد تقدّم الحديث المرويّ عن المعلّى أبي شهاب قال: «قال الحسين عليه السلام لرسول الله صلّى الله عليه وآله: يا أبتاه ما لمن زارك؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا بنيّ من زارني حيّاً أو ميّتاً أو زار أباك أو زار أخاك أو زارك كان حقّاً عليّ أن أزوره يوم القيامة وأخلصه من ذنوبه»^(٣).

ولأهميّة زيارتهم عليهم السلام فقد وردت الوصيّة بها على أيّ حال يكون فيه الزائر. وإنّ بُعد به الوطن فإنّ عليه أن يزور من بُعد، فعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «إذا بعدت بأحدكم الشقة ونأت به الدار فليعلّ أعلى منزله وليصلّ ركعتين وليؤمّ بالسلام إلى قبورنا فإنّ ذلك يصل إلينا»^(٤).

بعد هذه الجولة حول الأخلاقيات المتممة تنتقل إلى الأخلاقيات الأخرى

(١) علل الشرائع، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤٥٩، ح ١؛ عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٩٢، ح ٢٨.

(٢) الخصال، مصدر سابق: ص ٦١٦؛ تحف العقول، مصدر سابق: ص ١٠٦.

(٣) تقدّم تخريجه في الدرس الثاني من هذا الكتاب.

(٤) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٨٧، ح ١؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥٩٩، ح ٣٢٢٠، باب: (ما يقوم مقام زيارة الحسين وزيارة غيره من الأئمة عليهم السلام لمن لا يقدر على قصده لبعده المسافة)؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٦، ص ١٠٣، ح ٤٧؛ كامل الزيارات، مصدر سابق: ص ٤٨٠، ح ١؛ المنزار للمفيد، مصدر سابق: ص ٢١٤.

الخاصة بكل مدينة دينية من المدن التي فيها المراقدة الطاهرة لأئمة أهل البيت عليهم السلام، في النجف الأشرف وكربلاء والكاظمية ومشهد وسامراء.

خصوصية مدينة النجف الأشرف وأخلاقيات التواجد فيها

إنّ لمدينة النجف الأشرف تاريخاً طويلاً حافلاً بالمآثر التي تمتدّ إلى أصل نشأة الإنسان والمجتمع الإنساني، فللنجف صلة ما بسيدنا آدم عليه السلام، وبسيدنا نوح عليه السلام، حيث ورد في الخبر عن المفضل بن عمر الجعفي قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: إنّي اشتاق إلى الغريّ، فقال: فما شوقك إليه؟ فقلت له: إنّي أحبّ أن أزور أمير المؤمنين عليه السلام فقال: هل تعرف فضل زيارته؟ فقلت: لا يا ابن رسول الله إلّا أن تعرّفني ذلك، قال: إذا زرت أمير المؤمنين عليه السلام فاعلم أنّك زائر عظام آدم وبدن نوح وجسم عليّ بن أبي طالب عليه السلام ... فإذا زرت جانب النجف فزر عظام آدم وبدن نوح وجسم عليّ بن أبي طالب؛ فإنّك زائر الآباء الأولين»^(١).

ويكفي هذه المدينة الطاهرة شرفاً وعزّة ومقاماً أن حلّ فيها جثمان الإمام عليّ المرتضى عليه السلام، صهر رسول الله صلّى الله عليه وآله، وحامل لوائه والقائم بأمره، وهو أخوه وابن عمّه ووارثه وخليفته على الأئمة من بعده، فيكون لمن حظّ رحاله عند أمير المؤمنين عليه السلام عزّ وشرف وكرامة. وقد وردت أخبار كثيرة وعظيمة في الحثّ على زيارته عليه السلام، حتّى أنّ الإمام الصادق عليه السلام يعتبّ عتياً شديداً على أحد أصحابه عندما يأتيه زائراً من العراق إلى المدينة ولم يمرّ بالنجف لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام؛ فعن منيع بن الحجاج، عن يونس بن أبي وهب القصري قال:

(١) كامل الزيارات، مصدر سابق: ص ٨٩، ح ٢؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٦، ص ٢٢، ح ٨؛ المزار للمشهدي، مصدر سابق: ص ٣٧؛ الدروس، مصدر سابق: ج ٢، ص ٧.

«دخلت المدينة فأتيت أبا عبد الله عليه السلام، فقلت: جعلت فداك أتيتك ولم أزر أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: بئس ما صنعت، لولا أنك من شيعتنا ما نظرت إليك، ألا تزور من يزوره الله مع الملائكة ويزوره الأنبياء ويزوره المؤمنون؟ قلت: جعلت فداك؟ ما علمت ذلك! قال: اعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام أفضل عند الله من الأئمة، وله ثواب أعمالهم، وعلى قدر أعمالهم فُضِّلُوا»^(١).

من خلال هذه المعطيات الموجزة يتبين أهمية مدينة النجف الأشرف، والتي زاد في فضلها أنها أصبحت منذ أكثر من ألف عام مقراً للحوزة العلمية الشيعية وتوارد عليها عشرات المرجعيات الدينية، وهي إلى زمن قريب كانت الحوزة الأولى في مدرسة أهل البيت، حتى ظهرت حوزة قم المقدسة قبل أقل من قرن من الزمان، لتنافسها في العلم والعلماء والمصنفات العلمية، كما ونوعاً، وربما تفوقت عليها في بعض المجالات العلمية.

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٧٩، ح ٣؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٦، ص ٢٠، ح ٢؛ المزار للشيخ المفيد، مصدر سابق: ص ١٩، ح ٢؛ المزار لابن المشهدي، مصدر سابق: ص ٣٦، ح ١١. قال محقق كتاب المزار لابن المشهدي الأستاذ جواد القيومي الذي أثبت في النص (عن يونس، عن ابن أبي وهب القصري)، بدلاً عن (يونس بن أبي وهب القصري)، قال: «في الأصل: يونس بن أبي وهب القصري، ما أثبتناه هو الأصح؛ لأن الظاهر أنه يونس بن عبد الرحمن، ويؤيده وجوده في سائر المصادر وكثرة روايته عن منيع بن الحجاج، وعدم وجود رجل باسم يونس بن أبي وهب القصري». المصدر السابق نفسه.

وقد ذهب السيد الخوئي في معجمه إلى اتحادهما. انظر: معجم رجال الحديث، للسيد أبي القاسم الخوئي: ج ٢٠، ص ١٣ رقم (١٢٧٣٣)، تحقيق: لجنة التحقيق، منشورات مدينة العلم، الطبعة الخامسة، ١٤١٣ هـ، قم المقدسة.

من خلال هذه المعطيات يمكن أن نخلص إلى عدّة أخلاقيات ينبغي الالتزام بها من قبل الزائرين للغري، مثوى الإمام علي المرتضى وثلة من الأنبياء عليهم السلام والأولياء والصالحين^(١)، وهي كالتالي:

أولاً: استحضار عظمة الشخصية العلمية والمعنوية والميدانية لأمر المؤمنين علي عليه السلام، فهو وارث علم النبي صلى الله عليه وآله، ومن عنده علم الكتاب، المشار له في قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (الرعد: ٤٣)^(٢)، وهو العابد الزاهد، وهو الحاكم

(١) من المقامات المشهورة في النجف، وتحديدًا في مقبرة وادي السلام، مقام النبي صالح ومقام النبي هود عليهما السلام، فضلاً عن عشرات المراقد للعلماء والعرفاء والأولياء.

(٢) عن بريد بن معاوية أنّه سأل الإمام أبا جعفر الباقر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾؟ فقال عليه السلام: «إيانا عني، وعليّ أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله». الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٢٩، ح ٦.

وعن عليّ بن عابس قال: «دخلت أنا وأبو مريم على عبد الله بن عطاء، قال أبو مريم لابن عطاء: حدّث عليّاً بالحديث الذي حدّثتني عن أبي جعفر [الباقر]، قال: كنت عند أبي جعفر جالساً إذ مرّ ابن عبد الله بن سلام، قلت: جعلت فداك هذا ابن الذي عنده علم الكتاب؟ قال: لا، ولكنّه صاحبكم عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي نزلت فيه آيات من كتاب الله عزّ وجلّ». تفسير العياشي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٢٠، ح ٧٧؛ الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، لرضي الدين أبي القاسم عليّ بن موسى بن طاووس الحليّ (ت: ٦٦٤هـ): ص ٤٩ رقم (٤٣)، مطبعة الخيّام، قم المقدّسة، ١٣٩٩هـ.

حتى ورد في بعض زياراته عليه السلام: «السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته... السلام عليك يا من عنده علم الكتاب». إقبال الأعمال، مصدر سابق: ج ٣، ص ١٣١. للتفصيل في إثبات نزول الآية في حقّه عليه السلام ينظر: بحث حول الإمامة، للسيد كمال الحيدري: ص ١٦٣ فما بعد (الحوار الحادي عشر: علم الإمام وأعمال العباد)، بقلم:

العدل، والقائد الحكيم، والناصح لدين الله ولأُمّته، وهو سيّد العترة الطاهرة، وزعيم أهل البيت بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله.

ثانياً: استحضار شخصيته المتفانية في سبيل الله وسبيل رسوله صلّى الله عليه وآله، ورحلته الجهادية الطويلة، التي ابتدأت منذ أن كان صبياً في مكّة، لم يتجاوز عمره العاشرة، وحتى آخر لحظة في حياته، وهو الذي كانت حياته جامعة بين المسجديّة والجهاد، حتّى أنّه عليه السلام قد استشهد في مسجد^(١)، وغير ذلك من مناقبه الكثيرة والعظيمة التي يحكيها جهاده الطويل وتفانيه^(٢).

جواد علي كسار، مؤسّسة الهدى للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الجديدة، ١٤٣٤ هـ؛ علم الإمام (تقريراً لدروس آية الله المحقّق السيّد كمال الحيدري)، الدرس الثامن (طريق إثبات أعلميّة أئمّة أهل البيت): ص ٩٢، بقلم: الشيخ علي حمود العبادي، مؤسّسة الإمام الجواد عليه السلام للفكر والثقافة، إيران، الطبعة الثانية، ١٤٣٣ هـ.

(١) المشهور عند أتباع مدرسة أهل البيت أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام قد وُلد في الكعبة المشرفة، في حين قد نسبت مدرسة الصحابة هذا الشرف للصحابيّ حكيم بن حزام، وفي ذلك يقول الشريف الرضي: «خصائص مولانا أمير المؤمنين أبي الحسن عليّ بن أبي طالب عليه السلام: وُلد عليه السلام بمكّة في البيت الحرام لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب، بعد عام الفيل بثلاثين سنة، وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهو أوّل هاشميّ في الإسلام... ولا نعلم مولود وُلد في الكعبة غيره». خصائص الأئمّة، مصدر سابق: ص ٣٩.

(٢) ويكفي أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّه زعيم بيت لا يقاس بهم أحد، فعنه عليه السلام: «نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد، فينا نزل القرآن، وفينا معدن الرسالة». عيون أخبار الرضا عليه السلام، مصدر سابق: ج ١، ص ٧١، ح ٢٩٧. وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد». علل الشرائع، مصدر سابق: ج ١، ص ١٧٧، ح ٢؛ معاني الأخبار، مصدر سابق: ص ١٧٩، ح ٢؛ الاختصاص، مصدر سابق: ص ١٣.

ثالثاً: لا بأس بأن يستحضر الزائر أئمة أمير المؤمنين له، وبنوته له، وقد ورد في الأخبار ما يدل على ذلك^(١)، وبهذا الشعور الحاني يكون الزائر قريباً من أبيه مولى المتقين عليه السلام، فيسهل الحديث معه، ليقطع بذلك أشواطاً بعيدة طويلة باتجاه تحصيل كمالات مفقودة له، والأب بطبيعته حانٍ فيأض على ولده، فكيف به إذا كان الوالد علياً أبا اليتامى والمساكين، وقد ورد عن حبيب بن أبي ثابت قال: «جاء إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام عسل وتين من همدان وحلوان، فأمر العرفاء أن يأتوا باليتامى، فأمكنهم من رؤوس الإزقاق يلحقونها، وهو يقسمها للناس قدحاً قدحاً، فقليل له: يا أمير المؤمنين ما لهم يلحقونها؟ فقال: إن الإمام أبو اليتامى، وإنما ألحقهم هذا برعاية الآباء»^(٢)، فكن ذا قلب واع لذلك، واعلم: «أن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها»^(٣)، أي: أحفظها.

رابعاً: الحرص الشديد على مواصلة زيارته عليه السلام، لاسيما لمن يعجزون عن زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن في ذلك تعويضاً أكيداً؛ لأنها زيارة لأخيه وابن عمه صلوات الله عليهما، بل تستحب زيارته عليه السلام للجميع وفي كل زمان، ولكنها تتأكد في المناسبات العظيمة^(٤)، وقد

(١) روى الشيخ الصدوق بسند عن علي بن الحسن بن فضال عن أبيه قال سألت أبا الحسن عليه السلام، فقلت له: «لم كُنِّي النبي صلى الله عليه وآله بأبي القاسم؟ فقال عليه السلام: ... أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أنا وعلي أبو هذه الأمة؟! قلت: بلى». علل الشرائع، مصدر سابق: ج ١، ص ١٢٧، ح ٢؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، مصدر سابق: ج ١، ص ٩١، ح ٩٩؛ أمالي الشيخ الصدوق، مصدر سابق: ص ٤١٠، ح ١٣؛ مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق: ص ٧.

(٢) أصول الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٤٠٦، ح ٥. والإزقاق: جمع زق، وهو السقاء.

(٣) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٤، ص ٣٥ رقم (١٤٧)، من كلام له لكميل بن زياد.

(٤) من قبيل زيارته في يوم البعثة النبوية (٢٧ رجب)، وفي يوم عيد الغدير (٢٤ ذي الحجة)،

ورد حثّ أكيد على مطلق زيارته عليه السلام؛ فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام وقد سأله ابن مارد عن أجر زيارة جدّه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «والله يا ابن مارد ما تطعم النار قدماً تغتبر في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام، ماشياً كان أو راكباً، يا ابن مارد أكتب هذا الحديث بماء الذهب»^(١)، وأفضل ما يُزار به عليه السلام زيارة (أمين الله)، المروية عن الإمام محمد الباقر عن الإمام عليّ زين العابدين عليهما السلام، لما تشتمل عليه من مضامين توحيدية وكمالات معنوية رفيعة، تكشف عن صحّة سندها^(٢).

وفي يوم رحلة النبي صلّى الله عليه وآله (٢٨ صفر)، وفي يوم ولادة النبي صلّى الله عليه وآله (١٧ ربيع الأول)، فضلاً عن زيارته الأكيدة في يوم ولادته (١٣ رجب)، وفي يوم شهادته (٢١ من شهر رمضان).

(١) تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٦، ص ٢١، ح ٦؛ الدروس، مصدر سابق: ج ٢، ص ٧؛ وسائل الشيعة، مصدر سابق: ج ١٤، ص ٣٧٦، ح ٣.

(٢) عن جابر الجعفي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، قال: «مضى أيّ عليّ زين العابدين عليه السلام إلى قبر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ووقف على القبر، فبكى ثم قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا أمين الله في أرضه وحجّته على عباده، أشهد أنّك جاهدت في الله حقّ جهاده، وعملت بكتابه، وآتبعته سنن نبيّه صلّى الله عليه وآله... قال: ثمّ وضع خدّه على قبره وقال: اللّهُمَّ! إنّ قلوب المختبين إليك والهة، وسبل الراغبين إليك شارعة...». مصباح المتجّد، مصدر سابق: ص ٧٣٨، ح ٩٨؛ كامل الزيارات، مصدر سابق: ص ٩٢، ح ١؛ المزار لابن المشهدي، مصدر سابق: ص ٢٨٢ رقم: (١٣).

وهنا ينصح السيّد الأستاذ دام ظلّه بألويّة اعتماد الزيارات الموثوقة والصحيحة، والاجتناب عن الزيارات المخترعة، أو غير المأثورة؛ فإذا ما وقع عند الزائر للمراقدة الشريفة شكّ بصحّة زيارة ما فإنّه يكفيّه إلقاء تحية السلام، فيقول مخاطباً صاحب القبر: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، فتلك هي تحية الإسلام، وتلك هي التحية الواردة

خصوصية مدينة كربلاء وأخلاقيات التواجد فيها

تكتسب كربلاء خصوصيتها من واقعة كربلاء الأليمة، حيث مصارع الكرام من آل محمد صلوات الله عليهم، واستشهاد سبط الرسول أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليهم، مع ثلة طاهرة زكية من أولاده وإخوته وأبناء عمومته وأصحابه، والذين لم يتجاوز عددهم جميعاً المائة نفر، فاجتمع عليهم جند الشام والكوفة في اليوم العاشر من محرم الحرام من سنة (٦١) هجرية، في منطقة يقال لها كربلاء، أو بين النواويس وكربلاء كما جاء ذلك في خطبة للإمام الحسين عليه السلام يقول فيها: «حُطّ الموت على ولد آدم محطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخيّري مصرع أنا لاقية، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء»^(١)، وبقدر ما تركت هذه الواقعة الأليمة جرحاً عميقاً في وجدان الأمة فإنّها قد أوجدت صحوة عظيمة تنبض في ضميرها إلى يومنا هذا. إنّها كربلاء الجامعة بين الحزن والشجن، والمآسي والمحن، وبين العزة

في أغلب الزيارات الصحيحة، وهي خير من الزيارات المخترعة؛ فإنّ المقاصد المعنوية قد لا تتحقّق بفصول الزيارات المخترعة، لاسيّما تلك التي تشتمل على عبارات مريية.

(١) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، مصدر سابق: ص ٨٦؛ مثير الأحران، تأليف: نجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نسا الحلّي (ت: ٦٤٥ هـ): ص ٢٩، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٠ م؛ اللهوف في قتلى الطفوف (مقتل الحسين عليه السلام)، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني (ت: ٦٦٤ هـ): ص ٣٨، أنوار الهدى، مطبعة مهر، قم؛ كشف الغمّة، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٣٩؛ عوالم العلوم (الإمام الحسين عليه السلام)، للشيخ عبد الله البحراني (ت: ١١٣٠ هـ): ص ٢١٦، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٧ هـ؛ لواعج الأشجان في مقتل الحسين، للسيد محسن الأمين العاملي (ت: ١٣٧١ هـ): ص ٧٠، مكتبة بصيرتي، إيران.

والإيثار والكرامة والبطولة، والوعي والنضج والأخلاق الكريمة، تحمل قصة الإنسان السويّ الملتزم الذي يواجه تياراً عارماً من الانحراف في الفكر والعقيدة والأخلاق والسلوك، فيتصبر بصموده الشامخ ودمه الأعزل على سوء التاريخ وشنار الإنسانية، فكانت كربلاء بحق مدرسة جامعة بين العبرة والعبرة.

إنّ الحزين الهائل الذي تكتنزه كربلاء من كلّ معاني الحزن ومعاني الشموخ تفترض أخلاقيات استثنائية بكلّ المقاييس، كما ورد ذلك عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «إذا أردت زيارة الحسين عليه السلام فزره وأنت حزين مكروب، شعث مغبرّ، جائع عطشان، وسله الحوائج وانصرف عنه، ولا تتخذة وطناً»^(١)، وكأنّه عليه السلام يريد بذلك للزائر أن يجسّد واقع حال كربلاء في خزينها المعنوي، ليأتي به الزائر بقدر ما يستطيع.

وقد اكتسبت كربلاء وضعاً استثنائياً لأخلاقيات الزائر فيها حتّى على مستوى صلاة المسافر، حيث يكون مخيراً بين التمام والقصر، والتمام أولى له ما لم يكن مقيماً، وإلاّ وجب التمام، وقد ورد في ذلك عن صالح بن عقبة، عن أبي شبل عبد الله بن سعيد الأسدي قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أزور قبر الحسين عليه السلام؟ قال: نعم، زر الطيب وأتم الصلاة فيه، قلت: فإنّ بعض أصحابنا يرون التقصير؟ قال: إنّما يفعل ذلك الضعفة»^(٢)، وكأنّه عليه

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٨٧، ح ٢؛ كامل الزيارات، مصدر سابق: ص ٢٥٢، ح ٣؛ ثواب الأعمال، للشيخ الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ: ص ٨٨، منشورات الرضي، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٣٦٨ ش؛ المزار لابن المشهدي، مصدر سابق: ص ٣٦٩، ح ١.

(٢) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٨٧، ح ٦؛ الاستبصار، مصدر سابق: ج ٢، ص ٣٣٥، ح ٣؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٥، ص ٤٣١، ح ١٤٢؛ المزار، الشيخ

السلام يريد إخبارنا بدلالة التمام فيها - حتى للمسافر - من أن كربلاء هي الوطن الذي يُقصد، كما هو الحال بالنسبة للمسجد الحرام والمسجد النبوي، فالمسلم لا يُقصر صلاته في وطنه، ولا يحتاج أن ينوي الإقامة، وهكذا كربلاء، فهي وطن الأحرار والأبرار والأنصار، وطن الرسالة الحسينية التي غيرت مجرى التاريخ كما غيرت الرسالة المحمدية مجرى التاريخ من قبل، رسالتان يحكيهما الخبر الصحيح المروي عن رسول الله عليه وآله: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط»^(١)، ولعظمة

المفيد، مصدر سابق: ص ١٣٨، ح ٥.

(١) كامل الزيارات، مصدر سابق: ص ١١٦، ح ١١؛ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد (سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد)، للشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت: ٤١٣هـ): ج ٢، ص ١٢٧، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة، قم المقدسة؛ شرح الأخبار، مصدر سابق: ج ٣، ص ٨٨، ح ١٠١٥؛ ص ١١٢، ح ١٠٥٠؛ مصنف ابن أبي شيبة، مصدر سابق: ج ٧، ص ٥١٥، ح ٢٢؛ صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بليان الفارسي: ج ١٥، ص ٤٢٨، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ؛ المعجم الكبير، مصدر سابق: ج ٣، ص ٣٢، ح ٢٥٨٦؛ الجامع الصغير، مصدر سابق: ج ١، ص ٥٧٥، ح ٣٧٢٧؛ التاريخ الكبير للبخاري، مصدر سابق: ج ٨، ص ٤١٤، ح ٣٥٣٦؛ المستدرک على الصحيحين، مصدر سابق: ج ٣، ص ١٧٧. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». المصدر السابق. وقال المباركفوري بعد نقله للخبر: «قال القاضي: كأنه صلى الله عليه وسلم [علم] بنور الوحي ما سيحدث بينه وبين القوم فخصه بالذكر، ويُن أنهما كالشيء الواحد في وجوب المحبة وحرمة التعرض والمحاربة، وأكد ذلك بقوله: (أحب الله من أحب حسيناً)، فإن محبته محبة الرسول ومحبة الرسول محبة الله». تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ): ج ١٠، ص ١٩٠، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

كربلاء وواقعة الطف الأليمة، فقد كتب فيها الأدباء، وأنشد حولها الشعراء قصائد يشدو بها الزمان^(١)، فضلاً عن الكمّ الكبير من المصنّفات في توثيق واقعة كربلاء وتحليلها.

ومن خلال هذه المعطيات يُمكن أن نسجّل بعض الأخلاقيات المهمّة التي تتعلّق بزيارة الإمام الحسين عليه السلام وشهداء الطفّ، وخصوص التواجد في كربلاء:

أولاً: مراعاة حرمة الواقعة الأليمة، والتضحيات العظيمة التي قدّمت في مواجهة خطّ الانحراف الخطير، فلا يقع من الزائر ما ينسجم مع خطّ الانحراف نفسه، في فكره وسلوكه؛ وإلا ستفقد الزيارة معناها، بل سينقض الغرض منها.

ثانياً: تقصي تفاصيل الأحداث الكبيرة التي شهدتها كربلاء في عاشوراء، والاستفادة من دروسها في حياتنا، بعضنا مع بعض، ومع علاقتنا بالله تعالى.

(١) عن عبد الله بن أبي سعيد الرّاق عن مسعود بن عمرو الجحدري عن إبراهيم بن داحية أنّه قال: أوّل شعر رثي به الإمام الحسين عليه السلام قول عقبة بن عمرو السهمي:

مررت على قبر الحسين بكربلا	ففاض عليه من دموعي غزيرها
فما زلت أرثيه وأبكي لشجوه	ويسعد عيني دمعها وزفيرها
وبكيت من بعد الحسين عصائباً	أطافت به من جانبيها قبورها
سلام على أهل القبور بكربلا	وقل لها منّي سلام يزورها
سلام بأصال العشيّ وبالضحى	تؤدّيه نكباء الرياح ومورها
ولا برح الوفاد زوّار قبره	يفوح عليهم مسكها وعبيرها

أمالى الشيخ المفيد، مصدر سابق: ص ٣٢٤، ح ٩؛ أمالى الشيخ الطوسي: ص ٩٣، ح ٥٢. الشجوة: الهمّ والحزن والشوط من البكاء. النكباء: ريح انحرفت ووقعت بين ريحين كالصبا والشمال. المور: الغبار الذي تثيره الرياح، والمور: الاضطراب.

ثالثاً: الإشراف أو المشاركة ببعض الفعاليات الصحيحة، كإقامة العزاء والبكاء وإظهار الحزن على ما جرى، والتأكيد على ذلك في المناسبات الحزينة، كأيام محرم وصفر، فلا تقتصر الزيارة على قراءة الزيارة والمرور السريع، فإن كربلاء مدرسة القيم النبيلة التي عزّ نظيرها.

رابعاً: نظراً لكثرة الزائرين لكربلاء - لاسيّما في المناسبات الكبيرة - فالأفضل للزائرين عدم المكوث الطويل؛ تسهيلاً لحركة الزائرين، فإن كربلاء هي معلم الإيثار والتضحية، وهذا مورد من موارد الإيثار في تيسير حركة الزائرين، ولعلّ هذا المعنى كان ملحوظاً في كلمة الإمام الصادق عليه السلام عندما أوصى الزائرين بعدم اتّخاذ كربلاء وطناً؛ بغية تخلية المكان للزيارة وليس للسكنى، فلو كان الحثّ على السكنى فيها فإنّه ربّما يلزم وقوع الحرج لضيق المكان فيها.

خامساً: الالتزام الشديد بإقامة الصلاة، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام قد صلّى بأصحابه صلاة الظهر في اليوم العاشر في عرصات كربلاء والأعداء يطلبونه، حتّى أنّ بعض أصحابه لم ينجوا من السهام وهم يقيمون الصلاة، فكيف لا نلتزم بإقامة الصلاة ونحن في راحة وفي مأمن من كلّ ذلك؟!

سادساً: التأكيد على زيارة الشهداء الذين صنعوا ملحمة كربلاء مع سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وعلى رأسهم أبو الفضل العباس عليه السلام، وحبيب بن مظاهر الأسدي، والحرّ بن يزيد الرياحي، وهكذا بقيّة الشهداء رضوان الله عليهم أجمعين، وتفقد بعض مواقع المعركة وآثارها، مثل النهر العلقمي والتلّ الزينبي، والتأمّل في مجريات تلك الأحداث العظيمة، ففي كربلاء عدّة مواقع تحكي بعض تفاصيل الأحداث.

خصوصية مدينة الكاظمية وأخلاقيات التواجد فيها

تقع مدينة الكاظمية شمال العاصمة بغداد، على بُعد (٥) كيلو متر من الجانب الغربي منها، ويحدها نهر دجلة من جهة الشرق، وقد سُميت المدينة بالكاظمية نسبة إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وهي من أهم المدن الدينية في بغداد، وقد اكتسبت أهميتها نظراً لوجود مرقدي الإمامين موسى الكاظم ومحمد الجواد عليهما السلام، وهي بالإضافة إلى كونها مدينة دينية عريقة فإن لها تاريخاً مشرفاً في العلوم الدينية والآداب، حيث ينتسب لها الكثير من أعلام الأمة في العلم والأدب والسياسة^(١)، فهي مدينة دينية وعلمية.

اقتربت هذه المدينة بمظلومية الإمام موسى الكاظم عليه السلام، والتي تمثلت بزجه في السجون لفترات غير قصيرة ثم دس السم له وهو في سجنه الطامورة، كما أنها اقتربت بمظلومية الإمام محمد الجواد عليه السلام (١٩٥ - ٢٢٠هـ)، الذي دسوا له السم وهو في عنفوان شبابه، ومن خلال هاتين المظلوميتين تتشكل عندنا أخلاقيات زيارتهما عليهما السلام، فقد عاش الإمامان غريبين مضطهدين إلى أن استشهدا في الغربة أيضاً، وهذا ما ينبغي استحضاره عند زيارتهما، مع إظهار التولي لها والبراءة من أعدائهما.

خصوصية مدينة مشهد وأخلاقيات التواجد فيها

في مدينة مشهد مرقد الإمام عليّ الرضا ابن الإمام موسى الكاظم عليهما السلام، استدعاه المأمون العباسي (ت: ٢١٨هـ)، إلى مرو في خراسان، وعقد

(١) من قبيل المرجع الديني السيد الشهيد محمد باقر الصدر (ت: ١٩٨٠م)، وأستاذ علم الاجتماع الدكتور علي الوردي (ت: ١٩٩٥م)، وشاعر العراق عبد المحسن الكاظمي (ت: ١٩٣٥م)، ورئيس وزراء العراق في عهد الملك فيصل الثاني (ت: ١٩٥٨م) وأستاذ علم التربية الدكتور محمد فاضل الجمالي (ت: ١٩٩٧م)، وعشرات الشخصيات الأخرى.

له ولاية العهد، ثم دس السم له فكان تاريخ استشهاده وموارته الثرى في أرض طوس - أحد مناطق مدينة مشهد - في عام (٢٠٣هـ)^(١)، حيث أمر المأمون بدفنه إلى جوار أبيه هارون الرشيد (ت: ١٩٣هـ)، وحيداً غريباً، ويعتبر مرقد الإمام الرضا عليه السلام من أكبر المشاهد الدينية في مدرسة أهل البيت، ويؤمّه المؤمنون من أصقاع الأرض.

وقد اكتسبت مدينة مشهد مكانتها الدينية والعلمية من وجود مرقد الإمام عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام، فبركات مرقد الشريف اتسعت المدينة وصارت مناراً دينياً واجهة علمية، فهي مدينة دينية وعلمية أيضاً، لاسيّما وأن الشخصية العلمية للإمام الرضا عليه السلام قد سجّلت حضوراً كبيراً؛ نتيجة المناظرات التي كان يعقدها المأمون بين الإمام عليه السلام وبين علماء المذاهب الإسلامية والأديان الأخرى، سواء في المسائل العقائدية أو الفقهية أو في أمور الدولة، حتّى صُنّفت باسمه كتب في الحديث والفقه والتفسير^(٢)، وكان من ألقابه عالم آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

ولعلّ من أهمّ أخلاقيات زيارته عليه السلام استحضر وحدته وغربته في أرض طوس، فإنّ أكثر أهله وإخوته قد قُضي عليهم وهم في الطريق إلى مرو^(٣)

(١) روى الشيخ الصدوق بسند عن الحسين بن زيد عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال: «يخرج رجل من ولد موسى اسمه اسم أمير المؤمنين عليه السلام، فيدفن في أرض طوس، وهي من خراسان، يُقتل فيها بالسم فيدفن فيها غريباً، فمن زاره عارفاً بحقّه أعطاه الله عزّ وجلّ أجر من أنفق من قبل الفتح وقاتل». من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥٨٣، ح ٣١٨٣؛ أمالي الشيخ الصدوق، مصدر سابق: ص ١٨٠، ح ١.

(٢) من قبيل الكتاب الحديثي: (عيون الإمام الرضا، للشيخ الصدوق)، والكتاب الفقهي: (فقه الرضا)، لعليّ بن بابويه القميّ، فضلاً عمّا جاء عنه في تفاسيرنا الروائية.

(٣) أحد مدن خراسان القديمة في بلاد فارس.

حتى أن السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام لما وصلت إلى مدينة قم كان الإمام عليه السلام قد فارق الحياة، فمكثت في قم دون الشهر، ومرضت خلالها ثم فارقت الحياة حزناً وكمداً على أخيها الإمام الرضا عليهما السلام. ومن أخلاقيات زيارته: طول المكوث عنده، سواء في المرقد أو فيما حوله، تعبيراً عن الحضور الدافع للوحدة والوحشة والغربة التي كان يعاني منها الإمام عليه السلام، واستغلالاً للفرصة التي قد لا تسنح مرة أخرى؛ لبعد المسافة^(١)، ولذلك كان الإمام الجواد عليه السلام كثيراً ما يحث على زيارته عليه السلام^(٢).

(١) قال الإمام أبو الحسن عليّ الرضا عليه السلام: «من زارني على بُعد داري أتيت يوم القيامة في ثلاثة مواطن حتى أخلصه من أهوالها: إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً، وعند الصراط، وعند الميزان». كامل الزيارات، مصدر سابق: ص ٥٠٦؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥٨٤، ح ٣١٨٩؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٦، ص ٨٥، ح ٥.

(٢) يقول السيد الأستاذ دام ظلّه: ورد في فضل زيارة أهل البيت عليهم السلام ما يصعب على قليلي العلم والإيمان فهمه ودركه، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام يقولون بأن أمرهم أو حديثهم صعب مستصعب، فعن عمار بن مروان عن جابر قال: قال أبو جعفر [الباقر] عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن حديث آل محمد صعب مستصعب، لا يؤمن به إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمد صلى الله عليه وآله عليه وآله فلانت له قلوبكم وعرفتكم فاقبلوه، وما اشأرت منه قلوبكم وأنكرتموه فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمد، وإنما الهالك أن يحدث أحدكم بشيء منه لا يحتمله، فيقول: والله ما كان هذا، والله ما كان هذا!!». الأصول من الكافي: ج ١، ص ٤٠١، ح ١، باب: (فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب).

وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «إن أمرنا صعب مستصعب، لا يحمله إلا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، ولا يعي حديثنا إلا صدور أمينة وأحلام رزينة». نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٢٨، ح ١٨٩. وعن الإمام إلى أبي عبد الله الصادق عليه السلام

قال: «إنّ حديثنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلا صدور منيرة، أو قلوب سليمة، أو أخلاق حسنة». الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٤٠١، ح ٣.

وفي خبر آخر عن شعيب الحدّاد قال: «سمعت الصادق جعفر بن محمد عليها السلام يقول: إنّ حديثنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان أو مدينة حصينة». الخصال، مصدر سابق: ص ٢٠٧، ح ٢٧.

ووفق هذه الرؤية العميقة ينبغي التعاطي مع روايات أهل البيت عليهم السلام لاسيّما فيما يخصّ مقاماتهم المعرفيّة والمعنويّة، وفي ضوء هذه الرؤية يمكن لنا أن نروي بعض الأخبار الواردة في فضل زيارة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام؛ منها ما جاء عن حمدان بن إسحاق قال: «سمعت أبا جعفر [الإمام محمد الجواد] عليه السلام يقول: من زار قبر أبي بطوس غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، قال: فحججت بعد الزيارة فلقيت أيوب بن نوح، فقال لي: قال أبو جعفر الثاني [الإمام الجواد] عليه السلام: من زار قبر أبي بطوس غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر وبني الله له منبراً في حذاء منبر محمد وعليّ عليهما السلام حتى يفرغ الله من حساب الخلائق. فرأيتُه وقد زار، فقال: جئت أطلب المنبر». الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٨٥، ح ٣؛ كامل الزيارات، مصدر سابق: ص ٥٠٥، ح ٣.

وقد روي شبيه ذلك عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «ستدفن بضعة منّي بخراسان ما زارها مكروب إلا نفّس الله عزّ وجلّ كربه، ولا مذنب إلا غفر الله له ذنوبه».

من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥٨٣، ح ٣١٨٧؛ ص ٥٨٥، ح ٣١٩٤.

حتى أنّ الإمام الجواد عليه السلام لشدة أهميّة زيارة أبيه الرضا عليه السلام نجده يقدّم زيارة أبيه على زيارة الإمام الحسين عليهم السلام في بعض المواضع، فعن عليّ بن مهزيار قال: «قلت لأبي جعفر [الجواد] عليه السلام: جُعِلت فداك زيارة الرضا عليه السلام أفضل أم زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام؟ قال: زيارة أبي أفضل؛ وذلك أنّ أبا عبد الله عليه السلام يزوره كلّ الناس، وأبي لا يزوره إلا الخواصّ من الشيعة». الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٨٤، ح ١، باب: (فضل زيارة أبي الحسن الرضا عليه السلام)؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٦، ص ٨٤، ح ١.

خصوصية مدينة سامراء وأخلاقيات التواجد فيها

تقع مدينة سامراء شمال العاصمة بغداد، وفيها مرقد الإمام عليّ الهادي ابن الإمام محمد الجواد عليهما السلام، ومرقد ولده الإمام الحسن العسكري عليهما السلام، مع مراقد أخرى في نفس الصحن العسكري، كمرقد السيدة حكيمه بنت الإمام محمد الجواد وأخت الإمام الهادي، وعمّة الإمام الحسن العسكري، ومرقد السيدة نرجس والدّة الإمام المهدي المنتظر عليهم السلام، وسامراء هي الأخرى مدينة دينية وعلمية، حيث كانت المرجعية الدينية وجزء من الحوزة العلمية فيها قبل مائة عام تقريباً، وتواردت عليها شخصيات علمية كبيرة، ولكن ضعفت وانزوى عنها العلم واقتصرت حالياً على معلّمها الديني.

إن خصوصية سامراء تكمن في كونها تشتمل على محطات تُشكّل علامات فارقة في تاريخ مدرسة أهل البيت، فسامراء قد شهدت توارداً ثلاثة أئمة من أئمة أهل البيت عليهم السلام تبعاً، وهم العسكريان والإمام المهدي المنتظر عليهم السلام، كما أنّها شهدت ولادة الإمام المهدي عليه السلام وغيبته، فهي مدينة الأحداث الساخنة في الشهادة والولادة والغيبة، ولذلك فإنّها تمتاز بخصوصيات كبيرة وأخلاقيات كثيرة، وينبغي مراعاتها عند الزيارة، من قبيل:

الأولى: استحضار الصلة الوثيقة بالإمام المهدي المنتظر عليه السلام، بمعنى أنّها تتأكد في هذا المرقد الطاهر، لاسيّما في المواقع التي يُذكر أنّها شهدت زمن الغيبة، بعد ذلك الحصار الرهيب الذي ضربه المعتمد العباسي على منزل الإمام الحسن العسكري عليه السلام، قبل وبعد استشهاد.

الثانية: الأهمية البالغة لقراءة الأدعية الخاصة بالإمام المهدي عليه السلام، من قبيل دعاء فرج ودعاء الندبة ودعاء العهد^(١)، وبعض الزيارات

(١) دعاء الفرّج يُطلق على عدّة أدعية، منها الدعاء الذي أوّله: «اللَّهُمَّ كن لوليك الحجة بن

المخصوصة^(١)، فإنه عليه السلام «وعد الله الذي ضمنه، وهو العلم المنصوب، والعلم المنصوب، والغوث والرحمة الواسعة، وعداً غير مكذوب»^(٢)، فضلاً عن الزيارات المخصوصة للإمامين العسكريين عليهما السلام.

الحسن...». الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ١٦٢، ح ٤؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٣، ص ١٠٢، ح ٣٧؛ مصباح المتعبد، مصدر سابق: ص ٦٣٠، ح ٨٥. ومنها الدعاء الجليل: «يا من يكفي من كل شيء، ولا يكفي منه شيء، أكفي ما أهمني». الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥٦٠، ح ١٤؛ عدة الداعي ونجاح الساعي، للشيخ أحمد بن فهد الحلبي (ت: ٨٤١هـ): ص ٢٦٢، تحقيق: أحمد الموحدي القمي، الناشر: مكتبة الوجداني، قم؛ الدعوات، مصدر سابق: ص ٥١، ح ١٢٦. ومنها الدعاء الذي أوله: «يا من أظهر الجميل وستر القبيح...». الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥٧٨، ح ٤؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٣، ص ٨٤، ح ١٢. ومنها الدعاء الذي أوله: «لا إله إلا الله الحليم الكريم...». الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٨٤، ح ٢؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٥، ص ٥٠، ح ١٧. وكلها أدعية جلييلة، وإن كان الأول أشهرها وإليه الانصراف. وأما دعاء الندبة فأوله: «اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك...». أوائل المقالات، للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي: ص ٣٠٩، دار المفيد، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، بيروت؛ إقبال الأعمال، مصدر سابق: ج ١، ص ٥٠٤؛ المزار لابن المشهدي، مصدر سابق: ص ٥٧٣، ح ٢. وأما دعاء العهد فأوله: «اللهم رب النور العظيم، ورب الكرسي الرفيع...». مصباح المتعبد، مصدر سابق: ص ٢٢٧، ح ٧٤؛ إقبال الأعمال، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٣٩؛ المزار لابن المشهدي، مصدر سابق: ص ٦٦٣.

(١) منها زيارة آل يس، ومطلعها: «سلام على آل يس، السلام عليك يا داعي الله وريائي آياته...». الاحتجاج، للشيخ أحمد بن علي الطبرسي (ت: ٥٦٠هـ): ج ٢، ص ٣١٦، تحقيق: السيد محمد باقر الخراسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٩٦٦م؛ المزار، لابن المشهدي، مصدر سابق: ص ٥٦٨. وزيارات أخرى مذكورة.

(٢) هذه بعض المقاطع المستلّة من زيارة آل يس. تقدّم تخريجها.

الثالث: تجديد البيعة للإمام الحجة بن الحسن عليهما السلام، بل يستحب ذلك في كل يوم جمعة، حيث ورد في الأخبار أنه يوم ظهوره عليه السلام، ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، بل يستحب تجديد البيعة له عليه السلام في صبيحة كل يوم، كما ورد في دعاء العهد: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُجَدِّدُ لَهُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِي هَذَا وَمَا عَشْتُ مِنْ أَيَّامِي عَهْداً وَعَقْداً وَبَيْعَةً لَهُ فِي عَنَتِي، لَا أَحُولُ عَنْهَا، وَلَا أَزُولُ أَبَداً»^(١)، فذلك من الوفاء له، بل من رسوم معرفته عليه السلام، ومعرفة الإمام - وكونه مفترض الطاعة - لازمة.

الرابع: الإكثار من تلاوة قوله تعالى: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ» (النمل: ٦٢)، وتقصد بالمضطر الإمام الحجة عليه السلام، وقد ورد في الأخبار ما يشير إلى ذلك^(٢)، فأحفظ ذلك ولا تغفل عنه.

هوية الأولياء والشهداء والصالحين

إنَّ الأولياء هم المتعلقة قلوبهم بذكر الله، الآمنون المطمئنة قلوبهم، قال تعالى: «إِنَّا إِنَّا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (يونس: ٦٢)، في قبال من تعشو قلوبهم عن ذكر الله، فأولئك أولياء الله، وهؤلاء أولياء

(١) تقدّم تخريج الدعاء.

(٢) عن محمد بن مسلم، عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ»؟ قال: «نزلت في القائم عليه السلام». تفسير القمّي، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٢٩؛ كتاب الغيبة، محمد بن إبراهيم النعماني (ت: ٣٨٠هـ): ص ٣١٤، ح ٦، تحقيق: علي أكبر الغفاري، طبع ونشر: مكتبة الصدوق، طهران. وقال الإمام أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام: «هو والله المضطر في كتاب الله، وهو قول الله: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ»». تفسير العياشي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥٧؛ تفسير القمّي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٠٥؛ كتاب الغيبة، مصدر سابق: ص ١٨١، ح ٣٠.

الشيطان؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: ٣٦)، وأما الشهداء فهم الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم، وأرخصوا مهجهم في سبيل الله، فاشترى الله تعالى ذلك منهم بالجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ (التوبة: ١١١)، وهم الأحياء في شهادتهم بنص القرآن، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩)، وأما الصالحون فهم أهل الفضل والخلق الحسن، وقد تجلّى فضلهم في العمل الصالح، كما تجلّى خلقهم الحسن في خدمة الناس، وخير الناس من نفع الناس.

أخلاقيات زيارة الأولياء والشهداء والصالحين والقربى المؤمنين

من أخلاقيات هذه الزيارات المعنوية لهذه الأصناف الأربعة، ما يلي:
أولاً: أن نتعاطى معها على أنها زيارات تكميلية لزيارات الأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام، لاسيما مع العجز عن زيارة المعصومين عليهم السلام، وهذا ما وجّهنا له أئمة أهل البيت عليهم السلام، فعن عمرو بن عثمان الرازي، قال: سمعت أبا الحسن الأول [الإمام الكاظم] عليه السلام يقول: «من لم يقدر أن يزورنا فليزر صالحى موالينا يكتب له ثواب زيارتنا، ومن لم يقدر على صلتنا فليصل صالحى موالينا يكتب له ثواب صلتنا»^(١)، وفي ذلك تنويع لأعمال تلك الثلة الطاهرة من الأولياء والشهداء وصالحى المؤمنين، بل فيه تنويع

(١) كامل الزيارات، مصدر سابق: ص ٥٢٨، ح ١، باب: (فضل زيارة المؤمنين وكيف يزارون)؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٧٣، ح ١٧٦٥؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٦، ص ١٠٤، ح ١؛ ثواب الأعمال، مصدر سابق: ص ٩٩؛ المزار للشيخ المفيد، مصدر سابق: ص ٢١٦، ح ١؛ المزار لابن المشهدي، مصدر سابق: ص ٦٠٠.

لوصايا أهل البيت عليهم السلام، وهذه واحدة من طرقهم النبيلة في ربط الأمة بالفضيلة.

ثانياً: ينبغي أن تكون الزيارة بقصد العبرة والعبرة، فالعبرة تدعونا إلى مراجعة أعمالنا، والعبرة الصادقة تُنقي القلب من الأدران، فتقع الموعظة بالموت، فلا تكن زيارتك لتمضية الوقت أو للسياحة الفارغة من الاعتبار، ولا بأس بالجمع بين الأمرين، وبعبارة أخرى: أن تكون من أهم أهداف زيارتهم الاتعاظ بالموت الذي حل بهم، ولا مهرّب منه، كما قال تعالى: ﴿أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ (النساء: ٧٨)، وقد كان أمير المؤمنين علي عليه السلام عندما يدخل المقابر يقول: «يا أهل التربة! ويا أهل الغربة! أما الدور فقد سُكنت، وأما الأزواج فقد نُكحت، وأما الأموال فقد قُسمت، فهذا خبر ما عندنا، وليت شعري ما عندكم، ثم التفت إلى أصحابه وقال: لو أذن لهم في الجواب لقالوا: إنّ خير الزاد التقوى»^(١).

ثالثاً: أن تُولي المزورين - لاسيّما الشهداء الذين بذلوا مهجهم في سبيل الحق والفضيلة - عناية تُظهرها من خلال تلاوة ما تيسر لك من القرآن، وتُهدي أجر ما قرأت لهم، ولا بأس بأن تضع يدك على القبر وتتلو قرآناً، ففي ذلك نفع لك كزائر، ونفع للمزور، فعن الإمام علي رضي الله عنه أنه قال: «من أتى قبر أخيه المؤمن فوضع يده على القبر، وقرأ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، سبع مرّات، آمنه الله يوم الفرع الأكبر»^(٢).

رابعاً: يكفيك أن تعرف أنّ في المقابر المزاراة قبراً لوليّ أو لشهيد أو لمؤمن

(١) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ١، ص ١٧٨، ح ٥٣٥؛

(٢) المقنعة، الشيخ المفيد: ص ٤٩٢، باب (ثواب زيارة قبور الإخوان على العموم من أهل الولاية والإيمان).

صالح أو لذوي القربى فتعمم ما تقرأه من القرآن والزيارة والدعاء للجميع، فعسى الله تعالى أن يرحم الآخرين برحمته لذلك الولي والشهيد والمؤمن الصالح، فإن ألف عين من أجل عين تُكرم، وعسى أن تشملك تلك الرحمات النازلة، فتدخل المقبرة وتقول كما هو المنقول عن أبي بصير، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «يخرج أحدكم إلى القبور فيسلم ويقول: السلام على أهل القبور، السلام على من كان فيها من المؤمنين والمسلمين، أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع، وإنا بكم لاحقون، وإنا لله وإنا إليه راجعون. يا أهل القبور بعد سكني القصور، يا أهل القبور بعد النعمة والسرور، صرتم إلى القبور. يا أهل القبور، كيف وجدتم طعم الموت. ثم يقول: ويل لمن سار إلى النار، ثم يهرق دمعته وينصرف»^(١)، ويكفي ما هو دون ذلك، فعن عبد الله بن سنان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «كيف التسليم على أهل القبور؟ فقال: نعم تقول: السلام على أهل الديار من المسلمين والمؤمنين أنتم لنا فرط ونحن إن شاء الله بكم لاحقون»^(٢).

خامساً: التأكيد على اختصاص ذوي القربى، لاسيما الأبوين، فذلك عمل يسعدهم كثيراً، ولك أن تطلب حاجتك من الله تعالى وأنت في ذلك الموضع، فقد ورد عن محمد بن مسلم، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: زوروا موتاكم؛ فإنهم يفرحون

(١) كامل الزيارات، مصدر سابق: ص ٥٣٥ ح ١٩؛ مستدرک الوسائل، مصدر سابق: ج ٢ ص ٣٦٧.

(٢) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٣، ص ٢٢٩، ح ٥؛ كامل الزيارات، مصدر سابق: ص ٥٣١، ح ٩؛ ص ٥٣٢، ح ١٢؛ منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان، لجمال الدين أبي منصور الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني (ت: ١٠١١ هـ): ج ١، ص ٣١٠، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، منشورات جامعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المشرفة؛ وقريب منه في: من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ١، ص ١٧٨، ح ٥٣٣.

بزيارتكم، وليطلب أحدكم حاجته عند قبر أبيه وعند قبر أمه بما يدعو لهما»^(١)، ويكفي أن يكون ذلك العمل الصالح من مصاديق أعمال البر بهم.

سادساً: الدعاء لتلك الأصناف الأربعة، بل لسائر أهل القبور بقبول الأعمال وإدخال السرور عليهم، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يدعو لهم بقوله: «اللهم أدخل على أهل القبور السرور»^(٢)، أو تقول: «اللهم رب الأجساد البالية، والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة: أدخل عليها روحاً من عندك وسلاماً»^(٣)، فإنك بدعاء الله وحده بإدخال الروح والسلام منه عليهم تُعبر عن اعتقادك الخالص بالله تعالى، وعن توحيدك حيث لم تطلب شيئاً من سواه، وهذه هي روح العقيدة الصحيحة والحققة.

الثمرات المعنوية في زيارة القبور

إن لزيارَةَ القبور عموماً ثمرات معنوية كثيرة، منها ما يخصّ الزائر نفسه ومنها ما يخصّ المزور، أمّا ثمرات الزائر فلا غنى للإنسان المؤمن عنها، لاسيّما

-
- (١) فروع الكافي، مصدر سابق: ج ٣، ص ٢٢٩، ح ١٠؛ الخصال، مصدر سابق: ص ٦١٨.
- (٢) المصباح، للشيخ تقي الدين إبراهيم بن عليّ بن الحسن العاملي الكفعمي (ت: ٩٠٥ هـ): ص ٨٧٤، الناشر: دار المرتضى، الطبعة الجديدة، ١٤٢٨ هـ، بيروت؛ البلد الأمين، إبراهيم بن عليّ العاملي الكفعمي: ص ٢٢٢، منشور في المكتبة الشاملة؛ مستدرك الوسائل، مصدر سابق: ج ٧، ص ٤٤٧، ح ٢.
- (٣) الدعاء مروى عن الحسن البصري، انظر: مصنف ابن أبي شيبة، مصدر سابق: ج ٨، ص ٢٥٧، ح ٢٢؛ شرح نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٦، ص ١٩٢؛ كما أنّه مروى عن الإمام الحسين عليه السلام. انظر: صحيفة الإمام الحسين عليه السلام، جمع: الشيخ جواد القيومي الأصفهاني: ص ٥٤ رقم الدعاء (٧)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥ م. وقد رواه المحقق التراقي بلا نسبة. انظر: مستند الشيعة، مصدر سابق: ج ٣، ص ٣٢٣.

وأنه يعيش في حياة مليئة بالمغريات المادية والمعنوية؛ قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ (الحديد: ٢٠)، والإنسان شديد الصلة بالدنيا، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ (القيامة: ٢٠)، أي: تحبون الدنيا السريعة الزوال، وقال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر: ٢٠)، أي: تحبون المال حباً مفرطاً، فكان لابد من رادع عملي يمنع الإنسان من الانجراف إلى الدنيا، أو يؤوقفه إذا ما وقعت منه انفلات ما، وليس هنالك شيء يمتلك قوة ردع هائلة غير الموت؛ لأنه الحقيقة التي لا يمكن إنكارها، فهو مرئي ومحسوس، حيث نراه ونتحسسه في أهلنا وأقاربنا وأصدقائنا والناس أجمعين، ولأنّ للموت قوة ردع هائلة فقد استعمله القرآن بكثافة في توجيه دفة الإنسان للسيطرة على تمرده وانسياقه للامسؤول باتجاه الدنيا، كما في قوله تعالى: ﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ (التكاثر: ١-٢)، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (العنكبوت: ٥٧).

ومن أجل الكفّ عن الانغماس في الدنيا والتخلّص من حبالها قبل وقوع الموت وتجرع سكراته وتذوق مرارته: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (ق: ١٩)، كان لابد من شيء يرتبط بالموت ويُذكر بحقيقته المرّة، وليس هنالك شيء أوقع في النفس من زيارة القبور، فتقع في نفسه الموعظة والتذكرة، فينسلّ العقل من دائرة التوهّم والتهيه، وتنعتق النفس من تخيلات الباطلة، ويستيقظ القلب من سباته، وتتفضّ الروح من ظلمتها، ويكون الإنسان على بوابة الفضيلة، فإذا ما وقف على قبر يعف صاحبه تذكر تميّاته وتسوياته، تذكر قوله تعالى: ﴿وَعَرَّتْكُمْ الْأَمَانِيَّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (الحديد: ١٤)، وإذا ما أبصر قبراً آيلاً للسقوط تذكر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ (الانفطار: ٤)، أي: وإذا قُلبت القبور ببعث

مَنْ كَانَ فِيهَا، وَإِنْ عَادَ مِنْ رَحَلَتِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ إِلَى تَفَاصِيلِ الْحَيَاةِ وَرَأَى النَّاسَ غَافِلِينَ مَنَعَمَسِينَ فِي الدُّنْيَا، يَسْمَعُونَ الْأَذَانَ وَلَا يَسْتَجِيبُونَ! وَيُرُونَ الْجَنَائِزَ عَلَى مَحْمِلِهَا لِتَقْبَرِ وَلَا يَبَالُونَ^(١)، فَيَسْتَدَّ عَجْبُهُ وَيَزْدَادُ تَحَسُّرُهُ وَيَتَذَكَّرُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ (المدثر: ٤٩)، نعم: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (القمر: ٥١)، وَ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧).

نعم، إنها الموعظة الناطقة، والحكمة النافذة، التي نستفيد منها من زيارتنا للمقابر: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (الزمل: ١٩)، فمتى القلب يذكّر ويتعظ والمنادي يهتف بنا بالرحيل عما قريب؟! متى، ومتى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (القمر: ١٥)!

إنَّ في زيارة القبور فرصة سانحة لا غنى للمؤمنين عنها؛ لأنها نافذة لإحياء القلوب، ومحطة للتذكّر وقراءة ما مضى من الأعمال، وفرصة لوضع نقطة على جملة الماضي والبدء من جديد، وإذا لم يتعظ الإنسان بالموت وبزيارة القبور فإن قلبه قطعة مظلمة، تحجب عنه الرؤية، فليس هنالك شيء أفضع من الموت، ولذلك نجد رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في ذلك: «ما رأيت

(١) لما دخل كعب بن زهير - شاعر العرب - على رسول الله صلى الله عليه وآله أنشده قصيدته اللامية الطويلة، وكان ممّا جاء فيها قوله:

كلّ ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول

انظر: سيرة النبي صلى الله عليه وآله (سيرة ابن هشام)، تأليف: أبي عبد الله بن إسحاق بن يسار المطلبى (ت: ١٥١هـ): هذبها: أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت: ٢١٨هـ): ج ٤، ص ٩٤١، تحقيق وضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ، القاهرة؛ عيون الأثر، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٤٥؛ المعجم الكبير، مصدر سابق: ج ١٩، ص ١٧٧.

منظراً قطّ إلا والقبر أظع منه»^(١)، ولا ينبغي الاغترار بالجاه أو السلطان أو بكثرة المال ولا حتى بكثرة العلم، وما أجلّها من موعظة يسوقها لنا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في هذا المعنى! حيث يقول: «ترصدوا مواعيد الآجال، وباشروها بمحاسن الأعمال، ولا تركنوا إلى ذخائر الأموال، فتخليكم خدائع الآمال، إنّ الدنيا خداعة صرّاعة، مكّارة غزّارة سحّارة... يا ذا الحيل والآراء، والفقه والإنباء، اذكروا مصارع الآباء، فكأنّكم بالنفوس قد سلبت، وبالأبدان قد عريت، وبالموارث قد قسمت، فتصير يا ذا الدلال والهيئة والجمال إلى منزلة شعثاء، ومحلّة غبراء، فتتوّم على خدك في لحدك، في منزل قلّ زواره، ومملّ عماله، حتّى تشقّ عن القبور وتبعث إلى النشور»^(٢)، ذلك هو بيت الغربة والوحشة، أعاذنا الله وإياكم من غربته ووحشته بكمال الإيثار وصالح الأعمال.

ولما كان لزيارة القبور هذا الأثر المعنوي الشديد الوقع على القلوب فقد أذن رسول الله صلّى الله عليه وآله بزيارتها، معلّلاً إجازته في ذلك، فعن أنس بن مالك، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها؛ فإنّه يرقّ القلب، وتُدَمِّع العين، وتذكّر الآخرة، ولا تقولوا هجرًا»^(٣)، وفي خبر آخر: «فإنّها تُزهِد في الدنيا، وتُذكّر الآخرة»^(٤).

(١) سنن ابن ماجه، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٤٢٦، ح ٤٢٦٧؛ سنن الترمذي، مصدر سابق:

ج ٣، ص ٣٧٩، ح ٢٤١٠؛ المستدرک علی الصحیحین، مصدر سابق: ج ١، ص ٣٧١.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي، مصدر سابق: ص ٦٥٢، ح ٣.

(٣) المستدرک علی الصحیحین، مصدر سابق: ج ١، ص ٣٧٦؛ الجامع الصغير، مصدر سابق:

ج ٢، ص ٢٩٧، ح ٦٤٣١.

(٤) مصنّف الصناعی، مصدر سابق: ج ٣، ص ٥٧٣، ح ٦٧١٤؛ سنن ابن ماجه، مصدر

سابق: ج ١، ص ٥٠١، ح ١٥٧١؛ المستدرک علی الصحیحین، مصدر سابق: ج ١،

ص ٣٧٥؛ الجامع الصغير، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٩٧، ح ٦٤٣٠.

ومن ثمار زيارة القبور للزائر نفسه: أنّها تذكره بصالح أعمال بعض الموتى من الصالحين، فتكون له تذكرة لتدارك ما فاتته منها، ولذلك تتأكد زيارات الأنبياء والأئمة عليهم السلام والأولياء والصالحين، لأنّها تشتمل على التذكير بصالح أعمالهم الخالدة، كما أنّ زيارة القبور تذكر الزائر بسوء أعمال بعض الموتى الطالحين، فتكون تذكرة لاجتنابها.

وأما الثمرات المعنويّة المتعلّقة بالمزور نفسه (الأموات)، فإنّها تعود عليهم بالمغفرة وصالح الأعمال، فتلاوة القرآن عند قبورهم ينتفعون بها، والدعاء لهم بالمغفرة وقبول الأعمال ينتفعون به، وغير ذلك من صالح الأعمال، فإنّها تصل إليهم وينتفعون بها كثيراً، كما لو أنّك قضيت عنه ديناً^(١)، وفي هذه الأعمال

(١) جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: «يا رسول الله إنّ أبي مات ولم يحجّ فأحجّ عنه؟ قال: أنت أكبر ولده؟ قال: نعم، قال: فحجّ عن أبيك؛ أفرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته». مصنف ابن أبي شيبة، مصدر سابق: ج ٤، ص ٤٧١، ح ٤؛ المعجم الكبير، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٥٨، ح ٧٤٨. ويروى أنّ امرأة من خثعم أتت النبي صلى الله عليه وآله فقالت: «يا رسول الله إنّ فريضة الله على عباده في الحجّ، أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستمسك على الراحلة، فأحجّ عنه؟ فقال عليه السلام: نعم. قالت: فهل ينفعه ذلك؟ فقال: نعم، كما لو كان على أبيك دين فقضيته نفعه». مسائل الناصريّات، لعلم الهدى أبي القاسم عليّ بن الحسين الموسوي (ت: ٤٣٦ هـ): ص ٣١٣، تحقيق: مركز البحوث والدراسات العلميّة، رابطة الثقافة والعلاقات الإسلاميّة، مديريّة الترجمة والنشر، المطبعة: مؤسّسة الهدى، طهران، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ؛ الخلاف، للشيخ أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي: ج ٢، ص ٣٨٦، تحقيق: عليّ الخراساني وجواد الشهرستاني، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ؛ دعائم الإسلام، مصدر سابق: ج ١، ص ٣٣٦؛ مسند أحمد، مصدر سابق: ج ١، ص ٢١٢؛ سنن ابن ماجه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٩٧١، ح ٢٩٠٩؛ سنن النسائي، مصدر سابق: ج ٥، ص ١١٨.

الصالحة تأدية لحقهم على قرباهم ومعارفهم، وقد مرّ بنا ما كان يدعو به رسول الله صلى الله عليه وآله عندما يدخل إلى مقابر المسلمين: «اللَّهُمَّ ادْخُلْ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ السُّرُورَ»^(١)، وقد روي عنه صلى الله عليه وآله خبر يدرّ بالنفع على الزائر والمزور، جاء فيه: «من دخل المقابر فقراً سورة ياسين خفف الله عنهم يومئذ، وكان له بعدد من فيها حسنات»^(٢)، أي: وكان للزائر من الحسنات بعدد من دُفن في تلك المقابر.

جدير بالذكر أنّ من دواعي زيارة مقابر المسلمين - التي هي في الغالب تكون بجوار المراقد الطاهرة للأنبياء والأئمة والأولياء والصالحين -: هو التعبير عن التقدير لأصحاب تلك المراقد الطاهرة، بمعنى أنّ زيارة تلك المقابر الملاصقة لمراقدهم تعتبر من ملحقات أصل الزيارة، فتكون زيارة المقابر تعبيراً عن الارتباط والمودة لأصحاب المراقد الطاهرة، من قبل زيارة مقبرة السلام في النجف الأشرف، فإنّها على أهمّيتها يكفي أن تكون بنية التعبير عن المحبة والودّ لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فمن أجل مجاورتهم له تكون الزيارة لهم.

خصوصية زيارة أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين

الخصوصيات الملحوظة في أخلاقيات زيارة أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليهما السلام يُمكن حصرها في ثلاثة أمور، وهي:

الأول: أن تُلاحظ في زيارته عليه السلام عنوان المدخل إلى شخصية الإمام الحسين عليه السلام، فقد كان قائد جنده وحامل لوائه، ومقامه من الإمام

(١) تقدّم تحريجه.

(٢) عدّة الداعي ونجاح الساعي، مصدر سابق: ص ١٣٣؛ تفسير القرطبي، مصدر سابق: ج ١٥، ص ٣؛ تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، مصدر سابق: ج ٣، ص ٢٧٥.

الحسين عليه السلام شبيه إلى حدّ كبير بمقام أبيه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث كان حاملاً للوائه صلى الله عليه وآله في ثمانين غزوة، وكان في يد رسول الله صلى الله عليه وآله كالحجر يرمي به أعداءه أنى شاء، لشدة طاعته عليه السلام، ولعلّ في هذا المدخل إشارة إلى بدء الزيارة به عليه السلام، وإذا كان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام باب مدينة الرسول صلى الله عليه وآله فإنّ أبا الفضل العباس باب مدينة الحسين عليهما السلام، بل هو باب مدينة كربلاء، وباب تلك الثورة التي غيرت مجرى التاريخ.

الثاني: استحضار إثاره عليه السلام المنقطع النظير، وحيائه الشديد من أطفال الإمام الحسين، وسقايته التي اقتبس أثرها من سقاية أبيه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام للمؤمنين على الحوض في الجنة، كما ورد في الخبر^(١).

(١) عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «أنا الساقى على الحوض». عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق: ص ١٦٦. وفي كشف اليقين، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا فاطمة إنّي مقيم غداً عليّاً على حوضي؛ يسقي من عرف من أمّتي». كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، للعلامة الحليّ الحسن بن يوسف بن المطهر (ت: ٧٢٦هـ): ص ٣١٧، تحقيق: حسين الدركاهي، طهران، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

وفي الجواهر والينابيع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يتكلّم عن خصال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «وأما الثالثة: فواقف على عقر حوضي يسقي من عرف من أمّتي». جواهر المطالب في مناقب الإمام الجليل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن ناصر الدمشقي الباعوني الشافعي (ت: ٨٧١هـ): ج ١، ص ٢١٠، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، مطبعة دانش، قم المقدّسة؛ ينابيع المودة لدوي القربى، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٧٦. وقد قام الشيخ الأميني بتقصّي وتحقيق الأخبار الواردة في المقام. انظر: الغدير في الكتاب والسنة

الثالث: استحضار كفالاته عليه السلام لأخته الحوراء زينب عليها السلام ولأطفال الإمام الحسين عليه السلام، وكيف أن معسكر الإمام الحسين قد تلاشى بعده، حتى روي أن الإمام الحسين عليه السلام قد قال بعد استشهاد أبي الفضل العباس عليه السلام: «الآن انكسر ظهري، وقلّت حيلتي»^(١).

خصوصية زيارة بطلا كربلاء زينب الكبرى عليها السلام

وهنا تُسكب العبرات، عند عقيلة الهاشميين، حيث شجون الدهر، ومصائب العترة الطاهرة بسبي السيّد زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السلام بعد مقتل أخيها الإمام الحسين عليه السلام، ومقتضى الحال أن تُراعى في زيارتها تلك القيم العليا التي تمتعت بها، وتلك الرزايا التي حلّت بها، فهي المشكولة بإخوتها وبنيتها وأبناء عمومتها، أمّا أخلاقيات زيارتها فهي:

أولاً: استحضار صمودها ورباطة جأشها بعد انتهاء المعركة، وذلك عندما وقفت على الأجساد الطاهرة، حتى بلغت جسد أخيها الحسين عليه السلام فنادت: «اللَّهُمَّ تقبل منّا هذا القربان»^(٢)، ولما دخلت الكوفة مسبية، استقبلها أهل الكوفة وهم يبكون! فأومأت لهم أن اسكتوا، فارتدت الأنفاس

والأدب، للشيخ العلامة عبد الحسين أحمد الأميني النجفي (ت: ١٣٩٢هـ): ج ٢، ص ٣٢١ فما بعد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٦٧ م.

(١) مقتل الإمام الحسين، للموفق بن أحمد البكري المكي الحنفي الخوارزمي (ت: ٥٦٨هـ): ج ٢، ص ٣٠، تحقيق: الشيخ محمد السماوي، الناشر: مكتبة مفيد، قم المقدسة؛ العوالم، الإمام الحسين عليه السلام، مصدر سابق: ص ٢٨٥.

(٢) مقتل الإمام الحسين، للسيّد عبد الرزاق المقرّم الموسوي: ص ٣٠٧، مؤسسة البعثة، طهران؛ سيرة الأئمة الاثني عشر، للسيّد هاشم معروف الحسني: ج ٢، ص ٨٧، الناشر: دار التعارف، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

وسكنت الأجراس، ثم قالت: «أتبكون؟! فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنة...»^(١) حتى قال حذيم الأسدي: «لم أرَ والله خفرة قط أنطق منها، كأثما تنطق وتفرغ على لسان عليّ عليه السلام»^(٢)، ولم يُرَ في الكوفة يوم أكثر بكاء حين خطبتها. ثانياً: استحضار أرفع معاني الشموخ والبطولة، فهي عليها السلام على ثكلها واستتصال ذويها وقفت بوجه الطاغية عبيد الله بن زياد عندما خاطبها: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ فأجابته بشموخ تتصاغر أمامه الجبال الشاخنة: «ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب عليهم القتال فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحتاج وتخاصم، فانظر لمن يكون الفلج يؤمئذ، هيلتك أمك يا ابن مرجانة»^(٣)، وبذلك تكون منهلاً للأبوة في كل زمان ومكان، يستقون من عزّها ورفعته، فيصنعون النصر في عقر دار عدوهم، كما فعلت ذلك بطلة كربلاء عليها السلام.

ثالثاً: التعويض بالوقوف على قبرها الشريف وزيارتها عن قرب، عن

(١) اللهوف في قتل الطفوف، مصدر سابق: ص ٨٦؛ الاحتجاج، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٩؛ مقتل الإمام الحسين، للخوارزمي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤٠ - ٤٢؛ الفتوح، أحمد بن الأعمش الكوفي (ت: ٣١٤هـ): ج ٥، ص ٢٢١ - ٢٢٦، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٦هـ؛ العوالم، الإمام الحسين عليه السلام، مصدر سابق: ص ٣٧١؛ لواعج الأشجان، مصدر سابق: ص ٢٠٠.

(٢) المصادر السابقة.

(٣) الكامل في التاريخ، لابن الأثير الجزري أبي الحسن عزّ الدين عليّ بن محمّد بن عبد الكريم الجزري الشافعي (ت: ٦٣٠هـ): ج ٢، ص ١٧٧، دار صادر، بيروت، طبعة ١٤٠٢هـ، منشور في المكتبة الشاملة؛ مثير الأحران، مصدر سابق: ص ٧١؛ اللهوف في قتل الطفوف، مصدر سابق: ص ٩٤؛ العوالم، الإمام الحسين، مصدر سابق: ص ٣٨٣؛ لواعج الأشجان، مصدر سابق: ص ٢٠٩.

الوقوف على قبر أمّها السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام، المفقودة الأثر، لا قبر ولا مرقد ولا معلّم، فيكون قبر الحوراء زينب مُشيراً إلى قبرها، فيزور الزائر بزيارتها زيارتين، وفي ذلك التفاتة جليّة إلى وحدة المبادئ والمُثل العليا بينهما عليهما السلام، والتشابه في حجم التضحيات والقدرة على التحمّل.

خصوصيّة زيارة مسجد الكوفة ومسجد السهلة

من خصوصيّات مسجد الكوفة أنّه أحد الأماكن الأربعة التي يتمّ فيها الزائر غير المقيم، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «تتمّ الصلاة في المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلّى الله عليه وآله، ومسجد الكوفة، وحرم الحسين عليه السلام»^(١)، كما أنّ من خصوصيّاته أنّه قد شهد خلافة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، كما أنّه شهد شطراً كبيراً من أحداث ثورة الإمام الحسين عليه السلام^(٢)، ومن خصوصيّاته المهمّة: أنّه سيشهد في المستقبل قيام دولة العدل الإلهي على يد المنقذ العالمي الإمام الحجّة بن الحسن عليه السلام، وما سيلي ذلك من أحداث خطيرة، ولذلك ينبغي للزائر استحضار كلّ هذه المعاني والأحداث عند تفقّده لهذا المسجد التاريخي الكبير، ولعلّ من المستحبّات المؤكّدة: الإكثار من الصلاة في هذا المسجد، كما أنّ الاعتكاف فيه ومطلق الإحياء، من المستحبّات المؤكّدة، ولذلك نجد في سيرة علماء الأخلاق والسير والسلوك أنّهم كانوا مرتبطّين ارتباطاً وثيقاً بهذا المسجد الكبير، وبمسجد آخر يقع في جواره، وهو مسجد السهلة، وله فضل كبير، فعن عبد الرحمن بن سعيد

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٥٨٦، ح ٣؛ ص ٥٨٧، ح ٥.

(٢) فإنّ الانطلاقة الفعلية لثورة الإمام الحسين عليه السلام إنّما كانت من الكوفة، ولذلك أرسل الإمام لهم سفيره مسلم بن عقيل عليه السلام، الذي خذله أهل الكوفة وأسلموه إلى عبيد الله بن زياد، فاستشهد هو وهاني بن عروة المذحجي رضوان الله عليهما.

الخزاز، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «بالكوفة مسجد يقال له: مسجد السهلة ... فيه مناخ الراكب، وبيت إدريس النبّي عليه السلام، وما أتاه مكروب قط فصلّى فيه بين العشاءين ودعا الله إلّا فرّج الله كربته»^(١).

وفيه سيكون منزل الإمام المهدي المنتظر عليه السلام كما في الخبر المروي عن صالح بن أبي الأسود أنّ الإمام أبا عبد الله الصادق عليه السلام قد ذكر مسجد السهلة فقال: «أما إنّ منزلاً صاحبنا إذا قام بأهله»^(٢)، فلا ينبغي لزائر مسجد الكوفة أن يترك زيارة مسجد السهلة، فإنّ بينهما ارتباطاً وثيقاً، وعلاقة وثيقة بالخلافة والإمامة.

كلمة أخيرة

في جميع ما تقدّم من زيارة الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، وزيارة الشهداء والأولياء والصالحين وقربى المؤمنين، ينبغي للزائر فيها أن يظهر شعور الارتباط بالآخرين من إخوانه المسلمين والمؤمنين في أصقاع الأرض، لاسيّما من تربطه بهم رابطة رحم أو قرابة، وهذا الشعور إنّما يتجلّى بذكرهم في قصد الزيارة، فينوي الزيارة عنهم، وكأنّه يمثل داعي التسليم في الصلاة، حين

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٣، ص ٤٩٥، ح ٣، باب: (مسجد السهلة)؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٣، ص ٢٥٢، ح ١٣. ولعلّ المراد من الراكب هو الخضر عليه السلام. انظر: تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٣، ص ٢٥٢، ح ١٣.

(٢) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٣، ص ٤٩٥، ح ٢، باب: (مسجد السهلة)؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٣، ص ٢٥٢، ح ١٢؛ الإرشاد، مصدر سابق: ج ٢، ص ٣٨٠؛ الغيبة، تأليف: شيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ): ص ٤٧١، ح ٤٨٨، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني والشيخ علي أحمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.

يقول: (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)، فينوي الزيارة عنهم جميعاً، بمعنى أن يشركهم في أجر الزيارة، كأن يقول: نويت أن أزور أصالة عن نفسي، ونيابة عن والدي وعن أهلي وإخواني وأرحامي وجميع معارفي وسائر المؤمنين والمسلمين، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ (الحشر: ١٠).

ولا مانع من أن تُشرك في زيارتك للمراقد الطاهرة - كمرقد رسول الله صلى الله عليه وآله، أو أي مرقد من مراقد الأئمة الطاهرين عليهم السلام - الأنبياء والأئمة والأولياء والشهداء والصالحين، ولا ريب أنك ستنال بذلك الحظوة عندهم، فتلك هدية مقبولة وتحيّة طيبة منك، وهم أولى بالردّ بأحسن منها؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً﴾ (النساء: ٨٦)، وبقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن: ٦٠)، والحمد لله رب العالمين.

كلمات على الطريق

- قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ (البقرة: ٢٥٣)، وهذا التفضيل - الشاخص بين ثلثة أولو العزم منهم والأئمة منهم والرسول منهم وما يشتركون به من عنوان النبوة - يُفضي إلى نوع من التمايز في خصوصيات زيارتهم وأخلاقياتها، مع حفظ المنطقة المشتركة بينهم، فالوقوف بين يدي النبي الخاتم صلى الله عليه وآله ليس كالوقوف بين يد الأنبياء الآخرين، فاحفظ ذلك.
- إذا وقفت على مشارف المراقد الطاهرة للأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام فقل: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾

(الرعد: ٢٤)، وإذا هممت بالخروج منها فقل: إلهي: ﴿أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف: ١٠١)، وإن كنت من أهل العلم فقل: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (الشعراء: ٨٣)، وقل: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٥٤).

خلاصة الدرس

- الرسالة المشتركة لسائر الأنبياء تتمثل بالأخلاق و بإعلاء كلمة التوحيد.
- البحث في زيارة الأنبياء مندرج ضمن تقديرنا الكبير لتلك الجهود الجبارة التي بذلها ذلك الرعيل الطاهر، كما أنه يدخل في نشر ثقافة التعرّف على مشاهدهم عليهم السلام.
- دعوة الأنبياء السابقين ممهّدة للنبوّة الخاتمة، والنبوّة الخاتمة ممهّدة لإقامة دولة العدل على يد المنقذ العالمي الحجّة بن الحسن عليه السلام.
- ينبغي التعاطي بمسؤوليّة شرعيّة وأخلاقيّة تجاه زيارة الأنبياء عليهم السلام، الذين قابلوا ابتلاءاتهم العظيمة بالصبر الجميل، ولم يكن اشتداد ابتلائهم إلّا لخطر مهمّهم، ولعظيم حبّ الله تعالى لهم.
- ما ينبغي مراعاته عند زيارة الأنبياء عليهم السلام: التعرّف على سابقتهم الجهاديّة، بالقول والعمل، وإظهار الإجلال والتقدير والوقار لمقامهم السامي ومشاهدهم الكريمة، والحرص على الطهارة، مع إتيان الأعمال العباديّة التي تعكس نجاحهم، وينبغي مراعاة مراتبهم التي رتبهم الله فيها، مع تنزيههم من كلّ نقصٍ قاذح بنبوّتهم وعصمتهم.
- احذر من جميع المستخفين والمستهزئين بالأنبياء وأولي العصمة عليهم السلام، ففي ذلك ضرب صريح لجهادهم الاستثنائي ونضالهم

التاريخي وتضحياتهم الجمّة.

- الحثّ على زيارة الأنبياء ضرب من الوفاء لهم، والذي منه نشر قصصهم عن طريق القرآن: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، ففيها عبرة وعبرة، بدلاً من كتب (قصص الأنبياء) المتخمة بالإسرائيليات.
- من أخلاقيات زيارة أئمة أهل البيت عليهم السلام: أنّ الزيارة تكشف عن ضيافة معنويّة يحظى بها الزائر في المشهد المزار، وهي ضيافة الذكر والدعاء والاستغفار، وأنّ مراقدهم مدارس تعليميّة، نتعلّم عن أصحابها قوّة التوحيد وقوّة الارتباط بالله تعالى، وعظمة التضحيات.
- ينبغي الحرص على زيارة مشاهد الأئمة عليهم السلام في أوقات ولادتهم وشهاداتهم؛ تعبيراً عن الوفاء لهم وعن قوّة الارتباط بهم.
- زيارة أئمة أهل البيت زيارةً للرسول صلّى الله عليه وآله.
- على الزائر أن يهتمّ بشكله وهندامه، فيغتسل ويتطيّب ويرتدي أفضل ثيابه، وأن يكون في خدمة الزائرين، لاسيّما من رفقائه في السفر.
- تتأكّد زيارة أئمة أهل البيت عليهم السلام للحجّاج، فلا يقتصرون على زيارة أئمة البقيع، ما دام ذلك ممكناً لهم، فيقصدون النجف وكربلاء والكاظميّة وسامراء ومشهد، ففي ذلك تمام حجّهم.
- من أخلاقيات زيارة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والتواجد في مدينة النجف الأشرف: استحضار عظمة الشخصية العلميّة والمعنويّة والميدانيّة لأمر المؤمنين عليّ عليه السلام، واستحضار شخصيّته المتفانية في سبيل الله ورحلته الجهاديّة الطويلة، كما يُفضّل للزائر استحضار أبوّته عليه السلام له، وبنوّته له عليه السلام؛ ليكون قريباً من أبيه مولى المتّقين عليه السلام.
- تكتسب كربلاء خصوصيّتها من واقعة كربلاء الأليمة، حيث مصارع

- الكرام من آل محمد عليهم السلام، واستشهاد الإمام الحسين صلوات الله عليه مع ثلثة طاهرة زكية من أولاده وإخوته وأبناء عمومته وأصحابه.
- كربلاء جامعة بين الحزن والشجن، والمآسي والمحن، وبين العزة والإيثار والكرامة والبطولة، والوعي والنضج والأخلاق الكريمة.
- كربلاء: هي قصة الإنسان السوي الملتزم الذي واجه تياراً عارماً من الانحراف في الفكر والعقيدة والأخلاق والسلوك، فانتصر بصموده ودمه على سوء التاريخ وشنار الإنسانية.
- الحزين الهائل من الحزن والشموخ، الذي تكتنزه كربلاء، يفترض أخلاقيات استثنائية بكل المقاييس، وعلى الزائر أن يجسد واقع حال كربلاء في خزينها المعنوي.
- من أخلاقيات زيارة الإمام الحسين عليه السلام وشهداء الطف: مراعاة حرمة الواقعة الأليمة، وتقصي تفاصيلها، والاستفادة من دروسها، والإشراف أو المشاركة ببعض الفعاليات الصحيحة.
- ننصح الزائر لكربلاء - لاسيما في المناسبات الكبيرة - عدم المكوث الطويل؛ تسهلاً لحركة الزائر، فإن كربلاء هي معلّم الإيثار والتضحية، وهذا مورد لذلك.
- لابد للزائر من الالتزام بإقامة الصلاة، تيمناً بالإمام الحسين عليه السلام الذي صلى بأصحابه في ظهر العاشر في كربلاء والأعداء يطلبونه.
- الكاظمية أهم مدينة دينية في بغداد، وقد اكتسبت أهميتها من مرقدي الإمامين الكاظم والجواد عليهما السلام، وهي مدينة دينية وعلمية.
- عاش الإمامان الكاظم والجواد عليهما السلام غربيين مضطهدين إلى أن استشهدا في الغربية، وهذا ما ينبغي استحضاره عند زيارتهما.

- يعتبر مرقد الإمام الرضا عليه السلام من أكبر المشاهد الدينية في مدرسة أهل البيت، ويؤمّه المؤمنون من أصقاع الأرض رغم بُعد المسافة، وقد اكتسبت مدينة مشهد مكانتها الدينية والعلمية من مرقدته عليه السلام.
- من أهمّ أخلاقيات زيارة الإمام الرضا عليه السلام استحضر وحدته وغربته في أرض طوس، والحرص على طول المكوث عنده، تعبيراً عن الحضور الدافع للوحدة والوحشة والغربة التي عاشها عليه السلام.
- خصوصية سامراء تكمن في كونها تشتمل على محطات تُشكّل علامات فارقة في تاريخ مدرسة أهل البيت، فقد شهدت توارد ثلاثة من أئمة أهل البيت عليهم السلام تبعاً، كما أنّها شهدت ولادة الإمام المهدي عليه السلام وغيبته، فهي مدينة الأحداث الساخنة.
- من أهمّ أخلاقيات التواجد في سامراء: استحضر الصلة الوثيقة بالإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه، والاهتمام البالغ بقراءة الأدعية الخاصة به عليه السلام، من قبيل دعاء الفرج ودعاء الندبة ودعاء العهد، وبعض الزيارات المخصصة، وتجديد البيعة له عليه السلام، والإكثار من تلاوة الآية: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾.
- الأولياء هم المتعلقة قلوبهم بذكر الله، الآمنون المطمئنة قلوبهم، والشهداء هم الذين جاهدوا بأمورهم وأنفسهم وأرخصوا مهجهم في سبيل الله، والصالحون هم أهل الفضل والخلق الحسن، وقد تجلّى فضلهم في العمل الصالح كما تجلّى خلقهم الحسن في خدمة الناس.
- من أخلاقيات زيارة الأولياء والشهداء والصالحين والقُربى المؤمنين: التعاطي معها على أنّها زيارات تكميلية لزيارات الأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام، وأن تكون زيارتهم بقصد العبرة والعبرة، لا

بقصد تمضية الوقت أو السباحة والترفيه، ولا بأس بالجمع بين الأمرين، وأن تُولي المزورين عناية تُظهرها من خلال تلاوة القرآن.

- يكفي التعرّف أنّ في المقابر قبراً لوليّ أو لشهيد أو لمؤمن أو لذوي القربى فتعمّم ما تقرأه من قرآن وزيارة ودعاء للجميع، ومنه: اللّهُمَّ أدخل على أهل القبور السرور، اللّهُمَّ أدخل عليها روحاً من عندك وسلاماً.
- لزيارة القبور ثمرات معنويّة كثيرة، منها ما يخصّ الزائر، ومنها ما يخصّ المزور، من قبيل تحصيل الرادع العملي من الانجراف إلى الدنيا، فالموت قوّة ردع هائلة، ولذلك استعمله القرآن بكثافة في توجيه الإنسان.
- زيارة القبور نافذة إحياء القلوب ومحطّة للتذكّر وقراءة سالف الأعمال.
- من ثمار زيارة القبور للزائر نفسه: أنّها تذكّره بصالح أعمال الموتى الصالحين، فتكون له تذكرة لتدارك ما فاتته منها، ولذلك تتأكّد زيارات الأنبياء والأئمّة عليهم السلام.
- من الثمرات المعنويّة المتعلّقة بالأموات عند زيارتهم: أنّها تعود عليهم بالمغفرة وصالح الأعمال، فأجر التلاوة والدعاء لهم بالمغفرة يصل إليهم ويتنفعون بها كثيراً، كما لو أنّك قد قضيت عنهم ديناً.
- الخصوصيّات الملحوظة في أخلاقيّات زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام: اعتبار زيارته مدخلاً إلى شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام، فهو قائد جنده وحامل لوائه، واستحضار إشارته المنقطع النظر، واستحضار كفالتة واستسقائه لعيال الإمام الحسين عليهما السلام.
- عند زينب الكبرى تُسكب العبرات، حيث شجون الدهر، ومصائب الزمان، وعلى الزائر استحضار صمودها ورباطة جأشها، واستحضار شموخها وبطولتها، والتعويض بالوقوف على قبرها الشريف عن

- الوقوف على قبر أمها السيّدة فاطمة الزهراء عليهما السلام.
- من خصوصيّات مسجد الكوفة أنّه أحد الأماكن الأربعة التي يتمّ فيها الزائر غير المقيم صلاته، وأنّه قد شهد خلافة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وشطراً من أحداث ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وأنّه سيشهد مستقبلاً قيام دولة العدل الإلهي.
- لا ينبغي لزائر مسجد الكوفة أن يترك زيارة مسجد السهلة، فإنّ بينهما ارتباطاً وثيقاً، وعلاقة وثيقة بالخلافة والإمامة.
- ينبغي للزائر أن يُظهر شعور الارتباط بالآخرين من إخوته المسلمين في أصقاع الأرض، لاسيّما من تربطه بهم رحم أو قرابة، فيزور عنهم.

مذاكرة

- ما هي الرسالة المشتركة لسائر الأنبياء؟
- كيف تدخل زيارتنا لمراقد الأنبياء في نشر ثقافة التعرّف عليهم؟
- ما هي العلاقة بين دعوة الأنبياء والنبوة الخاتمة وإقامة دولة العدل؟
- ما الذي ينبغي مراعاته عند زيارة الأنبياء عليهم السلام؟
- ما هو أثر الاستخفاف بالأنبياء وأولي العصمة صلوات الله عليهم؟
- كيف يتسنّى لنا نشر قصص الأنبياء؟ وما الذي يجب الحذر منه؟
- ما هي أخلاقيات زيارة أئمة أهل البيت عليهم السلام المتممة؟
- ما هي علاقة زيارة أئمة أهل البيت بزيارة الرسول صلوات الله عليهم؟
- كيف ولماذا تتأكّد زيارة أئمة أهل البيت عليهم السلام للحجّاج؟
- ما هي أهمّ أخلاقيات زيارة الإمام عليّ عليه السلام والتواجد في النجف؟
- من أين تكتسب كربلاء خصوصيّتها؟
- ما هي المدينة الجامعة بين الحزن والعزّة والبطولة والوعي؟

- ماذا نعني بقولنا: كربلاء هي قصّة إنسان سويّ ملتزم؟
- ما الذي يفترضه علينا الخزّين المعنوي الهائل في كربلاء؟
- ما هي أهمّ أخلاقيات زيارة الإمام الحسين عليه السلام وشهداء الطفّ؟
- ما وجه تفضيل عدم المكوث الطويل لزائري كربلاء؟ ومتى يكون ذلك؟
- ما هو شاهد الارتباط الوثيق بين كربلاء والصلاة؟
- ما وجه تسمية مدينة الكاظميّة بذلك؟ ومن أين اكتسبت أهمّيّتها؟
- ما الذي ينبغي استحضاره عند زيارة الإمامين الكاظمين عليهما السلام؟
- ما هو أكبر المراقد مساحّة في مدرسة أهل البيت؟
- ما هي أهمّ أخلاقيات زيارة الإمام عليّ الرضا عليه السلام؟
- ما خصوصيّة سامراء؟ وما وجه تسميتها بمدينة الأحداث الساخنة؟
- ما هي أهمّ أخلاقيات التواجد في سامراء؟ وما الذي ينبغي قصده عند قراءة الآية: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾؟
- من هم الأولياء والشهداء والصالحون؟ وأين تجلّ فضلهم وخُلُقهم؟
- ما هي أخلاقيات زيارة الأولياء والشهداء والصالحين وقُربى المؤمنين؟
- ما هي الثمرات المعنويّة في زيارة القبور؟
- ماذا نعني بقولنا: زيارة القبور نافذة لإحياء القلوب، ومحطّة للتذكّر؟
- لزيارة القبور ثمار للزائر والمزور، أوجزها.
- ما هي الخصوصيّات الملحوظة في أخلاقيات زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام؟
- ما الذي ينبغي استحضاره عند زيارة السيّد زينب الكبرى؟
- ما هي خصوصيّات مسجد الكوفة؟ وما صلته بمسجد السهلة؟
- ما الذي ينبغي للزائر أن يُظهره للآخرين عند زيارة المراقد والقبور؟

الدرس العاشر

أخلاقيات زيارة العلماء وطلبة العلم

- أهداف الدرس
- تمهيد
- التكريم القرآني للعلم والعلماء
- التكريم الروائي للعلم والعلماء
- الشخصية المعنوية للعالم وطالب العلم
- لزوم صيانة حرمة العلماء وطلبة العلم
- الموازنة بين حفظ حرمة العلماء، وتوجيه النقد الموضوعي
- أخلاقيات زيارة العلماء
- أخلاقيات زيارة طلبة العلم
- زيارة قبور العلماء وطلبة العلم
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- بيان أهمية العلم والعلماء، وتكريم القرآن والسنة لهما
- الكشف عن ملامح الشخصية المعنوية للعالم وطالب العلم
- بيان لزوم صيانة حرمة العلماء وطلبة العلم
- بيان عدم التعارض بين حفظ حرمة العلماء وبين توجيه النقد لهم
- بيان انحصار النقد الموجه للعلماء وطلبة العلم بأهل العلم
- تحرير أخلاقيات زيارة العلماء وطلبة العلم
- الكشف عن أهمية زيارة قبور العلماء وطلبة العلم

تمهيد

لما أجمعت النصوص الدينية والقوانين الوضعية والأعراف العقلانية على تعظيم العلم وتكريم العلماء، وأن الكرامة الحقيقية للإنسان إنما تكمن في عقله وعلمه وتدبره، وأن العمل والعبادة موقوفان على العلم، فإنه يصبح لزماً على كل إنسان أن يكون متعلماً، كحد أدنى، فإذا ما كان الإنسان عالماً أو متعلماً بالمعنى الأخص - أي: أن يكون طالب علم - وليس مجرد متفقه في الدين، فإن له حقوقاً على الأمة، ومنها زيارته وتفقدته وإعانتته على إنجاز مهامه، وحيث إن زيارة العالم وطالب العلم لها خصوصيات فقد نشأت الحاجة للبحث في أخلاقيات زيارة العلماء وطلبة العلم، وذلك بعد بيان بعض خصوصيات العلم وطالب العلم، وهذا ما نريد التعرض له في هذا الدرس.

التكريم القرآني للعلم والعلماء

وردت نصوص قرآنية كثيرة تشير إلى عظمة العلم وكرامة أصحابه، حيث جعل الله تعالى أهل العلم شهوداً معه ومع ملائكته على وحدانيته

وعدله، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ (آل عمران: ١٨)، وإنما قبل شهادتهم لأنها شهادة تحقيقية منتجة، ومع أن وحدانيته سبحانه وعدله ثابتان عقلاً، كما أن عدله شاهد على وحدانيته، وألوهيته مقتضية لعدله، مع ذلك كله إلا أنه سبحانه أكرم العلماء بالشهادة له على وحدانيته وعدله، كما قرنهم بنفسه في موضع آخر في الكشف العلمي عن بطن القرآن وتأويلاته؛ قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (آل عمران: ٧)، وبهذه الراسخية في العلم بلغوا الخشية الحقيقية منه سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨)، فاستحقوا لذلك كله الرفعة في المقام والعلو في الشأن والسمو في الدرجات؛ قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١)، وهذا هو قمة التكريم الذي يمكن أن يحظى به إنسان، وهو التكريم بالشهادة والراسخية والخشية ورفعة الدرجات، وبهذه القيم المعرفية والمعنوية المترتبة على العلم ينبغي يكون ملحوظاً في تشخيص الناس، فليس للجاه والسلطان والمال وكثرة الأولاد ميزة واقعية تستحق التقسيم؛ لأنها أمور لا تمثل جزءاً أساسياً من هوية الإنسان، بخلاف العلم وآثاره المعنوية، فإنه يمثل جزءاً أساسياً في تشكّل شخصية الإنسان، ولذلك نجد القرآن الكريم يلفت أنظارنا إلى هذه الحقيقة من خلال عقد مقارنة سريعة بين الواجد لهذه الأساسيات وبين الفاقد لها. قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ٩)، أي: من كان ذا علم بالله والشرعية بنحو يدعو إلى العبادة والخشية من الله فإنه لا يمكن أن يقاس به الشخص الفاقد لذلك، مهما كان الفاقد واجداً لأمور أخرى، فليس

بعد معرفة الله وعبادته وخشيته شيء يستحق الاعتبار وفق المنطق القرآني، وإنما الأشياء الأخرى تكون لها قيمة معتبرة عند ضمّها إلى ذلك الأساس الذي لا بدّ منه، ولذلك جاءت الخاتمة في الآية: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾، أي: إنّما يتعظ بهذا الدرس القرآني الجليل القدر أصحاب العقول النيرة، وفقد العقل لا لبّ له، بمعنى أنّه مجرد قشر فارغ لا يجدي نفعاً، أو قل بعبارة قرآنية: ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ (الغاشية: ٧)، ولذلك يُقرّر لنا القرآن بأنّ الكرامة الحقيقيّة للإنسان تكمن في عقله وفي علمه وفي تدبّره، فإذا تحقّقت هذه الكرامة وأريد التفاضل بين أصحابها فإنّ مناط التفاضل يكون هو التقوى، أي: الاتقى منهم هو الأفضل والأولى، ولا يكون هذا المنطوق والمقياس القرآني إلّا بعد الفراغ من تلك المقدمات والأساسيات المتمثلة بالعلم المقتضي للخشية من الله تعالى، بل إنّ العلم الإلهي المقتضي للخشية هو بنفسه مقتضٍ للتقوى، وهل التقوى إلّا أثر عمليّ للمعرفة الإلهيّة والخشية من الله؟ لذلك من الصواب بمكان القول بأنّ العلم الإلهي هو دين الله الذي به يُعبد^(١)، وبه تكون المقامات والدرجات، وبه يكون الأجر والثواب.

(١) الدين الذي يمثل فطرة الله في الإنسان، أو كما يقول علماء تاريخ الأديان: (الدين طبيعة أصيلة في الإنسان)، وليس عقدة نفسيّة حصلت لخوف الإنسان أو لعجز أو لضعف أو لعوامل أخرى مجهولة. فالدين الفطري هو الأصل الذي ينطلق منه الإنسان في تشكيل أفكاره وسلوكه وليس حالة عارضة، ولذلك جاء التعبير القرآني الصريح: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠)، أي: نتيجة الانغماس في تفاصيل الحياة الماديّة يتجاهل الإنسان فطريّة الدين، والذي ينساق بهاديّاته نحو متاهاتها وتُغيب صوت الفطرة السليمة لديه إنّما يمارس عملاً غير منطقيّ، أشبه ما يكون بالسباحة ضدّ التيار، فيوقع نفسه في تناقضات خطيرة.

بعبارة أخرى: إنّ العلم الإلهي هو سرّ خلق الخلق، وسرّ الاجتباء، وهو سرّ الارتقاء، وهو سرّ القرب، وهو سرّ العطاء، وسرّ قبول الأعمال، وهو السرّ في أن يكون الإنسان إنساناً، وهو السرّ في كلّ فضيلة ومكرمة ومنزلة، وهو السرّ في توطيد أركان الدين في العقل والقلب والنفس، وكلّما تعمّق العلم الإلهي تعمّق البعد الديني في الإنسان وانطبع أثره في فكره وسلوكه، وهذه العلاقة الجدلية يحكيها القرآن الكريم، فإذا ما اعتبرنا أنّ الخشية من الله تعالى هي التعبير العملي للدين، وأنّ التفكير في خلق الله والتدبّر في قدرته والسير في آياته الآفاقية تعبير عمليّ عن العلم الإلهي المطلوب تحقيقه - ولو بأدنى مراتبه - فإنّه من المنطق بمكان انعقاد تلك الجدلية التصاعديّة بين العلم الإلهي والدين، وإنّما أسمينا التدبّر في آيات الله الكونيّة علماً إلهياً لأنّه علم بمخلوقاته سبحانه، وإلى هذا يشير القرآن بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَّابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨)، أي: إنّما يخشى الله من عباده من كان عالماً بتلك الآيات ومتدبّراً فيها، فلا تمرّ تلك التفاصيل الكثيرة والأعيان الكونيّة على بصره وبصيرته مرور الكرام، فإذا ما تفكّر فيها نتج عنها التدبّر الحقيقي في قدرة الله تعالى وحكمته، وعندئذٍ سيكون منطقياً حصول الخشية منه سبحانه، بل إنّ حصول هذه الخشية نتيجة التفكير في خلق الله والتدبّر في آياته لا يشترط فيها تحصيل الحالة الدينيّة المألوفة، من صلاة وصيام وأدعية، وإنّما هو نفس التفكير والتدبّر موجب لتلك الخشية، وقد تحصل الخشية والخشوع لشخص متفكّر في آثار الله تعالى ما لا يحصل لعابد زاهد غير متفكّر في آيات الله تعالى وخلقهِ^(١).

(١) من ذلك ما يُنقل عن عالم الرياضيات الهندي المسلم الدكتور عناية الله خان المشرقي

(ت: ١٩٦٣م)، صاحب كتاب (التذكرة) في تفسير القرآن على ضوء المكتشفات العلمية الطبيعية، بأنه في عام (١٩٠٩م) رأى العالم الفلكي المشهور (السير جيمس جينز، الأستاذ بجامعة كامبريدج) ذاهباً إلى الكنيسة، والإنجيل والشمسية تحت إبطه، يقول: «فقلت له: ما الذي يدفع رجلاً ذائع الصيت في العالم مثلك أن يتوجّه إلى الكنيسة؟ فتوقّف السير جيمس لحظة ثم قال: عليك اليوم أن تحتسي شاي المساء عندي. وعندما وصلت دخلت غرفته، فوجدته منهمكاً في أفكاره. وعندما شعر بوجودي سألتني: ماذا كان سؤالك؟ ودون أن ينتظر ردّي، بدأ يلقي محاضرة عن تكوين الأجرام السماوية، ونظامها المدهش، حتى شعرت بقلبي يهتز بهيبة الله وجلاله، وأما السير جيمس فوجدت شعر رأسه قائماً، والدموع تنهمر من عينيه، ويدها ترتعدان من خشية الله، وتوقّف فجأة. ثم بدأ يقول: يا عناية الله! عندما ألقي نظرة على روائع خلق الله يبدأ وجودي يرتعش من الجلال الإلهي، وعندما أركع أمام الله وأقول له: إنك لعظيم، أجد أن كلّ جزء من كياني يؤيّدني في هذا الدعاء، وأشعر بسكون وسعادة عظيمين وأحسّ بسعادة تفوق سعادة الآخرين ألف مرّة، أفهمت يا عناية الله خان لماذا أذهب إلى الكنيسة؟ فقلت له: يا سيدي لقد تأثرت جداً بالتفاصيل العلمية التي رويتها لي، وتذكّرت بهذه المناسبة آية من كتابي المقدّس، فلو سمحتم لي لقراءتها عليكم، فهزّ رأسه قائلاً: بكلّ سرور. فقرأت عليه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر: ٢٨) فصرخ السير جيمس قائلاً: ماذا قلت؟ إنّما يخشى الله من عباده العلماء!؟ مدهش! وعجيب جداً! إنّ الأمر الذي كشفت عنه دراسة ومشاهدة استمرّت خمسين سنة، من أنبا محمّداً به؟ هل هذه الآية موجودة في القرآن حقيقة؟ لو كان الأمر كذلك، فاكتب شهادة منّي أنّ القرآن كتاب موحى من عند الله... ويستطرد السير جيمس قائلاً: لقد كان محمّد أُمياً، ولا يمكنه أن يكشف عن هذا السرّ بنفسه، ولكن الله هو الذي أخبره بهذا السرّ، مدهش! وغريب، وعجيب جداً! انظر: مجلّة الفرقان، مقالة: (ألوان الجبال... دراسات في الإعجاز). منشورة في شبكة كافور. والقصة موجودة أيضاً في كتاب (الإسلام يتحدّى... مدخل علمي إلى الإيمان) للمفكر الهندي وحيد الدين خان: ص ٢٠٤ - ٢٠٥، تعريب: ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق: د. عبد الصبور شاهين،

التكريم الروائي للعلم والعلماء

وردت أخبار كثيرة في تعظيم العلم وأهل العلم، والحث على تحصيله، وبيان آثاره الدنيوية والأخروية، فإنه: «مَنْ خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع»^(١)، وعن صفوان بن عسال قال: «أتيت النبي صلى الله عليه وآله، وهو في المسجد متكئ على برد أحمر، فقلت له: يا رسول الله! يا رسول الله! إني جئت أطلب العلم. فقال: مرحباً بطالب العلم، إن طالب العلم لتحققه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضها بعضاً حتى يبلغوا سماء الدنيا من محبتهم لما يطلب»^(٢)، وإثماً تُقبل العبادة بالعلم، بل العلم نفسه عبادة، ولذلك قُدِّم على العبادة المألوفة نفسها، فعن أبي حمزة الثمالي، عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد»^(٣)، لأنَّ العابد ينفع نفسه بخلاف العالم فهو منار لنفسه ولغيره، حتى عُدَّ طلب العلم فريضة، «والعلم مخزون عند أهله، وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه»^(٤)، وقد كان الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام يحرض أصحابه على تحصيل العلم بلغة أقرب للتهديد، فيقول: «لوددت أنَّ أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى

منشور في المكتبة الشاملة. والقصة طويلة اقتضت فيها على ما ينفع في المقام.

(١) سنن الترمذي، مصدر سابق: ج ٤، ص ١٣٧، ح ٢٧٨٥؛ الجامع الصغير، مصدر سابق:

ج ٢، ص ٥٩٨، ح ٨٦٥٧. الحديث لرسول الله صلى الله عليه وآله.

(٢) مسند أحمد، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٤٠؛ سنن ابن ماجه، مصدر سابق: ج ١، ص ٨٢،

ح ٢٢٦؛ المعجم الكبير، مصدر سابق: ج ٨، ص ٥٤؛ منية المريد في أدب المفيد والمستفيد،

للشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن عليّ العاملي (ت: ١٠١١ هـ): ص ١٠٦، تحقيق: رضا

المختاري، مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.

(٣) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٣٣، ح ٨.

(٤) المصدر نفسه: ص ٣٠، ح ٤. والكلمة للإمام عليّ عليه السلام.

يتفقهوا^(١)؛ لأنّ العلم خير واقٍ من الضلالة والانحراف، لذلك كان العلماء أمناء الأئمة وحصونها^(٢)، وإنّما يتساقط البعض في مهالك الضلال نتيجة استغنائهم عن العلم، فتكون الشبهات بضاعتهم، فعن بشير الدّهان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا خير فيمن لا يتفقه من أصحابنا يا بشير! إنّ الرجل منهم إذا لم يستغن بفقهه احتاج إليهم، فإذا احتاج إليهم أدخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم»^(٣)، ومن كان بلا علم فهو ضحية جهله، وليس ضحية أحد، فلا يلو من إلّا نفسه، ونفيه الجهل عنه مكابرة وغرور، فهو أعلم بنفسه، قال تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (القيامة: ١٤).

من هنا يتضح أنّ فضيلة العلم سابقة على فضيلة العبادة، بل إنّ فضيلة العبادة موقوفة على فضيلة العلم، وأنّ صيانة الإنسان في دينه وفي نفسه موقوفة أيضاً على تحصيل العلم والانتفاع به، وإذا كان العلم كذلك فهو فريضة حقّاً.

الشخصية المعنوية للعالم وطالب العلم

إنّ العلم الإلهي - على أهميته وجلالة قدره - يكتسب جدوائيته من خلال العمل نفسه، لا بمعنى تقدّم العمل عليه مرتبة، إذ لا خير في عمل غير مسبوق بعلم وتدبر، كما ورد في وصيّة من الرسول صلّى الله عليه وآله إلى عبد

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٣١، ح ٨.

(٢) ورد عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «العلماء أمناء». الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٣٣، ح ٥.

وعن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّ مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء، يُهتدى بها في ظلمات البرّ والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضلّ الهداة». مسند أحمد، مصدر سابق: ج ٣، ص ١٥٧؛ الجامع الصغير، مصدر سابق: ج ١، ص ٣٧٣، ح ٢٤٤١؛ منية المريد، مصدر سابق: ص ١٠٤.

(٣) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٣٣، ح ٦.

الله بن مسعود، جاء فيها: «يا ابن مسعود: إذا عملت عملاً فاعمل بعلم وعقل، وإياك وأن تعمل عملاً بغير تدبر وعلم، فإنه جلّ جلاله يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَصَتْ غَزَلُهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ (النحل: ٩٢)»^(١)، بل حتى العبادة لا خير فيها إن كانت صادرة عن جهل؛ فعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفكير... ألا لا خير في عبادة لا فقه فيها»^(٢).

وإنما المراد أنّ العلم في نورانيّته يطلب الانعكاس في غايته، وغاية العلم هو العمل به، فإن افتقد غايته فإنه إمّا أن يرتحل، كما ورد في الخبر: «العلم مقرون إلى العمل، فمن علم عمل، ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل عنه»^(٣)، أو أنّه سوف يجني على صاحبه؛ لأنّ العلم الخالي من العمل قد يورث الغرور والكبر والحيلاء والبُعد عن الله تعالى، بل هو كذلك. ويمكن أن نُمثّل للعلم والعمل بالشجرة والثمرة، فإنّ العلم هو الشجرة والعمل هو الثمرة، ومن الواضح أنّ الغرض المنظور من وراء الشجرة هو نفس الثمرة، وهكذا يكون الغرض المنظور من وراء العلم هو العمل به، وإلاّ سوف يكون مثّل العالم غير العامل بعلمه مثّل الذين حمّلوا التوراة ثمّ

(١) مكارم الأخلاق، مصدر سابق: ص ٤٥٨.

(٢) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٣٦، ح ٣؛ سنن الدارمي، للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (ت: ٢٥٥ هـ): ج ١، ص ٨٩، مطبعة الاعتدال، دمشق.

(٣) الخبر مروّي عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام. انظر: نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٤، ص ٨٥ رقم (٣٦٦)؛ شرح نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ١٩، ص ٢٨٤ رقم (٣٧٢). وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام. انظر: الأصول الكافي، مصدر سابق: ١، ص ٤٤، ح ٢.

يحملوها^(١)، سمّوا أنفسهم علماء وما هم بذلك، وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وآله محدّراً طلبه العلم من عدم العمل بمقتضى علمهم: «مَنْ ازداد علماً ولم يزد هدًى لم يزد من الله إلّا بُعداً»^(٢)، كما أنّ العامل بغير علم لهو أسوأ من ذلك^(٣).

يقول الشهيد الثاني رحمه الله: «وما أعظم اغترار العالم بالله تعالى في رضاه بالعلوم الرسميّة، وإغفاله إصلاح نفسه وإرضاء ربّه تبارك وتعالى»^(٤).

من هنا يصبح لزماً على العالم وطالب العلم أن تكون لهما شخصيّة معنويّة، لكي لا يقع في متاهات الغرور، وهذا ما ينبغي العمل عليه منذ أوّل

(١) قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الجمعة: ٥)، وقد يكون مثله أبشع من ذلك، وهو المثل الذي ضربه القرآن الكريم بشأن بلعم بن باعورا - أحد علماء بني إسرائيل الذي ترك علمه وعمل بهواه - فقال تعالى بشأنه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٦)، وهل هنالك خزي وعار أشدّ من التوصيف بالحمار وبالكلب؟

(٢) عدّة الداعي، مصدر سابق: ص ٦٥؛ محاسبة النفس، للشيخ العلامة الثقة تقيّ الدين إبراهيم بن عليّ الكفعمي (ت: ٩٠٥ هـ): ص ١٦٨، تحقيق: الشيخ فارس الحسون، مؤسّسة قائم آل محمّد عليه السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ، قم المقدّسة؛ منية المريد، مصدر سابق: ص ١٥٢؛ تنبيه الخواطر، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢١.

(٣) كما ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «العامل على غير بصيرة كالسائر على غير طريق، لا يزيده سرعة السير إلّا بُعداً». المحاسن، مصدر سابق: ج ١، ص ١٩٨، ح ٢٤؛ الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٤٣، ح ١؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٤، ص ٤٠١، ح ٥٨٦٤؛ أمالي الشيخ المفيد، مصدر سابق: ص ٤٢، ح ١١.

(٤) منية المريد، مصدر سابق: ص ١٥٥.

خطوة تُخطى في مجال العلم، فلا يخطو الطالب خطوة في طريق العلم إلا ومعها خطوة في طريق الأخلاق وبناء الشخصية المعنوية، فالعلم بناءً ظاهري يُفضي إلى الغرور، والشخصية المعنوية بناءً باطني تُفضي إلى التواضع، ولا خير في علم لا تواضع معه، وأماننا الدرس القرآني العظيم حول استكبار وغرور إبليس، فهو كان عالماً، ولكن علمه لم يصبغ بالشخصية المعنوية والتواضع، ولذلك لم يستجب لأمر السجود؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٤)، فالعلم يرفع في منزلة الإنسان ومرتبته الكمالية، ولكنه سرعان ما يُسقطه عن الاعتبار فيما إذا خلا من الشخصية المعنوية الباطنية، ولذلك نجد الإمام عليّ زين العابدين عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق يُلفت نظرنا إلى هذه النكتة الجليلة، فيقول: «ولا ترفعي في الناس درجةً إلا حططتني عند نفسي مثلها، ولا تحدث لي عزاً ظاهراً إلا أحدثت لي ذلةً باطنة عند نفسي بقدرها»^(١).

إن الحاجة إلى تغذية الشخصية المعنوية تبقى قائمة كما هو الحال في العلم، فالعالم لا يبلغ حدّاً يتوقف عنده، ومن ظنّ ذلك فهو في تردّد وسقوط، وإنّما العلم بحر لا حدّ له، تغترف منه ما تستطيع، بلا كلل ولا ملل، وهنا نجد القرآن يُريّنا على طلب الزيادة في العلم؛ قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (طه: ١١٤)، و: «على المتعلّم أن يدأب نفسه في طلب العلم، ولا يملّ من تعلّمه، ولا يستكثر ما علّم»^(٢)، وهكذا الحال بالنسبة لتدعيم الشخصية المعنوية، فلا يركن إلى نفسه، وأن يحذر كثيراً من مقوّضات الشخصية المعنوية، من قبيل الغيبة والبهتان والعُجب والرياء، فتلك موبقات فضلاً عن كونها تكشف عن سوء

(١) الصحيفة السجّادية الكاملة، مصدر سابق: ص ٩٩ رقم الدعاء (٢٢).

(٢) عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق: ص ٣٢٨. الكلمة لأمر المؤمنين عليه السلام.

الطويّة، وأنها امتدادات للحسد والغضب وسوء الظنّ، فإنّها تُحطّم صرح الشخصية المعنويّة وتُقوِّض أركان الفضيلة، على المستوى الشخصي والاجتماعي، بمعنى: أنّه يعيش اضطراباً شديداً في بناء الشخصية ويريد للمجتمع أن يعيش معه اضطرابه الشخصي، فهو منطوٍ على شخصية مريضة، وأمراضها معدية مُحلّة بالنظام الصحيّ النفسي والأمنيّ العامّ.

لزوم صيانة حرمة العلماء وطلبة العلم

إنّ حرمة الدين بعمقه التاريخي وامتداده المستقبلي، بنضال رجاله وعظيم تضحياتهم، بكلّ آفاقه ومحتوياته، وبكلّ مضامينه ومعطياته، وبكلّ ما ينتمي إليه، إنّما هو مقرون بحفظ كرامة وحرمة حاملي لوائه، وحاملو لواء الدين هم العلماء وطلبة العلم، ولذلك يلزم على الجميع صيانة حرمة العلماء وطلبة العلم. إنّ هذه الحرمة ليست حرمة شخصية، وإنّما هي حرمة تراث ومعطيات وتضحيات، وحرمة الماضي والحاضر والمستقبل، وحرمة النبوات والوحي والوصايا والتعاليم وكيانها الإلهي، فالعلماء هم ورثة الأنبياء، وهم الامتداد الطبيعي لذلك الصرح الإلهي المتمثل بالنبوة والإمامة والخلافة الإلهية، وبذلك تشتدّ صيانة حرمة الدين بصيانة حرمة العلماء، فيكون التعديّ عليهم تعدياً على كلّ ذلك الإنجاز التاريخي الطويل الأمد، وتعدياً على التأسيس الإلهي للنبوة والإمامة، وتعدياً على كلّ المنجزات الإصلاحية التي نهض بها رجال الله وحملة ألوية العلم والأخلاق والفضيلة.

ولا ريب أنّ حفظ حرّمات العلماء وطلبة العلم لا تقتصر على جهة دون أخرى وإنّما هي مسؤوليّة الجميع، فكما أنّ حفظ حرمة الدين وتطبيقاته هو مسؤوليّة الجميع فإنّ حفظ حرمة العلماء وطلبة العلم هو مسؤوليّة الجميع؛ ومن مصاديق حفظ تلك الحرمة ما يلي:

أولاً: عدم التطاول عليهم والنيل من شخصهم ولا من شخصيتهم العلمية، فإنهم سَخَّروا حياتهم وأوقاتهم لخدمة العلم والأمة، فلا يُجازون عن ذلك إلا بالتقدير والاحترام والشكر والثناء، حتّى مع وقوع التفاوت في عطائهم، و: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن: ٦٠)؟

ثانياً: العمل على نشر نتاجاتهم العلمية، لاسيّما مع عدم مكنتهم - أي: العلماء وطلبة العلم - من ذلك، فإنّ وظيفتهم العلميّة تجاه الأمة لا تقتضي منهم التكفّل بنشر علومهم، وإنّما على النخب والأمة أن يتكفّلوا بذلك، فيمكنوهم من إيصال علومهم للأمة، حتّى مع وقوع الاختلاف معهم، أو عدم التوافق معهم في أمور ثانويّة لا تخصّ التّاج العلمي، فإنّ حبس علومهم مع المكنة على نشرها يُعدّ من البخس، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (الشعراء: ١٨٣)، وعدم الميل لشخصهم لا يكون موجبا لمنع نشر نتاجهم، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

ثالثاً: عدم التجنّي عليهم بنسبة أقوال أو أفعال لم يأتوا بها، سواء ما تعلّق منها بنتاجهم العلمي أو بأمورهم الشخصية، فذلك عمل خطير جداً، فهو فضلاً عن كونه زوراً وبهتاناً فإنّه سيكون سبباً في إضعافهم، وتقويض شخصيتهم العلميّة، وتحجيم دورهم، بل وحجبهم عن الأمة، وفي ذلك خسارة عظيمة للدين وللأمة، وإذا كان كسر قلب المؤمن يوجب جبره^(١) فكيف بكسر الشخصية العلميّة للعلماء وطلبة العلم؟! على أن كسر الشخصية

(١) عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «... من كسر مؤمناً فعليه جبره». الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤٤، ح ٢؛ الخصال، مصدر سابق: ص ٤٧، ح ٤٨.

العلمية هو أشدّ خطورة من كسر الشخص نفسه، بمعنى أن قتل الشخصية أعظم من قتل الشخص نفسه.

الموازنة بين حفظ حرمة العلماء وبين توجيه النقد الموضوعي

إنّ حفظ حرمة العلماء وطلبة العلم وصيانة كرامتهم أمر لا بدّ منه، ولكنّه لا يقف عائفاً بوجه النصّح لهم وتوجيه النقد في الأمور التي تقتضي ذلك، فإنّ العلماء وطلبة العلم ليسوا من أهل العصمة، فالوقوع في الخطأ في تصوّراتهم ورؤاهم العلمية مهما كانت نسبته قليلة بالنسبة لغيرهم إلّا أنّها ممكنة الوقوع، وبالتالي لا بدّ من تقديم النصّح لهم، وهنا فيما يتعلّق بالقضايا العلمية لا بدّ أن يكون الناقد فيها من أهل الفنّ والصنعة، أي: من طبقة العلماء أو الفضلاء، ولا يحقّ لغيرهم توجيه النقد، إلّا إذا كان الخطأ ظاهراً ومخالفاً للمسلّمات، حيث يُمكن لغير العلماء وطلبة العلم من اكتشاف الخطأ في ذلك، فتعمّد عندئذ دائرة النقد، ولكنّ مثل هذا الاحتمال قليل.

وأما فيما يتعلّق بأمور لا ترتبط بتناجهم العلمي - كما هو الحال في أمور إدارة الأمانة ورعاية شؤونها - فإنّ باب النقد مفتوح لأهل الصنعة في ذلك، وليس لكلّ من هبّ ودبّ، ولا بدّ من وجود قوّة ردع تمنع من وقوع التجاوز على العلماء وتحاسب المتطاولين عليهم، وقد قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٩)، لاسيّما ضرورة حفظهم من ضعف النفوس وأراذل الناس، فتلك مسؤوليّة شرعيّة، وقد قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (الصافات: ٢٤)، فالحذر الحذر من تعريضهم للانتهاك.

وبهذا القدر من المسؤوليّة والموازنة بين حفظ كرامة العلماء وشخصيّاتهم العلمية وبين توجيه النقد لهم، فإنّ على العالم أن لا يظهر علمه إلّا بعد أن يستحكم، بمعنى أن تنتظم فصوله وتُحكم أدلّته وتُضح مطالبه، فلا تأخذه

العجلة في نشره ثم يضطرّ إلى نقضه أو التشكيك به عند اكتشاف ضعفه أو عدم صلاحيته، فإنّ النشر قبل الاستحكام فيه ضرب من الجهالة والغرور، ولا ينبغي للعالم أن يكون كذلك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام جعفر الصادق عليه السلام كلمة قيّمة مُشيرة إلى هذا المعنى، وهي: «إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له»^(١)، كما هو الحال في الثمرة فإنّ قطعها قبل أوان نضجها مفسد لها، وعلى هذا جرت سيرة العقلاء، ولا يبعد أن يدخل مصداق من أظهر علمه قبل استحكامه ضمن عنوان التصدي قبل الأوان، والتصدي قبل الأوان - لاسيّما في العلوم الدينيّة - يكشف عن الإعجاب الشديد بالنفس والاعتزاز بها، حتّى يصل المقام به إلى التوقّل على الله تعالى بغير علم، كما أنّ العالم المغترّ بنفسه قد لا يقبل نداء الحقّ، حيث يمنعه ذلّ التراجع عمّا أفتى به، فيستجيب لحيلائه وكبره، ويضرب بالحقّ عرض الجدار، يُصوّب رأيه مطلقاً، ويُسفّه آراء الآخرين وإن كانت صواباً، تعتناً وغروراً، فيكون مصداقاً للآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُذُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ (غافر: ٥٦).

أخلاقيات زيارة العلماء

بعد تلكم المعطيات المتعلقة بتكريم العلماء وطلبة العلم والشخصيّة المعنويّة التي ينبغي أن يتّصفوا بها، ولزوم حفظ حرمتهم وعدم التجاوز عليهم، نأتي إلى محلّ الكلام، وهو أخلاقيات زيارة العلماء، سواء كانت من طلبة العلم أو عامّة الناس، ومن تلك الأخلاقيات:

(١) المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي: ج ٢، ص ٦٠٣، ح ٣١؛ تحف العقول، مصدر سابق: ص ٤٥٧؛ مكارم الأخلاق، مصدر سابق: ص ٣١٩.

أولاً: ينبغي لجميع المكلفين عدم الانقطاع عن زيارة العلماء في مكاتبهم أو في أماكن تواجدهم، من دون الدخول في مزاحمتهم، بمعنى أن الوقت الذي يتيح العلماء لزوارهم ينبغي استغلاله، فلا يطلبوا مراجعتهم في أوقات أخرى إلا عند الاضطرار لذلك، وهذا النحو من الزيارة يشمل حتى طلبه العلم، حيث ينبغي لهم عدم الانقطاع عن العلماء في هذه الزيارات العامة؛ لأن في ذلك ثمرتين، الأولى تعود على الطلبة أنفسهم، حيث إنهم سوف يشاهدون بأنهم أعينهم ويسمعون بأذانهم مجموعة من المسائل الشرعية، لاسيما المستحدثات منها، فيزدادون علماً وفهماً، والثانية تعود على العلماء أنفسهم، لأنهم سوف يشعرون بأرضيتهم وسندهم، والعالم يفرح بلقاء طلبة العلم ويأنس بهم.

ثانياً: إن كانت الزيارة لمجرد تفقد العلماء وإلقاء تحية السلام ولم تكن للأسئلة الشرعية، فليس للزائر الإطالة، حيث يكفيه القسط القليل ثم يترك الفرصة للزائر الآخر، وبعبارة أخرى: يُفضّل أن تكون للزيارة فائدة أخرى غير التحية والسلام، من أجل أن تتحوّل الزيارات العامة إلى زيارات في التفقه في الدين، وقد كان أصحاب الأئمة عليهم السلام يحرصون على ذلك، ولو لم يفعلوا ذلك لما وصلنا هذا الكمّ الكبير من الأخبار في جميع الأمور الدينية من العقيدة والفقه والأخلاق.

ثالثاً: ويتأكد المعنى المتقدم لطلبة العلم، أي: أن يجمعوا بين ثمره الاستماع وثمره السؤال، وليس لهم أن يجيبوا بشيء حول أيّ سؤال يُوجّه للعلماء إلا بإذن منهم، وإذا ما وجدوا سائلاً لا يكاد أن يستوعب جواب العالم فلهم أن يتدخلوا بأخذ السائل لتوضيح الأمر له، وذلك بعد أخذ الإذن من العالم المسؤول.

رابعاً: إذا كان عدد الزوار كبيراً، وفرصة اللقاء العام بهم ضيقة فلا بد أن يحجم السائل عن أسئلته، وله أن يطلب من العالم أن يوجّهه لأحد الفضلاء

العاملين في المكتب للإجابة عن أسئلته، بل له أن يذهب مباشرة له إذا كان عارفاً به، فإن لم يجد فعلية الانتظار حتّى انتهاء الزائرين أو المجيء في وقت آخر. خامساً: ينبغي للزائر السائل عن أموره الشرعية أن لا يُكثر الجدل في حضرة العالم، بل وأن لا يُكثر السؤال عنده، وأن لا تكون أسئلته اختبارية، فذلك من سوء الأدب في حضرته، وعليه أن يقصر أسئلته على الأمور التي يجهلها فعلاً أو التي لم تتضح له، ويتأكد هذا المعنى بالنسبة لطلبة العلم، بل طلبة العلم هو الأولى بذلك، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حكمة جامعة في أخلاقيّاتنا تجاه العلماء، يقول فيها: «إنّ من حقّ العالم أن لا تكثر عليه السؤال، ولا تأخذ بثوبه، وإذا دخلت عليه وعنده قوم فسلم عليهم جميعاً وخصّه بالتحية دونهم، واجلس بين يديه ولا تجلس خلفه، ولا تغمز بعينك ولا تشر بيدك، ولا تكثر من القول: قال فلان وقال فلان خلافاً لقوله، ولا تضجر بطول صحبتته، فإنّما مثل العالم مثل النخلة تنتظرها حتّى يسقط عليك منها شيء، والعالم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله»^(١).

أخلاقيات زيارة طلبة العلم

طلبة العلم هم علماؤنا في المستقبل، وحرمتهم وأخلاقيات التعامل معهم منبثقة من حرمة العلماء وأخلاقيات التعامل معهم، فهناك بعض الخصوصيات التي ينبغي مراعاتها، والتي تهّم طلبة العلم، وهي:

أولاً: لا ينبغي للزائرين عموماً وكذلك للأهل والأقارب مزاحمة طلبة العلم في أوقات التحصيل في مواقعهم العلمية؛ فإنّ طلبة العلم ملزمون شرعاً

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٣٧، ح ١؛ المحاسن، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٣٣، ح ١٨٥؛ الخصال، مصدر سابق: ص ٥٠٤، ح ١؛ شرح نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ١٩، ص ٢٣٢ رقم (٣٢٦).

بإنفاق أوقاتهم في التحصيل في مواقعهم العلميّة، ولا ينبغي إحراجهم في ذلك. أمّا إذا كانت هنالك دعوة موجهة منهم، فتكون الزيارة بقدر الدعوة، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يُعاني من كثرة توارد الناس على بيته، وهو بخُلُقهِ الرفيع صلى الله عليه وآله يجد نفسه محرجاً، فيتحمّل الأذى ويسكت، حتّى نزل قرآن في ذلك يُنبّه الأمة إلى الخطأ الواقع؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ (الأحزاب: ٥٣)، أي: يا أيها الذين صدّقوا بالله وبرسوله، لا تدخلوا بيوت النبي صلى الله عليه وآله إلا بإذنه، كما لو دعاكم لتناول طعام، فتأتون حال نضج الطعام لا أن تجلسوا في البيت منتظرين نضجه، فإذا أكلتم فانصرفوا غير مستأنسين لحديث بينكم؛ فإنّ انتظاركم واستئناسكم يؤذي النبي صلى الله عليه وآله، وهو يستحيي منكم، مع أنّ ذلك حقّاً له، ولكن الله لا يستحيي من بيان الحق وإظهاره.

إنّه درس بليغ علينا أن نستفيد منه في تعاطينا مع العلماء وطلبة العلم معاً، وإنّما خصّصنا طلبة العلم لأنّهم عادة ما يكونون في مرحلة التحصيل، ولا ينسجم مع التحصيل مزاحمتهم واستنزاف أوقاتهم، والفاعل لذلك، فضلاً عن كونه أساء التصرف، فإنّه لا يبعد أن يكون قد ارتكب حُرمة شرعيّة.

ثانياً: إذا كانت هنالك حاجة لزيارة أحد طلبة العلم فلا بدّ أن تكون الزيارة مسبوقة بإعلام، بزمان الزيارة وموضعها وعدد الزائرين له، لا أن تأتي بشكل مفاجئ، فإنّ تمّ إعلامه فلا بدّ من الالتزام بوقت الزيارة، وأن لا يُطال المكوث عنده إلّا إذا كان ذلك بطلب منه، وأن تُراعى ظروف طالب العلم، فلا يُكلّف بأمور تفوق قدراته وقد توقعه في الحرج، وهذه من آداب الإسلام.

ثالثاً: إذا ما تحقّقت الزيارة لأحد طلبة العلم بضوابطها الشرعيّة والأخلاقيّة،

فينبغي أن تكون زيارة مثمرة، كالاستفادة من تفقّهِه الأمور الشرعيّة والأخلاقيّة، لا أن تكون الزيارة كأَيّ زيارة لشخصٍ آخر، وأن لا يُقَحِّم طالب العلم في أمور تضرّه أو تُسبِّب له حرجاً، وإذا ما لُوحظ كراهيّة الحديث في موضوع فلا بدّ من تركه، وإذا ما سأل أحد الزائرين فليس لآخر التعرّض لجوابه، وإنّما يُترك الأمر لطالب العلم، لاسيّما في الأمور الشرعيّة، وإذا ما أجاب طالب العلم فيما سُئل عنه فلا يُجادل في ذلك، فإنّ السائل في مقام المتعلّم، والمتعلّم طوع معلّمه، له أن يسأل وليس له أن يعترض أو يُكثر الجدل^(١).

رابعاً: ينبغي إظهار الاحترام والتقدير والمودّة لطالب العلم عند زيارته، لاسيّما الصادقة منها؛ فذلك ممّا يزيد من معنويّاته، دون الوقوع في التزلّف الكاذب والتملّق والنفاق، على أنّ التزلّف والتملّق والنفاق فضلاً عن قبحه فإنّه مضرّ كثيراً من الناحية المعنويّة بشخصيّة طالب العلم.

زيارة قبور العلماء

لا ريب أنّ زيارة قبور العلماء وأهل العلم من أمة الإسلام - فضلاً عن

(١) قال الغزالي: «مهما أشار عليه المعلّم بطريق في التعلّم فليقلّده وليدع رأيه؛ فإنّ خطأ مرشده أنفع له من صوابه في نفسه! إذ التجربة تُطلع على دقائق يستغرب سماعها، مع أنّه يعظم نفعها، فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض أوقاته بالحرارة ليزيد في قوّته إلى حدٍّ يحتمل صدمة العلاج فيعجب منه من لا خبرة له به، وقد نبّه الله تعالى بقصّة الخضر وموسى عليهما السلام، حيث قال الخضر: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا؟ ثمّ شرط عليه السكوت والتسليم، فقال: ﴿فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ ثمّ لم يصبر ولم يزل في مراودته إلى أن كان ذلك سبب الفراق بينهما، وبالجملّة كلّ متعلّم استبقى لنفسه رأياً واختياراً دون اختيار المعلّم فاحكم عليه بالإخفاق والخسران». إحياء علوم الدين، مصدر سابق: ج ١، ص ٥٠.

كونها تعبر عن رسالة شكر وتقدير لتلك الشخصيات العظيمة على ما قدّمها من خدمات جليلة وتضحيات عظيمة - تحقّق هدفاً يشمل غير الزائر والمزور، ويتمثّل بنشر ثقافة توجيهيّة للأجيال في الحاضر والمستقبل، مفادها: أنّ ما نقدّمه من عناية ورعاية في زيارتنا لتلك الشخصيات الكبيرة إنّما هو التعبير الصادق عن الجزاء الدنيوي الذي يستحقّونه منّا، لتنشأ عند الأجيال الجديدة قاعدة معنويّة تفيد بأنّ الذين يسلكون طريق الحقّ والهدى ويقدمون أعمالهم وأنفسهم في سبيل ذلك فإنّهم يستحقّون الذكر الحسن والثناء الجميل، والخلود في الذاكرة، فهم يقهرون الزمان بذكرهم الطيّب الحسن، فهم أحياء في ضمير الإنسانية ووجدان الأئمة، وليصدق في حقّهم ما قاله أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «العلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة»^(١)؛ قال ابن أبي الحديد: «هذا الكلام له ظاهر وباطن، فظاهره قوله: (أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة)، أي: آثارهم وما دونوه من العلوم، فكأنّهم موجودون، وباطنه أنّهم موجودون حقيقة لا مجازاً، على قول من قال ببقاء الأنفس، وأمثالهم في القلوب كناية ولغز، ومعناه ذواتهم في حظيرة القدوس، والمشاركة بينها وبين القلوب ظاهرة، لأنّ الأمر العامّ الذي يشملها هو الشرف، فكما أنّ تلك أشرف عالمها، كذا القلب أشرف عالمه، فاستعير لفظ أحدهما وعبر به عن الآخر»^(٢).

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٤، ص ٣٥، ح ١٤٧ (من كلام له عليه السلام لكميل بن زياد النخعي)؛ شرح نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ١٨، ص ٣٤٦ رقم (١٤٣)؛ الخصال، مصدر سابق: ص ١٨٦، ح ٢٥٧؛ أمالي الشيخ المفيد، مصدر سابق: ص ٢٤٧، ح ٣؛ أمالي الشيخ الطوسي، مصدر سابق: ص ٢٠، ح ٢٣؛ تحف العقول، مصدر سابق: ص ١٧٠.

(٢) شرح نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ١٨، ص ٣٥٠.

كلمات على الطريق

- قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «إذا جلست إلى عالم فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلّم حسن الاستماع كما تتعلّم حسن القول، ولا تقطع على أحد حديثه»^(١)؛ إذا تكلم العالم فعلى الحضور أن يستمعوا وينصتوا إليه، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا﴾ (الأحقاف: ٢٩).
- عند زيارتك العلماء اذهب بزيتك من الثياب النظيفة والجديدة، والطيب؛ احتراماً وتقديراً وتوقيراً منك للعالم المزار، وعند اللقاء به عرّف بنفسك وإن كنت قد زرته من قبل، فإن جلست بين يديه فتأدّب في جلستك، فلا ترفع صوتك ولا تكثر الحركات، ولا تُخطئه ولا تماريه ولا تجادله، فإن من وصايا لقمان الحكيم في شأن العلماء قوله: «لا تجادلهم فيمنعوك»^(٢)، ولا تذكر عنده أحداً بسوء، و: «إن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته»^(٣).
- إذا كان: «النظر إلى العالم عبادة»^(٤)، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، فكيف بمجالستهم؟ ولذلك ورد في وصايا لقمان الحكيم لابنه:

(١) المحاسن، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٣٣، ح ١٨٧؛ الاختصاص، مصدر سابق: ص ٢٤٥؛ السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، لأبي جعفر محمد بن المنصور بن أحمد بن إدريس الحلي (ت: ٥٩٨ هـ): ج ٣، ص ٦٤٦، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ.

(٢) تفسير القمي، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٦٣.

(٣) المحاسن، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٣٣، ح ١٨٥؛ الخصال، مصدر سابق: ص ٥٠٤، ح ١.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٠٥، ح ٢١٤٤؛ أمالي الشيخ الطوسي: ص ٤٥٤، ح ٢١؛ عدة الداعي: ص ٦٦؛ الجامع الصغير: ج ١، ص ٥٦٠، ح ٣٦٢١. (مصادر سابقة)

«يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك، فإن الله عز وجل يُحيي القلوب بنور الحكمة كما يُحيي الأرض من ماء السماء»^(١).

خلاصة الدرس

- أجمعت النصوص الدينية على تعظيم العلم وكرامة أصحابه، حتى أشهد الله تعالى أهل العلم على وحدانيته وعدله، ووصفهم بالراسخين والخشية، وهذا هو قمة التكريم الذي يُمكن أن يحظى به إنسان.
- الكرامة الحقيقية للإنسان قرآنيًا تكمن في عقله وفي علمه وفي تدبره.
- العلم الإلهي المقتضي للخشية هو بنفسه مقتضى للتقوى، وما التقوى إلا أثر عملي للمعرفة الإلهية والخشية من الله.
- قد تحصل الخشية والخشوع لشخص متفكر في آثار الله تعالى ما لا يحصل لعابد زاهد غير متفكر في آيات الله تعالى وخلقه.
- إننا نُقبل العبادة بالعلم، بل العلم عبادة، لذلك قُدِّم على المألوفة منها.
- إن فضيلة العبادة موقوفة على فضيلة العلم، وإنَّ صيانة الإنسان في دينه وفي نفسه موقوفة أيضاً على تحصيل العلم والانتفاع به، وإذا كان العلم كذلك فهو فريضة حقاً.
- العلم الحقيقي إنَّما يكتسب جدوائيته من خلال العمل نفسه، لا بمعنى تقدّم العمل عليه مرتبة، وإنَّما بمعنى أنَّ العلم في نورانيته يطلب الانعكاس في غايته، وغاية العلم هو العمل به، فإن افتقد غايته فإنَّه يرتحل، أو يجني على صاحبه.

(١) كتاب الموطأ، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٠٠٢، ح ١؛ تفسير القمّي، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٦٣؛ مشكاة الأنوار، مصدر سابق: ص ٤٤٧.

- مثل العلم والعمل مثل الشجرة والثمرة، فالعلم شجرة، والعمل ثمرة، والغرض المنظور من وراء الشجرة هو الثمرة، فيكون الغرض المنظور من وراء العلم هو العمل به.
- على العالم وطالب العلم أن تكون لهما شخصية معنوية منذ أول خطوة في مجال العلم، فإن العلم بناءً ظاهري يُفضي إلى الغرور، والشخصية المعنوية بناءً باطني تُفضي إلى التواضع، ولا خير في علم لا تواضع معه.
- تبقى الحاجة لتغذية الشخصية المعنوية قائمة كالحاجة لإدامة العلم.
- حرمة الدين بعمقه التاريخي وامتداده المستقبلي مقرونة بحفظ كرامة وحرمة حاملي لوائه، وحاملو لوائه هم العلماء وطلبة العلم، فيلزم على الجميع صيانة حرمتهم.
- حرمة العلم والعالم ليست شخصية، وإنما هي حرمة تراث ومعطيات وتضحيات والتزامات.
- كما أن حفظ حرمة الدين وتطبيقاته هو مسؤولية الجميع فإن حفظ حرمة العلماء وطلبة العلم مسؤولية الجميع أيضاً.
- من مصاديق حفظ حرمة العلماء وطلبة العلم: عدم التطاول عليهم وعدم النيل من شخصهم ولا من شخصيتهم العلمية، والعمل على نشر نتائجهم العلمية، لاسيما مع عدم مكنتهم من ذلك، وعدم التجني عليهم بنسبة أقوال أو أفعال لم يأتوا بها.
- حفظ حرمة العلماء وطلبة العلم وصيانة كرامتهم لا يقف عائقاً بوجه النصيحة لهم وتوجيه النقد في الأمور التي تقتضي ذلك.
- النقد العلمي للعلماء أو لطلبة العلم في مجال اختصاصهم لا بد أن يكون موجهاً من أهل الفن والصناعة، أي: من طبقة العلماء أو

الفضلاء، وليس لغيرهم حقّ توجيه النقد لهم، وأمّا في غير ذلك - كأمر إدارة الأمانة ورعاية شؤونها - فإنّ باب النقد مفتوح لأهل الصنعة في ذلك.

- على العالم أن لا يظهر علمه إلّا بعد استحكامه، بانتظام فصوله وإحكام أدلّته واتّصاح مطالبه، فلا تأخذه العجلة في نشره فيضطرّ إلى نقضه.
- من أخلاقيات زيارة العلماء: عدم الانقطاع عنهم، من دون الدخول في مزاحمتهم، فليس للزائر الإطالة، ويُفضّل أن تكون زيارته ذات فائدة غير التحيّة والسلام، ويتأكّد هذا لطلبة العلم، فيجمعون بين ثمرة الاستماع وثمره السؤال.
- ينبغي للزائر السائل عن أموره الشرعيّة أن لا يُكثر الجدل في حضرة العالم، بل لا يُكثر السؤال عنده، وأن لا تكون أسئلته اختباريّة.
- طلبة العلم هم علماء الأمانة في المستقبل، وحرمتهم وأخلاقيات التعامل معهم منبثقة من حرمة العلماء وأخلاقيات التعامل معهم.
- من خصوصيات أخلاقيات زيارة طلبة العلم: عدم مزاحمتهم في أوقات التحصيل في مواقعهم العلميّة، من الزائرين عموماً حتّى من الأهل والأقرباء، ومع زيارتهم لا بدّ أن تكون مسبقة بإعلام بزمانها وموضعها وعدد الزائرين، وأن تكون للزيارة ثمرة.
- ينبغي إظهار الاحترام والتقدير والمودّة لطالب العلم عند زيارته، لاسيّما الصادقة منها، وأمّا غير الصادقة فمضرة للطرفين معاً.
- زيارة قبور العلماء وأهل العلم من أمانة الإسلام تعبّر عن رسالة شكر وتقدير لشخصهم وخدماتهم وتضحياتهم، كما أنّها تحقّق هدفاً يشمل غير الزائر والمزور.

مذاكرة

- ما هي أهم الشواهد القرآنية على تكريم العلم والعلماء؟
- أين تكمن الكرامة الحقيقية للإنسان وفق الرؤية القرآنية؟
- كيف يكون العلم الإلهي مقتضياً للخشية؟
- هل الخشية من الله منحصرة بالعبادة؟ اضرب مثلاً لذلك؟
- ما معنى قولنا: تُقبل العبادة بالعلم؟ وكيف يتصور هذا التوقف؟
- متى يكتسب العلم الحقيقي جدوائيته؟
- متى يرحل العلم أو يجني على صاحبه؟
- كيف تقرب مثل العلم والعمل بالشجرة والثمرة؟
- لماذا يلزم على العالم وطالب العلم أن تكون لهما شخصية معنوية؟
- هل الحاجة إلى تغذية الشخصية المعنوية مؤقتة؟ وكيف؟
- بأيّ حرمة تُقرن حرمة الدين بعمقه التاريخي وامتداده المستقبلي؟
- هل حرمة العلم والعالم شخصية؟ وضح ذلك.
- حفظ حرمة العلماء وطلبة العلم مسؤولية من؟
- ما هي أهم مصاديق حفظ حرمة العلماء وطلبة العلم؟
- النقد العلمي للعلماء أو لطلبة العلم مسؤولية من؟
- متى يصحّ للعالم أن يظهر علمه؟ وبعد أيّ شيء؟
- ما هي أهم أخلاقيات زيارة العلماء؟
- ما هي ثمرات زيارة طلبة العلم للعلماء؟
- من أيّ حرمة تنبثق حرمة طلبة العلم؟
- ما هي أهم خصوصيات أخلاقيات زيارة طلبة العلم؟
- عن أيّ شيء تعبّر زيارة قبور العلماء وأهل العلم؟

الدرس الحادي عشر

أخلاقيات زيارة الأهل والأقرباء والأصدقاء

- أهداف الدرس
- تمهيد
- أهمية التكامل الأسري
- الأقرباء امتداد اجتماعي وقوة ارتباط
- الأصدقاء وحدة ثقافة وطموح وأهداف
- الوحدة الاجتماعية بين الأهل والأقرباء والأصدقاء
- أخلاقيات التزاور الأسري
- أخلاقيات التزاور البنائي
- أخلاقيات التزاور التكاملي
- أخلاقيات زيارة الأقرباء
- أخلاقيات زيارة الأصدقاء
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- بيان أهمية التكامل الأسري، وكون الأقرباء امتداداً اجتماعياً وقوة ارتباط، وكون الأصدقاء وحدة ثقافة وطموح وأهداف
- بيان معنى الوحدة الاجتماعية، وعلاقتها بالأهل والأقرباء والأصدقاء
- الكشف عن أخلاقيات التزاور الأسري بقسميها (البنائي والتكاملي)
- الكشف عن أخلاقيات زيارة الأقرباء، وأخلاقيات زيارة الأصدقاء

تمهيد

إنّ العناوين المطروحة في أهداف الدرس مفردات في غاية الأهمية، تستدعي منّا وقفة توضيحية، مع بيان علاقة التزاور بها، في مفردات مانعة من وقوع الانحراف، ومانحة للقوة والمنعة والثبات، لذلك احتجنا إلى البحث في أخلاقيات هذه المفردات انطلاقاً من بوابة أخلاقيات التزاور فيها، لتتشكّل لنا حلقة كاملة في نظم علاقتنا الأسرية والاجتماعية، وهذا ما نريد بيانه في هذا الدرس.

أهمية التكامل الأسري

إنّ العمل على توطيد التكامل الأسري وحفظه أمرٌ لا بدّ منه؛ لأنّه السبيل المانع من الانحراف الذي لا بدّ من التوقّي منه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التحریم: ٦)، أي: قوا أنفسكم من الأعمال السيئة المانعة من توطيد التكامل الأسري وحفظه، فإنّ عدم التكامل الأسري مُفضٍ إلى الشحناء والقطيعة، وإلى استفحال الأخطاء وتحوّلها إلى مشاكل عويصة، لا يبعد أن تكون سبباً حقيقياً ومباشراً في وقوع الانحراف الفكري والأخلاقي، وستكون نتيجة ذلك هي العذاب في الدنيا والنار في الآخرة. إنّ عدم الوقاية الأسرية موجبة للتفكك الأسري، الذي هو الآخر

موجب للتفكك الاجتماعي، فينبغي الحرص على ذلك البناء الإلهي، كما هو المشار له في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١)، فإذا كانت الزوجية صنع الله تعالى في خلقه، فيكون توطيد التكامل الأسري وحفظه من التمزق والانحلال تعبيراً آخر عن حفظ ذلك الصنيع، وعدمه تعبيراً آخر عن هدم ذلك الصنيع، وهدمه لا ريب من صنيع الشيطان وأولياء الشيطان، كما حكاها القرآن عنه: ﴿وَلَا مُرَتَّهُمْ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾، ومصيرهم الخسران المبين؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ (النساء: ١١٩)، والخسران المبين هو الانطفاء في الدنيا والعذاب في الآخرة. وهم الذين يُبدلون نعمة الله من بعد ما جاءتهم؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (البقرة: ٢١١).

وأما حفظ النعمة من التبديل فإنما يكون برعايتها ومداراتها. فعلى صعيد الزوجية لا بد أن يكون الزوج مورداً للخير والبركة على أهله، وتكون الزوجة مورداً للراحة والسكنية للزوج، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «خيركم خيركم لنسائه، وأنا خيركم لنسائي»^(١)، وفي خبر آخر عنه صلى الله عليه وآله عليه وآله: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»^(٢)، وقد أجمل القرآن ذلك كله بكلمة واحدة جامعة؛ قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ١٩)،

(١) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٣، ص ٤٤٣، ح ٥٣٨.

(٢) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٣، ص ٥٥٥، ح ٤٩٠٨؛ سنن ابن ماجه، مصدر

سابق: ج ١، ص ٦٣٦، ح ١٩٧٧، باب (حسن معاشره النساء)؛ سنن الترمذي، مصدر

سابق: ج ٥، ص ٣٦٩، ح ٣٩٨٥.

والكلام هو الكلام بالنسبة للذرية والأبناء الذين يمثلون الامتداد الطبيعي للزوجين، فهم أشبه ما يكونون بالضعفاء أو الأسراء الذين يحتاجون إلى الرعاية والإحسان؛ فعن الرسول صلى الله عليه وآله: «عيال الرجل أسراؤه، وأحب العباد إلى الله عز وجل أحسنهم صنعا إلى أسرائه»^(١).

وأما بالنسبة للعلاقة المقابلة من الأبناء للوالدين فهي علاقة البر والتقوى؛ فلا عقوق ولا قطيعة. وعلى الأولاد أن يحذروا من العقوق فإنه مقوَّض لأركان التكامل الأسري. والعقوق قد يكون بكلمة يسيرة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء: ٢٣)، وكلمة (أف) على بساطتها وكثرة استعمالها إلا أنها كلمة عقوق! وهي أدناه؛ فعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «أدنى العقوق أف، ولو علم الله عز وجل شيئا أهون منه لنهى عنه»^(٢).

إن التكامل الأسري مسؤولية جميع أفراد الأسرة^(٣)، والتزاور اليومي الواقع بنحو القصد أو الاضطرار هو عامل مساعد على تقوية أركانه، فلا يكون أفراد الأسرة الواحدة كالغرباء الذين يجتمعون تحت سقف واحد، فذلك من سوء التوفيق، وسوء التوفيق نتيجة طبيعية لسوء التصرف ولضيق الأفق وإن تخلل ذلك بعض الأعمال الجيدة، فالنتيجة - كما يقول المنطقة - تتبع

(١) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٣، ص ٥٥٥، ح ٤٩٠٩؛

(٢) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٣٤٨، ح ٢.

(٣) يرى السيد الأستاذ دام ظلّه أنّ الأسرة لها مصداقان، الأول: الأسرة الصغيرة، وهي التي تتكوّن من أب وأمّ، وأولاد يعيشون في عهدهما، والثاني: الأسرة الكبيرة، وهي التي تتكوّن من أب كبير وأمّ كبيرة وأبناء متزوجين لهم أبناء، فتكون السلسلة ثلاثية، وهي: جدّان وأبناء آباء، وأبناء أحفاد، فهؤلاء جميعاً أسرة واحدة، ولكنها أسرة كبيرة، وما نريده في المقام هو كلا المصداقين، بقطع النظر عن عدد الأفراد وتنوعهم.

أخسّ المقدمات^(١)، فلا يلومنّ الإنسان في ذلك إلّا نفسه؛ قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (آل عمران: ١٨٢).

الأقرباء امتداد اجتماعي وقوة ارتباط

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٧١)، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أهمية التكافل الاجتماعي، بمعنى الامتداد الاجتماعي الذي يربط بين المؤمنين كافة، حتّى إن لم يكونوا ذوي قربي، فكيف بهم إذا كانوا من القربي؟ فالآية تحثّ على هذا النوع من التولي والتأخي والتوحد.

من هنا يتأكّد عندنا ضرورة العمل والحرص على حفظ هذا الامتداد الاجتماعي، فهو قوة ارتباط، وهو قوة ثبات، وهو قوة مواجهة لمشكلات الحياة، بمعنى أنّنا لا نستطيع أن نتفرد في تهيئة أسباب الحياة وتفصيلها، كما لا نستطيع أن نتفرد في مواجهة مشكلاتها، ولذلك جاء البناء الاجتماعي، والحقوق الاجتماعيّة، وهذا البناء والحقوق تتجذّر أكثر عند وجود رابطة أخرى أضيق دائرة من الرابطة الاجتماعيّة العامّة، وهي رابطة القرابة، التي لا يمكن حفظها إلّا بالتواصل والتآزر والتكامل، فيكون مثل الجمع فيهم مثل أعضاء الإنسان، فإنّ كلّ واحد منها لا يستطيع أن يستقلّ بوظائف الإنسان، كما هو واضح، وإنّما لابدّ من تآزر، فإذا كان الإنسان عاجزاً عن إدارة لقمة طعام في

(١) كما لو كانت عندنا قضية موجبة جزئية، وقضية سالبة كلية، فإنّ السلب أخسّ من الإيجاب، والجزئي أخسّ من الكلي، بمعنى أدنى مرتبة، وعليه فلا بدّ أن تكون النتيجة المستنبطة من تلك القضيتين سالبة جزئية، فلا يمكن أن تكون النتيجة موجبة؛ لأنّ السلب هو الأخس، ولا يمكن أن تكون النتيجة كلية؛ لأنّ الجزئية هي الأخس، وهذا هو معنى قولهم: إنّ النتيجة تتبع أخسّ المقدمات.

فمه بعضو واحد من أعضاء جسمه فكيف بتفاصيل حياته، وهكذا الحال بالنسبة للإنسان في وسطه الاجتماعي والقربي، ولذلك نجد النصوص الدينية شديدة الحرص في الحث على التواصل والتأزر والمنع من القطيعة والتنافر.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألا أدلكم على خير أخلاق الدنيا والآخرة؟ تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك»^(١)، وفي خبر مُستفاد من القرآن الكريم، يرويه أحمد بن عيسى العلوي، قال: «قال لي جعفر بن محمد عليهما السلام: أنه ليعرض لي صاحب الحاجة فأبادر إلى قضائها، مخافة أن يستغني عنها صاحبها، ألا وإن مكارم الدنيا والآخرة في ثلاثة أحرف من كتاب الله عز وجل: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وتفسيره: أن تصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك»^(٢)، وفي ذلك جهاد صريح للنفس الأمارة، فالنفس عادة تتأبى على صاحبها تقديم هذا النوع من التنازل، فتشمخ بعنفوان، وتتعلمق بكبرياء، فتحتاج عندئذ إلى تهذيب وردع، فيقف الإنسان، السامي في نفسه، العالي في همته، اللاجم لأنانيته، مترصداً لخطأ النزوح لذاتيته، فيكبح جماح نفسه.

وليس هذا بالعمل القليل، فإنه من أعمق موارد جهاد النفس، ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٥)، وفي قصة لطيفة لصحابي أنه كان يعاني من شرور قرابته، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يأمر بمقابلة ذلك بالحسنى؛ فعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام:

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٠٧، ح ٢؛ أمالي الشيخ المفيد، مصدر سابق: ص ١٨٠، ح ٢؛ الجامع الصغير، مصدر سابق: ج ١، ص ١٩٣، ح ١٢٨٧. وفي خبر آخر يُعبر عن ذلك بأفضل الفضائل، وفيه زيادة: (وتصفح عمن شتمك). انظر: مسند أحمد، مصدر سابق: ج ٣، ص ٤٣٨؛ المعجم الكبير، مصدر سابق: ج ٢٠، ص ١٨٨.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي، مصدر سابق: ص ٦٤٤، ح ٢٣.

«أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، أهل بيتي أبوا إلا توثباً عليّ، وقطيعة لي، وشتيمة! فأرفضهم؟ قال: إذن يرفضكم الله جميعاً، قال: فكيف أصنع؟ قال: تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، فإنك إذا فعلت ذلك كان لك من الله عليهم ظهير»^(١)، أي: معين.

كما أن قطيعة الرحم من الذنوب التي تجلب الفناء؛ فقد روي أن أمير المؤمنين عليّ السلام «قال في خطبة له: أعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء، فقام إليه عبد الله بن الكواء الشكري فقال: يا أمير المؤمنين، أو تكون ذنوب تعجل الفناء؟ فقال: نعم، وملك، قطيعة الرحم، إن أهل البيت ليجتمعون ويتواسون وهم فجرة، فيرزقهم الله، وإن أهل البيت ليتفرقون ويقطع بعضهم بعضاً، فيحرمهم الله، وهم أتقياء»^(٢)، أي: فيحرمهم من عطايا دنيوية، كطول العمر وسعة الرزق ورفاهية العيش، مع أن التقوى موجبة لسعة الرزق، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٣).

ولكن التقوى الموجبة لسعة الرزق مشروطة بعدم وجود المانع، وقطيعة الرحم مانعة، بل هي من أشد موانع نزول البركات، بمعنى: «أن التقوى لها تأثير في ذلك إذا لم يمنعها مانع، وقطع الرحم من أشد الموانع، ويفهم منه أن صلة الرحم أقوى في تيسير المعاش وتوسيع الرزق من التقوى»^(٣).

كما أن القطيعة هي الأخرى مدعاة لهيمنة الأشرار على الأخيار؛ فعن أبي حمزة الثمالي، عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه

(١) أصول الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٥٠، ح ٢؛

(٢) أصول الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٣٤٧، ح ٧. ابن الكواء أحد رؤوس الخوارج.

(٣) شرح أصول الكافي، للمازندراني، مصدر سابق: ج ٩، ص ١٧٤.

السلام: إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار^(١)، بمعنى: أن قطع الأرحام يوجب وقوع المخالفة بين الأولياء، فيجافي بعضهم بعضاً ويُعادي بعضهم بعضاً، وبقطيعتهم وبعزلتهم سوف يكونون ضعفاء ومطمعاً للخصوم والأعداء، حتى يؤول الأمر إلى أن يأتي العدو فيضرب بعضهم ببعض من دون أن يخسر العدو مالاً أو يبذل جهداً، وبهذا تكون الهيمنة والسلطان بيد الأعداء الأشرار، وهذا أمر وضابط عام يقع في الوسط الأسري والوسط الاجتماعي والوسط الدولي العام، فإن العدو قد يكون فرداً أو يكون قبيلة أو يكون دولة أو يكون معسكراً يضم دولاً وحكومات كثيرة، وتمكين هؤلاء من الرقاب مفسدة عظيمة، وكل أمر مُفضٍ إلى قطيعة الرحم هو مفسدة ولا ريب، وعلى أهل النفوذ في الأرض أن يحذروا من ذلك كثيراً؛ لأنهم الأكثر ابتلاء، والأشد وقوعاً فيه؛ قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (محمد: ٢٢). لذلك على الإنسان المؤمن أن يتقي الله في الأرحام، فيصلها ما استطاع لذلك سبيلاً؛ قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (النساء: ١)، والرقابة الإلهية دائمة لا تزول، ونافذة لا مفر منها، وبعبارة قرآنية: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (التكوير: ٢٦)، ولا ريب أن من جعل الله سبحانه رقيباً عليه نجا. وأدنى شيء نصل به الأرحام هي تحية الإسلام، وما أيسر ذلك؛ فعن أبي بصير، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: صلوا أرحامكم ولو بالتسليم؛ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (النساء: ١)»^(٢).

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٣٤٨، ح ٨.

(٢) المصدر نفسه: ج ٢، ص ١٥٥، ح ٢٢.

الأصدقاء وحدة ثقافة وطموح وأهداف

وهنا تكمن الحلقة الثالثة في البناء الاجتماعي، فالأولى تكمن في التكامل الأسري، والثانية تكمن في الأقرباء بصفته امتداداً اجتماعياً وقوة ارتباط، والثالثة في تركيبة الأصدقاء بصفته يمثلون وحدة في الثقافة والطموح والأهداف، وهي حلقة بقدر ما هي مُتَمِّمة للحلقتين السابقتين فإنها مؤثرة عليهما سلباً وإيجاباً، بمعنى أنّ هويّة الأصدقاء في بنائهم الفكري والثقافي والأخلاقي سوف تؤثر سلباً وإيجاباً على معطيات التكامل الأسري وعلى المعطيات الامتدادية الاجتماعية في القربى، ولذلك يتحتم على ابن الأسرة انتقاء الأصدقاء الذين ينسجمون معه في الثقافة والفكر والأخلاق حتى يتزوّد بها في تكامله الأسري والاجتماعي، فلا يتخذ من السفهاء أصدقاء وأحلاء له؛ لأنّ السفاهة هي المرض العضال.

والصدقة المراتية هي الصدقة الناجحة، بمعنى أن يكون الصديق مرآة لصديقه، فلا يرى فيه عيباً إلّا وأزاله عنه أو ساعده في إزالته، ولا بدّ أن يكون الصدق هو الأرضية الواقعية لبناء الصداقة، فإنّ الصديق هو من صدّقك لا من صدّقك، ولا بدّ من احترام هذه القيمة العليا، وقد ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام وهو ينصح أحد أصحابه: «يا صالح اتّبع من ييكيك وهو لك ناصح، ولا تتّبع من يضحك وهو لك غاشّ، وستردون على الله جميعاً فتعلمون»^(١). وقد قلنا في حلقة سابقة أنّه: «لا بدّ أن نثبت عملياً أنّنا نحترم صداقتنا، وهذا الاحترام قائم على أساس متين هو الصدق، وأنّ سقاية شجرة الصدق

(١) المحاسن، مصدر سابق: ج ٢، ص ٦٠٣، ح ٣٢، باب: (قبول النصيحة)؛ الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٦٣٨، ح ٢، باب: (من يجب مصادقته ومصاحبته)؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٦، ص ٣٧٧، ح ٢٢٥.

بالتناصح، ولا بدّ أن يظهر عدم رضانا لهم إذا شعرنا منهم الكذب، ولا يجوز لنا السكوت عن ذلك فضلاً عن عدم جواز تشجيعهم على ذلك، ولكن مواجهتهم لا بدّ أن تكون منطلقة من باب التناصح لا من باب إساءة الأدب مع الأصدقاء، ولا من باب الحسد أو الانتقام أو الشماتة، وغير ذلك من الأخلاق الدفينة البائسة^(١).

الوحدة الاجتماعية بين الأهل والأقرباء والأصدقاء

الجامع المشترك بين (التكامل الأسري) و (الأقرباء امتداد اجتماعي وقوة ارتباط) و (الأصدقاء وحدة ثقافة وطموح وأهداف)، هو الوحدة الاجتماعية، بمعنى أنها الرابطة الواقعي الذي تستند إليه مساند الأسرة والقراية والصدقة، وهي أقرب ما تكون لوحدة الأمة القرآنية؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون: ٥٢)، وهي أمة الإنسان؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (يونس: ١٩)، ولكن الناس قد اختلفوا فيما بينهم، اختلفاً صيرهم فرقاً وأحزاباً، وبعبارة قرآنية: ﴿وَكَانُوا شِيعاً كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فِرْحُونَ﴾ (الروم: ٣٢)، فأرجع الله تعالى مناط الإصلاح في الرجوع إلى الوحدة الاجتماعية إلى الإنسان نفسه، لا لعجز منه سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (المائدة: ٤٨)، أي: فيما آتاكم من القدرة على الاختلاف ومن القدرة على الائتلاف، بمعنى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (هود: ٧)، وخير ما نعمل عليه هو تحقيق مناسبات الوحدة الاجتماعية، لأنها سرّ الحفاظ على الكيان الأسري، وسرّ الحفاظ على

(١) الصدق... روى في مفهومه ومجالاته ومعانيه، مصدر سابق: الدرس الرابع (معوّقات الصدق وأزماته الحادة).

الكيان القربوي، كما أنّها سرّ الحفاظ على كيان الصداقة، بمعنى أنّها المستودع الغني الذي تتآكل فيه التواءات المفرقة، ويزوب فيه الجليد العازل فيكون فيه الإنسان الواحد أمة، وتكون فيه الأمة إنساناً، ويتحقّق فيه الطموح السامي الذي أشار له رسول الله صلّى الله عليه وآله في جعل الأمة كالجسد الواحد، وهو طموح الوحدة الاجتماعية^(١)، وتحقيق هذا الطموح نكون قد أنجزنا الهدف وبلغنا الغاية، فإنّ الوحدة الاجتماعية ليست هدفاً جزئياً ولا غاية محدودة، وإنّما هي خلاصة رسوم التكاليف والطموح الإنساني السليم، وخلاصة المسير في خطّ الأنبياء عليهم السلام، وهي دليل عقلانية العقلاء. أمّا ما نراه من الاصطفاف العالمي والتخندق في الجماعات والأمم^(٢) فما هو إلّا استجابة لذلك الداعي الإنساني المتفق عليه، بقطع النظر عن أهدافهم الأخرى التي هي - مع إضرارها بنا - محلّ قوّة لهم، وعلينا كأمة مسلمة أن نسير بالتّجاه تحقيق الهدف السامي في الوحدة الاجتماعية، والذي ينطلق من المكونات الثلاثة (التكامل الأسري، والأقرباء امتداد اجتماعي وقوّة ارتباط، والأصدقاء وحدة ثقافة وطموح وأهداف) وجامعها المشترك.

(١) قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «تري المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى». مسند أحمد: ج ٤، ص ٢٧٠؛ صحيح البخاري: ج ٧، ص ٧٧؛ صحيح مسلم: ج ٨، ص ٢٠ (مصادر سابقة).

وفي المصنّف عنه صلّى الله عليه وآله: «مثل المؤمن كمثل الجسد إذا ألم بعضه تداعى لذلك كلّهُ». مصنّف ابن أبي شيبة، مصدر سابق: ج ٨، ص ١٤٢، ح ١١٦.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «المؤمنون في تبارهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى تداعى له سائرهُ بالسهر والحمى». مستدرک الوسائل: ج ١٢، ص ٤٢٤، ح ١٠.

(٢) كالاتّحاد الأوروبي، والاتّحاد الأفريقي، والاتّحاد الآسيوي.

أخلاقيات التزاور الأسري

انطلاقاً من المبدأ الأول - التكامل الأسري - تنبثق عندنا مجموعة أخلاقيات للتزاور الأسري، وكنا قد نبهنا إلى أن التكامل الأسري هو مسؤولية جميع أفراد الأسرة، وأن التزاور اليومي الواقع بنحو القصد أو الاضطرار هو عامل مساعد على تقوية أركان ذلك التكامل الأسري، لا أن نكون غرباء في الوسط الجامع، فإن ذلك - كما عرفت - من سوء التوفيق، الذي هو نتيجة طبيعية لسوء التصرف ولضييق الأفق. وأما أهم أخلاقيات التزاور بين أفراد الأسرة الواحدة، سواء كانت الأسرة صغيرة أم كبيرة، فتنقسم إلى قسمين، هما:

الأول: أخلاقيات التزاور البنائي

وهو ما يدخل في المسؤوليات الأساسية، من الآباء تجاه الأبناء، ومن الأبناء تجاه الآباء، ومن الأبناء تجاه بعضهم بعضاً، وهي كالتالي:

أولاً: أخلاقيات التزاور البنائي فيما يتعلق بمسؤوليات الآباء تجاه الأبناء، وهي على قسمين: أخلاقيات بناء الثقة وتعزيزها، وأخلاقيات المتابعة.

أما أخلاقيات بناء الثقة وتعزيزها، فإنها تتعلق بزرع الثقة في نفوس الأبناء، فلا يشككون بشخصياتهم ولا بقدراتهم، ولا يعيبونهم بصفات مُصغرة لشأنهم، كالحمق والجبن وقصور الفهم وانعدام الشخصية، حتى في موارد إخفاقاتهم؛ لأن ذلك مُفضٍ إلى هدم شخصية الأبناء، بل وتحويل شخصياتهم إلى شخصيات انهزامية متشائمة فاقدة للقدرة على التواصل مع الأسرة والمجتمع، وإذا ما كانت فاعلة فإنها ستكون متمردة تبحث عن ذاتها المحطّمة، بخلاف ثقافة بناء الثقة بالنفس وتعزيزها فإنها أرضية صنع الشخصية الإيجابية، ومن أمثلة بناء الثقة استشارة الأولاد، وتقدير أعمالهم المُنتجة، واحترام أنظارهم، والتركيز على محاسنهم في التوصيف، وتشجيعهم،

فإنّ للتشجيع أثر السحر في نفوس الأبناء، ومن مواطن زرع الثقة وتعزيزها في أفقها الاجتماعي: زرع ثقة الأبناء بمن سواهم من أفراد الأسرة والأصدقاء والجيران وغيرهم، ففي ذلك نكون قد أسسنا لأوّليات التعايش السلمي، بدلاً من التأسيس للشخصيّة المنعزلة والمتشائمة الفاقدة للارتباط بالمجتمع.

وأما أخلاقيات متابعة الآباء لأبنائهم، فهي ما تقع مباشرة في طول أخلاقيات بناء الثقة، فهي أشبه ما تكون بعملية السقي بعد الزرع، فإذا ما غابت أخلاقيات متابعة الآباء لأبنائهم تعرّض الأبناء إلى مخاطر كبيرة، كسوء الأخلاق في القول والفعل، ولعلّ أكثر الإخفاقات الاجتماعية - كالجريمة والتمرد والسلبية - هي نتيجة عدم المتابعة، فإن حصلت المتابعة واكتشفت بعض الأخطاء السلوكيّة عند الأبناء لابدّ - مضافاً إلى المحاسبة والمعاقبة - من إرشادهم إلى خلق الاعتذار عن الخطأ، كما ينبغي بناء ثقافة العفو والصفح والتسامح إزاء إساءة الآخرين، وهذه من الأخلاقيات الاجتماعية الأساسية في بُعد المتابعة، وعادة ما تثمر هذه الأخلاقيات الثنائية (بناء الثقة والمتابعة)، لأنّ قلوب الأبناء أرض خصبة تقبل ما يُلقى فيها، وقد كان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يوصي ولده الحسن عليه السلام بقوله: «إنّما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما أُلقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشغل لبك؛ لتستقبل بجدّ رأيك من الأمر ما قد كفأك أهل التجارب بغيته وتجربته، فتكون قد كفيت مؤونة الطلب، وعوفيت من علاج التجربة، فأذاك من ذلك ما قد كنّا نأتيه، واستبان لك ما ربّما أظلم علينا منه»^(١).

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٣، ص ٣٧ رقم (٣١). وهنا ينصح السيّد الأستاذ الآباء والأبناء معاً بقراءة هذه الوصيّة، ودراستها وحفظها والعمل على تطبيقها؛ لأنّها مشحونة بالحكم والدرر التي لا غنى للآباء والأبناء عنها.

ولا ريب أنَّ هذين الأمرين (أخلاقيات بناء الثقة، وأخلاقيات المتابعة)، لا يمكن لها أن تجد حيّزاً في الواقع الخارجي من غير التزاور، وإنّما أسمىناه بالتزاور لأنّه يفترض المشاهدة والمقابلة والتحاور، وهذه من معطيات التزاور.

ثانياً: أخلاقيات التزاور البنائي فيما يتعلّق بمسؤوليات الأبناء تجاه الآباء: من أهمّ هذه الأخلاقيات: إبداء الاحترام الكبير والتقدير العالي للآباء، والذي يُمكن درجه بعناوينه المختلفة تحت عنوان برّ الوالدين، وهو ما عبّر عنه القرآن بالإحسان، وجعله مقروناً بكلمة التوحيد في العبادة، في رسالة عميقة مفادها أنّ للتوحيد في العبادة ثمرة عمليّة تنعكس في الإحسان للوالدين، بمعنى أنّ الإحسان لهم كاشف إنّي عن واقعيّة التوحيد في العبادة؛ قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء: ٢٣)، وقد سأل أبو ولّاد الحنّاط أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن الآية: «ما هذا الإحسان؟ فقال: الإحسان: أن تحسن صحبتهم، وأن لا تكلفهما أن يسألاك شيئاً ممّا يحتاجان إليه وإن كانا مستغنيين»^(١)، أي: أن تبادر لهما بالعطاء قبل السؤال منهما، وإذا ما كانت المسافة بين العبد وربّه هي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) فإنّها بين الابن وأبويه عمل البرّ، فإن انتفى البرّ فإنّ الابن يكون قد قطع الصلة، كما في انتفاء كلمة التوحيد يكون العبد قد قطع الصلة، وفي ذلك بُعد آخر لوجه العلاقة والربط بين القضاء بالتوحيد والقضاء بالإحسان للوالدين.

ولعلّ من أروع مصاديق البرّ بهما: ما عبّر عنه القرآن الكريم بخفض جناح الذلّ لهما، قال تعالى: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٤)، فلا ترمقهما بنظرة غضب أو

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٥٧، ح ١، باب (البرّ بالوالدين)، من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٤، ص ٤٠٧، ح ٥٨٨٣.

ازدراء، وإن كانا ظالمين لك؛ فعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «من نظر إلى أبويه نظرَ ماقِتٍ وهما ظالمان له، لم يقبل الله له صلاة»^(١)، فكيف إذا كانا بارّين محقّين؟! ومنه يتّضح وجه الحديث النبوي المشهور: «رضا الله مع رضا الوالدين وسخط الله مع سخط الوالدين»^(٢).

وهكذا يبقى البرّ بالوالدين هو الإستراتيجية القائمة في أخلاقيات علاقة الأبناء بأبائهم، غير مشروط بشيء، بخلاف الطاعة فإنّها مشروطة بعدم الخروج على الحدّ الشرعي، حيث تتوقّف الطاعة في مورد المخالفة عن الشرع. ثالثاً: أخلاقيات التزاور البنائي فيما يتعلّق بمسؤوليّة الأبناء تجاه بعضهم: وهي أخلاقيات التناصح والتسامح، فعلى الابن الأكبر سنّاً أن ينظر بروح العطف على الأصغر منه سنّاً، من دون أن يمارس دور الأب في تعامله معه، وعلى الأصغر أن ينظر للأكبر بروح الاحترام والتقدير وعدم التجاوز عليه مطلقاً، وفي صورة وقوع الخلاف بينهم ينبغي إعلام الأبوين ليشاركا في رفع الاختلاف، مع اعتماد مبدأ الاعتذار من المخطئ وإن كان الأكبر سنّاً، ومبدأ التسامح من المساء له، وإن كان من الأصغر سنّاً، فلا يُترك المسيء بلا اعتذار، ولا يُترك المساء له من دون أن يُظهر عفوه وتسامحه.

الثاني: أخلاقيات التزاور التكاملي

وهو: ما يدخل في المسؤوليّات الثانويّة، من الآباء تجاه الأبناء، ومن الأبناء تجاه الآباء، ومن الأبناء تجاه بعضهم بعضاً.

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٣٤٩، ح ٥.

(٢) سنن الترمذي: ج ٣، ص ٢٠٧، ح ١٩٦٢؛ المستدرک علی الصحيحين: ج ٤، ص ١٥٢؛ صحيح ابن حبان: ج ٢، ص ١٧٢؛ الجامع الصغير: ج ٢، ص ١٥، ح ٤٤٥٧؛ الأدب المفرد: ص ١١، ح ٢؛ روضة الواعظين: ص ٣٦٨. (مصادر سابقة)

وأما أخلاقيّاته في مستوياته الثلاثة، فهي:

أولاً: إبداء الحرص على جلب المنفعة للآخر، وفق المبدأ الإسلامي الاجتماعي العظيم، الذي جاء ضمن وصيّة الإمام عليّ لولده الإمام الحسن عليهما السلام: «يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واکره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم، وأحسن كما تحب أن يُحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك»^(١)، وهو مبدأ تندرج تحت طائلته أخلاقيات التزاور الأسري، وأخلاقيات التزاور بين الأقرباء، وأخلاقيات التزاور بين الأصدقاء، وإنّما سقناه في المقام لأنّ التكامل الأسري في بُعد أخلاقيات التزاور التكاملي هو الأولى بالمراعاة، وما لم يُطبّق هذا المبدأ الاجتماعي العظيم فإنّه سوف يتحوّل في غير دائرة الأسرة إلى شيء أقرب ما يكون للنفاق، لأنّه ليس خلقاً قد تربّى عليه، وإنّما يصطنعه مع الأقرباء أو الأصدقاء، ولذلك وقع التركيز ممّا على كونه مبدأ يمسّ البناء الأسري قبل أن يمسّ الآخر، فإن صار هذا المبدأ قاعدة مُتبعة في الأسرة فإنّه سوف يشعّ نوراً على العلاقات مع القربى والأصدقاء بصورة تلقائيّة، بعيداً عن الحالات النفاقيّة والتصنّعيّة.

ثانياً: العمل على تكميل النواقص، والأفضل أن يكون ذلك بشكل خفيّ؛ لأنّك في هذا التكميل تكون قد أكملت نقصاً وقع لك، ولا معنى للإخبار علناً بذلك، فيكون من قبيل المنفق الذي لا تعلم شماله ما تنفقه يمينه^(٢) وتكميل النواقص يندرج أيضاً في أعمال البرّ والأبوة الحانية والتآخي،

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٣، ص ٤٥ رقم (٣١).

(٢) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «سبعة يظّلمهم الله عزّ وجلّ في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه... ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما

بحسب مستوى العلاقة، وقد يكون النقص في مفردات علمية أو اجتماعية أو أخلاقية، أو في مفردات حياتية عامة.

ثالثاً: الدعاء في العلن وبظهر الغيب، فإنّه أوقع في النفوس القريبة، ويكون الدعاء في كلّ حالٍ، ولا ينبغي إسراع أحدهم كلمة دعائية قد يبدو منها التلويح بالخطيئة، كما هو المتعارف في قول البعض للآخر: (غفر الله لك)، فإنّها كلمة حسنة الظاهر ولكنها قد تستبطن معنى غير مستساغ، فضلاً عن طريقة إلقائها، فقد يكون ذلك مُسيئاً للمدعوّ له، ولذلك عليك الانتباه إلى كلماتك الدعائية، فتقول مثلاً لأبويك أو لإخوتك: كتب الله لكم الجنة، رضي الله عنكم، وغير ذلك من الكلمات التي عادة ما يستأنس بها الإنسان.

أخلاقيات زيارة الأقرباء

انطلاقاً من المبدأ الثاني، وهو: (الأقرباء امتداد اجتماعي وقوة ارتباط) لا بدّ أن تكون الأخلاقيات منصبّة على حفظ هذا الامتداد الاجتماعي وتعزيز قوة الارتباط، من خلال ما يلي:

يتصدّق بيمينه». الخصال، مصدر سابق: ص ٣٤٢، ح ٧؛ مسند أحمد، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤٣٩؛ صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ١، ص ١٦١؛ سنن الترمذي، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٤، ح ٢٥٠٠. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح.

قال الشريف الرضي معلقاً على هذا المقطع من الحديث النبوي الشريف: «وهذا مجاز، والمراد: المبالغة في صفته بكتان نفقته، وإخفاء صدقته، فإذا كانت شماله لا تعلم بما تنفقه يمينه، وهى سرّحتها وقسيمتها، وجارتها ولصيقته، فأجدر ألا يعلم بذلك غيرها ممّن شطّ داراً، وبعد جواراً». المجازات النبوية، للشريف الرضي (ت: ٤٠٦ هـ): ص ٤١٣ رقم (٣٣١)، تحقيق وشرح: فضيلة الدكتور طه محمد الزيني، منشورات مكتبة بصيرتي، قم.

قوله (سرّحتها): أي: شقيقتها، وقوله (وقسيمتها) توضيح للسابقة. قوله (شطّ): بعد.

أولاً: لزوم التواصل والتكافل والتآصر، فلا ينقطع السؤال عن بعضنا ما استطعنا لذلك سبيلاً، ولعلّ الكينونة في قضاء حوائج الأقرباء هو من أفضل سبل حفظ الامتداد الاجتماعي، لا بمعنى التفرّغ لذلك، وإنّما بمعنى عدم التقصير فيه، وهذا ما يحقّق مستوى طيباً من التواصل والتكافل والتآصر، ولا ريب أنّ التكافل الاجتماعي - الذي لا يُراد به الانحصار في الدعم المادي، حيث يشمل التفقه في الدين، والتناصح والتحبّب، وغير ذلك من القيم الإسلامية والإنسانية - هو الضمانة الأكيدة في حفظ الامتداد الاجتماعي للأقرباء، وتعزيز قوّة الارتباط بهم؛ لأنّه يعني - بوضوح - أمرين أساسيين، هما: أن يكون أطراف التقارب مشتركين في حفظ مصالحهم العامّة والخاصّة، وأن يكونوا مشتركين في دفع ورفع المفاسد الواقعة والأضرار المحتملة المادية منها والمعنوية، فيكون الإضرار بفرد إضراراً بالجميع، ويكون الانتفاع لفرد انتفاعاً للجميع، كما أنّ هدم لبنة في البناء تضرّ بالبناء كلّّه، وتعزيز لبنة فيه تعزيز للبناء كلّّه، فيكونون بعبارة قرآنية دقيقة: ﴿صَقًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ (الصف: ٤)، وبعبارة نبويّة: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً»^(١).

ثانياً: استخدام إستراتيجية التخدام، أو التسخير القرآني، نظراً لاختلاف المراتب بين أفراد المجتمع، فلا يمكن أن يكون الجميع قادة، كما لا يمكن أن يكون الجميع علماء ومتخصّصين، ولكن لا ريب أنّ كلّ واحد من المجموع لا يستطيع الاستغناء عن الآخرين في تبادل الخدمات، وهذا التخدام هو الأساس

(١) مصنّف ابن أبي شيبة: ج ٧، ص ٢١٦، ح ٥؛ ج ٨، ص ١٤١، ح ١١٢؛ مسند أحمد: ج ٤، ص ٤٠٥؛ صحيح البخاري: ج ١، ص ١٢٣؛ صحيح مسلم: ج ٨، ص ٢٠؛ بحار الأنوار: ج ٥٨، ص ١٥٠؛ قال الترمذي: «حديث صحيح». سنن الترمذي: ج ٣، ص ٢١٨، ح ١٩٩٣ (مصادر سابقة).

الذي يقوم عليه بُنيان المجتمع، وهو الذي يحفظ المجتمع من الانهيار، كما جاءت الإشارة لذلك في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (الزخرف: ٣٢)، والمراد من كلمة (سُخْرِيًّا) هو التسخير وليس السخرية، وبقدر ما يحتاج المريض الجباز أو النجار أو الحداد للطبيب في عيادته فإن الطبيب بحاجة لهؤلاء جميعاً، وكل عمل اجتماعي يؤدّيه صاحبه بإتقان وإخلاص للآخرين فهو عمل برّ، وكل تقصير في عمل اجتماعي فهو عدوان سافر، وقد قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢)، وهذا هو التخادم القرآني، الذي به يُحفظ الامتداد الاجتماعي وقوة الارتباط.

أخلاقيات زيارة الأصدقاء

انطلاقاً من المبدأ الثالث: (الأصدقاء وحدة ثقافة وطموح وأهداف) تتشكّل عندنا الظروف الموضوعية لأخلاقيات التزاور بين الأصدقاء، وهي: أولاً: لزوم الأخلاقيات الارتقائية، لا السلوكيات الهوائية، بمعنى: أن لا يكون الصديق صديقاً لأنّه يُسايِرُك في هواك، فإن الصديق الواقعي - كما مرّ - هو من صدّقك لا من صدّقك، وما الذي ينتفع به الشخص من تصديق أصدقائه له وهو يعلم أنّه على خطأ كبير أو على باطل، فتلك - ولا ريب - صداقة نفعية برجماتية تقوم على أساس مزيف وعلى شفا جرف هار بحسب التعبير القرآني؛ قال تعالى: ﴿أَقْمِنَ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنَ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارُ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ﴾ (التوبة: ١٠٩)، وإنّما الصداقة الحقيقية التي تغذي الطموح المشترك والهدف السامي هي الصداقة الارتقائية، بمعنى أن يتكامل الأصدقاء في الثقافة والفكر وفي المعلومات، فلا تحكمهم الأنانية فيحبسون على أنفسهم امتيازاتهم المعرفية والمعنوية، وهذا

الارتقاء بقسميه لا يمكن أن تتصوره من دون التزاور المتبادل.

ثانياً: الوقوف بقدم ثابتة عند الأزمات، فيعيش الجميع شعوراً مشتركاً في مواجهة الأزمات التي تمرّ ببعض منهم، فيكون الشعور بالوحدة الجامعة بينهم، من أخلاقيات التزاور بينهم عند الوقوع في الأزمات، ونعني بذلك: وحدة الثقافة والطموح والهدف، فيكون الصديق الداعم مدافعاً عن ثقافته المشتركة وعن طموحه المشترك وعن هدفه المشترك.

ثالثاً: الوقوف على أرضية الثقة المتبادلة، فلا صداقة واقعية من دون ثقة، فإن الثقة هي الدواء الترياق لأمراض الصداقة. يُنقل عن محمد بن طاهر السجستاني^(١) أنه قد سأله رجل: إني أرى بينك وبين ابن سيّار القاضي ممازجة نفسية، وصداقة عقلية، ومساعدة طبيعية، ومؤاتة خلقية، فمن أين هذا؟ وكيف هو؟ فقال: «يا بني! اختلطت ثقتي به بثقته بي، فاستفدنا طمأنينة وسكوناً لا يرثان على الدهر، ولا يحولان بالقهر... حتى أننا نلتقي كثيراً في الإرادات والاختيارات والشهوات والطلبات، وربما تزاورنا فيحدثني بأشياء جرت له بعد افتراقنا من قبل، فأجدها شبيهة بأمور حدثت لي في ذلك الأوان حتى كأنها قسائم بيني وبينه، أو كأنني هو فيها، أو هو أنا»^(٢).

وينبغي أن تكون الصداقة واقعية وليس مطلوباً فيها أن تكون مثالية، وما جاء في بعض الأدبيات من بذل التضحية المضرّة بالنفس غير مطلوبة في الصداقة الواقعية، وإنما المطلوب هو مدّ يد العون ما دام البذل لا يُسبّب في انتقال مشكلة

(١) أبو سليمان المنطقي، محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني (ت: ٣٨٠هـ)، عالم بالحكمة والفلسفة والمنطق، سكن بغداد. انظر: الأعلام قاموس تراجم، مصدر سابق: ج ٦، ص ١٧١.

(٢) الصداقة والصديق، لأبي حيّان عليّ بن محمد بن العباس التوحيدي (ت: ٤٠٠هـ): مقدّمة الكتاب، منشور في المكتبة الشاملة.

الصديق المدعوم إلى الصديق الداعم، إلا إذا كانت القضية تستحق ذلك^(١).

كلمات على الطريق

• من التأسيسات القرآنية للتكامل الأسري أنه جعل للرجل والمرأة عشر صفات بلا تمييز؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٣٥).

• عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «لا تكون الصداقة إلا بمحدودها، فمن كانت فيه هذه الحدود أو شيء منها فأنسبه إلى الصداقة ... أولها: أن تكون سريره وعلايته لك واحدة، والثاني: أن يرى زينك وزينه وشينك وشينه، والثالثة: أن لا تغيره عليك ولاية ولا مال، والرابعة: أن لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته، والخامسة وهي تجمع هذه الخصال: أن لا يسلمك عند النكبات»^(٢).

خلاصة الدرس

- لا بد من توطيد التكامل الأسري وحفظه؛ لأنه سبيل منع الانحراف.
- عدم الوقاية الأسرية موجبة للتفكك الأسري الموجب للتفكك الاجتماعي.

(١) إلا إذا كانت التضحية في سبيل قضية عظيمة أو التضحية من أجل شخصية عظيمة، كما هو الحال في تضحية أمير المؤمنين علي عليه السلام في المبيت مكان النبي صلى الله عليه وآله، حيث عرض نفسه للقتل من أجل الإسلام وقائده العظيم صلى الله عليه وآله.

(٢) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٦٣٩، ح ٦، باب: (من يجب مصادقته ومصاحبته)؛ الخصال، مصدر سابق: ص ٢٧٧، ح ١٩، باب (حدود الصداقة).

- الأبناء هم الامتداد الطبيعي للزوجين، وعيال الرجل أسراؤه.
- علاقة الأبناء بالوالدين هي علاقة البرّ والتقوى، لا العقوق ولا القطيعة، فإنّ العقوق مقوّض لأركان التكامل الأسري.
- التكامل الأسري مسؤوليّة جميع أفراد الأسرة، والتزاور اليومي الواقع بنحو القصد أو الاضطرار هو عامل مساعد على تقوية أركانه.
- التزاور القربائي يهدف إلى حفظ الامتداد الاجتماعي وقوة الارتباط، وهو قوة ثبات وقوة مواجهة لمشكلات الحياة.
- تحفظ رابطة القرابة بالتواصل والتآزر والتكامل، فيكون مثل الجمع فيهم مثل أعضاء الإنسان، كلّ عضو منها لا يستقلّ بوظائفه.
- أن تصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، يعني أنّك في جهاد مع النفس التي تتأبى على صاحبها تقديم هذا النوع من التنازل.
- قطيعة الرحم ذنب يجلب الفناء، ومدعاة لهيمنة الأشرار على الأخيار.
- أدنى شيء نصل به الأرحام هي تحية الإسلام، وما أيسر ذلك!
- هويّة الأصدقاء في بنائهم الفكري والثقافي والأخلاقي تؤثر سلباً وإيجاباً على معطيات التكامل الأسري ومعطيات الامتداد الاجتماعي في القربى.
- الصداقة المراتيّة هي الصداقة الناجحة، فيكون الصديق مرآة لصديقه، لا يرى عيباً إلّا وساعده في إزالته، ولا بدّ أن يكون الصدق هو الأرضيّة الواقعيّة لبناء الصداقة، فإنّ الصديق هو من صدّقك لا من صدّقك.
- الوحدة الاجتماعيّة جامعة بين (التكامل الأسري) و (الأقرباء امتداد اجتماعي وقوة ارتباط) و (الأصدقاء وحدة ثقافة وطموح وأهداف).
- الوحدة الاجتماعيّة هي الرباط الواقعي الذي تستند إليه مساند الأسرة

- والقراية والصدقة، وهي أقرب ما تكون لوحدة الأمة القرآنية.
- الوحدة الاجتماعية ليست هدفاً جزئياً، ولا غاية محدودة، وإنما هي خلاصة رسوم التكليف، وخلاصة الطموح الإنساني السليم، وخلاصة المسير في خط الأنبياء عليهم السلام وهي دليل عقلانية العقلاء.
- من مبدأ التكامل الأسري تنبثق مجموعة أخلاقيات للتزاور الأسري.
- أخلاقيات التزاور بين أفراد الأسرة الواحدة، تنقسم إلى قسمين: أخلاقيات التزاور البنائي، وأخلاقيات التزاور التكاملي.
- أخلاقيات التزاور البنائي هي كل ما يدخل في المسؤوليات الأساسية، من الآباء تجاه الأبناء وبالعكس، ومن الأبناء تجاه بعضهم بعضاً.
- أخلاقيات التزاور البنائي فيما يتعلق بمسؤوليات الآباء تجاه الأبناء على قسمين: أخلاقيات بناء الثقة وتعزيزها، وأخلاقيات المتابعة.
- البر: هو خلاصة أخلاقيات التزاور البنائي فيما يتعلق بمسؤوليات الأبناء تجاه الآباء.
- أروع مصاديق البر بالوالدين قرآنياً هو خفض جناح الذلّ لهما.
- البر بالوالدين، إستراتيجية قائمة في أخلاقيات علاقة الأبناء بآبائهم.
- أخلاقيات التزاور البنائي فيما يتعلق بمسؤولية الأبناء تجاه بعضهم بعضاً، تكمن في التناصح والتسامح، ونشر ثقافة الاعتذار عن الخطأ، والعفو عن الخطأ، فلا يُترك المسيء بلا اعتذار، ولا يُترك المساء له من دون أن يُظهر عفوّه وتسامحه.
- أخلاقيات التزاور التكاملي هي كل ما يدخل في المسؤوليات الثانوية، من الآباء تجاه الأبناء وبالعكس، ومن الأبناء تجاه بعضهم بعضاً.
- من أخلاقيات التزاور التكاملي: إبداء الحرص على جلب المنفعة للآخر،

- والعمل على تكميل النواقص، والدعاء في العلن وبظهر الغيب.
- من مبدأ (الأقرباء امتداد اجتماعي وقوة ارتباط) تتشكل أخلاقيات منصبية على حفظ هذا الامتداد الاجتماعي وتعزيز قوة الارتباط.
- من أخلاقيات التزاور القربائي: لزوم التواصل والتكافل والتآصر، واستخدام إستراتيجية التخاذم أو التسخير القرآني.
- من مبدأ (الأصدقاء وحدة ثقافة وطموح وأهداف) تتشكل ظروف موضوعية لأخلاقيات التزاور بين الأصدقاء، ومنها: لزوم الأخلاقيات الارتقائية، والوقوف بقدّم ثابتة عند الأزمات، والوقوف على أرضية الثقة المتبادلة.
- ينبغي أن تكون الصداقة واقعية وليس مطلوباً فيها أن تكون مثالية.

مذاكرة

- لماذا يجب توطيد التكامل الأسري وحفظه؟
- ما الذي يُوجبه عدم الوقاية الأسرية؟
- ما هي طبيعة علاقة الأبناء بالوالدين، وعلاقة الوالدين بالأبناء؟
- التكامل الأسري مسؤولية مَنْ؟ وما هو العامل المساعد في تقوية أركانه.
- ما الذي يهدف إليه التزاور القربائي؟
- ماذا نعني بأن الامتداد الاجتماعي قوة ثبات ومواجهة لمشكلات الحياة؟
- تحفظ رابطة القرابة بالتواصل والتآزر والتكامل، مثلّ لذلك.
- ماذا نعني أنّ النفس تتأبى على صاحبها التنازل؟ وبماذا نواجهها؟
- كيف تُفسّر أنّ قطيعة الرحم ذنب بجلب الفناء؟
- كيف تُفسّر أنّ قطيعة الرحم مدعاة لهيمنة الأشرار على الأخيار؟
- ما هو أدنى شيء نصل به الأرحام؟

- كيف تؤثر هوية الأصدقاء على التكامل الأسري والامتداد الاجتماعي؟
- ما هي الصداقة الناجحة؟ وما هي أرضية هذه الصداقة؟
- ماذا نعني بقولنا: الصديق من صدقك لا من صدقك؟
- ما هو الجامع المشترك بين (التكامل الأسري) و (الأقرباء امتداد اجتماعي وقوة ارتباط) و (الأصدقاء وحدة ثقافة وطموح وأهداف)؟
- ما هي الوحدة الاجتماعية؟ ولأي شيء تكون جامعاً مشتركاً؟
- هل الوحدة الاجتماعية هدف جزئي، وغاية محدودة؟ فسّر ذلك.
- من أي مبدأ ينبثق التكامل الأسري؟
- ما هي أقسام أخلاقيات التزاور بين أفراد الأسرة الواحدة؟
- ما هي أخلاقيات التزاور البنائي وأخلاقيات التزاور التكاملي؟
- ما هي خلاصة أخلاقيات التزاور البنائي؟
- ما هو أفضل مثل ضربه القرآن الكريم للبرّ بالوالدين؟
- ما هو الشيء الذي يمثل إستراتيجية أخلاقيات علاقة الأبناء بأبائهم؟
- ما هي أهم أخلاقيات التزاور القربائي؟ ومن أي مبدأ تتشكّل؟
- ما هو معنى (سُخْرِيّاً) في قوله تعالى: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾؟
- ما الذي يتشكّل من مبدأ (الأصدقاء وحدة ثقافة وطموح وأهداف)؟
- هل المطلوب في الصداقة أن تكون مثالية؟ وضح ذلك.

الدرس الثاني عشر

أخلاقيات زيارة مقطوعي الصلة وعيادة المرضى

- أهداف الدرس
- تمهيد
- معنى مقطوعي الصلة
- أخلاقيات زيارة الأيتام
- أخلاقيات زيارة الفقراء والمساكين والأرامل والمحرومين
- أخلاقيات زيارة المتعفين
- أخلاقيات المريض
- أخلاقيات عيادة المرضى
- الأثر المشترك في عيادة المريض، على المريض وعائلته
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- تحديد المراد من اصطلاح (مقطوعي الصلة)
- عرض أخلاقيات زيارة الأيتام
- عرض أخلاقيات زيارة الفقراء والمساكين والأرامل والمحرومين
- الكشف عن خصوصيات المتعفّفين و أخلاقيات زيارتهم
- عرض أخلاقيات المريض وأخلاقيات عيادته
- بيان الآثار المشتركة في عيادة المريض، على المريض وعائده

تمهيد

البحث في ظاهرة مقطوعي الصلة وخلفيّة انتشارها هو بحث في الوضع الاقتصادي والاجتماعي الذي عليه واقع الأمة، فبالرغم من تقنين الإسلام لنظام الضرائب التشريعي في مجال الزكاة والخمس ومطلق الإنفاق الآخر، إلّا أنّنا نجد عزوفاً عن الاستجابة لذلك، ممّا دعا إلى تفاقم هذه الظاهرة المخلة بكرامة الإنسان وكرامة المجتمع، ولذلك كان من المناسب البحث في سبل تقصّي هذه الظاهرة وعرض بعض العلاجات العمليّة؛ لتطويق الظاهرة، وإنقاذ الإنسان والمجتمع، فكان البحث في زيارة مقطوعي الصلة مستجيباً لذلك، وناسب أيضاً الختم ببحث إنساني واجتماعي آخر، وهو عيادة المرضى، فهناك عدّة أخلاقيات ينبغي أن تُراعى في المريض نفسه وفي العائدين له، وهذا ما سنتعرّض له في هذا الدرس.

معنى مقطوعي الصلة

المراد من اصطلاح (مقطوعي الصلة) هم كلّ من لم يكن لهم راعٍ أو منفق، أو من انقطعت بهم الأسباب عن العمل والكسب، أو من أعوزتهم الحاجة

لمؤنّتهم المعيشيّة الضروريّة، من الفقراء والمساكين والمستضعفين والمتعفّفين، فهؤلاء جميعاً من مقطوعي الصلة الذين أعيّتهم الحيلة عن توفير مؤنّتهم، وقد نظر لها الشارع المقدّس بعين رحمة فأمرنا بالتواصل معهم ومساعدتهم مادياً ومعنوياً، ولعلّ خير ما نساعد به هؤلاء هو أن نبحث لهم عن حلول تُحفظ بها كرامتهم، لكي لا يقف بعضهم على الأبواب مستعطياً، ولا يبقى بعضهم متأمّلين طرق أبوابهم، ولكي نشعر أنّنا قد أدّينا الأمانة تجاههم.

إنّ وجود ظاهرة مقطوعي الصلة في الأُمّة وانتشارها، كاشف إنّ على أنّ هذه الأُمّة ليست على خير، بل هي في انكسار وتردّد، وكيف لا تكون كذلك وهي في الغالب فاقدة للشعور بنفسها، وأبناؤها فاقدون لخلق التواصل بعضهم مع بعض، وكأنّهم لم يجعلهم الله تعالى أُمّة واحدة، وهو تعالى القائل: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون: ٥٢)، ولكن لما ضعفت التقوى في الكلمة والفعل والتعاطي تمزّقت الأُمّة وصارت فرقةً وشيعاً وأشتاتاً، فالله تعالى يقول في صفة المتّقين: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات: ١٩)، فإذا ما غاب ذلك الحقّ، وصارت الغنيمة هي المقصد، والاستحواذ هو المبدأ، فمن الطبيعي جدّاً أن تنتشر ظاهرة مقطوعي الصلة في الأُمّة، وهي ظاهرة لا يقف وراءها طرف واحد، أعني: لا يقف خلفها مقطوعو الصلة فحسب، وإنّما يقف قبلهم مانعو الحقوق، وإنّما عبّرنا بالحقوق لأنّها ليست تفضّلاً من الأغنياء والتمكّنين، بل إنّ أقوات الفقراء حبسوها عندهم، والله تعالى سألهم عن ذلك، ومثلهم في القرآن مثل أحبار بني إسرائيل ورهبانهم الذين كانوا يأكلون أموال الناس بالباطل، ويكنزون الذهب والفضّة! قال تعالى فيهم وفي السالّكين طريقتهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ

اللَّهُ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿التوبة: ٣٤﴾، وإنَّما يتمدّد الغنيّ بحقوق حبسها عن الفقراء، كما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «إنَّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما مُتّع به غنيّ، والله تعالى سائلهم عن ذلك»^(١).

إنَّ منع الحقوق عن أهلها سبب مباشر في انتشار ظاهرة مقطوعي الصلة، وبذلك يكون مانعو الحقوق هم السبب المباشر في تفشّي هذه الظاهرة، وهذا ما يستدعي فرض نظام جديد في محاسبة مانعي الحقوق، فلا يُترك الأمر بشكل تطوّعي، كما هو الواقع المعاش؛ فلا يلتفت الأغنياء الذين لم يدفعوا الحقوق الشرعيّة المفروضة نتيجة غياب الرقابة عليهم، ومن الغريب أن نجد الفرد الأوربي يدفع الضرائب للدولة من دون انتظار جزاءٍ أخرويّ على ذلك، وإنَّما هي حقوق الدولة والمواطنة، في حين نجد الفرد المسلم الذي لا تُفرض عليه ضرائب مُعتدّ بها للدولة، يمنع الحقوق الشرعيّة مع أنّ في دفعها ثواب الجنّة، وفي منعها عذاب النار، قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «أوعده الله عزّ وجلّ في مال اليتيم بعقوبتين: إحداها عقوبة الآخرة النار، وأما عقوبة الدنيا فقلوه عزّ وجلّ: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (النساء: ٩)، يعني: ليخش إن أخلفه في ذريته كما صنع بهؤلاء اليتامى»^(٢)، ولكن: ﴿فَذَرَهُمْ خَوْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ (الزخرف: ٨٣)، ألا وإنَّ منع الحقوق ضربٌ من الكفر بالنعمة؛ لأنَّهم يسرفون في مواضع المعصية، ويُقتَرُونَ في مواضع الطاعة: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (محمد: ١٢).

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٤، ص ٧٨ رقم (٣٢٨).

(٢) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٥، ص ١٢٨، ح ١، باب: (أكل مال اليتيم).

أخلاقيات زيارة الأيتام

إن الأيتام هم أكثر طبقات مقطوعي الصلة تضرراً؛ لأنهم فقراء من جهة، ولا معيل لهم من جهة أخرى، فالفقير قد يعمل ويسد رمقه، ولكن الأيتام عاجزون عن ذلك، وقد يدعوهم الاضطرار إلى دخول معترك العمل وهم أطفال، فيستغلون من قبل ضعاف النفوس، لينتهي بعضهم إلى المنكرات والجريمة، ولذلك فإن معظم العيّنات لهؤلاء إنما سببها العوز والحاجة، ولا يعفى من مسؤوليتهم مانعو الحقوق؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ١٠) ولا ريب أن هؤلاء من المكذبين بالدين؛ قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ (الماعون: ١ - ٢)، أي: فذلك الذي يدفع اليتيم بعنف وشدة عن حقه؛ لقساوة قلبه وجلالة طبعه.

وبغية الخروج من هذه المتاهات المظلمة يجب تدارك أحوالهم، ومد يد العون حتى بالنسبة لمانحي الحقوق، فإن الحقوق الشرعية إنما تقدر بحسب الحاجة التي يفرضها الواقع، فإن كان المجتمع غنياً مكتفياً لا فقير ولا معوز فيه فلا معنى لأخذ الحقوق إلا من باب التوسعة، وإن كان المجتمع فقيراً - أو كما يُسمى بأنه تحت خط الفقر - فإن الحقوق الشرعية لا ينبغي أن تبقى بالرقمية المتعارف عليها، وإنما تزداد نسبتها حتى ترتفع الحاجة ويختفي العوز. بمعنى: أن على مانحي الحقوق الشرعية - وفقاً للرقمية المتعارف عليها - أن يدركوا مسؤوليتهم وفق هذا المنطق الصحيح، وهذه المسؤولية الجديدة لها من أولى سطور أخلاقيات التعامل مع الأيتام، لأنها ستكون عاملاً أساسياً في رفع الكثير من حالات اليتيم المنظورة. وأما الأخلاقيات المنظورة عند زيارتنا للأيتام، فهي:

أولاً: المسح على رؤوسهم، فذلك أوقع في نفوسهم، حيث يشعروهم بعاطفة الأبوة، ويروى أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام دخل يوماً على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «أخبرني يا رسول الله بصفة المؤمن؟ فنكس رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم رفع رأسه فقال: عشرون خصلة في المؤمن فإن لم تكن فيه لم يكمل إيمانه، إن من أخلاق المؤمنين يا علي: الحاضرون الصلاة، والمسارعون إلى الزكاة والمطعمون المسكين، الماسحون رأس اليتيم...»^(١).

ثانياً: رفع حالته المعنوية، وعدم إسماعه كلمة مخزنة، فضلاً عن عدم نهره وقهره، وقد قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (الضحى: ٩).

ثالثاً: السعي الحثيث إلى تكفل يتيماً واحداً أو أكثر، فذلك موجب لتضييق دائرة مقطوعي الصلة، كما أنه موجب لدخول الجنة، فعن عجلان أبي صالح أنه سأل الإمام أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن أكل مال اليتيم، فكان مما أجاب به: «من عال يتيماً حتى ينقطع يتمه أو يستغني بنفسه، أوجب الله عز وجل له الجنة، كما أوجب النار لمن أكل مال اليتيم»^(٢).

بل له أكثر من ذلك، وهي صحبة النبي صلى الله عليه وآله في الجنة، فعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرق بينهما قليلاً»^(٣).

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٣٢، ح ٥.

(٢) المصدر نفسه: ج ٥، ص ١٢٨، ح ٢، باب: (أكل مال اليتيم).

(٣) كتاب الموطأ: ج ٢، ص ٩٤٨، ح ٥؛ مصنف الصنعاني: ج ١١، ص ٢٩٩، ح ٢٠٥٩٢؛ مسند أحمد: ج ٥، ص ٣٣٣؛ سنن أبي داود: ج ٢، ص ٥٠٨، ح ٥١٥٠؛ الأدب المفرد: ص ٤٠، ح ١٣٥؛ المعجم الأوسط: ج ٢، ص ٥٠؛ مستدرک الوسائل: ج ٢، ص ٤٧٤، ح ٧.
(مصادر سابقة)

أخلاقيات زيارة الفقراء والمساكين والأرامل والمحرومين

من أهم أخلاقيات زيارة الفقراء والمساكين والأرامل: إيصال حقوقهم التي فرضها الله تعالى إليهم، كما جاء في موضوع الزكاة: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ...﴾ (التوبة: ٦٠)، فلا يستأثر الأغنياء بأموالهم ويتسلطون على رقاب الناس؛ قال تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (الحشر: ٧)، أي: لا يكون المال حجراً عليهم، ومتداولاً بينهم، فيكون إيصال حقوقهم إليهم من أخلاقيات زيارتهم، ومنها أيضاً:

أولاً: أن تكون زيارتهم - سواء لغرض تفقد أحوالهم أو لغرض معونتهم - منوطة بحفظ ماء وجوههم وصيانة كرامتهم، فليس من الخلق الكريم أن يكون ثمن مساعدتهم هدر كرامتهم، أو أن تكون مساعدتهم على مرأى من الناس^(١).
ثانياً: أن تلاحظ الأولويات في الزيارة وتقديم المساعدات، فليس من المناسب أن تُقصد أسرة فقيرة من عدة جهات خيرية، وتترك عوائل أخرى بلا قوت ولا معونة تذكر، كما ينبغي أن تكون المعونات مبرجة بحسب نوع الحاجة لا أن تُقدم بشكل يُفقد المعونة قيمتها، ولذلك ينبغي أن تدار مساعدة

(١) من الكوارث التي يندى لها جبين الإنسانية أن تُستعرض عوائل الفقراء والمساكين والأرامل والمحتاجين في القنوات الفضائية، فيتصفّح وجوههم الناس، ويصبحون حكاية للجميع، وما ذلك إلا ليشروا به ثمناً قليلاً، ولا نعلم بمن يقتدون، فذلك الإمام السجّاد عليه السلام، كما يروي عنه أبو حمزة الثمالي، كان يحمل الخبز بالليل على ظهره يتبع به المساكين في ظلمة الليل ويقول: «إِنَّ الصَّدَقَةَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ تَطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ». تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر الشافعي (ت: ٥٧١هـ): ج ١، ص ٣٨٣، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ؛ تهذيب الكمال، مصدر سابق: ج ٢٠، ص ٣٩٢؛ سير أعلام النبلاء، مصدر سابق: ج ٤، ص ٣٩٣.

الفقراء عن طريق مؤسسات مأمونة، أو أشخاص لهم خبرة في نظم هذه الأمور، لاسيما إذا كانت المساعدات تستوعب عوائل كثيرة.

ثالثاً: يُفضّل كثيراً الارتقاء بنوع المساعدات إلى مستوى يُحقّق لهذه العيّنات مستقبلاً أفضل، من قبيل تبني الوضع التعليمي لبعض أفراد الأسر الفقيرة، كما أنّ إيجاد فرص العمل للعوائل المعوزة يمثل خير معونة لهم. وأخيراً ينبغي أن يستمرّ السعي في دعم هذه العيّنات، لاسيما الأراامل ذوات الأيتام، والمساكين، وفي ذلك يقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالقائم ليله والصائم نهاره»^(١).

أخلاقيات زيارة المتعفّفين

وهنا لابدّ من التصرّف بلبين وحكمة، لأنّ المتعفّفين غالباً ما يكونون شديدي الحساسيّة ولديهم عزّة نفس عالية، فهم يُفضّلون أن يطووا الليل الطويل جوعاً على أن يمدّوا أيديهم للآخرين، مهما كان الآخرون، يرضون بفقرهم لا عن تقصير منهم في طلب الرزق، وإنّما لقلة الحيلة، وقد أشار إليهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً﴾ (البقرة: ٢٧٣)، أي: اجعلوا صدقاتكم لفاقدي الحيلة في طلب الرزق لا لتقصير منهم، الذين يظنّهم من لا يعرفهم بأحوالهم أنّهم أغنياء،

(١) مصنّف الصنعاني، مصدر سابق: ج ١١، ص ٢٩٩، ح ٢٠٥٩٢؛ مسند أحمد، مصدر سابق: ج ٢، ص ٣٦١؛ صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ٦، ص ١٨٩؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ٨، ص ٢٢١؛ سنن ابن ماجه، مصدر سابق: ج ٢، ص ٧٢٤، ح ٢١٤٠؛ سنن أبي داود، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥٠٨، ح ٥١٥٠؛ سنن الترمذي، مصدر سابق: ج ٣، ص ٢٣٤، ح ٢٠٣٥.

لأنهم لا يسألون أحداً شيئاً، تعففاً وعزّة، تعرفهم بعلاماتهم، وهي: «الامتناع من السؤال، والتجمل في اللباس والستر، لما هم فيه من الفقر وسوء الحال، طلباً لرضوان الله وطمعاً في جزيل ثوابه ... تعرف حالهم بالنظر إلى وجوههم ... لما يرى من التخشّع والخضوع الذي هو شعار الصالحين»^(١)، وقوله: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾، يعني: أنهم لا يسألون الناس أصلاً، مهما بلغت بهم الحاجة، ولذلك يحسبهم الجاهل بأحوالهم أنهم أغنياء. وفي ذلك يقول السيّد الطباطبائي: «وفي قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ ... دلالة على أنهم غير متظاهرين بالفقر، إلّا ما لا سبيل لهم إلى ستره، من علائم الفقر والمسكنة من بشرة أو لباس خلق أو نحوهما»^(٢)، ولذلك ينبغي التعاطي معهم بلين وحكمة، فلا تُجرّح مشاعرهم، على أنّ هذه الطبقة من المحتاجين لا يُناسبهم تقديم المساعدات لهم بقدر ما يُناسبهم تقديم فرص العمل الشريفة، ففي ذلك حفظ ماء وجوههم، كما يُمكن مساعدتهم أيضاً بالتزويج والتعليم، وبذلك تكون زيارتهم وتفقدتهم وسيلة نبيلة لرفع ما أصابهم من الحاجة والعوز.

أخلاقيات المريض

ينبغي للمرضى أن لا يكثرُوا من الشكوى، والأولى لهم ستر ما أصابهم من الناس، ففي ذلك أجر ومثوبة عظيمة، وأقل ما فيه أنّه يحطّ الذنوب خطّاً؛ فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يقول الله عزّ وجلّ: إذا ابتليت عبدي فصبر ولم يشتكِ على عوّاده ثلاثاً، أبدلته لحماً خيراً من لحمه، وجلداً خيراً من جلده، ودماً خيراً من دمه، وإن توفّيته

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٠٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٢، ص ٣٩٩.

توقيته إلى رحمتي، وإن عافيته عافيته ولا ذنب عليه»^(١).

ولا يبعد أن تكون كثرة الشكوى محبطة للأجر، لاسيما إذا بلغت الشكوى مرحلة الجزع؛ فعنه صلى الله عليه وآله: «يُكتب أنين المريض حسناتٍ ما صبر، فإن كان جزعاً كُتب هلوفاً لا أجر له»^(٢).

ولا يُراد بكثرة الشكوى وإظهار الجزع نفس إظهار المرض أو بيان ما يعانيه، وإنما المراد هو أن يميّز نفسه بشدة ابتلائه؛ فعن جميل بن صالح، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه سئل عن حدّ الشكاية للمريض؟ فقال: «إنّ الرجل يقول: حممت اليوم، وسهرت البارحة، وقد صدق، وليس هذا شكاية، وإنما الشكوى أن يقول: قد ابتليت بما لم يبتل به أحد، ويقول: لقد أصابني ما لم يصب أحداً، وليس الشكوى أن يقول: سهرت البارحة وحممت اليوم، ونحو هذا»^(٣).

بل يُستحبّ للمريض أن يُخبر أهله ومعارفه ومن له صلة به بمرضه؛ ليعودوه؛ فيؤجرون معاً، كما جاء في الخبر عن عبد الله بن سنان قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ينبغي للمريض منكم أن يؤذن إخوانه بمرضه فيعودونه فيؤجر فيهم ويؤجرون فيه، قال: فقليل له: نعم، هم يؤجرون بممشاهم إليه، فكيف يؤجر هو فيهم؟ قال: فقال: باكتسابه لهم الحسنات فيؤجر فيهم، فيُكتب له بذلك عشر حسنات، ويُرفع له عشر درجات، ويُمحي بها

(١) مكارم الأخلاق، مصدر سابق: ص ٣٥٩؛ باب: (في الصبر على العلة)؛

(٢) دعائم الإسلام، مصدر سابق: ج ١، ص ٢١٧؛ مستدرک الوسائل، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥٢، ح ٤؛ الدرّ المنثور، مصدر سابق: ج ٦، ص ٢٦٦.

(٣) الفروع من الكافي: ج ٣، ص ١١٦، ح ١، باب (حدّ الشكاية)؛ معاني الأخبار: ص ١٤٢، ح ١، باب (معنى الشكوى في المرض)، مكارم الأخلاق: ص ٣٥٩ (مصادر سابقة).

عنه عشر سيئات»^(١).

على أن كثرة الشكوى والجزع مؤثران خطيران على ضعف الإيمان، ولذلك على المرضى أن لا يُضيّعوا أجرهم، والإنسان لا يعلم الخير في أي حال يكون له، فلعل في مرضه دواءً من مرض عضال يصيب توحيده وعلاقته بالله تعالى.

يقول ابن القيم: «أن يعلم أنه لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وآجلاً، فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقد في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حمية له من هذه الأدوية، وحفظاً لصحة عبوديته واستفراغاً للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه، فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلي بنعمائه كما قيل:

قد ينعم بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم»^(٢).

كما أن في مرضه تطهيراً من الأدران والذنوب، ولعل له فيه درجات لا يمكن نيلها إلا بالمرض؛ فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إن لأهل البلاء في الدنيا درجات، وفي الآخرة ما لا تنال بالأعمال، حتى أن الرجل ليتمنى أن جسده في الدنيا كان يقرض بالمقاريض ممّا يرى من حسن ثواب الله»^(٣)، وليس المراد من ذلك أن يتمنى الإنسان المؤمن وقوع الابتلاء، فذلك أمر غير

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٣، ص ١١٧، ح ١، باب: (المريض يؤذن به الناس)؛ مكارم الأخلاق، مصدر سابق: ص ٣٦٠.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت: ٧٥١هـ): ج ٤، ص ١٧٣، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة (بيروت)، مكتبة المنار الإسلامية (الكويت)، الطبعة (١٤)، ١٤٠٧هـ.

(٣) عدّة الداعي، مصدر سابق: ص ١١٧؛ مستدرک الوسائل، مصدر سابق: ج ٢، ص ٦٦، ح ٢.

ممدوح، وإنَّما عليه أن يطلب العافية في الدين والدنيا، ولكنَّه إذا وقع في الابتلاء فإنَّ عليه أن يعلم بأنَّ الابتلاء ليس شرّاً له؛ لأنَّ فيه طهارة في الدنيا ورفعة في الآخرة، وقد تقدّمت كلمة الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ الله تبارك وتعالى إذا أحبَّ عبداً غتّه بالبلاء غتّاً، وثجّه بالبلاء ثجّاً»^(١)، وغير ذلك من أخبار الأجر على البلاء.

كما ينبغي له عدم الحضور في الأماكن العامّة التي يتوقّع فيها انتشار العدوى، بل يلزمه ذلك فيما إذا كانت الأمراض معدية وإن لم تكن خطيرة، فإنَّ المرض المعدي فيه تجاوز على الأمن الصحيّ العامّ. وأخيراً يُفضّل كثيراً للمريض أن يظهر الشكر والبشر ما استطاع لذلك سبيلاً، ففي ذلك أجر وثواب عظيمان، كما أنّه سوف يجعل العائدين له في راحة وسرور، وهذا الأمر إنّما يقع عادة من أصحاب النفوس الكبيرة^(٢).

أخلاقيات عبادة المرضى

إنَّ عبادة المريض من حقوق الأخوة المطلوبة بين المؤمنين، كما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في حقوق المسلم على أخيه: «... وإذا مرض فعده...»^(٣)،

(١) تقدّم تخريج الحديث.

(٢) ولعلّ من روائع الشاعر أحمد شوقي في ذلك ما قاله في وصف حالة الزعيم مصطفى كامل، عندما عاده شوقي في مرضه الذي توفّي فيه:

ولقد نظرتك والردى بك محقق والداء ملء معالم الجثمان
فهششت لي حتّى كأنك عائدي وأنا الذي هدّ السقام كياني

انظر: شعراء مصر والسودان (أحمد شوقي)، قصيدة (المشرقان عليك يتتجبان): رقم القصيدة (٩٦٢٨)، منشور في المكتبة الشاملة.

(٣) مسند أحمد: ج ٢، ص ٣٧٢؛ صحيح مسلم: ج ٧، ص ٣؛ الأدب المفرد: ص ١٩٨، ح ٩٢٥.

وفي خبر آخر عنه صلى الله عليه وآله أمر بسبع: «... وعبادة المريض...»^(١)، وهنا ينبغي أن يُلاحظ بعض الأخلاقيات في عيادة المرضى، وهي:

أولاً: اختيار الوقت المناسب للزيارة، فلا يُزار المريض وهو في فترة النقاهة، فضلاً عن فترة الوضع الحرج الذي يكون فيه. وأن تكون الزيارة مسبقة بإعلام منهم لأهل المريض، فلا يُفاجأون في الزيارة، وقد روي أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان لا يعود المريض إلا بعد ثلاث^(٢).

ثانياً: وعند الزيارة ينبغي السؤال عن أحوال المريض، ولكن من دون إطالة في السؤال، ومن دون إطالة في المكوث عنده^(٣)، إلا إذا كان المريض يطلب ذلك.

(١) الخصال: ص ٣٤٠، ح ٢؛ مسند أحمد: ج ٢، ص ٣٣٢؛ صحيح البخاري: ج ٢ ص ٧٠؛ صحيح مسلم: ج ٧ ص ٣؛ سنن ابن ماجه: ج ١، ص ٤٦١، ح ١٤٣٥؛ سنن أبي داود: ج ٢، ص ٤٨٢، ح ٥٠٣٠ (مصادر سابقة).

(٢) عن أنس بن مالك، قال: «كان النبي صلى الله عليه وآله لا يعود مريضاً إلا بعد ثلاث». سنن ابن ماجه، مصدر سابق: ج ١، ص ٤٦٢، ح ١٤٣٧.

(٣) ونعم ما قيل في ذلك قول الشاعر:

أدب العيادة أن تكون مُسَلِّماً وتقوم في إثر السلام مودّعاً

وقال آخر:

حُسن العيادة يوم بين يومين واقعد قليلاً كمثّل اللحظ بالعين
لا تُبرمنّ عليلاً في مساءلة يكفيك من ذاك تسأل به حرفين

يعني أن تقول له: شفاك الله. انظر: غرر الخصاص الواضحة، لأبي إسحاق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى الوطواط (ت: ٧١٨هـ): ص ٤٠٨، ضبط وتعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ. منشور في: موقع الوراق، وفي: المكتبة الشاملة.

ويقول سفيان الثوري: «حُمِّقَ العَوَادُ أَشَدُّ عَلَى المَرَضَى من أمراضهم، يَجِئُونَ في غير وقت ويطيلون الجلوس». العقد الفريد، لابن عبد ربّه الأندلسي (ت: ٣٢٧هـ): ص ٢٣٨.

ثالثاً: عدم إبداء الجزع أمام المريض ولا أهل المريض، والاقتصار على التذكير بالأجر والثواب الذي يناله المريض في مرضه على ما أصابه من آلام وتعب، مع الاستشهاد بالآيات المادحة للصابرين، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠)، وبالأخبار الواردة في هذا المضمار، من قبيل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياها»^(١).

رابعاً: ينبغي عند عيادة المريض الدعاء له بالشفاء والعافية وبطول العمر، فذلك أوقع في نفسه؛ فعن الرسول صلى الله عليه وآله: «إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في الأجل؛ فإن ذلك لا يرد شيئاً، وهو يطيب بنفس المريض»^(٢).

منشور في المكتبة الشاملة. والكلمة مستفادة من كلمة لأمير المؤمنين علي عليه السلام. انظر: شرح نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٢٠، ص ٢٩٧ رقم (٤٠٤).

ويحكى أن أحد الظرفاء (بكر بن عبد الله المزني البصري، ت: ١٠٨ هـ) قد مرض، فعاده الناس، وأطالوا المكوث عنده، فقال لهم: المريض يُعاد، والصحيح يُزار. انظر: الطبقات الكبرى، مصدر سابق: ج ٧، ص ٢١١؛ العقد الفريد، مصدر سابق: ص ٢٣٨. والكلمة مأخوذة أيضاً من أمير المؤمنين عليه السلام. انظر: شرح نهج البلاغة: ج ٢٠، ص ٢٩٧ رقم (٤٠٥).

(١) مسند أحمد، مصدر سابق: ج ٢، ص ٣٣٥؛ صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ٧، ص ٢.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ج ٣، ص ١٢٤، ح ٥؛ سنن ابن ماجه: ج ١، ص ٤٦٢، ح ١٤٣٨؛ سنن الترمذي: ج ٣، ص ٢٧٨، ح ٢٤٦٨؛ كتاب الدعاء، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠ هـ): ص ٣٣٣، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ١٤١٣ هـ، بيروت؛ مستدرک الوسائل، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٥٤، ح ٢٧.

يروى أن رجلاً قد دخل على عمر بن عبد العزيز يعود في مرضه، فسأله عن علته فأخبره، فقال الزائر: إن هذه العلة مات منها فلان وفلان. فقال عمر: إذا عدت مريضاً فلا تنع إليه الموتى، وإذا خرجت عنا فلا تعد إلينا. انظر: العقد الفريد، مصدر سابق: ٢٣٨.

وحبذا أن تُقرأ بعض الأدعية على مسمع منه، ولو مقاطع صغيرة، من قبيل ما جاء في أواخر دعاء كميل: «يا من اسمه دواء، وذكره شفاء، وطاعته غنى، ارحم من رأس ماله الرجاء، وسلاحه البكاء، يا سايع النعم، يا دافع النقم»، ثم تذكر المريض باسمه طالباً له الشفاء، وفي الخبر عن الصحابي الجليل سلمان الفارسي أنه قال: «دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله يعودني وأنا مريض، فقال: كشف الله ضرك، وعظم أجرك، وعافاك في دينك وجسدك إلى مدة أجلك»^(١).

ويُفضّل عند الدعاء وضع العائد يده على جبهة المريض؛ فعن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده عليه ويسأله: كيف أنت؟ كيف أصبحت؟ وكيف أمسيت؟»^(٢).

ويُفضّل أن يسأل العائد من المريض الدعاء أيضاً، فإن دعاء المريض أقرب للاستجابة؛ فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إذا دخل أحدكم على أخيه عائداً له فليسأله يدعو له؛ فإنّ دعاءه مثل دعاء الملائكة»^(٣).

خامساً: أن يُبدي شيئاً من الظرافة أمام المريض، فذلك أطيب لنفسه^(٤).

(١) أمالي الطوسي، مصدر سابق: ص ٦٣٢، ح ٣؛ مكارم الأخلاق، مصدر سابق: ص ٣٦١.

(٢) أمالي الطوسي: ص ٦٣٩، ح ٥؛ مكارم الأخلاق: ص ٣٥٩؛ مسند أحمد، مصدر سابق: ج ٥ ص ٢٦٠؛ سنن الترمذي، مصدر سابق: ج ٤ ص ١٧٣ ح ٢٨٧٤.

(٣) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٣ ص ١١٧ ح ٣؛ مكارم الأخلاق: ص ٣٦١.

(٤) يحكى أنّ رجلاً مرض مرضاً شديداً فأمر بإحضار أولاده إلّا واحداً منهم، فسأله عنه، فقال: إن جاءني قتلني؛ لأنّه يتقعر في كلامه، فلمّا ألحوا عليه قال: أحضروه، على أن لا يتكلّم، فاشترطوا عليه ذلك، فلمّا دخل الابن قال: يا أبت قل: أشهد أن لا إله إلّا الله (برفع لفظ الجلالة)، وإن شئت فقل: أشهد أن لا إله إلّا الله (بنصب لفظ الجلالة)، فكلاهما جائز، والأولى أحبّ إلى سيّويه، يا أبت ما حبسني عنك إلّا فلان، فإنّه دعاني بالأمس، فأهرس وأعدس، واستبذج وسكبج، وطهبج وأفرج ودجج، وأبصل وأمضر، ولوزج

سادساً: إحضار هدية - ولو رمزية - إلى المريض؛ فإنه يأنس بها، وفي ذلك ترويح عنه؛ كما يُروى أنَّ بعض المؤمنين قد ذهبوا لعيادة مريض فرآهم الإمام جعفر الصادق عليه السلام في الطريق فقال لهم: «أين تريدون؟ فقلنا: نريد فلاناً نعوده، فقال لنا: قفوا، فوقفنا، فقال: مع أحدكم تفاحة أو سفرجلة، أو أترجة أو لعقة من طيب، أو قطعة من عود بخور؟ فقلنا: ما معنا شيء من هذا، فقال: أما تعلمون أنَّ المريض يستريح إلى كلِّ ما أدخل به عليه؟»^(١)، وفي الحديث دلالة على الاكتفاء بأيسر الأمور، فلا حاجة للتكلف في أمور تسبب حرجاً للزائر والمزور، كما أنَّه يشير إلى أولوية الطعام والطيب.

سابعاً: دفع صدقة عن المريض، فإنَّ الصدقة عنه ترفع البلاء، وهي نافعة للدافع والمدفوع عنه، لاسيما للمريض نفسه؛ لأنها قد تكون دواءً له، فعن الإمام محمد الباقر عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «داووا مرضاكم بالصدقة»^(٢)، بمعنى صيرورة الصدقة دعاءً عملياً لطلب الشفاء، وهي أسرع في الاستجابة من القول نفسه؛ فعن الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنَّ رجلاً شكاً إليه كثرة عياله وأنهم مرضى، فقال له: «داوهم بالصدقة، فليس شيء أسرع إجابة من الصدقة، ولا أجدى منفعة للمريض من الصدقة»^(٣).

وافلوزج. فصاح أبوه: غمّضوني فقد سبق ملك الموت إلى قبض روعي. انظر: المستطرف في كل فنٍّ مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبهسي: ج ٢، ص ٥١٨، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦ م.

- (١) وسائل الشيعة: ج ٢ ص ٤٢٧ ح ١؛ مكارم الأخلاق: ص ٣٦١. (مصدران سابقان)
- (٢) المحاسن: ج ١، ص ٢٩٤، ح ٥٨؛ الفروع من الكافي: ج ٤، ص ٣، ح ٥؛ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٦٦، ح ١٧٣٠؛ تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ١١٢، ح ٦٥ (مصادر سابقة).
- (٣) وسائل الشيعة: ج ٢، ص ٤٣٣، ح ٤؛ طبِّ الأئمة عليهم السلام، لأبي عتاب عبد الله بن سابور الزيات والحسين بن بسطام النيسابوريين: ص ١٢٣، تقديم: السيّد محمد مهدي

الأثر المشترك في عيادة المريض على المريض وعائده

وهنا يمكن أن نسلط الضوء على ثلاثة آثار مشتركة بين المريض وعائده:
الأول: مرّ بنا حديث جليل عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، مفاده أنّ المريض وزائره مأجوران في الزيارة، وكون الزائر مأجوراً أمر معلوم الحال، ولكن كيف للمريض أن يؤجر في زيارتهم له؟ هذا ما سأله بعض من الإمام الصادق عليه السلام، فأجابهم: «باكتسابه لهم الحسنات فيؤجر فيهم...»^(١)، فيقتسم المريض وعائده الأجر والثواب، وهذا هو الأثر الأول، والأهمّ أخروياً.

الثاني: إنّ في عيادة المرضى تحقيق عامل مساعد في تقوية الأواصر والعلاقات الاجتماعية، بل هو عامل مساعد في رفع الخلافات أو في تخفيف حدّتها، فالمرض عادة ما يؤدّي إلى الرقة وتلين القلوب وتغيّر المواقف، لاسيّما في الأمراض الشديدة التي تُشعر المريض بقرب الأجل، فإنّه يجعله ينظر للحياة نظرة مختلفة تماماً، وكذلك العائدون له، فإنّهم في الغالب ما يتسامحون مع المريض، إمّا للتخفيف عليه أو رغبة منهم في إبراء ذمّته، وفي ذلك أثر مشترك على الطرفين، وهذا الأثر هو الأهمّ اجتماعياً؛ لأنّه في الغالب يعود بالأثر الطيّب على الذرّة التي يرفع عن كاهلها تبعات النزعات الموروثة.

الثالث: الاستئناس المتبادل بين المريض وعائده، والتبادل في العاطفة الصادقة، والتأثر والتأثير المتبادل، وهذا ما صوّره لنا الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤هـ) في صورة لطيفة عندما عاد صديقاً حميماً وتلميذاً له، وهو محمد عبد الكريم المصري، حيث يقول في عيادته^(٢):

الخرسان، منشورات الرضي، مطبعة أمير، قم، الطبعة الثانية، ١٣٦٣ ش.

(١) تقدّم تخريج الحديث.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٨٨؛ قوت القلوب في معاملة المحبوب،

مرض الحبيب فعُدته فمرضتُ من حذري عليه
فأتى الحبيب يعودني فشُفيتُ من نظري إليه

حيث يتّضح شدّة تأثر العائد بحالة المريض، حتّى أنّه شعر بالمرض من الخوف عليه، ولما مرض العائد عادده المريض الأوّل ليجلب له بلسم الشفاء بمجرد النظر إليه، وهذا يكشف عن انكسار القلب عند رؤية مريض قريب إلى النفس.

كلمات على الطريق

- ورد في دعاء للإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَلْبِسْنِي عَافِيَتِكَ الْحَصِينَةَ، فَإِنْ ابْتَلَيْتَنِي فَصَبِّرْنِي، وَالْعَافِيَةَ أَحَبُّ إِلَيَّ»^(١)، فمع مقابلة الابتلاء بالصبر أو بالتصبر عليه فإنّه يبقى الأصل المطلوب هو طلب العافية.
- روي عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: «مَنْ دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ فَقَالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، شُفِيَ مَا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ»^(٢).
- وعنه صَلَّى الله عليه وآله في دعاء آخر للمريض: «اللَّهُمَّ اشْفِهِ بِشَفَائِكَ،

لأبي طالب محمد بن عليّ المكي (ت: ٣٨٦هـ): ج ٢، ص ٣٨٠، تحقيق: الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٠٠٩م.

(١) مصباح المتهجّد، مصدر سابق: ص ٥٥٥، ح ٢٤؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٣، ص ٨١، ح ٨؛ إقبال الأعمال، مصدر سابق: ج ١، ص ٣١٨.

(٢) مصنّف ابن أبي شيبة: ج ٥، ص ٤٤٣، ح ٥؛ كتاب الدعاء: ص ٣٣٩؛ المستدرک علی الصحیحین: ج ٤، ص ٢١٣؛ الدعوات: ص ٢٢٣، ح ٦١٣؛ مستدرک الوسائل: ج ٢، ص ١٥١، ح ٢٢ (مصادر سابقة).

وداوه بدوائك، وعافه من بلائك»^(١).

خلاصة الدرس

- مقطوعو الصلة: هم كل من ليس له راع أو منفق، أو من انقطعت بهم الأسباب عن العمل والكسب، أو من أعوزتهم الحاجة لأمر ضروري.
- خير مساعدة لمقطوعي الصلة أن نبحث لهم عن حلول تحفظ كرامتهم، كي لا يقفوا على الأبواب مستعطين، ولا يبقوا متأملين طرق أبوابهم.
- انتشار ظاهرة مقطوعي الصلة في الأمة يكشف عن كون هذه الأمة ليست على خير، بل هي في انكسار وترد.
- إذا ما غاب الحق، وصارت الغنيمة هي المقصد، والاستحواذ هو المبدأ، فمن الطبيعي أن تنتشر ظاهرة مقطوعي الصلة في الأمة.
- يقف وراء ظاهرة مقطوعي الصلة مانعو الحقوق، الذين حبسوا أقواتهم.
- الأيتام أكثر طبقات مقطوعي الصلة تضرراً؛ لأنهم فقراء ولا معيل لهم.
- إن الحقوق الشرعية تقدر بحسب الحاجة التي يرضها الواقع، فإن كان المجتمع غنياً مكتفياً لا فقير ولا معوز فيه، لا تؤخذ الحقوق فيه إلا من باب التوسعة، وإن كان المجتمع فقيراً، فإن الحقوق لا ينبغي أن تبقى بالرقمية المتعارف عليها، بل لابد أن تزداد نسبتها حتى ترتفع الحاجة.
- الأخلاقيات المنظورة عند زيارتنا للأيتام، هي: المسح على رؤوسهم؛ فذلك أوقع في نفوسهم، ورفع حالتهم المعنوية، وعدم إسماعهم كلمة محزنة، والسعي الحثيث إلى تكفلهم أو تكفل يتيماً واحداً منهم على الأقل.
- من أهم أخلاقيات زيارة الفقراء والمساكين والأرامل: إيصال حقوقهم

(١) الدعوات، مصدر سابق: ص ٢٢٨، ح ٦٣٥؛ مستدرك الوسائل، مصدر سابق: ج ٢، ص ١٥١، ح ٢٢؛ مكارم الأخلاق، مصدر سابق: ص ٣٩١.

التي فرضها الله تعالى إليهم، وأن تكون الزيارة منوطة بحفظ ماء وجوههم وصيانة كرامتهم، وأن تُلاحظ الأولويات في الزيارة وتقديم المساعدات، ويُفضّل كثيراً تبني الوضع التعليمي لبعضهم.

- من أخلاقيات زيارة المتعفّفين: التصرف معهم بلينٍ وحكمة؛ لأنّهم شديداً والحساسية ولديهم عزّة نفس عالية، فلا تُجرح مشاعرهم، علماً أنّ ما يُناسب هذه الطبقة هو تقديم فرص العمل الشريفة، ففي ذلك حفظ ماء وجوههم، وكذلك مساعدتهم على التزويج والتعليم.
- من أخلاقيات المريض: أن لا يكثر من الشكوى، وأن يستر ما أصابه.
- لا يُراد بكثرة الشكوى وإظهار الجزع إظهار المرض أو بيان ما يعانيه، وإنّما المراد تمييز نفسه بشدّة ابتلاؤه.
- كثرة الشكوى والجزع مؤشّران خطيران على ضعف الإيمان.
- لا ينبغي للمرضى أن يحضروا في الأماكن العامّة التي يتوقّع فيها انتشار العدوى.
- يُفضّل للمريض أن يظهر الشكر والبشر ما استطاع لذلك سبيلاً.
- عبادة المريض من حقوق الأخوة المطلوبة بين المؤمنين، ومن أخلاقيات عيادته: اختيار الوقت المناسب للزيارة، والسؤال عن أحواله من دون إطالة في السؤال ومن دون المكوث عنده، وعدم إبداء الجزع أمامه أو أمام أهله، والاقتصار على التذكير بالأجر والثواب، والدعاء له بالشفاء والعافية وبطول العمر، فذلك أوقع في نفسه.
- يُستحسن لعائد المريض إبداء شيء من الظرافة، فذلك أطيّب لنفس المريض، وإحضار هديّة ولو رمزيّة؛ لأنّه يأنس بذلك، ودفع صدقة عن المريض؛ لأنّها ترفع البلاء عنه.
- هنالك آثار مشتركة بين المريض وعائده، منها: أنّهما مأجوران في

الزيارة، وأن الزيارة عامل مساعد في تقوية الأواصر والعلاقات الاجتماعية، ورفع الخلافات أو في تخفيف حدتها، وتحقيق الاستئناس المتبادل بينهما، والتبادل في العاطفة الصادقة.

مذاكرة

- من هم مقطوعو الصلة؟ وما هي الطبقة الأكثر تضرراً منهم؟ ولماذا؟
- ما هو خير ما تُساعد به مقطوعي الصلة؟ ولماذا؟
- ما هو سر انتشار ظاهرة مقطوعي الصلة في الأمة؟
- وفق أي قاعدة يُقدّر دفع الحقوق الشرعية؟ ولماذا؟
- ما هي الأخلاقيات المنظورة عند زيارتنا للأيتام؟
- ما هي أهم أخلاقيات زيارة الفقراء والمساكين والأرامل؟
- ما الذي ينبغي مراعاته عند زيارة المتعفين؟ ولماذا؟
- ما هي أهم أخلاقيات المريض؟
- هل إظهار الجزع يساوق إظهار المرض أو بيان ما يعانيه؟ ولماذا؟
- عن أي شيء تكشف كثرة الشكوى والجزع؟
- ما حكم حضور المرضى في الأماكن العامة؟
- ما هي علاقة عيادة المريض بحقوق الأخوة؟
- ما هي أهم أخلاقيات عيادة المريض؟
- ما هي فائدة تقديم الهدية للمريض والتصدق عنه عند عيادته؟
- ما هي أهم الآثار المشتركة بين المريض وعائده؟

الدرس الثالث عشر

الشخصية القرآنية والأخلاقية للمبلغين والمرشدين

- أهداف الدرس
- تمهيد
- معنى التبليغ
- خواص التبليغ
- الأبعاد الذاتية العامة في شخصية المبلغ
- الأبعاد الخاصة في شخصية المبلغ
- أخلاقيات التبليغ والمبلغين
- نقاط جوهرية في إنجاح العملية التبليغية
- الأخلاقيات الخاصة لمرشدي الحج
- الأخلاقيات الخاصة بالمتعهدين للحج
- الأخلاقيات الخاصة بالبعثة الطبية في الحج
- الأخلاقيات الخاصة بالبعثات الدينية في الحج
- مع الإمام الصادق في الفرع إلى الله تعالى
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- بيان معنى التبليغ وخواصه
- الكشف عن الأبعاد الذاتية العامة والخاصة في شخصية المبلِّغ
- الكشف عن أخلاقيات التبليغ والمبلِّغين وحيثيات إنجاح عملية التبليغ
- الكشف عن أخلاقيات المرشدين والمتعهِّدين للحجّ
- الكشف عن أخلاقيات البعثة الطيّبة والبعثات الدينيّة في الحجّ

تمهيد

ارتبط التبليغ بإيصال رسالة الإسلام إلى الناس كافة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ: ٢٨)، ونظراً لارتباطه بالإسلام والرسالة الخاتمة كان لابدّ من تشخيص أهمّ خواصّ التبليغ وأهمّ خواصّ المبلِّغين؛ لضمان السير التبليغي بالنحو الموافق لروح الإسلام.

فإذا كانت أهمّ دواعي النبوة الخاتمة هي تتميم مكارم الأخلاق فإنّ التبليغ الرسالي والمبلِّغ الرسالي منوط بذلك، ولذلك كان لابدّ من ربط التبليغ بجملة من خصائص النبوة الخاتمة، فيلاحظ في شخصية المبلِّغ الأبعاد الذاتية العامة والأبعاد الخاصة، وأنّ المباشرة بالعمل التبليغي فرع اكتمال أدواته الأساسيّة؛ لكي لا يكون التبليغ سبباً في ضلال الناس أو تشويه أخلاقيّاتهم. وهذا ما دعانا لبحث أهمّ النقاط الجوهرية في إنجاح العملية التبليغيّة، ولأنّ للتبليغ موارد كثيرة، فقد كان مناسباً البحث في أخلاقيات المبلِّغ والمرشد الديني في أشهر موارد تواجده، وهو فريضة الحجّ، وكذلك البحث في مقتضيات نجاح هذه الفريضة، حيث تناولناها في هذا الدرس الأخير من هذه الحلقة الأخلاقيّة التعليميّة.

معنى التبليغ

التبليغ مصدر (بَلَّغَ) بمعنى الإيصال، وفعله: (أوصل)، يقال: بَلَّغَهُ السلام إذا أوصله^(١)، وهو: وظيفة إلهية رسالية، أوكلها الله تعالى إلى أنبيائه عليهم السلام كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (النحل: ٣٥)، وتشمل السائرين على خطّهم ونهجهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ افْتَدَاهُ﴾ (الأنعام: ٩٠)، بهدف ترويج الدين، ونشر الفضيلة: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢)، والعمل على إخراج الناس من الظلمات كافة إلى حقيقة النور: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (إبراهيم: ١).

والمهمة الأساسية للمبلِّغ الرسالي هي تبليغ رسالة الإسلام إلى الناس كافة، فالمبلِّغ هو من الأدلاء على الآخرة، فإن لم يؤدّ وظيفته كان قاطع طريق، ومخلًا بأصل عمله؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (المائدة: ٦٧).

خواص التبليغ

أولاً: التبليغ وظيفة إلهية وليس وظيفة مدنية أو حكومية

بمعنى: أن المبلِّغ الرسالي يؤدّي بتبليغه أهم أدوار الأنبياء عليهم السلام في تبليغ رسالاتهم. ولا بدّ للمبلِّغ أن يعيش الأجواء الرسالية في تبليغه، ليتجاوز الصعاب والمعوقات التي تواجهه؛ فالرسالي عمله وتضحياته لله

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة، مصدر سابق: ج ٤، ص ١٣١٦ مادة: بَلَّغَ؛ لسان العرب، مصدر سابق: ج ٨، ص ٤١٩ مادة: بَلَّغَ.

تعالى وحده، ولذلك فهو في أصل عمله لا ينتظر أجراً من أحد، ولا ينتظر مكافأة قد تكون مانعة من الالتزام بمقتضيات التبليغ الملتزم، فلا ينبغي أن يُجامل أو يُداهن، وإذا ما كانت هنالك مكافأة تنتظره فلا بد أن لا تكون مؤثرة في مقتضيات التبليغ الرسالي.

ثانياً: أولوية الأهداف العامة على الأهداف الخاصة أو الشخصية

إنّ المبلّغ أمامه أهدافاً عامّة، وهي ترويج الدين، وتبصير الناس بالحق، ونصرة المستضعفين، والدفاع عن المظلومين، وغير ذلك من الأهداف الإلهية العظيمة، وهنا قد تتقاطع هذه الأهداف مع المصالح الشخصية للمبلّغ، وعندئذ لا شيء يتقدّم على أهداف وظيفته الرسالية، فالمصالح الشخصية لو تضرّرت فإنّها محدودة ويمكن تعويضها، أمّا المصالح العامة والأهداف الكبرى فإنّها تشمل الأمة ولا يمكن تعويضها بسهولة، وهذا ما يستدعي من المبلّغ أن يكون مدركاً ومستعداً لتقديم مثل هذه التضحيات الجزئية التي تمثل مصالحه الشخصية في مقابل حفظ المصالح العامة.

ثالثاً: التبليغ تكليف إلهي مشروط بالنصح وغير مشروط بالتوفيق

إنّ الوظيفة الإلهية الرسالية مقرونة بالأداء المتقن، والنصح الأكيد، والدفاع عنها وعدم التقصير فيها، وليس مشروطاً بحصول النجاح أو التوفيق فيها؛ قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: ٢٠)، ولا ينبغي الحزن والتأثر الشديد عند عدم الكسب الظاهري في التبليغ، فإنّ الكسب الحقيقي للمبلّغ هو في نفس أداء وظيفته مع عدم التقصير في الأداء، فإذا لم يحصل التوفيق فهو ليس مسؤولاً عن ذلك، بل هو غير محاسب؛ قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف: ٧٩).

رابعاً: التبليغ عملية إنقاذية وليست تسقيطية

إنَّ المبلِّغ هو في الأصل مُصلِح اجتماعيٍّ، والمصلح يمارس دور الإنقاذ، ولذلك فهو لا يحمل عداوات شخصية، وليست له خصومة مع أحد، فالخصومات وليدة الصراع الدنيوي، وأمَّا المبلِّغ الرسالي فبضاعتهُ أخروية، ومكاسبهُ أخروية، ومن أجل الآخرة تجده يُضحِّي بالكثير من التفاصيل الدنيوية التي تكون مثار الخلاف والاختلاف، ولو راجعنا سيرة أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام نجده قد مثَّل أنبل شخصية تبليغية رسالية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في تاريخ الإسلام، فقد أعطى كلَّه لله تعالى وللدين الإسلامي، وكان حَجراً بيد رسول الله صلى الله عليه وآله يرمي به أينما شاء، كناية عن طاعته العمياء لرسول الله صلى الله عليه وآله، وقد لقي من الأذى في تبليغه الرسالي الشيء الكثير، وهو مع ذلك لم يصب من الدنيا شيئاً، لا في زاده ولا في ملبسه ولا في مسكنه، وكان يقول: «يا أهل الكوفة إن خرجت من عندكم بغير رحلي وراحلي وغلامي فأنا خائن»^(١)، وكان يقول: «وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها في غدٍ جدث، تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد في فسحتها وأوسعت يدا حافرها لأضغظها الحجر والمدر، وسدَّ فُرَجها التراب المتراكم، وإنَّما هي نفسي أروضها بالتقوى؛ لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق. ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخيّر الأظعمة»^(٢).

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج ١٥، ص ١٠٩، ح ٥.

(٢) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٣، ص ٧٠، ح ٤٥، من كتاب له عليه السلام إلى عامله على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري، وقد بلغه أنَّه دُعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها.

خامساً: التبليغ للدين والمبادئ وليس للأشخاص

وهذه نقطة مهمة وحساسة، فإنَّ الأشخاص مهما علا شأنهم ليسوا هم الدين، فلا ينحصر الإسلام بشخص وإن كان من العلماء الكبار، ولذلك لا بدَّ أن ينحصر التبليغ بالدين وللدين، وليس للأشخاص الذين يمشون ويقيمون الإسلام. نعم، يُمكن أن يكون الترويج لأفكارهم الداعمة للإسلام وليس لأشخاصهم، فالعمل التبليغي هو التبليغ للدين وليس للأشخاص.

سادساً: الموازنة في انتخاب الموضوع

بمعنى مراعاة الظرف العام الذي يُطرح فيه الموضوع التبليغي، فإذا كانت هنالك حاجة للسيرة فينبغي التركيز عليها، وإذا كانت هنالك حاجة للأحكام الشرعية فينبغي التركيز عليها، وهكذا. فالمبليغ هو أشبه ما يكون بالطبيب، كما جاء في توصيف أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: «طبيبٌ دَوَّارٌ بطبِّه قد أحكم مراحمه، وأحمى مواسمه. يضع ذلك حيث الحاجة إليه من قلوبٍ عُمي، وأذانٍ صُم، وألسنةٍ بُكم. متَّبِعٌ بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة»^(١)، والطبيب دقيق في تشخيص الداء، ودقيق في تشخيص الدواء، وهكذا المبليغ الناجح، حيث يُشخِّص الحاجة فينتخب لها الموضوع المناسب الذي يسدُّ به حاجة مخاطبيه، وفي هذا العمل حكمة، حيث وضع الشيء في موضعه.

(فدك): قرية لرسول الله صلى الله عليه وآله كان صالح أهلها على النصف من نخيلها بعد فتح خيبر، وإجماع الشيعة على أنَّه كان أعطاها فاطمة عليها السلام قبل وفاته إلا أنَّ أبا بكر منعها نخلتها وردّها لبيت المال. (المظان): جمع مظنة وهو المكان الذي يظن فيه وجود الشيء. (جدت): قبر. (أروضها): أذلّها. (القر): الحرير. (١) تقدّم تحريجه.

سابعاً: الموازنة في تحديد الزمان والمكان

بمعنى عدم الاقتصار على مكان ما، دون الأمكنة الأخرى، فيُحدث مللاً في منطقة، ويترك فراغاً في المناطق الأخرى، وهكذا في الزمان، فنجد البعض يُبلغ في كل يوم من أيام محرّم قرابة العشر ساعات، ويترك أيام السنة الأخرى بلا تبليغ، وكأنّ التبليغ موسميّ، وهذا قد يُعذر به طلبية العلم المتفرّغين لطلب العلم فيستغلّون التعطيلات الموسميّة في التبليغ، وأمّا بالنسبة للمتفرّغين للعمل التبليغي فدورهم يمتدّ على طول السنة الكاملة، والأمر ليس موقوفاً على انعقاد المجالس، حيث يشمل التربية والتعليم ودفع الشبهات والمضي في حوائج المؤمنين، فإذا تمّ هذا الأمر فقد حصلت الموازنة.

الأبعاد الذاتية العامّة في شخصية المبلّغ

هنالك مقومات تساعد كثيراً على نجاح المبلّغ في وظيفته الإلهيّة، أهمّها: أولاً: الشكل المقبول والهئية الحسنة والصوت الحسن، وهذه مواهب جزء كبير منها ذاتي، وجزء يسير منها كسبيّ، فحسن الصوت ذاتي، ولكنّ تحسينه كسبيّ، ويمكن تعويض ضعف الصوت بالاعتماد على قوّة التأثير، وقوّة التأثير تأتي بالمعلومات الصحيحة وبطريقة عرضها.

ثانياً: الحافظة والذاكرة والصبر والقدرة العالية على التحمّل، فالتبليغ عمل شاقّ، يحتاج إلى مطالعات كثيرة، وتدوين وتنظيم، ومراجعته وحفظه، كما يحتاج إلى تحمّل كبير، فقد يلاقي المبلّغ خصوماً وأعداء وحاسدين، فيواجههم بالصبر والحسنى، وهذه مواهب غير قليلة، وإن لم يكن المبلّغ صبوراً فعليه أن يتصبّر، ويتأدّب بالصبر من خلال تمسّكه بهدفه الكبير الذي جاء من أجله، وقد ضرب لنا النبيّ نوح عليه السلام مثلاً عظيماً في الصبر في التبليغ، ومن تلك الصور الاستثنائيّة ما رواها الإمام محمّد الباقر عليه السلام قال: «إنّ نوحاً

عليه السلام لما غرس النوى مرّ عليه قومه فجعلوا يضحكون ويسخرون ويقولون قد قعد غراساً! حتّى إذا طال النخل وكان جبّاراً طوالاً قطّعه ثمّ نخته، فقالوا: قد قعد نجّاراً! ثمّ ألّفه فجعله سفينة، فمرّوا عليه فجعلوا يضحكون ويسخرون ويقولون: قد قعد ملاحاً في فلاة من الأرض حتّى فرغ منها^(١).

وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله تلقى على ظهره القاذورات فيصبر؛ فعن عبد الله بن مسعود: «أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله كان يُصليّ عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلا جزور بني فلان يضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم عقبة بن أبي معيط، فجاء به فنظر حتّى إذا سجد النبيّ صلّى الله عليه وآله وضعه على ظهره بين كتفيه، وعبد الله بن مسعود ينظر لا يستطيع شيئاً، فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض ورسول الله صلّى الله عليه وآله ساجد لا يرفع رأسه، حتّى جاءت ابنته السيّدة فاطمة عليها السلام فطرحت القاذورات عن ظهره»^(٢).

الأبعاد الخاصّة في شخصيّة المبلغ

أولاً: التفقّه في الدين أو الارتكاز على العلم والبصيرة

والتفقّه في الدين لا ينحصر بالأحكام الشرعيّة، فذلك جزء يسير من الدين، فالدين فكر وعقيدة، وفقه وأحكام، وقرآن وحديث وتاريخ وأخلاق، حيث لا بدّ من الاطّلاع الكثير والتتبّعات العلميّة، وأن يكون حريصاً على قراءة السيرة النبويّة وسيرة أهل البيت عليهم السلام، فالسيرة رأس مال معلومات يتزوّد بها المبلغ.

(١) الروضة من الكافي، مصدر سابق: ج ٨، ص ٢٨٣، ح ٤٢٥.

(٢) انظر: صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ١، ص ٦٥.

جدير بالذكر: أنّه لا تكفي المعلومات المستقاة من مواردها الصحيحة في تبليغها، وإنّما لابدّ أن يكون التبليغ على بصيرة، والبصيرة هي معرفة الحقّ والحجّة الواضحة؛ قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ (يوسف: ١٠٨)، وما لم يكن على علم وبصيرة فهو ناشر للجهل والضلالة. وكما أنّه لابدّ له من أن يكون على بصيرة فيما يدعو إليه فلا بدّ أن يكون على بصيرة بالمخاطبين إليه، وأن يكون على بصيرة بوسائله التبليغيّة وكيفيّة التبليغ الصحيح، وأن يُسارع في تجديد وسائله التبليغيّة إذا تغيّرت الظروف الحاكمة.

ثانياً: التركيز على القرآن والسنة الشريفة

إنّ حفظ القرآن أو موارد الحاجة في الموضوع الذي يبحثه المبلّغ مؤثّر كثيراً في جذب المخاطبين، كما أنّ التنوّع في المطالعات، وعدم الاقتصار على تفاسير المدرسة الواحدة يساعد كثيراً في إثراء التبليغ.

ثالثاً: إجادة الفنون التبليغيّة وعدم التطفّل عليها

فلا يتصدّى المبلّغ القرآني إلّا بعد أن تكتمل أدواته الأساسيّة، لكي لا يكون سبباً في ضلال الناس أو تشويه أخلاقيّاتهم، ومن تلك الفنون:

- القدرة على انتخاب الموضوع المناسب، والتحضير له، وعدم الاعتماد الكامل على الاستحضار والاجترار، فيقع الملل ويبطل الهدف.
- الاهتمام الجادّ بفنون إيصال المعلومة وتوصيف الموقف، وذلك من خلال إجادة فنّ الإثارة والتنبيه، وفنّ تحريك المشاعر باتجاهها الصحيح.
- الاهتمام البالغ بحسن البيان، وهل المبلّغ الناجح إلّا صاحب البيان الحسن؟ قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (النحل: ٨٢)، أي: البلاغ الواضح المستقطب للمخاطبين، فلا يجوز مجلّ، ولا إسهاب مملّ.

رابعاً: الأمانة في النقل

فلا يعتمد على النقولات الشفهية، ولا على أخذ المعلومات من مصادر مجهولة، وإنما عليه توثيق معلوماته عند طرحها، وهذا ما سيعطي بحته مصداقية ووثاقة لدى المخاطب، فلا يكون حاطب ليل، وجارف سيل، يلتقط كل شيء تطاله يده، وهذا هو الفرق الأساسي بين المبلغ المحقق والمبلغ المذيع.

خامساً: الموضوعية في النقد

فلا يكون المبلغ متحيزاً إلا لما هو صحيح، على أن إنصاف الخصوم منقبة عظيمة لا يتصف بها إلا كبار المبلغين، لأنه ليس أمراً سهلاً، ولكنه ليس عسيراً ولا محالاً، وإنما يحتاج إلى موضوعية وشجاعة وحيادية.

سادساً: التنافس الإيجابي مع الآخرين بالتكامل

وذلك فيما إذا تواجد عدة مبلغين في منطقة واحدة أو مدينة واحدة، فلا بد من توحيد جهودهم وتقريب خطابهم، ليحصل التكامل بينهم، فتقع الفائدة العظيمة للأمة، فالمتقدم عليهم علماً وخبرة وتجربة يضع علمه وتجربته في خدمة المبلغين الآخرين، فلا يتكبر عليهم، ولا يتنفر منهم، ولا يُشهر بأخطائهم. كما على المبلغ الجديد، القليل المطالعة والخبرة والتجربة أن يتواضع بطلب التعلم ممن هو سابق عليه، ولا تأخذه العزة والكبر في تحقيق الاستفادة، فيتأسى بنبي الله موسى عليه السلام عندما طلب التعلم من العبد الصالح الخضر عليه السلام^(١)؛ قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ

(١) دلت بعض الأخبار على كون المراد من العبد الصالح هو الخضر عليه السلام. انظر:

علل الشرائع، مصدر سابق: ج ١، ص ٦٠؛ مجمع البيان، مصدر سابق: ج ٦، ص ٣٦٧.

ووقع اختلاف شديد في اسمه ونسبه، فقليل: هو خضرون أو خضرويه بن قابيل بن آدم

عِنْدَنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا (الكهف: ٦٦)، ولا يكون نقاداً لمعلميه في التبليغ فذلك من سوء الأدب ومن سوء التوفيق، بل عليه أن يتأدب بأدب نبوي في تلقيه العلم والفائدة؛ قال تعالى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (الكهف: ٦٩).

سابعاً: التذكير بالجنة والنار على حدّ سواء

بمعنى أن لا يستغرق المبلّغ في الترغيب بالجنة ويغفل عن الترهيب بالنار فيُغريهم بالمعصية من حيث لا يعلم، ولا يستغرق في الترهيب بالنار فيغفل ذكر الجنة فيُسبب لهم إحباطاً وربّما يأساً، وإنّما عليه بالجمع بين الأمرين، كما جاء صريحاً في الوظيفة التبليغيّة النبويّة؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٦)، وفي الآية دلالة على البدء بالترغيب قبل الترهيب، حيث قدّم البشريّة على النذيريّة، وينبغي مراعاة الجهة المخاطبة، فلو كان الخطاب مع العصاة فلا بدّ من التركيز على الترهيب بالنار، ليتحقّق الردع المناسب، وإذا كان الخطاب مع المطيعين فلا بدّ من التركيز على الترغيب بالجنة، لتتجدّد عندهم الرغبة بالطاعة، وخلاصة ذلك ما جاء في الكلمة

عليه السلام، وإنه سُمّي بالخضر لأنّه جلس على أرض بيضاء فاهتزت خضراء فسمّي خضراً. وقيل اسمه: بلياً بن ملكان بن عامر بن أرفخشذ بن سام بن نوح. انظر: كمال الدين وتمام النعمة، مصدر سابق: ص ٣٩١.

وقد روى ابن كثير قصّة طويلة في سبب طول عمره تعود إلى تكفّله بدفن جسد آدم عليه السلام بعد الطوفان، وأنّ آدم عليه السلام كان قد دعا لمن يستخرج جسده قبل الطوفان ويتكفّل بدفنه بطول العمر. انظر: البداية والنهاية، مصدر سابق: ج ١، ص ٣٨٠. وهذه الرواية تفرد بها ابن كثير، وهي لا تخلو من الوضع.

النفسية لأمر المؤمنين عليّ عليه السلام: «الفقيه كلّ الفقيه من لم يقنّط الناس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يؤمنهم من مكر الله»^(١).

ثامناً: السعي الحقيقي وراء النهضة بالأمة وليس وراء الجاه والمال

القرآن لا يمنع الإنسان بشكل عامّ من التمتع بالدنيا، ولكنّه أمر بعدم جعل هذا الأمر مقصداً حقيقياً، ولذلك أقصره على ما يسدّ حاجته؛ قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص: ٧٧)، فلا يتمدّد على نصيب الآخرين، ولا يكون هذا النصيب المحدود هو المقصد الحقيقي له، أو النصيب كلّّه، فالنصيب الدنيوي ليس مقصداً سامياً، فهو منظور لأمر المعاش وليس منظوراً لأصل الحياة، فالحياة عقيدة وجهاد، كما قال الشاعر^(٢):

قفّ دون رأيك في الحياة مجاهداً
إنّ الحياة عقيدة وجهاد
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمر المؤمنين عليّ عليه السلام:
«لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من أن يكون لك حمر النعم .. خير لك من الدنيا وما فيها»^(٣)، وبالتالي فكلّما كانت الدواعي للتبليغ رسالية فإنّها ستوجد

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٤، ص ٢٠ رقم (٩٠)؛ الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٣٦، ح ٣؛ معاني الأخبار، مصدر سابق: ص ٢٢٦، ح ١ باب: معنى الفقيه حقاً.
(٢) البيت من قصيدة للشاعر الكبير أحمد شوقي (١٨٦٨ - ١٩٣٢م) الملقّب بأمر الشعراء، له مجموعة شعريّة تسمّى بالشوقيّات، ولد وتوفّي في القاهرة، وهو من أصل كرديّ عراقيّ.

(٣) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، للحافظ محمد بن سليمان الكوفي القاضي (ت: ٣٢٢هـ): ج ٢، ص ٥٠٧، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، إيران، ١٤١٢هـ؛ مسند أحمد، مصدر سابق: ج ٥، ص ٣٣٣؛ منية المريد، مصدر سابق: ص ١٠١.

في نفس المبلِّغ قدرة عالية على التأثير، لأنَّها غالباً ما تكون مصحوبة بالصدق والإخلاص، وهما كفيَّان بإيجاد التأثير البالغ في المخاطبين.

تاسعاً: أن يكون نموذجاً في حفظ الشريعة وتطبيقها

فلا يسمح بالتجاوز على الحدود الشرعيَّة، فإنَّ سماحه سيكون تأييداً للباطل وترويحاً له، فلا يغتب ولا يسمح بالغيبة في مجلسه أبداً، ولا ينبغي له أن يُسيء الظنَّ بأحد، ولا يسمح للآخرين بذلك، وأن يكون أسرع القوم لأداء الصلاة في أوَّل وقتها؛ ليقنَّدي به الآخرون.

أخلاقيات التبليغ والمبلِّغين

من مجموع المعطيات الآنفه الذكر تشكَّلت عندنا مجموعة أخلاقيات خاصَّة بالمبلِّغين، ولكنَّنا نريد الآن التنبيه إلى جهة الاشتراك بين التبليغ والمبلِّغ، ثمَّ التركيز على أخلاقيات لابدَّ أن يتَّصفا بها، لأنَّها تمثِّل عماد البناء التبليغي، ومن دونها يكون التبليغ والمبلِّغ معاً غير مؤثَّرين.

أمَّا جهة الاشتراك بين التبليغ والمبلِّغ، والتي هي مناطهما معاً، ومن دونها تخلو عمليَّة التبليغ من جدوائيتها، فهي: تربية الأُمَّة على مكارم الأخلاق، فإنَّ الداعي الأساس من وراء النبوة الخاتمة هو تبليغ مكارم الأخلاق، كما جاء ذلك صريحاً في قول النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(١) وبها تُعقد الصلة الحقيقيَّة بين العبد وربِّه، كما ورد عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ صَلَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، فَحَسْبُ أَحَدِكُمْ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِمُخْلَقٍ مُتَّصِلٍ بِاللَّهِ»^(٢).

(١) تقدَّم تخريج الحديث بصيغته العديدة.

(٢) تقدَّم تخريج الحديث.

وأما أخلاقيات التبليغ، فهي:

أولاً: أن يكون عاملاً مساعداً في تحقيق التفقه في الدين، فإن التبليغ هو الصوت المباشر الذي يقود الناس نحو الحق والفضيلة.

ثانياً: أن يكون عاملاً مساعداً في الجذب للدين لا للنفرة عنه، فتتخذ له أفضل الطرق والأساليب التعليمية الحديثة، ولا ينبغي السماع للأصوات المشككة.

ثالثاً: أن يكون عملاً تطوعياً أكثر مما هو وظيفة، فإن العمل التطوعي منوط للإبداع، بخلاف الوظيفة فإنها آلية الحركة، لا روح فيها.

وأما أخلاقيات المبلغين، فهي:

أولاً: البشاشة والبشر في التعاطي مع المخاطبين، فلا يكون المبلغ كئيباً متململاً يتنفر المخاطبون من هيئته وتقطيب حاجبيه، وتثاقله وتشاؤمه، ولا يكون متعالياً، فليس ذلك من صفات المبلغ الناجح، بل ليس من صفات المؤمن، وقد جاء في كلمة نفيسة لأمير المؤمنين عليه السلام: «المؤمن بشره في وجهه، وحزنه في قلبه، أوسع شيء صدراً، وأذل شيء نفساً... سهل الخليفة، لين العريكة، نفسه أصلب من الصلد، وهو أذل من العبد»^(١).

ثانياً: أن يكون حسن الملبس مع مراعاة التواضع، فلا يلبس ثياباً باهظة الثمن، ولا يستقل وسيلة نقل ملفتة للنظر، لأنه قدوة وأسوة، شاء ذلك أم أبى، ومن الحسن أن يتطيب وأن يتزين لاسيما في ما يتعلق بمحاسن وجهه.

ثالثاً: أن يكون في أتم استعداد له لحاضره، فذلك دليل على شدة احترامه وتقديره للحاضرين، فإن دُعي لمجلس ولم يكن مستعداً له فالأولى له الاعتذار، بدلاً من التخبُّط والتشتت، وفي الاعتذار حفظاً لشخصيته، إلا إذا انحصر الأمر

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٤، ص ٧٨ رقم (٣٣٣).

به، فلا ضير في الاستجابة، ولكن عليه أن يقتصر على الموعظة العامة.
 رابعاً: أن لا يتهجم على مخاطبيه، وإن كان بداعي الوعظ والتذكير، فإن القرآن قد نزل بقاعدة (إياك أعني واسمعي يا جارة)، كما ورد في الخبر^(١)، فلا يُسمعهم ما يُشينهم، كما لا يجاملهم فيما أخطأوا فيه، وعليه بالحكمة.

نقاط جوهرية في إنجاح العملية التبليغية

لإنجاح المهام التبليغية ينبغي الالتفات إلى عدة نقاط جوهرية:

النقطة الأولى: العمل على إيقاظ الدوافع الطيبة في نفوس المخاطبين، فلا يركّز على سيئاتهم بقدر تركيزه على حسناتهم، فإن استنهاض الدوافع الطيبة ينسجم تماماً مع الفطرة الإنسانية؛ لسببين، الأول: فطرية حبّ الكمال عند كلّ إنسان، ومن ذلك الكمال حبّ الخير، والثاني: فطرية حبّ الكمالات الشخصية، فالإنسان بفطرته يميل إلى إظهار محاسنه وكمالاته، فإنّ التركيز على تلك الكمالات الطيبة، الموجودة فعلاً، أو الموجودة اقتضاءً، يُحقّق استقطاباً كبيراً.

النقطة الثانية: بناء الثقة مع المخاطبين، وتعزيزها معهم من خلال سلامة القلب، وصدق الحديث، ووضوح الهدف، فإذا اهتزّت الثقة فإنّه سوف يفقد تأثيره بهم تماماً، ولذلك نجد أنّ السياقات الإلهية قد اقتضت أن يكون النبيّ الخاتم صلّى الله عليه وآله هو الصادق الأمين في أمّته، المبعوث فيها قبل أن يُبعث إليها بالحقّ، فإذا ما علم المخاطبون أنّ المبلّغ حريص على المال والجاه فإنّه سوف يفقد ثقة الآخرين به.

النقطة الثالثة: من الصحيح جدّاً أن يكون المبلّغ حريصاً على إنجاز أعماله بنفسه، فلا يُسخرّ الناس لخدمته، وصاحب الحاجة أولى بحملها، علماً بأنّ

(١) عن عبد الله بن بكير، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «نزل القرآن بإيّاك أعني واسمعي يا جارة». الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢، ص ٦٣٠، ح ١٤.

تسخير الناس لأغراض شخصية قد يُحقق أهدافاً دنيوية ضيقة، ولكنه سوف يضيّع الهدف السامي من وراء التبليغ.

النقطة الرابعة: لا بد أن يكون المبلغ حلو اللسان ومصدر أمان، فلا يقلقون من جهته ولا يخشون سطوة لسانه، وأسوأ المبلغين حظاً من يحذر الناس منه ولا يرجون خيره، فلا يغفر الزلة ولا يقلب العثرة، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال لأمر المؤمنين علي عليه السلام: «يا علي ألا أنبتك بشر الناس؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: مَنْ لا يغفر الذنب ولا يقلب العثرة. ألا أنبتك بشر من ذلك؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: مَنْ لا يؤمن شره، ولا يرجي خيره»^(١)، وقد قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

النقطة الخامسة: أن يكون المبلغ حريصاً على نشر المحبة والسلام، فيكون محبوباً عند مخاطبيه، مستقطباً لهم، وهل الدين إلا الحب، فلا يكون سبباً في فرقة الأمة وشق صف الوحدة، فالكلمة الواحدة قد توحد وقد تفرق، وقد قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨)، وأن يكون مبشراً وميسراً لا معسراً؛ فعن عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد دعا علياً ومعاذاً فقال: «انطلقا فبشرا ولا تنقرا، ويسرا ولا تعسرا؛ فإنه قد نزل علي الليلة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾» (الأحزاب: ٤٥ - ٤٦)^(٢).

(١) تحف العقول، مصدر سابق: ص ١٣.

(٢) المعجم الكبير، مصدر سابق: ج ١١، ص ٢٤٧؛ تفسير القرطبي، مصدر سابق: ج ١٤، ص ٢٠١؛ تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ): ج ٣، ص ٥٠٥، تحقيق: سامي بن محمد سلامة: دار طيبة،

النقطة السادسة: أن لا يخشى المبلغ الرسالي في تبليغ رسالته أحداً إلا الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (الأحزاب: ٣٩). ومهما وقع لهم فهم المنصورون ما داموا في طريق الحق؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ (الصافات: ١٧٢).

الأخلاقيات الخاصة بالمرشدين في الحج

المرشدون في الحج هم نفر من طلبة العلوم الدينية، تُعينهم هيئة الحج للالتحاق بقوافل الحجاج، وذلك بعد أن يكونوا قد أحرزوا شروط القبول، التي من أهمها القدرة على قيادة الحجاج في رحلتهم العبادية، والتفقه في الدين بشكل عام وبالأحكام الشرعية بشكل خاص وبأحكام الحج بشكل أخص، وأما فيما يتعلق بالأخلاقيات التي ينبغي أن يتصفوا بها فأهمها:

أولاً: لا بدّ للمرشدين أن يفرضوا شخصيتهم العلمية والقيادية والأخلاقية في هذه الرحلة العبادية، لا بمعنى التعالي أو التشدد، وإنما بمعنى التصرف بمسؤولية عالية، وأن يتعاملوا مع الحجاج بروح أبوية تجمع بين الحزم والجدية من جهة وبين المرونة والتسامح من جهة أخرى، ويُحرز ذلك من خلال اهتمامهم وتركيزهم الدقيق على السير الشرعي لكل تفاصيل تلك الرحلة العبادية، ابتداءً من تبصير الحجاج بأوليات العبادات، كتعريفهم بالوضوء الصحيح والأركان المخصوصة في الصلاة، لاسيّما القراءة الصحيحة في الصلاة، وانتهاءً بتفاصيل أحكام الحج، وبقدر ما تكون الشخصية العلمية والقيادية والأخلاقية حاضرة بقوة فإن ارتباط الحجاج بالمرشد ستكون متينة وورصينة.

الرياض - السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ؛ الدرّ المشور، مصدر سابق: ج ٥، ص ٢٠٦؛ فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ): ج ٤، ص ٢٨٩، عالم الكتب، بيروت.

ثانياً: التأكد من إتيان الحجاج الذين بعهدته للأعمال الأساسية في الحج، كنية الإحرام، والطواف وصلاته، والسعي، ونية الوقوف في عرفة ومزدلفة، ويكفي مراقبتهم ومتابعتهم فيما إذا اطمأن بصحة أعمالهم.

ثالثاً: عدم التذمر من جميع الأسئلة الشرعية المطروحة من قبل الحجاج، إذ عليه أن يتقبل ذلك برحابة صدر، ويشعرهم بأهمية أسئلتهم، بل لابد أن يشجعهم على طرح الأسئلة، وإذا ما وجد حاجاً مخرجاً من طرح أسئلته فعليه أن يختلي به ويسمع منه أسئلته، ويمكن تسهيل الأمر عليه بدعوة من يريد السؤال منه إلى مكان السكن أو في ساحات وأروقة الحرمين.

رابعاً: ينبغي لكل مرشد في العمرة والحج أن يعد برنامجاً خاصاً فيه تفاصيل سيرة كل يوم من أيام العمرة والحج، فلا يعتمد على الارتجال في التبليغ واتخاذ القرارات غير المدروسة، ولا بد أن تكون خطة عمله اليومية تشمل على مقررات فقهية وأخلاقية وتعليمات عامة، وأن تكون السفرات الداخلية في الحرمين (مزارات المدينة ومكة) مشتملة على معلومات جيدة لتلك المواقع، بحيث تساعد المعتمر والحاج على التعايش مع الحدث التاريخي. خامساً: من الضروري جداً للمرشد أن يكون متأثراً في سيره اليومي مع الحجاج، فلا يكون أكبر همّه الانتهاء من عمله اليومي، فإن هذا الشعور سوف يشعر به الحجاج، وسوف يفقدون معه متعة العبادة وقوة الارتباط بالعمل المطلوب منهم إنجازه، وإذا ما وجد المرشد بعض حجاجه على عجلة من أمرهم فلا بد أن يُخَيِّرهم بين المكوث معه ومتابعة برنامجه أو أن يستقلوا بأنفسهم.

سادساً: لابد للمرشد أن يركز كثيراً على حفظ الأجواء المعنوية، فلا يدخل مع الحجاج ولا مع المتعهدين في جدل الاختلافات الفقهية، وغالباً ما يتأثر الحجاج بالمرشد الذي يعيش الحالات المعنوية في أداء المناسك، ولعلّ ممّا يحفظ الحالة المعنوية الراقية للحجاج: أن يُظهر المرشد البشر في وجهه

والانكسار في صوته، وهذا العمل منه صحيح حتى مع التعمّل إذا ما كان بقصد التأثير على الحجاج معنوياً، لا لجلب رضاهم، وقد مرّت بنا كلمة أمير المؤمنين عليه السلام في توصيف المؤمن: «بشره في وجهه، وحزنه في قلبه»^(١).

سابعاً: يُفضّل للمرشد اختيار أفضل الأوقات لتطويف الحجاج، حتى إن لزم الأمر أن ينتظروا وقتاً ما، فإنّ الحجاج في الغالب يأتون لأوّل مرّة، وينبغي أن يعيشوا أجواء روحانيّة في تفاصيل الحجّ، واختيار الوقت المناسب يساعد على ذلك، كما أنّ عليه أن يُعيد على الحجاج تفاصيل كلّ عمل قبل الشروع به، ولا يعتمد كثيراً على شروحاته وبياناته السابقة، فالكثير من الحجاج عند دخولهم المسجد الحرام يصابون بحالة من الذهول تُنسيهم ما تعلّموه.

ثامناً: لا بدّ للمرشد وهو يقوم بتطويف حجاجه أو السعي بهم أن يكون حريصاً على السير العامّ في الطواف والسعي، فلا يصدر منه شيء يضرّ بذلك، بل عليه أن يُنبّه حجاجه على ضرورة احترام الحجاج الآخرين والحرص على طوافهم وسعيهم بقدر ما هم يحرصون على صحّة أعمالهم.

تاسعاً: فيما إذا تبين له وقوع حاجّ في خطأ في تأدية منسك، فإنّ عليه أن يتصرّف بمسؤوليّة وحكمة، حيث يستمع بدقّة لما قام به الحاجّ ثمّ الشروع معه - وبمعزل عن الحجاج الباقين - بإعادة العمل ما دام ممكناً، ولا يجوز للمرشد أن يُوهم الحاجّ بصحّة عمله وهو يعلم بطلانه، بل عليه أن يقول له بوضوح أنّ هذا العمل غير مُجزّ ولا بدّ من إعادته، ثمّ يُبدي استعدادَه الكامل للمضيّ معه لإعادة العمل بالشكل الصحيح، بل عليه أن يمضي معه سريعاً ليدفع عن الحاجّ حالة القلق والهلع الشديدة التي غالباً ما يُصاب بها الحجاج عندما يعلمون بوقوع خطأ في عملهم؛ ولذلك عليه المبادرة من دون تذرّ أو

(١) تقدّم تحريجه.

تعنيف، بل عليه أن يُثني على الحاج الذي جاء ليتأكد من عمله فتبين له بطلانه، ومن المستحسن أن يُبقي هذا العمل الإصلاحي للعمل الباطل سرّاً بينه وبين صاحب العمل، فإنّ لذلك أثراً معنوياً طيباً على الحاج.

عاشراً: ينبغي للمرشد الناجح أن يُشيع روح الإيثار والأخوة والتعاون بين أفراد مجموعته، ويُذكّرهم مراراً وتكراراً بالحديث النبوي الشريف: «تري المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»^(١)، مُبيناً لهم أنّ غاية الحجّ تكمن في التوحيد والخلق الحسن، وأنّ رحلة الحجّ أعظم فرصة للتآخي وللتقارب ولرفع الاختلافات وغيض الطرف عن أخطاء الآخرين، وهي أعظم فرصة لخدمة المؤمنين، وقد يأتي وقت على الحاجّ يتحسّر فيه على كلّ ساعة مضت ولم يكن فيها إيجابياً تجاه مرشده ومتعّده ومجموعته.

أحد عشر: ومن الأخلاقيات المهمة للمرشدين مساعدتهم للمتعهّدين في إنجاز أعمالهم الإدارية، وأنّ يُشكّلوا معهم حلقة متكاملة في إنجاز رحلة الحجّ مع مجموعتهم، فلا يُظهرون خلافاً وقع بينهم أبداً، ولا يتنافسون على شيء، بل عليهم بروح التآخي؛ ليكونوا قدوة في سلوكهم هذا لمجموعتهم، فإنّ تسبّبوا في إرباك مجموعتهم فهم آثمون، ولا يجوز لأيّ منهم أن يتجاوز على الآخر في عمله، فليس للمرشد أن يتدخل في توزيع الحجّاج في السكن ولا في إعداد وسائل النقل لهم ولا في كيفية تهيئة الطعام، وما شابه ذلك من أعمال المتعهّدين، كما لا يجوز للمتعهّدين أن يقوموا بدور المرشد في بيان الأحكام الشرعية للحجّاج، وإن كانوا عالمين بها نتيجة خبرتهم الطويلة، بل عليهم إذا سألهم حاجّ - من مجموعتهم أو من مجموعة أخرى - أن يُوجّهوه للمرشد الديني.

(١) تقدّم تخريج الحديث، مع بعض الأحاديث الأخرى ذات الموضوع نفسه.

اثنا عشر: وأخيراً يُفضّل كثيراً للمرشد أن يكون حريصاً على إقامة صلاة الجماعة بمجموعته، وأن يختار لهم مكاناً لا يزاحمون به الآخرين، والأفضل من ذلك كلّهُ هو أن يحثّ المرشد مجموعته على أداء الصلوات الواجبة في الحرمين بقدر المستطاع، بل ينبغي أن يكون له برنامج يوميّ في أداء الصلاة - ولو لفرض واحدٍ - في الحرمين؛ فذلك من الأمور التي تجلب التوفيقات الكثيرة.

الأخلاقيات الخاصة بالمتعهدين للحجّ

تنقسم أخلاقيات المتعهدين إلى ثلاثة أقسام، الأوّل: أخلاقيّاتهم تجاه مجموعتهم المناطة بهم، والثاني: أخلاقيّاتهم تجاه المرشد الديني، والثالث: أخلاقيّاتهم تجاه بعثة الحجّ العامّة والمسؤولين فيها.

أمّا أخلاقيّتهم تجاه مجموعتهم فتدور بين أمور ثلاث، وهي:

الأوّل: الحرص الشديد على التواصل معهم قبل موعد السفر؛ لطمأنتهم وإشعارهم بأنّهم سوف يكونون في مأمن وراحة، كما أنّ عليهم بذل قصارى الجهد في ترتيب متعلّقات السفر ومساعدة الحجاج - بقدر الإمكان - في الوصول إلى مكان السفر، فإنّ لذلك وقعاً كبيراً على نفوس مجموعته.

الثاني: الدقّة والنظام في سير السفر من البلد إلى الديار المقدّسة، سواء في موعد السفر أو في ضبط مكان السكنى أو في ضبط مواعيد الطعام، فلا يُترك الحجاج في حيص بيص من ذلك، وبقطع النظر عن المسؤوليّة القانونيّة فإنّ عليهم مراعاة المسؤوليّة الشرعيّة في ذلك، لاسيّما وأنّ أغلب الحجاج قد تشرّفوا لأوّل مرّة، ولا يمتلكون خبرة التصرّف، ولذلك على المتعهدين إعداد برنامج دقيق وأن لا يعتمدوا على ذاكرتهم، كما أنّ عليهم استعمال بعض التقنيّات الحديثة في التواصل مع الحجاج، وتوفير سبل الراحة للذين يشدو بهم الشوق لتأدية المناسك على أكمل وجه، فلا ينبغي إشغالهم في صغائر الأمور.

الثالث: إبداء المرونة الكاملة مع الحجاج في إقامتهم وترحالهم، فإن في ذلك لأجراً عظيماً لهم، قد يتجاوز أجر حجهم نفسه، وعليهم أن يتابعوا أحوال مجموعتهم من الناحية النفسية والمادية، فإذا وجدوا حاجاً منطوياً على نفسه ساعدوه في التفريغ عنه، أو وجدوا حاجاً في حرج مادي: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافاً﴾، فإن عليهم إهداء ما يحتاجه ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٧٣).

وأما أخلاقياتهم تجاه المرشد الديني، فتكمن في أمرين، هما:

الأول: تعريف المرشد الديني باسمه وشخصيته العلمية للحجاج، وضبط حضور المجموعة؛ فليس من المناسب للمرشد الديني أن يقوم بذلك، بل على المتعهد أن يقوم به، كما أن عليه تهيئة المكان المناسب للمرشد في إلقاء محاضراته ومجالسه التعليمية، وتهيئة بعض الأدوات التقنية.

الثاني: مساعدته في أداء واجبه الإرشادي، لاسيما في أيام الحج، وعند المزارات، وعدم الطعن بالمرشد، فتلك حرمة أكيدة، وعدم التجاوز عليه ببيان أحكام الحج في حضرته، بل ولا في غيابه، ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه.

وأما أخلاقياتهم تجاه بعثة الحج العامة والمسؤولين فيها، فتكمن في الحرص الأكيد على تطبيق جميع المقررات التي تصدرها بعثة الحج، فإن في ذلك نظم أمور الحج، وقد جاء في وصية لأمير المؤمنين علي عليه السلام: «أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي: بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم»^(١).

الأخلاقيات الخاصة بالبعثة الطبية في الحج

تنقسم أخلاقيات البعثة الطبية إلى أمور إجرائية وأخرى سلوكية، كالتالي:

الأمر الإجرائية: ونعني بها تزويد الحجاج بالنشرات الصحية التي

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٣، ص ٧٦ رقم (٤٧).

تساعدهم على حفظ الوضع الصحيّ العامّ، وتحثّهم على مراجعة البعثة الطّبيّة حال ظهور أعراض لأعراض تُعيق الحاجّ من أداء مناسكه، كما ينبغي تقديم توصيات تتعلّق بالشروط الصحيّة في السكن والأغذية.

ومن الأمور الإجرائيّة: القيام بجولات ميدانيّة ضمن عيّات عشوائيّة في بعثة الحجّ، للكشف عن النظام الصحيّ العامّ المتوقّف للحجّاج، والمتعلّق بالغذاء والسكن والبيئة وما شابه ذلك، والكشف عن الحالات الصحيّة التي تحتاج إلى عناية خاصّة، لاسيّما للكبار في السنّ وللمصابين بالأمراض المزمنة. ومن الأمور الإجرائيّة أيضاً: متابعة المرضى وإحالتهم للمستشفيات وتقديم تقرير مدوّن عن حالتهم الصحيّة لرئيس البعثة الطّبيّة ولرئيس بعثة الحجّ؛ بغية اتّخاذ الإجراءات اللازمة في صورة حصول تطوّرات خطيرة.

وينبغي لبعثة الحجّ تقديم الإمكانيات الطّبيّة اللازمة للبعثة الطّبيّة؛ من أجل تمكينها من أداء وظائفها بشكل صحيح، كتوفير الأدوية والمستلزمات الطّبيّة، وكلّما يتوقّف عليه حفظ الصّحة لدى الحجّاج، وكذلك الاستماع إلى البعثة الطّبيّة فيما تواجهها من مشكلات يوميّة، والأخذ بمقترحاتها في رفع المشكلات القائمة والعمل معاً على حلّها.

وأما بالنسبة للأمور السلوكيّة: فهي الأخلاقيّات العامّة التي يجب أن يتحلّى بها العاملون في البعثة الطّبيّة، من أطباء وصيادلة وتحليليّين وخدميّين، فهم حالة وظرف استثنائيّين، وأنّ مرضاهم من نوع آخر، يعيشون ظرفاً مختلفاً تماماً، ولذلك عليهم أن يتحلّوا بسعة الصدر والإصغاء الجيّد للمرضى، والعمل على رفع الحالة المعنويّة للمريض، حتّى لأصحاب الأمراض المزمنة، حيث يجمعون بين تحذيرهم من الأمور التي تضرّ بوضعهم الصحيّ وبين إظهار قدرتهم على أداء مناسكهم، وليس من الصحيح تثبيط المريض، فإذا

وجدوا حالة مرضية تحتاج إلى مراقبة ومتابعة فإنّ عليهم تقديم توصيات خاصة للمرشد الديني والمتعهد في قافلة الحجّ التي يرتبط بها ذلك المريض، مع تأكيد التوصية للمريض بضرورة مراجعته حال الانتهاء من أعمال الحجّ. ومن الأمور السلوكية للكوادر الطبية: عدم الاشتغال بالحديث في أمور جانبية مع وجود مرضى بين أيديهم، فذلك يخلق حالة من التذمر والإحباط لدى المريض، ومن ذلك أيضاً عدم الانشغال ببعض وسائل الاتصال (الهاتف والموبايل) أثناء تأدية عملهم، ولا بأس بذلك حال فراغهم أو حال عدم وجود مرضى.

ويُفضل للأطباء - خصوصاً - وهم يقومون بمعاينة المريض أن يقدموا له بعض التوصيات الوقائية، كالاتّباع عن الازدحام لأنّه مضرّ بالصحة، والابتعاد عن تناول الأطعمة في الأماكن التي لا تتوفر فيها أدنى الشروط الصحية، وغير ذلك ممّا له علاقة بالوضع الصحي للمريض، والأفضل أن يقوم الطبيب أو الكوادر الأخرى بتقديم النشرة الصحية - اليومية أو الأسبوعية - للمراجعين لهم، فذلك أوقع في نفوسهم من تلقّيها من بعثة الحجّ نفسها.

الأخلاقيات الخاصة بالبعثات الدينية في الحجّ

المراد من البعثات الدينية: البعثات العلمية المرتبطة بالمرجعيات الدينية، فهي غير المرشدين في الحجّ، وإن كان للمرشدين صلة ما بها، ولكنّ البعثات الدينية لها دور آخر، فهي تمثّل الواجهات الدينية لمراجع الدين في العالم الإسلامي، ولديها مهامّ أكبر، منها ما يتعلّق بالحجّاج، ومنها ما يتعلّق بالمرشدين الدينيين، ومنها ما يتعلّق بالوفود والبعثات المختلفة في الحجّ.

أمّا علاقتها بالحجّاج أنفسهم فإنّها تدور بين أربعة أمور:

الأمر الأول: بيان الأحكام الشرعية اللازمة للحجّاج، والتي جاء الحاجّ

للسؤال عنها، فليست هنالك وظيفة للبعثة الدينية تتعلق بتعليم الحاج ابتداءً، وإنما هذه من مهام المرشد الديني، ولكن الحاج لو سأل عن أحكام الحج أو غيرها فلا بد للبعثة الدينية من الإجابة عنها من دون الحاجة لذكر الاحتمالات والتفريعات، فذلك مضر بالحاج، وينبغي التركيز على المستحدثات في الحج.

الأمر الثاني: بيان أهم السلوكيات الأخلاقية التي ينبغي أن يتصف بها الحاج، مع التأكيد على سيرة النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم عند تأديتهم لمناسك الحج، فذلك أوقع في نفوسهم، والتأكيد على أهمية الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وآله في حجه وعدم البحث عن الرخص في تأدية بعض أعمال الحج، وأهمية الإتيان بالمستحبات بقدر المستطاع، والتركيز على كون الحج هو رحلة العمر وهو الفرصة التي يصعب تكرارها لمعظم الحجاج، وهو الفرصة الذهبية للحجاج للعود كما ولدتهم أمهاتهم من النقاء والطهارة.

ومن متعلقات الأمر الثاني: أهمية السؤال من الحاج الزائر للبعثة الدينية عن مدينة سكناه، وعن مكان سكناه في الديار المقدسة، وعن اسم مرشده الديني، والتوصية بأهمية الالتزام بما يقوله المرشد، وعدم السماح لأحد من الحجاج بالطعن به ولا بالمتعهد ولا بالبعثة.

إن التركيز على بيان الأخلاق والوضع المعنوي الذي ينبغي أن يتمتع به الحاج هو أهم بكثير من التركيز على بيان الأحكام الشرعية؛ لأن أحكام المناسك يمكن أن يُكتفى بها بالمرشد الديني في حملاتهم وقوافلهم.

الأمر الثالث: التصدي للرد على الشبهات الفكرية والعقائدية والتفسيرية التي توجه للحجاج، والتي في الغالب يسمعونها من حجاج آخرين أو من أطراف مجهولة، وهنا يتأكد ضرورة أن يكون المتصدي في البعثة الدينية حائزاً على مرتبة علمية تسمح له بالتصدي للجواب عن الشبهات الفكرية والعقائدية،

وعدم إحالتهم إلى الكتب والمصنّفات التي تفتقر للبيان والوضوح، وليست في متناول الأيدي، وإن كان ولا بدّ من ذلك فينبغي إرشادهم إلى بعض الكتب الميسرة والمعاصرة، وذلك بعد تقديم الإجابة عن الشبهات ولو بشكل إجمالي.

الأمر الرابع: التأكيد على ضرورة احترام النظام العامّ في الحجّ وعدم التجاوز على المقرّرات المتعلّقة في سير ونظم الحجّ، والتأكيد أيضاً على لزوم الهدوء في مناسك الحجّ وعدم إثارة الفتن واللغط، فذلك محرّم شرعاً، وقد قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٩٧)، ولا ريب أنّ إثارة الخلافات التاريخية والنعرات الطائفية والعرقية والمناطقية والعشائرية من مخلفات الجاهلية وليست من تقوى الله بشيء، والآية تقول: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾.

مع الإمام الصادق في الفرع إلى الله تعالى

وهنا نختم هذا الدرس الأخير من هذه الحلقة من الأخلاق التعليمية بالتفات دقيقة أثارها الإمام الصادق عليه السلام من القرآن الكريم، تنفع الحجاج بشكل عامّ، وتنفع المرشدين بشكل خاصّ، لأنّها تساعد كثيراً على تعميق العلاقة بالله تعالى، وتوفير الحالة المعنوية الطيبة.

إنّها التفات يُصوّر فيها الإمام عليه السلام ما يُمكن أن يقع فيه الإنسان من ضيق أو حرج أو أذى أو تمنّيات مباحة، فيبيّن فيها العرض القرآني في الحلّ الناجع مع تعليله بنصّ قرآنيّ آخر، وهو ابن القرآن والعارف به، فعن أبي عبد الله المؤمن عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «والله إنّّي لأعلم كتاب الله من أوّله إلى آخره، كأنّه في كفيّ، فيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن؛ قال الله عزّ وجلّ: ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ

شَيْءٍ ﴿ (النحل: ٨٩) ﴾^(١).

وأما في موضوع العرض القرآني وما يشتمل عليه من عملانية الاعتصام به، فقد روى محمد بن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، وهشام بن سالم، ومحمد بن حمران، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «عجبتُ لِمَن فزع من أربع كيف لا يفزع إلى أربع، عجبتُ لِمَن خاف كيف لا يفزع إلى قوله عز وجل: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: ١٧٣) فَإِنِّي سمعت الله عز وجل يقول بعقبها: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ﴾ (آل عمران: ١٧٤) وعجبتُ لِمَن اعتَمَّ كيف لا يفزع إلى قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧) فَإِنِّي سمعت الله عز وجل يقول بعقبها: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَخَيَّرْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٨)، وعجبتُ لِمَن مُكْرِبُهُ كيف لا يفزع إلى قوله تعالى: ﴿وَأَقْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (غافر: ٤٤) فَإِنِّي سمعت الله عز وجل يقول بعقبها: ﴿فَوْقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ (غافر: ٤٥)، وعجبتُ لِمَن أراد الدنيا وزينتها كيف لا يفزع إلى قوله تعالى: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (الكهف: ٣٩)، فَإِنِّي سمعت الله عز وجل يقول بعقبها: ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ (الكهف: ٣٩ - ٤٠)، و(عسى) موجبة^(٢).

كلمات على الطريق

• قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٢٩، ح ٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣٩٢، ح ٥٨٣٥؛ الخصال، الشيخ الصدوق: ص ٢١٨، ح ٤٣؛ أمالي الشيخ الصدوق: ص ٥٤، ح ٢.

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون: ٥١ - ٥٢)، وهنا أدب فرديّ وأدب اجتماعيّ يحتاجهما المبلغ لرسالة الله؛ أمّا الأدب الفردي فهو أن يأكلوا من الطيبات، أي: أن يتصرّفوا في الطيبات من موادّ الحياة، ولا يتعدّوها إلى الخبائث التي تنتفّر منها الفطرة السليمة، وأن يأتوا من الأعمال بالصالح منها، وهو الذي يصلح للإنسان أن يأتي به ممّا تميل إليه الفطرة بحسب ما جهّزها الله من أسباب تحفظ بعملها بقاءه إلى حين، فهذا أدب يتعلّق بالإنسان الفرد، ثمّ وصله تعالى بأدب اجتماعيّ، فذكر لهم أنّهم أمة واحدة: المرسلون والمرسل إليهم، وليس لهم إلّا ربّ واحد، فليجتمعوا على تقواه، ويقطعوا بذلك دابر الاختلافات والتحزّبات، فإذا التقى الأدب الفردي والاجتماعي، تشكّل مجتمع واحد بشريّ مصون عن الاختلاف، يعبد ربّاً واحداً، ويمجّري الأحاد منه على الأدب الإلهي، فاتّقوا خبائث الأفعال وسيئات الأعمال، فقد استوتوا على أريكة السعادة^(١).

- الإخلاص والشجاعة وسعة الصدر والصبر والصدق والرفق والتواضع من مقومات المبلغ الرسالي الناجح ولكنّها موقوفة على طبيعة العلاقة مع الله، وهذه العلاقة تتكشف من خلال مواجهة الابتلاءات بالتوكّل على الله تعالى، بل لا بدّ من التوكّل على الله في كلّ شيء، وإنّما يلزم التوكّل على الله تعالى وحده لا غير لأنّ: «الحقّ تعالى عالمٌ بحاجات العباد... قادر على تلبية تلك الحاجات... ليس في ذاته المقدّسة بخل... رحيم بالعباد ورؤوف بهم»^(٢)

(١) انظر: سنن النبي صلى الله عليه وآله، للسيد العلامة محمد حسين الطباطبائي: ص ٤٣، تحقيق وإلحاق: الشيخ محمد هادي الفقهي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرّفة، ١٤١٦ هـ.
(٢) الأربعون حديثاً، للسيد الإمام روح الله الخميني (ت: ١٩٨٩ م): ص ٢٠٩، تعريب: السيد محمد الغروي، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الأولى.

ومن كان كذلك - وهو كذلك - فكيف لا يتوكل عليه، بل كيف لا ينحصر التوكل به سبحانه؟!

خلاصة الدرس

- التبليغ بمعنى الإيصال، وهو وظيفة إلهية رسالية أوكلها الله تعالى إلى أنبيائه عليهم السلام وتشمل السائرين على خطهم ونهجهم.
- المهمة الأساسية للمبليغ: تبليغ رسالة الإسلام إلى الناس كافة، فهو من الأدلاء على الآخرة، فإن لم يؤدّ وظيفته يكن قاطع طريق ومخللاً بعمله.
- خواص التبليغ: أنه وظيفة إلهية وليس وظيفة مدنية أو حكومية، وأولوية الأهداف العامة فيه على الأهداف الخاصة أو الشخصية، وأنه تكليف إلهي مشروط بالنصح وغير مشروط بالتوفيق، وهو عملية إنقاذية وليست تسقيطية، وأنه يكون للدين والمبادئ وليس للأشخاص، ولا بدّ للمبليغ من الموازنة في انتخاب الموضوع، وفي تحديد الزمان والمكان.
- الموازنة في انتخاب الموضوع هي: مراعاة الظرف العام الذي يطرح فيه الموضوع التبليغي، فإذا كانت هنالك حاجة للسيرة فينبغي التركيز عليها، أو للأحكام الشرعية فينبغي التركيز عليها، وهكذا.
- الأبعاد الذاتية العامة في شخصية المبليغ هي: الشكل المقبول والهيئة الحسنة والصوت الحسن، والحافظة والذاكرة والصبر والتحمل.
- الأبعاد الخاصة في شخصية المبليغ هي: التفقه في الدين، والتركيز على القرآن والسنة، وإجادة الفنون التبليغية وعدم التطفل عليها، والأمانة في النقل، والموضوعية في النقد، والتنافس الإيجابي، والتذكير بالجنة والنار على حدّ سواء، والسعي الحقيقي وراء النهضة بالأمة وليس وراء الجاه والمال، وأن يكون نموذجاً في حفظ الشريعة وتطبيقها.
- التفقه في الدين لا ينحصر بالأحكام الشرعية، فذلك جزء يسير منها؛ لأنّ

- الدين فكر وعقيدة وفقه وأحكام وقرآن وحديث وتاريخ وأخلاق.
- ليس للمبليغ القرآني التصدي للعمل التبليغي إلا بعد اكتمال أدواته الأساسية، لكي لا يكون سبباً في ضلال الناس أو تشويه أخلاقياتهم.
- من أخلاقيات التبليغ: أن يكون عاملاً مساعداً في تحقيق التفقه في الدين والجذب له، وأن يكون عملاً تطوعياً أكثر مما هو وظيفة.
- من أخلاقيات المبلِّغ: البشر في تعاطيه مع المخاطبين، وحسن الملبس مع التواضع، والاستعداد التام للمحاضرة، وأن لا يتهجم على مخاطبيه.
- من أهم النقاط الجوهرية في إنجاح العملية التبليغية: العمل على إيقاظ الدوافع الطيبة في نفوس المخاطبين، وبناء الثقة مع المخاطبين من خلال: سلامة القلب وصدق الحديث ووضوح الهدف، والحرص على إنجاز أعماله بنفسه، وأن يكون حلو اللسان ومصدر أمان، فلا يخشون من لسانه وسطوته، وأن لا يخشى في تبليغ رسالته أحداً إلا الله تعالى.
- من أخلاقيات مرشدي الحج: أن يفرضوا شخصيتهم العلمية والقيادية والأخلاقية في هذه الرحلة العبادية، والتأكد من إتيان حجاجهم للأعمال الأساسية في الحج، وعدم التذمر من الأسئلة الشرعية المطروحة عليهم، وأن يعدوا برنامجاً فيه تفاصيل سيرة كل يوم من أيام العمرة والحج، وأن يكونوا متأنين في سيرهم اليومي مع الحجاج، وأن يركزوا على حفظ الأجواء المعنوية، واختيار أفضل الأوقات لتطويف الحجاج، والحرص على السير العام في الطواف والسعي، وإشاعة روح الإيمان والأخوة والتعاون بين أفراد المجموعة، ومساعدتهم للمتعهدين في إنجاز أعمالهم الإدارية، وأخيراً الحرص على إقامة صلاة الجماعة بأوقاتها.
- تنقسم الأخلاقيات الخاصة بالمتعهدين للحج على ثلاثة أقسام: أخلاقيتهم تجاه مجموعتهم المناطة بهم، وأخلاقياتهم تجاه المرشد الديني،

- وأخلاقيّاتهم تجاه بعثة الحجّ العامّة والمسؤولين فيها.
- تنقسم أخلاقيّات البعثة الطّبيّة في الحجّ إلى أمور إجرائيّة وأخرى سلوكيّة؛ فمن الإجرائيّة تزويد الحجّاج بالنشرات الصحيّة والقيام بجولات ميدانيّة ومتابعة المرضى. ومن السلوكيّة: تحلّي أفراد البعثة الطّبيّة بسعة الصدر والإصغاء الجيّد للمرضى، والعمل على رفع الحالة المعنويّة للمريض، وعدم الاشتغال بأمور جانبيّة مع وجود مرضى بين أيديهم، ويُفضّل كثيراً أن يقدّموا للمريض بعض التوصيات الوقائيّة حال معانيته.
- من أخلاقيّات البعثات الدينيّة المتعلّقة بالحجّاج أنفسهم: بيان الأحكام الشرعيّة اللازمة، وبيان أهمّ السلوكيّات الأخلاقيّة التي ينبغي أن يتّصف بها الحجّاج، والتصديّ للردّ على الشبهات الفكريّة والعقائديّة والتفسيرية التي توجّه إليه، والتأكيد على ضرورة احترام النظام العامّ في الحجّ، وعدم التجاوز على المقرّرات المتعلّقة في سير ونظم الحجّ.

مذاكرة

- ما هو التبليغ؟ وما هي خواصّه؟ وما هي المهمّة الأساسيّة للمبلّغ؟
- ماذا نعني بالموازنة في انتخاب الموضوع من قبل المبلّغ؟
- ما هي الأبعاد الذاتيّة العامّة والأبعاد الخاصّة في شخصيّة المبلّغ؟
- هل التفقّه في الدين ينحصر بالأحكام الشرعيّة؟ وضح ذلك.
- متى يصحّ للمبلّغ القرآنيّ التصديّ للعمل التبليغيّ؟
- ما هي أهمّ الفنون التبليغيّة التي ينبغي للمبلّغ أن يتّصف بها؟
- ما هي أهمّ أخلاقيّات التبليغ والمبلّغين؟
- ما هي أهمّ النقاط الجوهرية في إنجاح العمليّة التبليغيّة؟
- ما هي الأخلاقيّات الخاصّة لمرشدي الحجّ؟

- ما الذي ينبغي للمرشد الديني عند اكتشافه وقوع خطأ في منسك بعض الحجاج في مجموعته؟
- ما هي أقسام الأخلاقيات الخاصة بالمتعهدين للحج؟ أوجزها.
- ما هي الأخلاقيات الخاصة بالبعثة الطبية في الحج؟
- ما هي أهم الأخلاقيات الخاصة بالبعثات الدينية المتعلقة بالحجاج؟

خاتمة ونتائج وتوصيات

- الخاتمة
- النتائج العامة
- النتائج الخاصة
- التوصيات

الخاتمة

الحمد لله على جزيل نعمائه وكمال توفيقه على إتمام دروس هذه الحلقة الخامسة من حلقات الأخلاق التعليميّة، والتي تناولنا فيها أخلاقيّات الحجّ والزّيارة، وقد كان من مجموع ما تقدّم نتائج عامّة تدور حول الخطوط العامّة لفقرات هذه الحلقة المباركة، ونتائج خاصّة تدور حول تفاصيل التمهيد والدروس المبحوثة في الحلقة، وبعبارة أخرى: هنالك نوعان من النتائج، اشتملت عليها هذه الحلقة، منها ما يتعلّق بكليّاتها، ومنها ما يتعلّق بجزئيّاتها، وقد أسمينا كليّاتها بالنتائج العامّة، وجزئيّاتها بالخاصّة، وهي كالآتي:

النتائج العامّة

- كان البحث في مباني الشعائر الدينيّة، وإثبات قرآنيّة الشعائر الدينيّة، وتأكيد مسؤوليّة إقامة الشعائر الدينيّة، وتحديد الجهة المسؤولة عن تقنينها وعن إقامتها، مع بيان شروط تحديد المصدق للشعيرة الدينيّة، والفرق بين الشعيرة الدينيّة والبدعة، وبيان مدخليّة العقل والعقلاء في تشريعيّة الشعائر وتشخيصها، كلّ ذلك يؤسّس للمنطلقات الشرعيّة في كينيّة التعاطي مع الشعائر الشرعيّة، وتمييزها عن الممارسات المفتعلة، والتي سُمّيت بالشعائر تجاوزاً وخطأً.
- هنالك حلقة وصل وثيقة بين أعمال العمرة والحجّ، وهي قصد القرب من الله تعالى بنفي سلطة الأغيار، بمعنى: أنّ الفضيلة المطلوبة في الإحرام والطواف والسعي والوقوفين والرمي والهدي والحلق والمبيت إنّما هي فضيلة التجرّد من سلطة النفس، ومن سلطة الهوى الذي يجعل الإنسان واقفاً على قارعة طريق الآخرين، فتكون المناسك

- عملية جراحية معنوية للقلب، تنفض عنه الأغيار المتراكمة، التي مهمتها تغذية الظلمة في القلب، والجشع في النفس، والخمود في العقل.
- التنوع المصداقي للزيارات وأخلاقياتها، والذي لاحظناه بكثافة في دروس هذه الحلقة المباركة، ابتداءً من زيارة الرسول وأهل بيته صلوات الله عليهم، وزيارة العلماء والأهل والأقرباء والأصدقاء ومقطوعي الصلة من الأيتام والفقراء والمساكين والأيتام والأرامل والمتعفين، وانتهاءً بعبادة المرضى والعجزة، إنما تشكل حلقة واحدة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بهويتنا الإيمانية المنفتحة على قادتنا الرساليين، وعلى التواصل الاجتماعي والإنساني الذي يؤطر هويتنا بإنسانيتها الواقعية، وعلى مدنيّتها واجتماعيّتها، فهي كثرة مصداقية مشيرة إلى وحدة مفهومية في التأسّي والتواصل والتقارب والتكافل، فزيارة الرموز الكبرى توفر لنا رصيذاً معنوياً، وتمنحنا ثقة عالية بأرضيتنا التاريخية، كما أنّ زيارة الآخرين تعمّق الصلة الإنسانية، وهي تجلّ وشاهد حيّ على وحدة النفس الإنسانية، كما هو المشار له قرآنيّاً في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (النساء: ١)، فتذوب الطبقات المفتعلة، وتذوي الحواجز الوهمية، وتعلو لغة التواصل بدل الانزواء والقطيعة.
- وأخيراً: إنّ إيصال الهوية الصحيحة للشعائر الدينية، وضمان الصحة في أداء المناسك في العمرة والحجّ، وفي نشر ثقافة روحانية الزيارات وأنستها، كلّ ذلك مرتبط بشكل مباشر بالشخصية القرآنية والأخلاقية للمبّلّغين والمرشدين، فكان البحث في شروطها ومقوماتها وأخلاقياتها - على تنوعها المصداقي - إنما يصبّ في ضمانة تحقيق الغاية العملية من وراء جميع الدروس الأخلاقية في هذه الحلقة.

النتائج الخاصة

- أصول الشعائر الدينية قرآنية التأسيس، معبراً عنها بحرّمات الله، حيث أمر الله تعالى بحفظها وتعظيمها، فقال: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ (الحج: ٣٠)، و: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢)، وقد سرى عنوان الشعيرة الدينية إلى جميع فروضها.
- رغم طقوسية الشعائر الدينية إلا أنها تُشكّل حيثيات مهمّة في تكوين الشخصية الإيمانية، بمعنى: دخولها في تكوين المحتوى الداخلي لها، وتتواصل معها في رَفْد ما يكتنزه العقل من مراتب التوحيد، وما يكتنزه القلب من حبّ وولاء لله تعالى، وما ينطبع على البدن من طاعة وحرّاك.
- المسؤولية الشرعية والأخلاقية تجاه الشعائر الدينية ليست فردية أو جهوية أو مذهبية، وإنّما هي مسؤولية تتوقف على ثلاثة مفاصل أساسية، من دونها ستكون الشعائر الدينية في مهبّ الريح وعرضة للضياع والتبدّل والتزييف، وأمّا المفاصل الثلاثة فهي: تشريعية الشعيرة الدينية، والرعاية والتوجيه العلمائي، وملاحظة حركية البُعدين الزماني والمكاني.
- تتأثر الشعائر الدينية بقاعدة الزمان والمكان، لا على مستوى المفهوم والتكوين والتشكيل الثابت عن طريق الشارع المقدّس وإنّما على مستوى تحديد مصاديقها غير المعيّنة من قبل الشارع، وفي طريقة تطبيقها.
- الشعائر الدينية تمثّل انعكاساً خارجياً لمعاني الدين ومضامينه، ولذلك فهي تشكّل نظاماً ظاهرياً يمسّ الواقع الخارجي، ويستجيب بمرونة عالية لمقتضيات العصر وتعاقب الأزمنة.

- شروط تحديد المصداق للشعيرة، هي: انسجام المصداق الجديد مع أصل الشعيرة، وانسجامها مع العقل العام ومع الروح العامة والأخلاقيات العامة لأطر المجتمع.
- الشعيرة الدينية: هي ما قام عليها الدليل الشرعي. وما لم ينهض عليها دليل فإنها تكون بين أحد أمرين، هما: أن تمارس لا بنحو الشعيرة الدينية، وإنما بنحو الفعالية التي تساهم في الجذب للدين، أو أن تُمارس بعنوان كونها شعيرة دينية، وتُمنح من الشرافة والقداسة ما للشعيرة الدينية، وهذا باطل؛ لأنها ستكون بدعة.
- رغم أن القرآن والسنة الشريفة هما المشرعان للشعائر الدينية، نظراً لكونها من التعبديات، والتعبديات ليست مسرحة للعقول، إلا أن الشريعة نفسها قد فتحت مساحة ضمن عناوين عامة.
- الشعائر الدينية بالنسبة لعامة المكلفين - الذين لم يبلغوا رتبة الاجتهاد - لا تخرج عن إطار التقليد الشرعي لهم، كباقي الأحكام الشرعية، وعمل المكلف غير المجتهد بلا تقليد صحيح باطل شرعاً، فلا يصح لأحد - كائن من كان - أن يستحدث مصداقاً جديداً لشعيرة دينية، بل وليس له أن يقوم بعملية تطبيق المفهوم على مصداق جديد.
- جميع المصايق الجديدة للشعائر الدينية التي لم يرد فيها نص صريح على شعائريتها لا بد أن تخضع للموازن الشرعية التي يتعاطاها العلماء ومراجع الدين، وعدم وجود نص عليها لا ينفي شعائريتها ما دامت أصبحت شعائر بحسب تشخيص العلماء لها، كما في بعض المناسبات التاريخية التي يحتفي بها المسلمون ويعدونها من الشعائر الدينية.
- الشعائر وقداستها لا تنحصر بالأمكنة ولا الفرائض الدينية، فقد تطلق

على بعض الأزمنة، كليلة القدر فهي من الشعائر، وحتى زمينة الوقوف في عرفة ومزدلفة، كما أنها تُطلق أيضاً على الذوات والأشخاص، فالرسول وعترته صلوات الله عليهم من الشعائر والمقدسات.

- المعنى الاصطلاحي للشعيرة كاللغوي، فهي إعلام بشيء مخصوص.
- كل ممارسة توجب النفرة من الدين أو تساهم في تشويه صورته فهي ليست شعيرة، ولا ينبغي الاغترار بالكثرة والشيوخ لممارسة غير شرعية، ولا ينبغي الاغترار بإجازة البعض أو الترويج لها.
- ملامح الشعيرة الدينية: انعكاس أصول الدين والإيمان فيها، وأن تكون داعية للارتباط بالله ومحل وفاق أهل الدين أو المذهب نفسه.
- كل شعيرة دينية هي وسيلة تعبديّة، فتحتاج إلى دليل شرعيّ، ولا عبرة بالاستحسانات والذوقيات والتبرّعات.
- كما أنّ سائر العبادات ملحوظ فيها الاتّزان الشرعي في أدائها (أي: الاقتصاد في العبادة)، فكذا في تأدية الشعائر الدينية، والاقتصاد في العبادة لا يعني التقليل منها، وإنّما يعني عدم الإجهاد والأذى من جرّاء ذلك.

- التشريعات الإلهية تشبه الموادّ الدستورية الملزمة للجميع.
- أهمّ الأهداف الدينية للشعائر: إحياء الدين وإظهار حاكميته، والتأكيد على القيم الإلهية، وتحقيق المعنى الرقابي الموجّه لما نحن عليه من فكر وعقيدة وأخلاق، وتحقيق رمزية القيم الإلهية، وترشيد الحالة المعنوية.
- الشعائر الدينية وسائل شرعية لبلوغ أهداف إلهية سليمة ونبيلة وعظيمة؛ فلا بدّ أن تكون هذه الوسائل صحيحة ونبيلة وعظيمة.
- بين الوسيلة والهدف تناسب طرديّ في الهبوط والارتقاء.
- من الأهداف الاجتماعية للشعائر الدينية: تحقيق موارد جديدة لوحدة

- الصف، وانسجام النسيج الاجتماعي على اختلاف مراتبه، وتحقيق موارد جديدة من التكافل والتضامن والتآخي في الشعيرة الجماعية.
- الشعائر ذات البعد الاجتماعي تعالج في الإنسان النزعة الفردية التي كثيراً ما تتحكم في طريقة تفكيره وسلوكه.
- الحج من أهم الشعائر الدينية، بل هو المنسك الوحيد الذي ورد في شأنه التعبير بالشعيرة، ولذلك فهو المصداق البارز للشعائر الدينية.
- تدرج الزيارات المخصصة في عموم مفهوم الشعائر - بل كل زيارة تظهر فيها معالم الدين ونصرتة وعزته - اندراج المصداق تحت مفهومه.
- تسمية القرآن للحج - حصراً - بالشعيرة يكشف عن عناية خاصة ترجع إلى: الكثافة الشعائرية فيه، واشتماله على مناسك يصعب فهم معانيها.
- للارتباط الوثيق بين الحج والشعائر الدينية أبعاد أخلاقية وتربوية واجتماعية ترتبط بالملتزمين كأفراد، وبهم كأمة.
- اندراج الزيارات المخصصة ضمن الشعائر الدينية يعني انعكاس ما للشعائر من أبعاد أخلاقية وتربوية واجتماعية فيها.
- من مزايا الزيارات: تمكّن الغني والفقير منها، بخلاف ما يقتضي الحج، كما أنّ تنوعها يجعل فرصة التعويض متاحة، فضلاً عن كونها تتوافق مع الأمزجة المختلفة والتوجهات القلبية المختلفة.
- زيارة الأماكن الطاهرة تعني: التواجد في مواقع الدرس والتحصيل، فهي غالباً ما تكون مساجد، والمساجد مدارس معرفية ومعنوية.
- لأنّ مناسك الحج مفعمة بالمشاعر التوحيدية فإنّها تصلح أن تكون شعاراً توحيدياً لجميع الشعائر الدينية، وفي هذا كشف سرّ خفي عن

- الحجّ يتعلّق بكون وجوبه يقع مرّة في حياة المكلف.
- حلقات الوصل بين الزيارات والشعائر الدينيّة تكمن في إيصال صوت الوحي والرسالة إلى المكلفين، والتحفيز المكثّف للارتباط بالدين وأداء فرائضه، والدعوة المشتركة إلى تدعيم وتعميق الحالة المعنويّة.
- التنوّع في الزيارات تنوّع في وسائل التقرب إلى الله تعالى.
- للمساجد الكبرى (الحرام، النبويّ، الأقصى، الكوفة) صدارة المساجد المقدّسة، كما أنّ لمراقد المعصومين عليهم السلام صدارة المراقد المقدّسة.
- الأماكن المقدّسة (المساجد والمراقد والمقامات) ليست مواقع سياحيّة أو مجرد مواقع تاريخيّة، وإنّما هي أماكن منظّور فيها الارتباط الدينيّ.
- هنالك ارتباط وثيق بين (المساجد، المراقد، المزارات)، يتمثّل بكونها تحقّق التوجّه الديني للمعارف الإسلاميّة والعبادات والأعمال الدينيّة، والتوجّه المعنوي لإعمار القلوب وتخليصها من تبعات الذنوب.
- تتحدّد طبيعة العلاقة بين المرقّد وصاحبه من جهتين، الأولى: تتعلّق بنفس صاحب المرقّد، حيث الفرق بين المعصوم وغيره. والثاني: تتعلّق بمكان المرقّد أو المزار، فإنّه يتأثّر بالساكين بجواره وإمكاناتهم، والتزامهم.
- من موارد رفع الصوت في حضرة الرسول مخالفته في القول والعمل.
- المراقد والمزارات بوصلات موجهة لله تعالى وللخير والفضيلة.
- الأخلاقيّات الأوّليّة للحضور في الأماكن المقدّسة: هي الطهارة وأخذ الزينة والاشتغال بالعبادات، ومن الأخلاقيّات الثانويّة: عدم إلقاء النفايات، وعدم رفع الصوت أو الجدل بالباطل أو مزاحمة الزائرين.
- حرمة الزائرين من حرمة المزار والمزار، فلا بدّ من احترامهم وعدم توجيه أيّ إهانة لهم سواء بكلمة أو بفعل.
- ينبغي لأبناء المدن الدينيّة أن يكونوا خلّوقين؛ لأنّهم بمجاورتهم

- للمراقد والمزارات وضعوا أنفسهم أمام مسؤولية خدمة زوارها.
- تنقسم العمرة إلى تمتّع ومفردة، والأولى مقترنة بحجّ التمتع، بل هي جزء منه، والثانية يمكن أن تنفصل عن الحجّ، وهي واجبة ومستحبة.
- أعمال العمرة (إحرام وتلبية) و(طواف سبعاً وصلاته) و(سعي سبعاً بين الصفا والمروة) و(تقصير) و(طواف النساء) إذا كانت مفردة.
- التلبية بعد نية الإحرام لازمة، فهي بمثابة تكبيرة الإحرام في الصلاة، والعمرة للحجّ كالوضوء للصلاة، فلا صلاة بلا وضوء ولا حجّ بلا عمرة.
- عمرة الحجّ زاد معنوي للحجّ نفسه، لا غنى عنه، وهو التقوى.
- أخلاقيات العمرة تعبير عن مراعاة الواجبات والمستحبات والمندوبات فيها، فلا يقع تهاون أو ازدراء أو تدمير أو تشكيك.
- البعد المعنوي للإحرام يكمن في كفّ التوجّه القلبي لزينة الحياة الدنيا، والتهيؤ العملي لوطء ساحة التوحيد الأفعالي، وعدم الانغماس بالدنيا.
- الثوبان غير المخيطين يشيران إلى عدم المبالغة في اقتناء الملابس الأخرى، وبياضهما يحكي النقاء، والأمل بجعل القلب كذلك.
- الإحرام مانع تشريعي عن إلحاق الأذى بالخلائق، قولاً وفعلاً وإشارة.
- من أخلاقيات الطواف: الاشتغال بذكر الله تعالى، وعدم إقحام ما يوهن التوحيد في قلبك، كالاستعانة بالأغيار أو الاستغاثة بهم، وعدم مزاحمة الطائفين، والمشي بخطوات قصيرة بلا إبطاء، وبسكينة ووقار.
- لا تصلّ في مكان تستقبل فيه أدبار النساء، وقرأ من السور ما تتقنه.
- في السعي اسلك الطريق المخصّص له، فإنّ حفظ النظام من

أخلاقيات العمرة والحجّ، ولا ينبغي لك أن تزاحم المعلولين في طريقهم الضيق.

- السعي: كدح إلى الربّ، ولكنّه كدح العبوديّة والطاعة، وكأنّك تريد به تغطية خطواتك السابقة في الحياة الدنيا بخطوات الطاعة والقرب.
- من أخلاقيات التقصير: الشعور بالتقصير لما سلف منك فلا تغترّ بدنياك.
- بين الحجّ والحجّ فرق دقيق، فالحجّ هو الواجب، والحجّ هو ما ينبغي أن ينتهي إليه الحاجّ بعد أداء مناسكه في الحجّ، أي: بلوغ الغاية منه.
- الحجّ أقسام: تمتّع، يقع فيه التمتع بعد الحلّ من عمرة سابقة. وإفراد: وهو حجّ منفرد عن العمرة. وقران: مشروط بإقران الإحرام بسوق الهدي.
- حجّ التمتع هو أفضل أقسام الحجّ، ثمّ يليه حجّ القران، ثمّ حجّ الإفراد.
- الحاجّ الواقعي هو من قصد إحياء شعيرة الحجّ، فيكون الحجّ قصده.
- انعدام الاستطاعة النفسيّة والمعنويّة لا يرفع التكليف بلزوم أداء فريضة الحجّ، ولكنّه يسقط حقيقة الحجّ المقصود.
- من رعاية المسجد الحرام عدم القيام بالأعمال العبثيّة فيه، كاللهو في الحديث والمزاح الزائد، فالقاصد للبيت الحرام عليه الاشتغال بالعبادة.
- لا بدّ من رعاية حرمة كلّ من له صلة بالحرم، كأئمة المسجد والمتعهّدين بإقامة صلاة الجماعة، بل حتّى المسؤولين عن أمن المسجد والخدم فيه.
- الأنانيّة هي معقل الخطايا ومعقل الأمراض المعنويّة، ولذلك كان التركيز في مناسك الحجّ على هذا الموضوع الخطير.
- الحجّ فرصة عظيمة لتطهير النفس من عروق الأنانيّة، فإذا خرج الحاجّ عن إحرامه ولم يزل قابلاً في ظلماتها، يكون قد خسر صفقة عمره.
- التأكيد على الأخوة الإيمانيّة بين الحجّاج فهي أرضيّة التآلف ونبذ

- الاختلاف، وأرضية التواضع والتخادم، وهذه من مقومات الحج المبرور.
- في إحرام الحج يقع الاعتراف بالذنوب في عرفة، والتذلل لله في مزدلفة، وتمني قبول الأعمال في منى، وتقديم الهدى، ونزع الحاج آخر زيبته.
- إحرام الحج هو إحرام المسجد، وإحرام العمرة هو إحرام للمسجد.
- جميع مناسك العمرة مقدمات للوقوف في عرفات، بل صيام شهر رمضان وإحياء ليلة القدر هما من مقدمات الوقوف في عرفات.
- من أخلاقيات عرفات: البقاء على الطهارة، والانقطاع للتضرع والدعاء، فإذا أردت الإفاضة فلا تخرج إلا وأنت معتقد بأن الله تعالى قد غفر ذنوبك وخطاياك، ولتكن إفاضتك مقرونة بالذكر والدعاء.
- من أخلاقيات الوقوف في مزدلفة: تهيئة العدة لمنازلة الشيطان في الصباح الباكر، ليفي الحاج بعهدده، والاشتغال بالدعاء والتجلبب بلباس التقوى.
- منسك رمي الجمرات عبادة، وهو من تجليات التبري من الشيطان، والخصيات جزء من ذلك المنسك، فهي خصيات تطهير النفس.
- من أخلاقيات الهدى: التشبه بهابيل الذي تقبل الله قربانه لتقواه وشدة إخلاصه ولاختياره القربان الجيد.
- من أهم أخلاقيات المبيت في منى: استغلال الوقت بالتعليم والتحصيل، أو بتلاوة القرآن أو بالذكر والصلاة على النبي وآله صلوات الله عليهم.
- طواف الحج طواف الحب والقرب وقبول الأعمال، وطواف دموعك في عرفات ولوعة طلب القرب في مزدلفة، وأما السعي فزينة بطلب الآخرة.
- على الحاج أن لا يعجل في أداء مناسكه، وأن لا يكون أكبر همّه الخلاص من رسوم عمله، فعما قريب سيمضي إلى بلده فيتحسر على ما فاتته.

- عند وداع المسجد الحرام أطلق العنان للوعة فراق دار التوحيد، فودّعه وداع بالكِ متلوّج وأنت تقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْقَلِبُ عَلَى أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».
- التزاور: هو تبادل الزيارة بين الأهل والأقارب والمعارف، بمعنى: قصد المزور إكراماً له وتعظيماً له واستيناساً به، وللتزاور فلسفة دينية واجتماعية لا يستغني عنها الجميع، فإنّ الانقطاع عن المجتمع أو الشعور بعدم الانتماء له يجعل الإنسان غريباً لا مكان له.
- التزاور بين الناس أمر منسجم مع فطرة الإنسان وطبيعته، فضلاً عن كونه منسجماً مع التعاليم الدينية، فهو يمنح شعوراً بالتقارب والأمن.
- التزاور مطلب شرعي وعقلائي، وهو مورد نزول الرحمات الإلهية.
- انقطاع الإنسان عن أهله ومعارفه عامل مباشر في تحطيم وضعه النفسي وأفول روحانيته، فلا يكون بعدها إنساناً سوياً.
- من الآداب الشرعية المتعلقة بالزائر: إخبار المزور بالزيارة مسبقاً، وتحديد وقتها، وأن لا تقع في وقت محرج للمزور، وأن تكون قصيرة.
- من الآداب المتعلقة بالمزور: إظهار الراحة والسرور بالزائر، وأن يقوم بحسن ضيافته من غير إضرار بأهله، وأن لا يتركه يأكل وحده.
- من الآفات الخطيرة التي تستهلك البعد الأخلاقي والمعنوي للتزاور: قيامه على المنافع الشخصية، والتي بزوالها تنتفي دواعي الزيارة.
- التزاور الخدمي إيجابي، لأنّه يعني الحقوق المتبادلة في التزاور والتكاتب، فهو فضيلة لها منطلقاتها الدينية والإنسانية، وهو أقرب ما يكون لتسخير بعضنا للآخر؛ بدافع التكامل لا الهيمنة والاستغلال.
- من ثمرات التزاور: التذكير بالإيمان والعمل الصالح، والتعليم والتثقيف والتوجيه والتنبيه؛ بدافع الحرص لا بدافع المجادلة.

- لم تشهد مدينة في تاريخ الإسلام أحداثاً عظيمة كما شهدتها المدينة المنورة، فهي مدينة الدعوة والدولة، ومدينة العلم والجهاد، وهي حرم الرسول الله صلى الله عليه وآله.
- لعظمة المدينة المنورة ينبغي للحجاج أو الزائر أن يستحضر جميع المعاني الرفيعة والجليلة التي كانت تتمتع بها، وما دام الحاج مقيماً فيها فعليه أن يحرص على تقصي آثار الإسلام وبطولاته الكبرى؛ فليزر مساجدها الرئيسة، كمسجد قبا والقبلتين، وليزر قبور الشهداء.
- اجتمعت في شخصية الرسول صلى الله عليه وآله من المزايا المعرفية والمعنوية والسلوكية ما لم تجتمع في غيره قط.
- هنالك أربع خصال عظيمة لرسول الله صلى الله عليه وآله تشكل صورة مُمهّدة للدخول في أخلاقيات زيارته وحفظ حرمة، وهي: الشخصية العاملة العاملة، والمنتفضة الصابرة، والنافذة المؤثرة، والخليلة السمحة.
- من أخلاقيات زيارة الرسول صلى الله عليه وآله: حفظ حضوره المعنوي معنا وكأنّه ماثل بيننا، وأن تكون زيارته مناسبة لشخصيته بخواصّها الأربع الأنفة، وأن لا نترك فرصة للخلاف بيننا ونحن بحضرته.
- مقبرة البقيع أوّل مكان اختطّه النبيّ صلى الله عليه وآله ليكون مدفناً، وفيه قبور أربعة أئمة من أهل البيت عليهم السلام، وصحابة وقرّاء وتابعين.
- يُستحبّ الدفن في المشاهد المقدّسة، ولا شكّ في كون البقيع منها، وإن كان للغريّ خصوصيّة كبيرة، حيث مقبرة وادي السلام.
- لقد ظلّم أئمة البقيع مظلوميّة كبيرة امتدّت إلى قبورهم الشريفة، ومشاهدهم الكريمة، حتّى تحوّلت قبورهم إلى بيت أحزان جديد.

- فاطمة كوثر الرسول صَلَّى الله عليه وآله وخيرها أعمّ من ذلك وأشمل، فمن كوثريتها حفظ النبوة والإمامة، بسابقتها الجهادية عنها.
- من مفاصل شخصية الزهراء عليها السلام أنّ الله قرن رضاه برضاها، وغضبه بغضبها، وأنّ المنقذ العالمي من ولدها، ومن أخلاقيات زيارتها استحضار مظلوميتها العظيمة، والإكثار من زيارتها في مواقع عديدة.
- الرسالة المشتركة لسائر الأنبياء تتمثل بالأخلاق وبإعلاء كلمة التوحيد.
- دعوة الأنبياء السابقين مهيّدة للنبوة الخاتمة، والنبوة الخاتمة مهيّدة لإقامة دولة العدل على يد المنقذ العالمي الحجة بن الحسن عليه السلام.
- ينبغي التعاطي بمسؤولية شرعية وأخلاقية تجاه زيارة الأنبياء عليهم السلام، الذين قابلوا ابتلاءاتهم العظيمة بالصبر الجميل.
- عند زيارة الأنبياء عليهم السلام ينبغي التعرّف على سابقتهم الجهادية، بالقول والعمل، ومراعاة مراتبهم التي رتبهم الله فيها.
- من أخلاقيات زيارة الأنبياء: نشر قصصهم عن طريق القرآن؛ فيها عبرة وعبرة، بدلاً من كتب (قصص الأنبياء) المتخمة بالإسرائيليات.
- مراقدة أئمة أهل البيت عليهم السلام مدارس تعليمية، نتعلّم منهم قوّة التوحيد وقوّة الارتباط بالله تعالى، وعظمة التضحيات.
- زيارة أئمة أهل البيت عليهم السلام زيارة للرسول صَلَّى الله عليه وآله.
- على الزائر أن يهتم بشكله وهندامه، فيغتسل ويتطيّب ويرتدي أفضل ثيابه، وأن يكون في خدمة الزائرين، لاسيّما من رفقائه في السفر.
- من أخلاقيات زيارة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: استحضار

شخصيته المتفانية في سبيل الله ورحلته الجهادية الطويلة، واستحضار أُبوته لنا.

- تكتسب كربلاء خصوصيتها من واقعة كربلاء الأليمة، حيث استشهاد الإمام الحسين عليه السلام ومصارع الكرام من آل محمد والأنصار.
- كربلاء جامعة بين الحزن والشجن، والمآسي والمحن، وبين العزة والإيثار والكرامة والبطولة، والوعي والنضج والأخلاق الكريمة، وهي قصة الإنسان السويّ الملتزم الذي واجه تياراً عارماً من الانحراف، فانتصر بصموده ودمه على سوء التاريخ وشنار الإنسانية.
- الخزين الهائل من الحزن والشموخ، الذي تكتنزه كربلاء، يفترض أخلاقيات استثنائية بكلّ المقاييس، وعلى الزائر أن يجسدها.
- على الزائر الالتزام بإقامة الصلاة، تيمناً بالإمام الحسين عليه السلام الذي صلى بأصحابه في ظهر العاشر في كربلاء والأعداء يطلبونه.
- عاش الإمامان الكاظم والجواد عليهما السلام غربيين مضطهدين إلى أن استشهدا في الغربية، وهذا ما ينبغي استحضاره عند زيارتهما.
- مرقد الإمام الرضا عليه السلام من أكبر المشاهد الدينية في مدرسة أهل البيت، وقد اكتسبت مدينة مشهد مكانتها الدينية والعلمية من مرقد.
- من أهم أخلاقيات زيارة الإمام عليّ الرضا عليه السلام استحضار وحدته وغربته في أرض طوس، والحرص على طول المكوث عنده.
- خصوصية سامراء تكمن في كونها تشتمل على محطات تُشكّل علامات فارقة في تاريخ مدرسة أهل البيت، فهي مدينة الأحداث الساخنة، ومن أهم أخلاقيات الحضور فيها: استحضار الصلة الوثيقة بالإمام المهدي

- عليه السلام، والاهتمام البالغ بقراءة الأدعية الخاصة به عليه السلام.
- من أخلاقيات زيارة الأولياء والشهداء والصالحين: التعاطي معها على أنها زيارات تكميلية لزيارات الأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام.
- لزيارة القبور ثمرات معنوية كثيرة، منها ما يخص الزائر، ومنها ما يخص المزار، من قبيل تحصيل الرادع العملي من الانجراف إلى الدنيا.
- زيارة القبور نافذة إحياء القلوب ومحطة للتذكّر وقراءة سالف الأعمال.
- من أخلاقيات زيارة العباس عليه السلام: اعتبار زيارته مدخلاً إلى شخصية الإمام الحسين عليه السلام، فهو قائد جنده وحامل لوائه.
- عند زينب الكبرى تُسكب العبرات، حيث شجون الدهر، ومصائب الزمان، وعلى الزائر استحضار صمودها ورباطة جأشها، وشموخها وبطولتها، والتعويض بزيارتها عن زيارة قبر أمّها عليهما السلام.
- ينبغي للزائر أن يظهر شعور الارتباط بالآخرين من إخوته المسلمين في أصقاع الأرض، لاسيّما من تربطه بهم رحم أو قرابة، فيزور عنهم.
- أجمعت النصوص الدينية على تعظيم العلم وكرامة أصحابه، حتّى أشهد الله تعالى أهل العلم على وحدانيّته وعدله، وهذا هو قمة التكریم.
- الكرامة الحقيقية للإنسان قرآنيّاً تكمن في عقله وفي علمه وفي تدبّره.
- العلم الإلهي المقتضي للخشية هو بنفسه مقتضى للتقوى، وما التقوى إلّا أثر عمليّ للمعرفة الإلهية والخشية من الله.
- قد تحصل الخشية والخشوع والجلال لشخص متفكّر في آثار الله تعالى ما لا يحصل لعابد زاهد غير متفكّر في آيات الله تعالى وخلقته.
- إنّما تُقبل العبادة بالعلم، بل العلم عبادة، ولذلك قدّم على المألوفة منها.

- العلم الحقيقي يكتسب جدوائيته من خلال العمل نفسه، لا بمعنى تقدّم العمل عليه مرتبة، وإنّما بمعنى أنّ العلم يطلب الانعكاس في غايته.
- على العالم وطالب العلم أن تكون لهما شخصيّة معنويّة منذ أوّل خطوة في مجال العلم، فإنّ العلم بناءً ظاهريّ يُفضي إلى الغرور، والشخصيّة المعنويّة بناءً باطنيّ تُفضي إلى التواضع، ولا خير في علم لا تواضع معه.
- حرمة العلم والعالم هي حرمة تراث ومعطيات وتضحيات والتزامات.
- حفظ حرمة العلماء وطلبة العلم وصيانة كرامتهم لا يقف عائقاً بوجه النصّح لهم وتوجيه النقد في الأمور التي تقتضي ذلك.
- النقد العلمي للعلماء أو لطلبة العلم في مجال اختصاصهم لا بدّ أن يكون موجّهاً من أهل الفنّ والصنعة، أي: من طبقة العلماء أو الفضلاء.
- على العالم أن لا يظهر علمه إلّا بعد استحكامه، بانتظام فصوله وإحكام أدلّته واتّضاح مطالبه، فلا تأخذه العجلة في نشره فيضطرّ إلى نقضه.
- من أخلاقيّات زيارة العلماء: عدم الانقطاع عنهم، وأن تكون زيارته ذات فائدة غير التحيّة والسلام، ويتأكّد هذا لطلبة العلم.
- طلبة العلم هم علماء الأُمّة في المستقبل، وحرمتهم وأخلاقيّات التعامل معهم منبثقة من حرمة العلماء وأخلاقيّات التعامل معهم.
- من خصوصيّات أخلاقيّات زيارة طلبة العلم: عدم مزاحمتهم في أوقات التحصيل في مواقعهم العلميّة، من الأهل والزائرين عموماً.
- لا بدّ من توطيد التكامل الأسري وحفظه؛ لأنّه سبيل منع الانحراف.
- عدم الوقاية الأسريّة موجبة للتفكّك الأسري الموجب للتفكّك الاجتماعي.

- علاقة الأبناء بالوالدين هي علاقة البرّ والتقوى، لا العقوق ولا القطيعة، فإنّ العقوق مقوَّض لأركان التكامل الأسري.
- التكامل الأسري مسؤوليّة جميع أفراد الأسرة، والتزاور اليومي الواقع بنحو القصد أو الاضطراب هو عامل مساعد على تقوية أركانه.
- التزاور القربائي يهدف إلى حفظ الامتداد الاجتماعي وقوّة الارتباط، وهو قوّة ثبات وقوّة مواجهة لمشكلات الحياة.
- هوّيّة الأصدقاء في بنائهم الفكري والثقافي والأخلاقي تؤثر سلباً وإيجاباً على معطيات التكامل الأسري ومعطيات الامتداد الاجتماعي القربائي.
- الوحدة الاجتماعيّة جامعة بين (التكامل الأسري) و(الأقرباء امتداد اجتماعي وقوّة ارتباط) و(الأصدقاء وحدة ثقافة وطموح وأهداف).
- الوحدة الاجتماعيّة ليست هدفاً جزئياً، ولا غاية محدودة، وإنّما هي خلاصة رسوم التكاليف، وخلاصة الطموح الإنساني السليم، وخلاصة المسير في خطّ الأنبياء عليهم السلام، وهي دليل عقلانيّة العقلاء.
- أخلاقيّات التزاور بين أفراد الأسرة الواحدة تنقسم على قسمين: أخلاقيّات التزاور البنائي، وأخلاقيّات التزاور التكاملي.
- أروع مصاديق البرّ بالوالدين قرآنيّاً هو خفض جناح الذلّ لها، وهو إستراتيجية قائمة في أخلاقيّات علاقة الأبناء بآبائهم.
- من أخلاقيّات التزاور التكاملي: إبداء الحرص على جلب المنفعة للآخر، والعمل على تكميل النواقص، والدعاء في العلن وبظهر الغيب.
- من أخلاقيّات التزاور القربائي: لزوم التواصل والتكافل والتآصر، واستخدام إستراتيجية التخادم أو التسخير القرآني.
- من مبدأ (الأصدقاء وحدة ثقافة وطموح وأهداف) ينشأ لزوم أخلاقيّات ارتقائيّة، والوقوف بثبات عند الأزمات، والوقوف على أرضيّة الثقة.

- ينبغي أن تكون الصداقة واقعية وليس مطلوباً فيها أن تكون مثالية.
- مقطوعو الصلة: هم كل من لم يكن له راع أو منفق، أو من انقطعت بهم الأسباب عن العمل والكسب، أو من أعوزتهم الحاجة لأمر ضرورية.
- خير مساعدة لمقطوعي الصلة أن نبحث لهم عن حلول تحفظ كرامتهم، كي لا يقفوا على الأبواب مستعطين، ولا يبقوا متأملين طرق أبوابهم.
- يقف وراء ظاهرة مقطوعي الصلة مانعو الحقوق الذين حبسوا أقواتهم.
- الأيتام أكثر طبقات مقطوعي الصلة تضرراً؛ لأنهم فقراء ولا معيل لهم.
- الحقوق الشرعية تقدر بحسب الحاجة التي يفرضها الواقع، ولا ينبغي أن تبقى بالرقمية المتعارف عليها، فتزداد نسبتها حتى ترتفع الحاجة.
- من أخلاقيات زيارة الفقراء والمساكين والأرامل: إيصال حقوقهم التي فرضها الله تعالى إليهم، وأن تناط زيارتهم بحفظ ماء وجوههم.
- من أخلاقيات زيارة المتعفين: التصرف معهم بلين وحكمة، فلا تُجرح مشاعرهم، وما يُناسبهم هو تقديم فرص العمل الشريفة لهم.
- من أخلاقيات المريض: أن لا يكثر من الشكوى، وأن يستر ما أصابه، ولا يُراد بكثرة الشكوى أو إظهار الجزع إظهار المرض أو بيان ما يعانيه، وإنما المراد تمييز نفسه بشدة ابتلائه.
- ينبغي للمرضى عدم الحضور في الأماكن العامة التي يتوقع فيها انتشار العدوى، بل يلزمهم ذلك فيما إذا كانت أمراضهم معدية.
- عيادة المريض من حقوق الأخوة، ومن أخلاقياتها: اختيار الوقت المناسب للزيارة، والسؤال عن أحواله دون إطالة السؤال والمكوث.
- هنالك آثار مشتركة بين المريض وعائده، منها: أنهما مأجوران في الزيارة، وأنها عامل مساعد في تقوية الأواصر والعلاقات الاجتماعية.

- التبليغ: وظيفة إلهية رسالية، أوكلها الله تعالى إلى أنبيائه عليهم السلام وتشمل السائرین على خطّهم ونهجهم.
- المهمة الأساسية للمبلّغ: تبليغ رسالة الإسلام إلى الناس كافة، فهو من الأدلاء على الآخرة، فإن لم يؤدّ وظيفته كان قاطع طريق ومخلًا بعمله.
- خواص التبليغ: أنّه وظيفة إلهية وليس وظيفة مدنيّة أو حكوميّة، وهو عملية إنقاذيّة، ويكون للدين والمبادئ وليس للأشخاص. ولا بدّ للمبلّغ من الموازنة في انتخاب الموضوع، وفي تحديد الزمان والمكان.
- الأبعاد الذاتيّة العامّة في شخصيّة المبلّغ هي: الشكل المقبول والهئية الحسنة والصوت الحسن، والذاكرة والصبر والتحمل، والأبعاد الخاصّة هي: التفقّه في الدين، وإجادة الفنون التبليغيّة، والأمانة في النقل، والموضوعيّة في النقد، والتنافس الإيجابي، والتذكير بالجنة والنار على حدّ سواء، والسعي الحقيقي وراء النهضة بالأمة.
- التفقّه في الدين لا ينحصر بالأحكام الشرعيّة، فذلك جزء يسير منه، فالدين فكر وعقيدة وفقه وأحكام وقرآن وحديث وتاريخ وأخلاق.
- من أهمّ النقاط الجوهرية في إنجاح العملية التبليغيّة: العمل على إيقاظ الدوافع الطيبة في نفوس المخاطبين، وبناء الثقة مع المخاطبين من خلال سلامة القلب وصدق الحديث ووضوح الهدف وانحصار الخشية بالله.
- من أخلاقيات مرشدي الحجّ: أن يفرضوا شخصيتهم العلميّة والقياديّة والأخلاقيّة في هذه الرحلة العباديّة، وأن يعدّوا برنامجاً فيه تفاصيل سيرة كلّ يوم من أيام العمرة والحجّ.
- تنقسم أخلاقيات البعثة الطيبة في الحجّ إلى أمور إجرائيّة وأخرى سلوكيّة، ومن الإجرائيّة: تزويد الحجاج بالنشرات الصحيّة والقيام

بجولات ميدانية ومتابعة المرضى، ومن السلوكية: التحلي بسعة الصدر والإصغاء الجيد للمرضى، والعمل على رفع الحالة المعنوية للمريض، وعدم الاشتغال بأمور جانبية مع وجود المرضى، ويُفَضَّل كثيراً أن يقدموا للمريض بعض التوصيات الوقائية حال معانيته.

- من أخلاقيات البعثات الدينية المتعلقة بالحجّاج: بيان الأحكام الشرعية اللازمة لهم، وبيان أهم السلوكيات الأخلاقية التي ينبغي أن يتّصفوا بها، والتصدي للردّ عن الشبهات الفكرية والعقائدية والتفسيرية التي توجّه إليهم، والتأكيد على احترام النظام العامّ.

التوصيات

- بقدر ما يكون التأكيد على إحياء الشعائر لا بدّ من التأكيد على شرعيّتها وانحصار البتّ فيها بالمؤسسة الدينية، لاسيّما في مصاديقها الجديدة.
- التأكيد على الحجّاج والمعتمرين والزائرين بأهمية التفقّه في الدين؛ لأنّ رحلة الحجّ وعموم الزيارات مدعاة لتحصيل ذلك، فلا يقصدهما وهو خلو من التفقّه؛ لأنّ التفقّه في الدين عبادة ومطلب عقلائيّ.
- لا بدّ أن يكون المبلّغين من طلبة العلم المحصّلين، وأن يكونوا مرتبطين بالمؤسسة الدينية وممثّلين لها.
- لا بدّ من اتّصاف المرشد الديني (في العمرة والحجّ) بشخصية علمية ومعنوية وقيادية واضحة تمكّنه من أداء وظيفته بالشكل الصحيح.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت.
٣. الاختصاص، للشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت: ٤١٣هـ)، صححه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، رتب فهارسه السيّد محمود الزرندي، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة، قم المقدّسة.
٤. آداب الصحبة، لأبي عبد الرحمن السلمي، الناشر: دار الصحابة للتراث، تحقيق: مجدي فتحي السيّد، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
٥. أدب الدنيا والدين، للإمام أبي الحسن عليّ بن محمد الماوردي الشافعي (ت: ٤٥٠هـ)، منشور في المكتبة الشاملة.
٦. الأدب المفرد، للإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، الناشر: مؤسّسة الكتب الثقافيّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
٧. الأربعون حديثاً، للسيّد الإمام روح الله الخميني (ت: ١٩٨٩م)، تعريب: السيّد محمد الغروي، الناشر: مؤسّسة دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى، قم المقدّسة.
٨. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد (سلسلة مؤلّفات الشيخ المفيد)، للشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت: ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، الناشر: دار المفيد للطباعة، قم المقدّسة.
٩. أسباب نزول الآيات، لأبي الحسن عليّ بن أحمد الواحدي النيسابوري،

الناشر: مؤسّسة الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ١٩٦٨م.

١٠. الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، للشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق: السيّد الحجّة حسن الموسوي الخرسان، تصحيح: الشيخ محمد الآخوندي، نشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، طبعة ١٣٩٠هـ.

١١. أسد الغابة في معرفة الصحابة؛ لابن الأثير أبي الحسن عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشافعي، انتشارات إسماعيليان، طهران.

١٢. الإسلام يتحدّى ... مدخل علمي إلى الإيمان، للمفكر الهندي وحيد الدين خان، تعريب: ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق: الدكتور عبد الصبور شاهين. منشور في المكتبة الشاملة.

١٣. الأشراف، للشيخ المفيد محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت: ٤١٣هـ)، تحقيق: الشيخ مهدي نجف، الناشر: دار المفيد، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

١٤. الإصابة في تمييز الصحابة، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، تقديم وتقرير: الدكتور محمد عبد المنعم البري والدكتور عبد العتّاح أبو سنة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٥. الأصول من الكافي، لثقة الإسلام الشيخ المحدث أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م، قم المقدّسة.

١٦. أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، للشيخ محمد أمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي: (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار ابن الحزم، بيروت،

- الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ. ومنشور في المكتبة الشاملة.
١٧. الأعلام قاموس تراجم، لخير الدين الزركلي، نشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م.
١٨. إقبال الأعمال، للسيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسيني، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، نشر: مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
١٩. الأمالي، لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، نشر: دار الثقافة، قم المقدسة، الطبعة الأولى.
٢٠. الأمالي، للسيد المرتضى أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين (ت: ٤٣٦هـ)، صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه: الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي، منشورات: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، إيران، ١٤٠٣هـ.
٢١. الأمالي، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٢٢. إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: ٦١٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.
٢٣. الانتصار، للشريف المرتضى علم الهدى علي بن الحسين الموسوي البغدادي (ت: ٤٣٦هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٢٤. أوائل المقالات، للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي

- (ت: ١٣هـ)، نشر: دار المفيد، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
٢٥. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، نشر: مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
٢٦. بحث حول الإمامة، للسيد كمال الحيدري، بقلم: جواد علي كسار، نشر: مؤسسة الهدى للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الجديدة، ١٤٣٤هـ.
٢٧. البداية والنهاية، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)؛ تحقيق: علي شيري، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٢٨. بصائر الدرجات الكبرى، محمد بن الحسن الصفار، تحقيق: ميرزا محسن باغي، الناشر: مؤسسة الأعلمي، طهران، ١٤١٤هـ.
٢٩. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، حققه وعلّق عليه: مسعد عبد الحميد محمد السعدني، الناشر: دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، مصر.
٣٠. البلد الأمين، إبراهيم بن عليّ العاملي الكفعمي، منشور في المكتبة الشاملة.
٣١. تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: نخبة من العلماء، نشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت.
٣٢. التاريخ الكبير، للشيخ المحدث أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، الناشر: المكتبة الإسلامية، ديار بكر، بإشراف: الدكتور محمد عبد المعيد خان.
٣٣. تاريخ المدينة المنورة (أخبار المدينة النبوية)، لأبي زيد عمر بن شبه النميري البصري (٢٦٢هـ)، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، من منشورات

- دار الفكر، مطبعة القدس، تاريخ الطبع ١٤١٠هـ.
٣٤. تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر علي بن الحسن الشافعي (ت: ٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٣٥. التبيان في تفسير القرآن، لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، قم المقدسة.
٣٦. تحف العقول عن آل الرسول، للشيخ الثقة الأقدم أبي محمد الحسن بن علي بن شعبة الحرّاني، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي لجامعة المدرّسين، قم المقدسة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
٣٧. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ)، نشر: دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
٣٨. التحفة السنيّة (مخطوط)، للملّا محسن الفيض الكاشاني، شرح: السيّد عبد الله الجزائري؛ الكتاب من مختصّات مكتبة مدينة القدس، قسم المخطوطات؛ نقلاً عن المعجم الفقهي.
٣٩. التداير النبويّة في حفظ الخلافة الإلهيّة، من أبحاث سماحة المرجع الديني السيّد كمال الحيدري، بقلم: الدكتور طلال الحسن، الناشر: مؤسسة الإمام الجواد عليه السلام للفكر والثقافة، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ، العراق.
٤٠. الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين (ت: ٣٨٥هـ)، منشور في: موقع جامع الحديث، و: المكتبة الشاملة.

٤١. التعريفات، للسيد الشريف عليّ بن محمد الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)،
الناشر: دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
٤٢. تفسير العيّاشي، لأبي النضر محمد بن مسعود العيّاشي (ت: ٣٢٠هـ)،
تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسّسة البعثة، قم المقدّسة، الطبعة
الأولى، ١٤٢١هـ.
٤٣. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن
كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار
طيبة، الرياض - السعوديّة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
٤٤. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد
الأنصاري القرطبي، نشر: مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٤٥. تفسير القمّي، لأبي الحسن عليّ بن إبراهيم القمّي (ت: ٣٢٩هـ)،
تصحیح: السيّد طيب الجزائري، نشر: مؤسّسة دار الكتاب، قم المقدّسة،
الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
٤٦. تفسير نور الثقلين، للشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تحقيق:
السيد هاشم المحلّاتي، نشر: مؤسّسة إسماعيليان، قم المقدّسة، الطبعة
الرابعة، ١٤١٢هـ.
٤٧. التفقه في الدين، حوار مع ساحة المرجع الديني السيّد كمال الحيدري،
بقلم: الدكتور طلال الحسن، الناشر: مؤسّسة الهدى للطباعة والنشر،
بيروت، الطبعة الجديدة، ١٤٣٤هـ.
٤٨. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورّام)، للورّام بن أبي فراس
المالكي الأشتري، نشر: مكتبة الفقيه، قم المقدّسة.
٤٩. التنقيح في شرح العروة الوثقى (كتاب الطهارة)، بحث آية الله العظمى
السيد أبي القاسم الخوئي (ت: ١٤١٣هـ)، تقرير: الميرزا علي الغروي،

- أشرف على طبعه: مرتضى الحكمي، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ.
٥٠. تهذيب الأحكام، لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق: السيد حسن الخراسان، نشر: دار الكتب الإسلامية، قم المقدسة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٥م.
٥١. تهذيب التهذيب، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، نشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
٥٢. تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، بيروت.
٥٣. التوقيف على مهمات التعاريف، للشيخ محمد عبد الرؤوف بن علي المناوي المصري (ت: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب، القاهرة.
٥٤. ثواب الأعمال، للشيخ الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ)، منشورات الرضي، قم المقدسة، الطبعة الثانية، ١٣٦٨ش.
٥٥. جامع الأحاديث (الجامع الصغير والجامع الكبير)، جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٥٦. جامع الأحاديث، جلال الدين السيوطي، منشور في المكتبة الشاملة.
٥٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطّار، نشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة ١٤١٥هـ.
٥٨. جامع السعادات، للشيخ محمد مهدي النراقي، تحقيق وتعليق: السيد

محمد كلانتر، تقديم: الشيخ محمد رضا المظفر، منشورات مطبعة النعمان، النجف الأشرف.

٥٩. جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن أحمد رجب الحنبلي، طبع الهند.
٦٠. الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي) للإمام أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي المالكي (ت: ٨٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح أبو سنة، والشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٦١. جواهر المطالب في مناقب الإمام الجليل علي بن أبي طالب عليه السلام، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن ناصر الدمشقي الباعوني الشافعي (ت: ٨٧١هـ)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الناشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، مطبعة دانش، قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٦٢. حاشية رد المحتار على الدر المختار (شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان)، محمد أمين ابن عابدين، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ١٩٩٥م.

٦٣. حياة الحيوان الكبرى، لكمال الدين محمد بن موسى الدميري المصري (ت: ٨٠٨هـ)، الناشر: مصطفى الحلبي، مصر.

٦٤. الخرائج والجرائح، للفقهاء المحدث أبي الحسين قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة.

٦٥. الخصال، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: جامعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة.

٦٦. خصائص الأئمة عليهم السلام، للشيخ الرضي محمد بن الحسين بن موسى الموسوي، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد هادي الأميني، نشر: الآستانة الرضوية المقدسة (مجمع البحوث الإسلامية)، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
٦٧. الخلاف، للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق: علي الخراساني وجواد الشهرستاني، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٦٨. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للحافظ جلال الدين السيوطي (ت: ٩١٠هـ)، نشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ.
٦٩. دراسات في النحو، تأليف: صلاح الدين الزعبلوي، منشور في: موقع اتحاد كتاب العرب، وفي: المكتبة الشاملة.
٧٠. الدروس الشرعية في فقه الأمامية، للشهيد الأول الشيخ شمس الدين محمد بن مكي العاملي (٧٨٦هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم المشرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٧١. دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام، للقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، نشر: دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٩هـ.
٧٢. الدعوات، قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، مطبعة أمير، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
٧٣. الرسالة القشيرية، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيشابوري، تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف، الناشر: بيدار، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٣٧٤ش.

٧٤. رسائل الشريف المرتضى، للسيد الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (ت: ٤٣٦هـ)، تحقيق: السيد مهدي رجائي، نشر: دار القرآن، مطبعة سيد الشهداء، قم المقدسة، ١٤٠٥هـ.

٧٥. رسائل الشهيد الثاني، للشهيد الثاني زين الدين علي الجبعي العاملي، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، نشر: مؤسسة بوستان كتاب، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٧٦. روحانية العبادات (دروس في الأخلاق التعليمية والواقعية)، من أبحاث المرجع الديني السيد كمال الحيدري، بقلم: الدكتور طلال الحسن، الناشر: مؤسسة الإمام الجواد للفكر والثقافة، الكاظمية المقدسة - العراق، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

٧٧. روضة الواعظين، للشيخ محمد بن الفتال النيسابوري (ت: ٥٠٨هـ)، تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الرضي، قم. ٧٨. الروضة من الكافي، لثقة الإسلام الشيخ المحدث أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر: دار الكتب الإسلامية، قم المقدسة، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ.

٧٩. زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبد الرحمن عبد الله، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٨٠. زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة (بيروت)، مكتبة المنار الإسلامية (الكويت)، الطبعة (١٤)، ١٤٠٧هـ.

٨١. السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، لأبي جعفر محمد بن المنصور بن أحمد بن إدريس الحلبي (ت: ٥٩٨هـ)، تقديم وتحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.
٨٢. سنن ابن ماجه، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق وتعليق: الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
٨٣. سنن أبي داود، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م.
٨٤. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، بيروت، نشر دار الفكر، ١٤٠٣هـ.
٨٥. سنن الدارمي، للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (ت: ٢٥٥هـ)، الناشر: مطبعة الاعتدال، دمشق.
٨٦. السنن الكبرى، للمحدث الحافظ أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، نشر دار الفكر، بيروت.
٨٧. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي الشافعي (ت: ٣٠٣)، تحقيق: الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٨٨. سنن النبي صلى الله عليه وآله، للسيد العلامة محمد حسين الطباطبائي (١٤٠٢هـ)، تحقيق وإلحاق: الشيخ محمد هادي الفقهي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
٨٩. سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

٤٦٠..... أخلاقيات الحج والزيارة

(ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغر جي،
بإشراف: شعيب الأرناؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة
التاسعة ١٤١٣هـ.

٩٠. سيرة الأئمة الاثني عشر، للسيد هاشم معروف الحسني، الناشر: دار
التعارف، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٩١. سيرة النبي صلى الله عليه وآله (سيرة ابن هشام)، تأليف: أبي عبد الله بن
إسحاق بن يسار المطلبى (ت: ١٥١هـ): هذبها أبو محمد عبد الملك بن
هشام بن أيوب الحميري (ت: ٢١٨هـ)، تحقيق وضبط وتعليق: محمد
محيي الدين عبد الحميد، الناشر: مكتبة محمد على صبيح وأولاده،
القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ.

٩٢. شرح أصول الكافي، للمولى محمد صالح السروي المازندراني (ت:
١٠٨١هـ)، تعليق: الميرزا أبي الحسن الشعراني، الناشر: مؤسسة التأريخ
العربي، بيروت، الطبعة الثانية المصححة، ١٤٢٩هـ.

٩٣. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، للقاضي أبي حنيفة النعمان بن
محمد التميمي المغربي، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلاي، نشر: مؤسسة
النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

٩٤. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي (ت: ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد
أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، سوريا.

٩٥. شعراء مصر والسودان (أحمد شوقي)، قصيدة (المشرقان عليك
ينتحبان)، منشور في المكتبة الشاملة.

٩٦. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، للحافظ عبيد الله بن أحمد المعروف
بالحاكم الحسكاني الحنفي النيسابوري، تحقيق وتعليق: الشيخ محمد باقر
المحمودي، نشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية التابع لوزارة الثقافة

- والإرشاد الإسلامي، طهران، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
٩٧. الصحاح تاج اللغة، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد بن عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.
٩٨. صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
٩٩. صحيح ابن خزيمة، لابن خزيمة السلمي النيسابوري، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
١٠٠. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، الناشر: دار الجليل، بيروت.
١٠١. صحيفة الإمام الحسين عليه السلام، جمع: الشيخ جواد القيومي الأصفهاني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
١٠٢. الصحيفة السجادية، للإمام علي زين العابدين عليه السلام، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، بإشراف: محمد علي الأبطحي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
١٠٣. الصدق... رؤى في مفهومه ومجالاته ومعانيه، للمرجع الديني السيد كمال الحيدري، الناشر: مؤسسة الإمام الجواد عليه السلام، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ.
١٠٤. طب الأئمة عليهم السلام، لأبي عتاب عبد الله بن سابور الزيات والحسين بن بسطام النيسابوريين، تقديم: السيد محمد مهدي الخرساني،

- منشورات الرضي، مطبعة أمير، قم، الطبعة الثانية، ١٣٦٣ ش.
١٠٥. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، نشر: دار صادر، بيروت.
١٠٦. الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف، لرضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن طاووس الحلّي (ت: ٦٦٤هـ)، مطبعة الخيّام، قم المقدّسة، ١٣٩٩هـ.
١٠٧. عدّة الداعي ونجاح الساعي، للشيخ أحمد بن فهد الحلّي (ت: ٨٤١هـ)، تحقيق: أحمد الموحدي القمّي، الناشر: مكتبة الوجداني، قم.
١٠٨. العدّد القويّة لدفع المخاوف اليوميّة، للفقهاء الجليل رضي الدين علي بن يوسف المطهر الحلّي (ت: ٧٢٦)، تحقيق: السيّد مهدي الرجائي، الناشر: مكتبة آية الله المرعشي العامّة، مطبعة سيّد الشهداء عليه السلام، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
١٠٩. العروة الوثقى (ط. ج)، للسيّد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي (ت: ١٣٣٧هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم، المشرّفة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
١١٠. العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي (ت: ٣٢٧هـ)، منشور في المكتبة الشاملة.
١١١. علل الشرائع، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي (ت: ٣٨١هـ)، نشر: المكتبة الحيدريّة، النجف الأشرف، ١٩٦٦م.
١١٢. علم الإمام (تقريراً لدروس آية الله المحقّق السيّد كمال الحيدري)، بقلم: الشيخ علي حمود العبادي، الناشر: مؤسّسة الإمام الجواد عليه السلام للفكر والثقافة، إيران، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ.
١١٣. العناوين الفقهيّة، للسيّد مير عبد الفتاح الحسيني المراغي (ت:

- ١٢٥٠هـ)، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرّسين، قم، ١٤١٧هـ.
١١٤. العوالم العلوم (الإمام الحسين عليه السلام)، للشيخ عبد الله البحراني (ت: ١١٣٠هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
١١٥. عوالي اللآلي، لابن أبي جمهور الأحسائي، تحقيق: البحّثة الشيخ مجتبي العراقي، نشر: مطبعة سيّد الشهداء، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
١١٦. عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: حسين الأعلمي، نشر: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
١١٧. عيون الأثر في فنون المغازي والشهائل والسير (السيرة النبويّة)، تأليف: محمّد بن عبد الله بن يحيى بن سيّد الناس (ت: ٧٣٤هـ)، الناشر: مؤسّسة عزّ الدين، بيروت، سنة الطبع: ١٤٠٦هـ.
١١٨. عيون الحكم والمواعظ، عليّ بن محمّد الليثي الواسطي، تحقيق: حسين الحسيني البيرجندي، نشر: دار الحديث، قم، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
١١٩. الغدير في الكتاب والسنة والأدب، للشيخ العلامة عبد الحسين أحمد الأميني النجفي (ت: ١٣٩٢هـ)، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٦٧م.
١٢٠. غرر الخصائص الواضحة، لأبي إسحاق برهان الدين محمّد بن إبراهيم بن يحيى الوطواط (ت: ٧١٨هـ)، الضبط والتعليق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

منشور في: موقع الورّاق، وفي: المكتبة الشاملة.

١٢١. غريب الحديث، لأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي: (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور سليمان بن إبراهيم بن محمد العاير، الناشر: جامعة أمّ القرى (مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي)، مكة المكرمة.

١٢٢. غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع، للفقهاء البارّع الأقدم السيّد حمزة بن عليّ بن زهرة الحلبي (ت: ٥٨٥هـ)، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري، نشر: مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام للتحقيق والتأليف، مطبعة اعتماد، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٢٣. الغيبة، تأليف: شيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني والشيخ علي أحمد ناصح، نشر: مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١٢٤. الغيبة، محمّد بن إبراهيم النعماني (ت: ٣٨٠هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، طبع ونشر: مكتبة الصدوق، طهران.

١٢٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، نشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية.

١٢٦. فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)، محمّد بن عليّ بن محمّد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، نشر: عالم الكتب، بيروت.

١٢٧. الفتوح، أحمد بن الأعمش الكوفي (ت: ٣١٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٢٨. الفروع من الكافي، للشيخ المحدث محمّد بن يعقوب الكليني (ت:

- ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر: دار الكتب الإسلامية، قم المقدسة، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ.
١٢٩. الفروق، لأبي الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي (ت: ١١٢٧هـ)، مطبعة الشركة الصحافية العثمانية، طبعة عام ١٣١٠هـ.
١٣٠. فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: الدكتور وصي الله محمد عباس، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
١٣١. قرب الإسناد، للشيخ أبي العباس عبد الله بن جعفر الحميري (ت: ٣٠٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
١٣٢. القواعد الفقهية، محمد حسن البجنوردي (ت: ١٣٩٥هـ)، تحقيق: مهدي المهرزي، و: محمد حسين الدرايتي، الناشر: مطبعة الهادي، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
١٣٣. القواعد والفوائد في الفقه والأصول والعربية، للشهيد الأول أبي عبد الله محمد بن مكّي العاملي (ت: ٧٨٦هـ)، تحقيق: الدكتور السيد عبد الهادي الحكيم، الناشر: منشورات مكتبة المفيد، قم.
١٣٤. قوت القلوب في معاملة المحبوب، لأبي طالب محمد بن علي بن عطية المكّي الحارثي (ت: ٣٨٦هـ)، تحقيق: الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٠٠٩م.
١٣٥. كامل الزيارات، للشيخ جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت: ٣٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
١٣٦. الكامل في التاريخ، لابن الأثير الجزري أبي الحسن عز الدين علي بن

٤٦٦ أخلاقيات الحج والزيارة

محمد بن عبد الكريم الجزري الشافعي (ت: ٦٣٠هـ)، نشر: دار صادر، بيروت، طبعة ١٤٠٢هـ، منشور في المكتبة الشاملة.

١٣٧. كتاب الدعاء، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، التحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

١٣٨. كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، انتشارات هجرت، قم المقدسة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

١٣٩. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى عبد الله حاجي خليفة، تقديم: السيد شهاب الدين المرعشي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٤٠. كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، عليّ بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي (ت: ٦٩٣هـ)، الناشر: دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

١٤١. كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، للعلامة الحليّ الحسن بن يوسف بن المطهر (ت: ٧٢٦هـ)، تحقيق: حسين الدركاهي، طهران، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١٤٢. كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق أبي جعفر بن عليّ بن الحسين بن بابويه (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ١٤٠٥هـ.

١٤٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للعلامة علاء الدين عليّ المتقي الهندي، تحقيق: بكري الحياتي وصفوة السقا: مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٤٤. الكنى والألقاب، للشيخ عباس القمّي، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٤٥. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، الناشر: دار إحياء

- التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.
١٤٦. اللهوف في قتلى الطفوف (مقتل الحسين عليه السلام)، تأليف: علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني (ت: ٦٦٤ هـ)، الناشر: أنوار الهدى، مطبعة مهر، قم.
١٤٧. لوايح الأشجان في مقتل الحسين، للسيد محسن الأمين العاملي (ت: ١٣٧١ هـ)، الناشر: مكتبة بصيرتي، إيران.
١٤٨. لوايح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، عبد الوهاب بن أحمد الشعрани (ت: ٩٧٣ هـ)، طبع ونشر: مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ هـ.
١٤٩. المبسوط في فقه الإمامية، لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)، صححه وعلق عليه: السيد محمد تقى الكشفي، الناشر: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، طبعة صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، نشر: دار الفكر، بيروت.
١٥٠. مثير الأحرار، للشيخ الجليل ابن نما الحلبي، تأليف: نجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما الحلبي (ت: ٦٤٥ هـ)، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٠ م.
١٥١. المجازات النبوية، للشيخ الشريف الرضي (ت: ٤٠٦ هـ)، تحقيق وشرح: فضيلة الدكتور طه محمد الزيني، منشورات مكتبة بصيرتي، قم.
١٥٢. مجمع البحرين، للشيخ فخر الدين البحراني، تنظيم: محمود عادل، تحقيق: أحمد الحسيني، نشر: مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، طهران، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ.
١٥٣. مجمع البيان في تفسير القرآن، لأمين الإسلام أبي الفضل بن الحسن

- الطبرسي، نشر: مؤسّسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
١٥٤. مجمع الفائدة والبرهان (شرح إرشاد الأذهان)، للشيخ أحمد الأردبيلي (المقدّس الأردبيلي)، تحقيق وتصحيح: الشيخ مجتبی العراقي، والشيخ على بناء الإشتهاردي والحاج آقا حسين اليزدي، نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المشرّفة، سنة الطبع ١٤٠٤هـ.
١٥٥. محاسبة النفس، للشيخ العلامة الثقة تقيّ الدين إبراهيم بن عليّ الكفعمي (ت: ٩٠٥هـ)، تحقيق: الشيخ فارس الحسنون، نشر: مؤسّسة قائم آل محمد عليه السلام، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
١٥٦. المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت: ٢٧٤هـ)، تصحيح وتعليق: السيّد جلال الدين الحسيني، مؤسّسة الأعلمي، طهران، ١٤٢٩هـ.
١٥٧. المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء، للشيخ المولى محسن الفيض الكاشاني، تصحيح وتعليق: الشيخ علي أكبر الغفّاري، نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة.
١٥٨. مختلف الشيعة في أحكام الشريعة، للعلامة الحلّي الحسن بن يوسف بن المطهر (ت: ٧٢٦هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
١٥٩. المزار الكبير، للشيخ محمد بن المشهدي (ت: ٦١٠هـ)، تحقيق: جواد القيّومي، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
١٦٠. المزار، للشهيد الأوّل شمس الدين محمد بن مكّي العاملي (ت: ٧٨٦هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
١٦١. المزار، للشيخ المفيد محمد بن النعمان، تحقيق السيّد محمد باقر الأبطحي، نشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدّسة، الطبعة الأولى.

١٦٢. مسائل الناصريّات، لعلم الهدى أبي القاسم عليّ بن الحسين الموسوي (ت: ٤٣٦هـ)، تحقيق: مركز البحوث والدراسات العلميّة، الناشر: رابطة الثقافة والعلاقات الإسلاميّة مديريّة الترجمة والنشر، المطبعة: مؤسّسة الهدى، طهران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
١٦٣. مستدرك الوسائل، للمحقّق الميرزا حسين النوري الطبرسي، مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
١٦٤. المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمّد بن محمّد الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة، تحقيق: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، بيروت.
١٦٥. المستطرف في كلّ فن مستظرف، شهاب الدين محمّد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، تحقيق: الدكتور مفيد محمّد قميحه، الناشر: دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
١٦٦. مستند الشيعة في أحكام الشريعة، للعلامة الفقيه أحمد بن محمّد مهدي النراقي (ت: ١٢٤٥هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
١٦٧. مسند الإمام أحمد، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (٣٠٣هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت.
١٦٨. مسند الإمام الرضا عليه السلام، تحقيق: الشيخ عزيز الله عطاردی الخبوشاني، الناشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، طبع: مؤسّسة آستان قدس الرضوي، مشهد - إيران، ١٤٠٦هـ.
١٦٩. مسند الحميدي، للإمام الحافظ عبد الله بن الزبير الحميدي (ت: ٢١٩هـ)، تحقيق وتعليق: الأستاذ المحدث المحقّق الشيخ حبيب الرحمن العظمي، نشر: دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٩٨٨ م.

١٧٠. مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، لأبي الفضل عليّ الطبرسي، تقديم: صالح الجعفري، الناشر: المكتبة الحيدريّة في النجف، العراق، طبعة ١٩٦٥.

١٧١. مصادقة الأخوان، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن عليّ بن بابويه القمّي (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: السيّد علي الخراساني الكاظمي، الناشر: منشورات مكتبة الإمام صاحب الزمان العامّة، الكاظميّة - العراق، ١٤٠٢هـ.

١٧٢. مصباح المتهجّد، للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن بن عليّ بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، مؤسّسة فقه الشيعة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١٧٣. المصباح، للشيخ تقي الدين إبراهيم بن عليّ بن الحسن العاملي الكفعمي (ت: ٩٠٥هـ)، الناشر: دار المرتضى، بيروت، الطبعة الجديدة، ١٤٢٨هـ.

١٧٤. مصنّف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، ضبطه وعلّق عليه: الأستاذ سعيد محمد اللحام، نشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٧٥. المصنّف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، تحقيق: الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي، بيروت.

١٧٦. معاني الأخبار، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (ت: ٣٨١هـ)، صحّحه: علي أكبر الغفّاري، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة، طبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.

١٧٧. المعبر في شرح المختصر، لنجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن

- المحقق الحلّي (ت: ٦٧٦هـ)، حققه وصحّحه: عدّة من الأفاضل، طبع: مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، الناشر: مؤسّسة سيّد الشهداء عليه السلام، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٣٦٤ ش.
١٧٨. معجم الأدباء، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت: ٦٢٦هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت.
١٧٩. المعجم الأوسط، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، الناشر: دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة: ١٤١٥هـ.
١٨٠. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني، تحقيق: حمدي عبد الحميد السلفي، طبع: دار إحياء التراث العربي، نشر: مكتبة ابن تيميّة، القاهرة، الطبعة الثانية.
١٨١. معجم رجال الحديث، للسيد أبي القاسم الخوئي، تحقيق: لجنة التحقيق، منشورات مدينة العلم، قم المقدّسة، الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ.
١٨٢. معجم لغة الفقهاء، تصنيف: الدكتور محمّد قلعجي والدكتور حامد صادق قنبي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ م.
١٨٣. مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمّد الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، انتشارات ذوي القربى، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ.
١٨٤. مقتل الإمام الحسين، للسيد عبد الرزاق المقرّم الموسوي، منشورات مؤسّسة البعثة، طهران.
١٨٥. مقتل الإمام الحسين، للموفق بن أحمد البكري المكي الحنفي الخوارزمي (ت: ٥٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ محمّد السماوي، مكتبة مفيد، قم المقدّسة.
١٨٦. مقتل الحسين عليه السلام، للمؤرّخ أبي مخنف لوط بن يحيى بن سعيد

٤٧٢..... أخلاقيات الحج والزيارة

بن مخنف بن مسلم الأزدي الغامدي، الناشر: منشورات المكتبة العامة
للسيد شهاب الدين المرعشي النجفي، تعليق: الحاج ميرزا حسن
الغفاري، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٨هـ.

١٨٧. المقنعة، للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري، قم، الطبعة
الأولى، ١٤١٣هـ.

١٨٨. مكارم الأخلاق، للشيخ الجليل رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل
الطبرسي، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة، الطبعة السادسة،
١٩٧٢م.

١٨٩. من أسرار الحج وحكمه، آية الله العلامة الشيخ عبد الله الجواد
الآملي، الناشر: دار الإسرائ، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

١٩٠. من لا يحضره الفقيه، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن
الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر:
جامعة المدرسين، قم المقدسة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

١٩١. مناسك الحج، للمرجع الديني السيد كمال الحيدري، الناشر: مؤسسة
الإمام الجواد للفكر والثقافة، العراق - الكاظمية، الطبعة الأولى،
١٤٣٣هـ.

١٩٢. مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، للحافظ
محمد بن سليمان الكوفي القاضي (ت: ٣٢٢هـ)، تحقيق: الشيخ محمد
باقر المحمودي، الناشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، إيران، الطبعة
الأولى، ١٤١٢هـ.

١٩٣. منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان، لجمال الدين أبي منصور
الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني (ت: ١٠١١هـ)، صححه وعلّق
عليه: علي أكبر الغفاري، من منشورات جامعة المدرسين في الحوزة

العلمية، قم المشرقة.

١٩٤. انتهى المطلب في تحقيق المذهب، للعلامة الحلي جمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف بن علي المطهر (ت: ٧٢٦هـ)، تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، تقديم: الدكتور محمود البستاني، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية، إيران - مشهد، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٩٥. منية المريد في أدب المفيد والمستفيد، للشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن علي العاملي (ت: ١٠١١هـ)، تحقيق: رضا المختاري، نشر: مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٩٦. المهذب، للفقيه الأقدم القاضي عبد العزيز بن البراج الطرابلسي (ت: ٤٨١هـ)، تقديم وتحقيق: الشيخ جعفر السبحاني، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرقة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٩٧. الموطأ، للإمام مالك بن أنس الأصبحي الحميري (ت: ١٧٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٩٨. الميزان في تفسير القرآن، للسيد العلامة محمد حسين الطباطبائي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة.

١٩٩. نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، للشيخ الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر الحلواني، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى المحققة، قم المقدسة، ١٤٠٨هـ.

٢٠٠. النهاية في غريب الحديث، للإمام مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير الجزري (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناجي، نشر: مؤسسة إسماعيليان، قم المقدسة، الطبعة الرابعة، ١٣٦٤ ش.

٢٠١. النهاية في مجرد الفقه والفتاوى، للشيخ محمد بن الحسن بن علي الطوسي

- (ت: ٤٦٠هـ)، الناشر: دار الأندلس، بيروت، أوفست انتشارات قدس محمّدي، قم المقدّسة.
٢٠٢. نهج البلاغة، خطب الإمام عليّ عليه السلام، جمع: الشريف الرضي، تحقيق: الشيخ محمّد عبده، نشر: دار المعرفة، بيروت.
٢٠٣. الهداية في الأصول والفروع، للشيخ الصدوق محمّد بن عليّ بن بابويه (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة الإمام الهادي عليه السلام، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٢٠٤. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، للشيخ المحدث محمّد بن الحسن الحرّ العاملي (ت: ١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
٢٠٥. الوسيطية في القرآن الكريم، للمرجع الديني السيّد كمال الحيدري، بقلم: الدكتور طلال الحسن، الناشر: مؤسّسة الجواد للفكر والثقافة، العراق - الكاظميّة، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.
٢٠٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلكان البرمكي (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عبّاس، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٩٤م.
٢٠٧. ينابيع المودة لذوي القربى، للشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، تحقيق: السيّد علي جمال أشرف الحسيني، نشر: دار الأسوة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

الفهرس

٧	المقدمة.....
٩	لماذا التركيز على الحجّ.....
١٠	التنوّع المصداقي في الزيارات.....
١١	هذا الكتاب.....
١٣	تنبيه أوّل.....
١٤	تنبيه ثانٍ.....
١٩	تمهيد في مباني الشعائر الدينيّة.....
٢١	قرآنيّة الشعائر الدينيّة.....
٢٣	مسؤوليّة إقامة الشعائر.....
٢٤	المفصل الأوّل: تشريعيّة الشعيرة الدينيّة.....
٢٤	المفصل الثاني: الرعاية والتوجيه العلمائي.....
٢٤	المفصل الثالث: ملاحظة حركيّة البُعدين الزماني والمكاني.....
٢٥	شروط تحديد المصداق للشعيرة.....
٢٦	أولاً: انسجام المصداق الجديد مع أصل الشعيرة.....
٢٦	ثانياً: الانسجام مع الروح العامّة والأخلاقيّات العامّة لأطر المجتمع.....
٢٧	ثالثاً: أن تكون منسجمة مع العقل العامّ.....
٢٧	الفرق بين الشعيرة الدينيّة والبدعة.....
٣٠	من أدلّة الشعائر الدينيّة.....
٣٠	النوع الأوّل: الأدلّة القرآنيّة، وهي قسمان.....
٣٠	القسم الأوّل: الأدلّة القرآنيّة العامّة.....
٣٢	القسم الثاني: الأدلّة القرآنيّة الخاصّة.....

٤٧٦ أخلاقيات الحج والزيارة

- النوع الثاني: الأدلة الروائية ٣٣
- مدخلية العقل والعقلاء في تشريعية الشعائر الدينية وتشخيصها ٣٤
- قُدسية الشعائر الدينية ٣٧

الدرس الأول

هوية الشعائر الدينية وأهدافها وآثارها

- أهداف الدرس ٤٣
- تمهيد ٤٣
- الشعيرة في اللغة والاصطلاح ٤٣
- ملامح الشعيرة الدينية ٤٥
- الملح الأول: أن تمثل انعكاساً ملحوظاً للمعارف الدينية ٤٦
- الملح الثاني: الوضوح الشديد في حقائق الشعيرة ٤٦
- الملح الثالث: أن تكون الشعيرة داعية للارتباط بالله تعالى ٤٧
- الملح الرابع: أن تكون الشعيرة منسجمة مع الأطراف العامة التي يراد من إقامتها تقوية تلك الأهداف ٤٧
- عبادية الشعيرة الدينية ٤٧
- الأمر الأول: مقتضيات عبادة الشعيرة الدينية ٤٧
- الأمر الثاني: الاتزان في أداء الشعيرة ٤٨
- الأهداف الدينية في الشعائر ٥٠
- الشعائر الدينية وسائل سليمة لأهداف سليمة ٥٣
- الأهداف الاجتماعية في الشعائر الدينية ٥٤
- الآثار الدنيوية والأخروية للشعائر الدينية ٥٥
- كلمات على الطريق ٥٨
- خلاصة الدرس ٥٩

الدرس الثاني

علاقة الشعائر الدينية بالحج والزيارات

أهداف الدرس	٦٥
تمهيد	٦٥
علاقة الشعائر بالحج والزيارات علاقة المفهوم بالمصداق	٦٥
خصوصية الحج في عنوانه للشعائر	٦٦
اندراج الزيارات تحت عنوان الشعائر الدينية	٦٩
الأبعاد الأخلاقية والاجتماعية لعلاقة الشعائر الدينية بالحج	٧٢
الأبعاد الأخلاقية والاجتماعية لعلاقة الشعائر الدينية بالزيارات	٧٥
التوحيد حلقة الوصل بين الحج والشعائر الدينية	٨١
حلقات الوصل بين الزيارات والشعائر الدينية	٨٢
التنوع في الزيارات تنوع في وسائل التقرب إلى الله	٨٤
كلمات على الطريق	٨٦
خلاصة الدرس	٨٧
مذاكرة	٨٩

الدرس الثالث

أخلاقيات التواجد في الأماكن المقدسة

أهداف الدرس	٩٣
تمهيد	٩٣
هوية الأماكن المقدسة	٩٤
الارتباط بين المساجد والمراقد والمزارات الدينية	٩٥
أهمية أخلاقيات الحضور في الأماكن المقدسة	٩٩
العلاقة بين المزار والمزار وأثرها على الزائر	١٠٢

٤٧٨ أخلاقيات الحج والزيارة

- أولاً: طبيعة العلاقة بين المزار والمزار ١٠٣
- ثانياً: أثر العلاقة بين المزار والمزار على الزائرين ١٠٥
- الأخلاقيات الأولى للحضور في الأماكن المقدسة ١٠٦
- الأخلاقيات الثانوية للحضور في الأماكن المقدسة ١٠٨
- حرمة الزائرين من حرمة المزار والمزار ١٠٩
- كلمات على الطريق ١١٠
- خلاصة الدرس ١١١
- مذاكرة ١١٤

الدرس الرابع أخلاقيات العمرة

- أهداف الدرس ١١٧
- تمهيد ١١٧
- تاريخ العمرة ١١٧
- هوية العمرة ١١٩
- الحث المطلق على قصد بيت الله ١٢٠
- روايات خاصة في الحث على العمرة ١٢٢
- العمرة مقدمة للحج ١٢٤
- أخلاقيات الإحرام للعمرة ١٢٦
- البعد المعنوي للإحرام ١٣٠
- أخلاقيات الطواف للعمرة وصلاته ١٣٢
- أخلاقيات السعي للعمرة ١٣٥
- أخلاقيات التقصير ١٣٧
- خصوصيات العمرة المفردة ١٣٨

٤٧٩	الفهرس
١٣٩	تصوير باطني للحج والعمرة
١٤٢	آثار الحج والعمرة
١٤٣	كلمات على الطريق
١٤٣	خلاصة الدرس
١٤٧	مذاكرة

الدرس الخامس

الأخلاقيات العامة للحج

١٥١	أهداف الدرس
١٥١	تمهيد
١٥٢	معنى الحج والحج
١٥٥	أقسام الحج
١٥٧	قصد الحج بعينه
١٥٨	رعاية حرمة الكعبة والمسجد الحرام
١٦٤	رعاية حرمة ضيوف الرحمن
١٦٤	الحج محرقة الأنانية
١٦٧	الحج والأخوة الإيمانية
١٦٨	كلمات على الطريق
١٦٩	خلاصة الدرس
١٧١	مذاكرة

الدرس السادس

الأخلاقيات الخاصة بالحج

١٧٥	أهداف الدرس
١٧٥	تمهيد

٤٨٠	 أخلاقيات الحج والزيارة
١٧٥	 خصوصية الإحرام للحج
١٧٨	 أخلاقيات الوقوف في عرفات
١٨٣	 تنبيه
١٨٣	 أخلاقيات الوقوف في مزدلفة
١٨٥	 أخلاقيات الإفاضة من عرفات ومزدلفة
١٨٦	 أخلاقيات رمي الجمرات
١٨٨	 أخلاقيات الهدى والحلق
١٨٩	 أخلاقيات المبيت في منى
١٩٠	 خصوصيات طواف الحج وسعيه
١٩١	 نفحات من أركان الكعبة
١٩٢	 الحج طوفان الكمال والوصل بالله تعالى
١٩٣	 وداع البيت الحرام بكلمة التوحيد
١٩٤	 كلمات على الطريق
١٩٥	 خلاصة الدرس
١٩٨	 مذاكرة

الدرس السابع

أخلاقيات النزاور والتكاتب

٢٠١	 أهداف الدرس؛ تمهيد
٢٠٢	 معنى النزاور والتكاتب
٢٠٣	 فلسفة النزاور والتكاتب
٢٠٦	 القطعية انكسار للنفس وتفكيك لبناء الأسرة والمجتمع
٢٠٩	 النزاور الشرعي والنزاور غير الشرعي
٢١٠	 آداب الزيارة الشرعية

٤٨١	الفهرس
٢١٥	التوصيات القرآنيّة والإلهيّة بالتزاور
٢١٥	توصيات السنّة الشريفة بالتزاور والتكاتب
٢١٦	التوصيات الأخلاقيّة بالتزاور والتكاتب
٢١٨	التزاور والتكاتب النفعي (البرجماتي)
٢١٨	التزاور الخدمي (حقوق التزاور والتكاتب)
٢٢١	التزاور التعليمي والتذكيري
٢٢٤	علاقة التزاور بحفظ الدين والشهادة على الأعمال
٢٢٤	كلمات على الطريق
٢٢٥	خلاصة الدرس
٢٢٧	مذاكرة

الدرس الثامن

أخلاقيّات زيارة الرسول والبقيع

٢٣١	أهداف الدرس
٢٣١	تمهيد
٢٣١	حرمة المدينة المنورة
٢٣٢	رعاية حرمة المسجد النبوي
٢٣٥	أخلاقيّات الحضور في المدينة المنورة والمسجد النبوي
٢٣٧	إطالة على شخصيّة الرسول صلّى الله عليه وآله
٢٤١	أخلاقيّات زيارة الرسول صلّى الله عليه وآله
٢٤٨	إطالة على البقيع وأئمّة البقيع عليهم السلام
٢٥٠	أخلاقيّات زيارة أئمّة البقيع عليهم السلام
٢٥٢	إطالة على شخصيّة السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام
٢٥٤	أخلاقيّات زيارة السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام

٤٨٢ أخلاقيات الحج والزيارة

٢٥٦ أخلاقيات زيارة قبور شهداء الإسلام في المدينة

٢٥٨ كلمات على الطريق

٢٥٩ خلاصة الدرس

٢٦٢ مذاكرة

الدرس التاسع

أخلاقيات زيارة الأنبياء والأئمة والصالحين

٢٦٧ أهداف الدرس

٢٦٧ تمهيد

٢٦٨ رسالة الأنبياء عليهم السلام

٢٦٨ خصوصية زيارة الأنبياء عليهم السلام

٢٧٠ أخلاقيات زيارة الأنبياء عليهم السلام

٢٧٢ تعريف ببقية الأئمة المعصومين عليهم السلام

٢٧٣ أخلاقيات زيارة الأئمة المعصومين عليهم السلام

٢٧٩ خصوصية مدينة النجف الأشرف وأخلاقيات الحضور فيها

٢٨٥ خصوصية مدينة كربلاء وأخلاقيات الحضور فيها

٢٩٠ خصوصية مدينة الكاظمية وأخلاقيات الحضور فيها

٢٩٠ خصوصية مدينة مشهد وأخلاقيات الحضور فيها

٢٩٤ خصوصية مدينة سامراء وأخلاقيات الحضور فيها

٢٩٦ هوية الأولياء والشهداء والصالحين

٢٩٧ أخلاقيات زيارة الأولياء والشهداء والصالحين والقُربى المؤمنين

٣٠٠ الثمرات المعنوية في زيارة القبور

٣٠٥ خصوصية زيارة أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين

٣٠٧ خصوصية زيارة بطلة كربلاء زينب الكبرى عليها السلام

٤٨٣	الفهرس
٣٠٩	خصوصية زيارة مسجد الكوفة ومسجد السهلة
٣١٠	كلمة أخيرة
٣١١	كلمات على الطريق
٣١٢	خلاصة الدرس
٣١٧	مذاكرة

الدرس العاشر

أخلاقيات زيارة العلماء وطلبة العلم

٣٢١	أهداف الدرس
٣٢١	تمهيد
٣٢١	التكريم القرآني للعلم والعلماء
٣٢٦	التكريم الروائي للعلم والعلماء
٣٢٧	الشخصية المعنوية للعالم ولطالب العلم
٣٣١	لزوم صيانة حرمة العلماء وطلبة العلم
٣٣٣	الموازنة بين حفظ حرمة العلماء وبين توجيه النقد الموضوعي
٣٣٤	أخلاقيات زيارة العلماء
٣٣٦	أخلاقيات زيارة طلبة العلم
٣٣٨	زيارة قبور العلماء وأهل العلم
٣٤٠	كلمات على الطريق
٣٤١	خلاصة الدرس
٣٤٤	مذاكرة

الدرس الحادي عشر

أخلاقيات زيارة الأهل والأقرباء والأصدقاء

٣٤٧	أهداف الدرس
-----	-------------------

٤٨٤ أخلاقيّات الحجّ والزيارة

٣٤٧	تمهيد
٣٤٧	أهميّة التكامل الأسري
٣٥٠	الأقرباء امتداد اجتماعيّ وقوّة ارتباط
٣٥٤	الأصدقاء وحدة ثقافة وطموح وأهداف
٣٥٥	الوحدة الاجتماعيّة بين الأهل والأقرباء والأصدقاء
٣٥٧	أخلاقيّات التزاور الأسري
٣٥٧	الأوّل: أخلاقيّات التزاور البنائي
٣٦٠	الثاني: أخلاقيّات التزاور التكاملي
٣٦٢	أخلاقيّات زيارة الأقرباء
٣٦٤	أخلاقيّات زيارة الأصدقاء
٣٦٦	كلمات على الطريق
٣٦٦	خلاصة الدرس
٣٦٩	مذاكرة

الدرس الثاني عشر

أخلاقيّات زيارة مقطوعي الصلة وعيادة المرضى

٣٧٣	أهداف الدرس
٣٧٣	تمهيد
٣٧٣	معنى مقطوعي الصلة
٣٧٦	أخلاقيّات زيارة الأيتام
٣٧٨	أخلاقيّات زيارة الفقراء والمساكين والأرامل والمحرومين
٣٧٩	أخلاقيّات زيارة المتعفّفين
٣٨٠	أخلاقيّات المريض
٣٨٣	أخلاقيّات عيادة المرضى

٤٨٥	الفهرس
٣٨٨	الأثر المشترك في عيادة المريض على المريض وعائده
٣٨٩	كلمات على الطريق
٣٩٠	خلاصة الدرس
٣٩٢	مذاكرة

الدرس الثالث عشر

الشخصية القرآنية والأخلاقية للمبليين والمرشدين

٣٩٥	أهداف الدرس
٣٩٥	تمهيد
٣٩٦	معنى التبليغ
٣٩٦	خواص التبليغ
٣٩٦	أولاً: التبليغ وظيفة إلهية وليس وظيفة مدنية أو حكومية
٣٩٧	ثانياً: أولوية الأهداف العامة على الأهداف الخاصة أو الشخصية
٣٩٧	ثالثاً: التبليغ تكليف إلهي مشروط بالنصح وغير مشروط بالتوفيق
٣٩٨	رابعاً: التبليغ عملية إنقاذية وليست تسقيطية
٣٩٩	خامساً: التبليغ للدين والمبادئ وليس للأشخاص
٣٩٩	سادساً: الموازنة في انتخاب الموضوع
٤٠٠	سابعاً: الموازنة في تحديد الزمان والمكان
٤٠٠	الأبعاد الذاتية العامة في شخصية المبلغ
٤٠١	الأبعاد الخاصة في شخصية المبلغ
٤٠١	أولاً: التفقه في الدين أو الارتكاز على العلم والبصيرة
٤٠٢	ثانياً: التركيز على القرآن والسنة الشريفة
٤٠٢	ثالثاً: إجادة الفنون التبليغية وعدم التطفل عليها
٤٠٣	رابعاً: الأمانة في النقل

٤٠٣	خامساً: الموضوعية في النقد
٤٠٣	سادساً: التنافس الإيجابي مع الآخرين بالتكامل
٤٠٤	سابعاً: التذكير بالجنة والنار على حدّ سواء
٤٠٥	ثامناً: السعي الحقيقي وراء النهضة بالأمة وليس وراء الجاه والمال
٤٠٦	تاسعاً: أن يكون نموذجاً في حفظ الشريعة وتطبيقها
٤٠٦	أخلاقيات التبليغ والمبلغين
٤٠٨	نقاط جوهرية في إنجاح العملية التبليغية
٤١٠	الأخلاقيات الخاصة بالمرشدين في الحج
٤١٤	الأخلاقيات الخاصة بالمتعهدين في الحج
٤١٥	الأخلاقيات الخاصة بالبعثة الطبية في الحج
٤١٧	الأخلاقيات الخاصة بالبعثات الدينية في الحج
٤١٩	مع الإمام الصادق في الفرع إلى الله تعالى
٤٢٠	كلمات على الطرق
٤٢٢	خلاصة الدرس
٤٢٤	مذاكرة
٤٢٧	خاتمة ونتائج وتوصيات
٤٢٩	الخاتمة
٤٢٩	النتائج العامة
٤٣١	النتائج الخاصة
٤٤٨	التوصيات
٤٤٩	المصادر والمراجع
٤٧٥	الفهرس